الدُّرَر
في
اختصار المغازي والسِّيَر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

حين اطلعت فى دار الكتب المصرية على مخطوطة : «كتاب الدرر فى اختصار المغازى والسِّير » لابن عبد البَرِّ» ووجدت الزَّبيدى اللغوى تملَّكها ووقفها مع ما وقفه من الكتب لانتفاع طلاب العلم بها . وليس ذلك فحسب ، فقد وجدت عليها تعليقات للعلامة المؤرخ شمس الدين السخاوى ، حينئذ عرفت أنها مخطوطة نفيسة . وحاولت أن أجد من الكتاب مخطوطة أو مخطوطات أخرى للمقابلة ، ولم يُكتب لى الظفر بشىء من ذلك فاكتفيت بأن المخطوطة موثقة ومضيت أحققها وأُعدُّها للنشر . مستعيناً بما وجدته من الأصول التى ذكرها ابن عبد البر فى الكتاب . وأيضًا من الفروع التى استمدَّت منه ونقلت عنه ، وقد بسطت القول فى ذلك بمقدمة الطبعة الأولى .

ونشرت الكتاب – بتحقيقى – لجنةُ إحياء التُّراث الإسلامى بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية فى سنة ١٣٨٦ للهجرة ، ولم تكد تدخل سنة ١٣٩٠ حتى كانت قد نفدت تلك النشرة . ولم يلبث معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية أن عثر على مخطوطة منه فى الخزانة العامة بالرباط ، وبادر إلى تصويرها . وصوَّرها لى مشكورًا . ووجدتها مخطوطة متأخرة ربما رجعت إلى القرن الحادى عشر الهجرى ، وهى بخط مغربى وغير موثقة ، وبها بياض فى غير ورقة وهو واضح فى ظهر الورقة الأولى المصورة فى هذه الطبعة الثانية ، وبها ما لا يكاد يُحْصَى من التصحيفات وسواقط الكلمات ، ولم أر إثبات ذلك فى الهوامش ، إذ ليس فى إثباته فائدة . ويتضح من مقدمتها أنها ترجع إلى أم أخرى غير أم المخطوطة الموثقة التى نشرتها فى الطبعة الأولى ، وأيضًا فإنها تختلف عنها بزيادات قليلة رأيت إثباتها ، كما أثبت منها بعض تصحيحات قليلة . ورمزت إلى تلك النسخة فى الهوامش بالحرف (ر) .

وكنت قد لاحظت فى المخطوطة الموثقة التى نشرتها أنه تتردد فى بعض صفحاتها كلمة « قلت » ويليها تعقيبات على كلام ابن عبد البر . وقد توضع مكان كلمة « قلت » كلمة

« فائدة » أو كلمة « ههنا لطيفة » . وذُكر التعقيب فى أمكنة قليلة بدون إشارة تسبقه تدل على أوله ، غير أنه كان يُعلن دائماً عن نفسه بما ينتهى به من العلامات الدالة على انتهاء التعقيب مثل : « عاد الكلام » أو « يرجع الكلام » أو « والله أعلم » أو والحمد لله » أو « وبالله التوفيق » . وذكرت فى مقدمة الطبعة الأولى أن هذه التعقيبات إما أنها كانت مكتوبة على هامش الأصل الذى نقلت عنه المخطوطة وأدمجها فيها الناسخ لها ، وإما أن يكون الناسخ هو العالم الدينى الذى أضاف تلك التعقيبات .

وكثيرًا ما خشيت أن يكون تقديرى لبدء هذه التعقيبات ونهايتها غير دقيق ، إذ كنت رأيت فصْلها عن الكتاب ووَضْعها فى هوامشه ، حتى أُعيد إليه نسقه الذى صاغه به ابن عبد البرّ . وحين عرضت صنيعى على النسخة الجديدة وجدتنى مصيبًا فيما عدا مواضع قليلة ظننت فيها أحياناً أن التعقيب من مَتْن الكتاب ، أو أنه ليس من متنه . وبالمعارضة على المخطوطة الجديدة رُدَّ الكتاب فى تلك المواضع إلى نسقه . وماتوفيقى إلا بالله عليه توكلت ، وإليه أنيب .

شوقى ضيف

القاهرة فى أول شعبان سنة ١٤٠٣ هـ

مقدمة الطبعة الأولى

١

المؤلف

مؤلف هذه السيرة النبويّة هو أبو عمر يوسف[١] بن عبد الله بن محمد بن عبد البرّ بن عاصم النَّمَرى ، وُلد بقرطبة فى يوم الجمعة لخمس بَقين من ربيع الأوّل سنة ثمان وستين وثلثمائة ، ونشأ فى بيت علم ، إذ كان أبوه من فقهاء قرطبة ومحدِّثيها ، وقد وجَّهه منذ نعومة أظفاره إلى الدراسات الدينية . وتوفِّى وابنه فى الثالثة عشرة من عمره ، فدأب على الدَّرْس من بعده والسماع من جِلَّة العلماء أمثال أبى عمر المكْوِى ، وابن الفَرَضىّ ، وعبد الوارث ابن سفيان ، وخلف بن قاسم ، وأبى محمد عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن ، وسعيد بن نصر ، ومحمد بن إبراهيم بن سليمان ، وأحمد بن قاسم بن عبد الرحمن التَّاهَرْتى ، وأحمد ابن محمد بن أحمد بن الجسور ، وأبى عمر الباجى ، وغيرهم من أعلام الفقه والحديث والتاريخ والمغازى والأخبار والأنساب .

وما نكاد نتقدم فى القرن الخامس الهجرى حتى يلمع اسمه بين نابهى العلماء بقرطبة ، وسرعان ما تفسد الحياة فيها وتشتعل الفتن ، ويأخذ صَرْحُ الدولة الأموية بها فى الانقضاض ، وتقوم على أنقاضه إمارات ملوك الطوائف المعروفين فى الأندلس ، إذ تستقل كل بلدة كبيرة بإمارة وأمير . وطالت الفتن بقرطبة ، فهجرها كثير من علمائها ، وشجَّعهم على الهجرة منها الأُمراء الجدد ، إذ مضوا يتنافسون فى جمع العلماء والأُدباء والشعراء بإماراتهم أو بلدانهم ، وارتحل فيمن ارتحلوا عن قرطبة أبو عمر بن عبد البر ميمِّمًا بطليوس

---

(١) انظر فى ابن عبد البر جذوة المقتبس للحميدى (طبع القاهرة) ص ٣٤٤ ، وابن بشكوال فى الصلة (طبعة القاهرة) ص ٦١٦ ، والضبى فى بغية الملتمس ص ٤٧٤ ، والفتح بن خاقان فى المطمح ص ٦١ ، والمغرب لابن سعيد (طبع دار المعارف) ٤٠٧/٢ ، ووفيات الأعيان لابن خلكان ٦٦/٧ وابن فرحون فى الديباج المذهب (الطبعة الأولى بالقاهرة) ص ٣٥٧ ، والعماد فى شذرات الذهب ٣٤٤/٣ وتذكرة الحفاظ للذهبى (طبع حيدر أباد) ٣٠٦/٣ ، ومرآة الجنان ٨٩/٣ ، والعبر فى خبر من غبر (طبعة الكويت) ٢٥٥/٣ .

فى غربى الأندلس ، حيث أمراؤها بنو الأفطس ، وما كاد يستقر فى حاضرتهم حتى أكرموه غاية الإكرام ، وولَّوه القضاء فى بلدتى أشبونة وشنترين من بلدان إمارتهم . ويتحول إلى شرقى الأندلس وينزل بلنسية ودانية ، وربما كان مما حبَّبه فى الأخيرة مجاهد الذى كان يمسك بمقاليد الحكم فيها ، فقد كان مشاركاً فى علوم القرآن والحديث كما « كان محبًّا للعلماء محسنًا لهم حتى عُرف بذلك بلده وقُصد من كل مكان ». وكان لابن عبد البر ابن أديب وكاتب بليغ ، فوظَّفه مجاهد فى دواوينه ، حتى إذا توفِّى اتخذه ابنه على (٤٣٦ – ٤٦٨ هـ) رئيسًا لدواوينه وكتَّابه . وحدث أن صَدر عنه برسالة إلى المعتضد صاحب إشبيلية (٤٣٦ – ٤٦١ هـ) وبدلاً من أن يتلقاه لقاء حسنًا حبسه فى سجنه ، مما جعل أباه يقصده مستعطفًا يمثل قوله :

قصدتُ إليك من شرقٍ لغَرْبٍ ... لتُبْصر مُقْلتى ما حَلَّ سَمْعى
وتعطفك المكارمُ نحو اصْلٍ ... دعاكم راغبًا فى خيرِ فَرْعِ
فإن جُدْتُم به من بعد عَفْوٍ ... فليس الفضل عندكُمُ ببِدْعِ

وسرعان ما ردَّ المعتضد إلى ابنه حريته وعاد إلى دانية . ولبَّى الابن نداء ربه فى سنة ثمان وخمسين وأربعمائة ، ولعل ذلك هو الذى جعل أباه يتحول عن دانية إلى شاطبة ، وبها يسلم روحه إلى بارئه فى سنة ثلاث وستين وأربعمائة عن خمسة وتسعين عاماً .

وهذه السِّنُّ العالية جعلت ابن عبد البر كما شهد موت ابنه يشهد ويسمع عن موت كثيرين من تلاميذه مثل ابن حزم . وكان يصغره بنحو عشرين عاما ، وتوفى قبله بنحو سبعة أعوام . وكان يجنح فى باكورة حياته إلى مذهب الظاهرية أتباع داود بن على الأصبهانى الذى كان ينكر الرأى فى الفقه والتشريع ويبنى أحكامه على ظاهر الآيات القرآنية والسُّنَّة النبوية . على أنه لم يلبث أن انتظم فيما انتظم فيه جمهور أساتذته وأهل موطنه من اعتناق مذهب مالك بن أنس . وكان فيه اعتدال جعله يميل إلى بعض آراء الشافعى الفقهية . وكأنه لم يكن يعرف التعصب والتحيز إنما يعرف الحقَّ ويطلبه ، فإذا استبان له انقاد راضيًا

ويُجْمع من ترجموا له على الإشادة بعلمه وروايته الغزيرة للحديث النبوى ، وفيه يقول الحُمَيْدى تلميذه : « فقيه حافظ مكثر عالم بالقراءات وبالخلاف فى الفقه وبعلوم

الحديث والرجال ، قديم السماع كثير الشيوخ » ويقول أبو الوليد الباجى : « لم يكن بالأندلس مثل أبى عمر بن عبد البر فى الحديث » ويقول ابن بشكوال : « إمام عصره وواحد دهره .. دأب فى طلب العلم وافتنّ فيه وبرع براعة فاق بها من تقدمه من رجال الأندلس » ويقول ابن سعيد نقلا عن الحِجارى : « إمامُ الأندلس فى علم الشريعة ورواية الحديث ، لا أستثنى من أحد ، وحافظها الذى حاز خَصْل السَّبْق واستولى على غاية الأمد ، وانظر إلى آثاره ، تُغْنك عن أخباره » .

وقد سمع منه عالم عظيم حملوا عنه مصنفاته التى طارت شهرتها فى عصره وبعد عصره ، منها فى الفقه والحديث كتاب « التمهيد لما فى الموطأ من المعانى والأسانيد » وفيه يقول ابن حزم : « لا أعلم فى الكلام على فقه الحديث مثله فكيف أحسن منه ؟ ! » . وفى دار الكتب المصرية قطعة من هذا الكتاب ، وقد اختصره ابن عبد البر فى كتاب سمَّاه « التقصِّى لما فى الموطأ من حديث رسول الله ﷺ » . ومن كتبه فى الفقه والحديث أيضا : « الاستذكار لمذاهب فقهاء الأمصار مما رسمه الإمام مالك فى الموطأ من معانى الرأى والآثار » نُشِر منه بالقاهرة جزآن بتحقيق الأستاذ على النجدى . وقد عاد فاختصره فى كتاب دعاه : « الكافى فى الفقه على مذهب أهل المدينة » . ومن كتبه فى الفقه : « اختلاف أصحاب مالك بن أنس واختلاف رواياتهم عنه » . ومن كتبه فى القراءات وعلوم القرآن : « البيان عن تلاوة القرآن » و« التجويد والمدخل إلى العلم بالتحديد » و« الاكتفاء فى قراءة نافع وأبى عمرو بن العلاء بتوجيه ما اختلفا فيه » . ومن كتبه « جامع بيان العلم وفضله وما ينبغى فى روايته وحمله » وقد اختصره أحمد عمر المحمصانى البيروتى ونُشر فى مجلد لطيف . وألف فى السيرة النبوية كتابه الذى ننشره : « الدُّرر فى اختصار المغازى والسِّير » وعُنِى بسير مالك والشافعى وأبى حنيفة وصنَّف فيها « الانتقاء فى فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء » وهو مطبوع . وألف فى الصحابة كتابه الضخم « الاستيعاب » استقصى فيه أسماء المذكورين منهم فى الروايات والأخبار وعرَّف بهم ولخَّص أحوالهم وأخبارهم مرتبًا لهم على حروف المعجم ، وهو مطبوع . ومن كتبه « القصد والأمم فى التعريف بأصول أنساب العرب والعجم » و « الإنباه على قبائل الرواه » وهما مطبوعان معًا . وكانت فيه نزعة أدبية جعلته ينظم الشعر من حين إلى حين ، كما جعلته يؤلف كتابه « بهجة المجالس وأنس المُجالس » للمظفر بن الأفطس صاحب بطليوس ، وهو مختارات

من غرر الأبيات ونوادر الحكايات الدالة على مكارم الأخلاق ، وقد طبع بالقاهرة بتحقيق الأستاذ الخولى وينهى ابن بشكوال حديثه عن مصنفاته بقوله : «كان موفقًا فى التأليف معانًا عليه ونفع الله بتواليفه ، وكان مع تقدمه فى علم الأثر ، وبصره بالفقه ومعانى الحديث ، له بسطة كبيرة فى علم النسب والخبر» .

٢

مصادر «الدرر فى اختصار المغازى والسير»

ذكر ابن عبد البر فى خطبة هذا الكتاب أنه أفرده لسائر خبر رسول الله ﷺ فى مبعثه وأوقاته معتمدًا على كتابى موسى بن عقبة فى المغازى ، وكتاب محمد بن إسحق فى السيرة النبوية ، ومعروف أن أولهما توفى سنة ١٤١ للهجرة ، فى حين توفى الثانى سنة ١٥٠ أو ١٥١ فى بعض الروايات . وظل كتاباهما المصدرين الأساسيين لسيرة الرسول ﷺ ، على مدى العصور التالية ، يرجع إليهما المصنفون والمؤلفون للسيرة الزكية ، حتى إذا طال بهما العُمُر سقطا من يد الزمن كما سقط كثير من المصنفات القديمة ، إلا قطعة من سيرة ابن إسحق لا تزال باقية بمكتبة الرباط ، وإلا رواية ابن هشام لها ، وهى ليست رواية تامة إنما هى تهذيب وتنقيح لها واختصار ، ولم يَرْوِها عن ابن إسحق مباشرة ، إنما رواها عن تلميذه زياد بن عبد الله البكّائى ، وقد طُبعت فى عصرنا مرارًا .

ويقول ابن عبد البر : إنه اختصر سيرته من كتاب ابن إسحق رواية ابن هشام وغيره ، ويفصّل القول فى ذلك فى أثناء حديثه عن حجّة الوداع ، قائلا : « ماكان فى كتابنا هذا عن ابن إسحق فروايتنا فيه عن عبد الوارث بن سفيان ، عن قاسم بن أصبغ ، عن محمد ابن عبد السلام الخشنى ، عن محمد بن البرقى ، عن ابن هشام ، عن زياد البكّائى عن محمد بن إسحق . وقراءة منى أيضًا على عبد الله بن محمد بن يوسف ، عن ابن مفرج ، عن ابن الأعرابى ، عن العطاردى ، عن يونس بن بكير ، عن ابن إسحق . وقراءة منى أيضًا على عبد الوارث بن سفيان ، عن قاسم بن أصبغ ، عن عبيد بن عبد الواحد البزار ، عن [أحمد بن] محمد بن أيوب ، عن إبراهيم بن سعد ، عن ابن إسحق » . وإذن فهو لم يكتف برواية ابن هشام لكتاب ابن إسحق ، بل ضم إليها رواية يونس بن بكير ، وبمكتبة القرويين بفاس نسخة منها مخطوطة ، وأيضًا فإنه ضم إليها رواية إبراهيم بن

سعد ، وبذلك كان بين يديه ثلاث روايات لكتاب ابن إسحٰق .

ويحدثنا ابن عبد البر فى نفس الموضع أن ما كان فى كتابه عن موسى بن عقبة فقرأه على عبد الوارث بن سفيان وأحمد بن محمد بن أحمد بن الجسور ، عن قاسم بن أصبغ ، عن مطرف بن عبد الرحمن بن قيس ، عن يعقوب ، عن ابن فُلَيْح ، عن موسى بن عقبة . ويعقب على ذلك بقوله : « ولى فى ذلك روايات وأسانيد مذكورة فى صدر كتاب الصحابة » وهو يريد كتابه : « الاستيعاب فى معرفة الأصحاب ».وإذا رجعنا إلى فواتحه وجدناه يقول إن ما فيه عن موسى بن عقبة فمن طريقين : أحدهما هذا الطريق الذى ذكره ، وثانيهما عن خلف بن قاسم عن أبى الحسن عن أبى العباس بن محمد بن عبد الغفار يعرف بابن الونّ المصرى ، عن جعفر بن سليمان النوفلى ، عن إبراهيم بن المنذر الحِزامى ، عن محمد بن فُلَيْح ، عن موسى بن عقبة . ولا يلبث ابن عبد البر أيضًا أن يقول : وحدثنى أيضًا عبد الوارث ، عن قاسم ، عن ابن أبى خيثمة فى كتابه ، عن إبراهيم بن المنذر ، عن محمد بن فليح ، عن موسى بن عقبة . وفى نفس الموضع يقول ابن عبد البر : « وفى الفهرسة روايتنا لكتاب الواقدى وغيره ، تركنا ذلك ههنا خشية الإطالة بذكره » . والفهرسة سجل أو كتيب صغير ذكر فيه رواياته الكتب عن شيوخه مفيضاً فى أسانيدها المختلفة . وذكر فى فواتح الاستيعاب روايته لكتابى الواقدى : الطبقات والمغازى ، أما الطبقات فقال : « قرأته على أحمد بن قاسم التَّاهرتى ، عن محمد بن معاوية القرشى ، عن إبراهيم بن موسى بن جميل ، عن محمد بن سعد كاتب الواقدى ، عن الواقدى » . وأما المغازى فقال : « أخبرنى به خلف عن قاسم ، عن أبى الحسن ، عن أبى العباس بن الونّ ، عن جعفر بن سليمان النوفلى ، عن إبراهيم بن المنذر الحزامى ، عن الواقدى » .

ويقول ابن عبد البر فى نفس الموضع مكملا حديثه عن مصادر كتابه : « وفى كتاب أبى بكر بن أبى خيثمة — روايتى له عن عبد الوارث ، عن قاسم ، عنه — من ذلك أطراف » . ويقول فى فواتح الاستيعاب : « قرأت جميع كتاب ابن أبى خيثمة على أبى القاسم عبد الوارث بن سفيان بن حَبْرون ، عن أبى محمد قاسم بن أصبغ بن يوسف الشيبانى ، عن ابن أبى خيثمة أبى بكر أحمد بن زهير بن حرب » وفى الكتاب أحاديث مختلفة رويت عن ابن أبى خيثمة بالسند المذكور . ويظهر أنه كان له كتاب فى السنن بجانب كتابه التاريخ الكبير فى تعديل الرواة وتجريحهم .

وهذه هي المصادر التي عُنى ابن عبد البر بذكرها ، ولا ريب في أن وراءها مصادر أخرى لم يُعْنَ بإيرادها ، من ذلك أنه يروى أكثر الأحاديث في هذه السيرة عن أبي محمد عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن ، وفيه يقول الحميدى : « رحل إلى العراق وغيرها وسمع إسماعيل بن محمد الصفار ، وأبا بكر محمد بن بكر بن عبد الرزاق المعروف بابن داسة صاحب أبي داود سليمان بن الأشعث السجستانى ، وأبا بكر أحمد بن جعفر بن مالك القطيعي صاحب عبد الله بن أحمد بن حنبل ، وأحمد بن سليمان النجاد ، ومحمد بن عثمان بن ثابت الصيدلانى صاحب إسماعيل القاضى ونحوهم . وحدَّث بالأندلس ، روى لنا عنه أبو عمر بن عبد البر الحافظ » . فرواية ابن عبد البر تتصل به بشهادة الحميدى تلميذه ، ونفس الأحاديث والأخبار التي يرويها عنه تتصل مباشرة بابن داسة عن أبي داود السجستانى .

وبجانب ابن عبد المؤمن نجد ابن عبد البر يروى أحاديث وأخبارًا أخرى عن سعيد بن نصر . وفيه يقول الحميدى : « سمع قاسم بن أصبغ البيانى ومحمد بن معاوية القرشى ... وروى عنه الفقيه الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر» وسنده في السيرة يتصل بشيخه قاسم . ونجد أيضًا محمد بن إبراهيم ويقول الحميدى إنه : « يعرف بابن المدمالة ، روى عن محمد بن معاوية القرشى .. وروى عنه أبو عمر بن عبد البر النمرى » وقال : كان من أضبط الناس لكتبه وأفهمهم لمعانى الرواية ، له تأليف جمع فيه كلام يحيى بن معين (المحدث) في ثلاثين جزءًا أخبرنا به أبو عمر بن عبد البر عنه » وسنده في السيرة يتصل مباشرة بمحمد بن معاوية القرشى .

وساق ابن عبد البر في « بعث بئر معونة » حديثًا عن أحمد بن عبد الله بن محمد بن على وهو أبو عمر الباجى ، وفيه يقول الحميدى : « روى عنه جماعة أكابر أدركنا منهم الفقيه أبا عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر الحافظ » ويذكر الحميدى من شيوخ الباجى الحسن بن إسماعيل . وسند الحديث الذى ذكره ابن عبد البر عن الباجى موصول به مباشرة . وذكر مع بعض الأخبار سعيد بن يحيى الأموى ، وكأنَّ كتابه « السِّير » كان أحد مصادره .

وقد يختصر ابن عبد البر سند الحديث والخبر ، فلا يذكر سلسلة رواتها كاملة ، بل يكتفى بمثل قوله : رُوِىَ عن عبادة بن الصامت ، أو قال ابن شهاب الزهرى أو قال

معمر ، أو ذكر ابن جريج ، أو روى سفيان الثورى ، أو قال أبو داود الطيالسى ، أو قال سنيد ، أو قال وكيع .

٣

توثيق النص وقيمته

ذكر الحميدى فى ترجمته لابن عبد البر أنه صنّف فيما صنّف كتاب « الدُّرَر فى اختصار المغازى والسير » وتوالى غير واحد بعده ممن ترجموا لابن عبد البر يذكرونه بين مصنفاته . وقد رأينا فى تضاعيف الكتاب ما يشهد شهادة قاطعة بأنه من تأليفه ، فقد ذكر فيه — كما أسلفنا — طرفًا من أسانيده عن كتب موسى بن عقبة وابن إسحٰق وابن أبى خيثمة ، وأحال مَنْ يريد استكمالها على كتابه « الاستيعاب فى معرفة الأصحاب » وهى فيه أكثر تفصيلا . وليس هذا هو الموضع الوحيد الذى أحال فيه على الاستيعاب فى الكتاب ، فقد تكررت إحالته عليه ، إذ نجده يذكره فى خطبة الكتاب على نحو ما سنرى عما قليل . وقد توقف عند قول القائلين بأن عليًّا كان أول الناس إيمانًا بالله ورسوله قائلا : « وقد ذكرنا القائلين بذلك والآثار الواردة فى بابه من كتاب الصحابة » . ويذكر فى تسميته مَنْ شهد بدرًا من المهاجرين خبَّاب بن الأرتّ ، ويقول إنه خزاعى ويقال تميمى ، ويعقب على ذلك بقوله : « وقد ذكرنا الاختلاف فى نسبه وولائه وحلفه فى باب اسمه من كتاب الصحابة » . ويذكر بين من استشهد من المهاجرين فى يوم أُحد عبد الله بن جحش وأنه دفن مع حمزة فى قبر واحد ، ثم يقول : « وقد ذكرنا خبره عند ذكره فى كتاب الصحابة » . ويتحدث عن بَعْث الرجيع وقتل خُبَيْب فيه ، ويقول : « وقد ذكرنا خبره وما لقى بمكة عند ذكر اسمه فى كتاب الصحابة » ويسوق له بيتين قالهما حين قدمه المشركون لِيُصْلَب ويتلوهما بقوله : « فى أبيات قد ذكرتها عند ذكره فى كتاب الصحابة » . وعِدَّتها فيه عشرة أبيات . ويقول فى غزوة فتح مكة : « وأنشد الرسول عمرو بن سالم الشعر الذى ذكرته فى بابه من كتاب الصحابة » . ويذكر فى باب الوفود الحُتات بن يزيد المجاشعى الذى آخى الرسول بينه وبين معاوية ، ويقول : « قد ذكرنا خبره فى بابه من كتاب الصحابة » . ويتحدث عن غَسْل الرسول وتكفينه بعد موته ، ويقول إن شقران مولاه حضرهم « وقد ذكرنا فى صدر كتاب

الصحابة سؤاله فى هذا المعنى » . ولم يُحِل ابن عبد البر على الاستيعاب وحده من كتبه ، فقد أَحال أَيضًا على كتابه « التمهيد لما فى الموطأ من المعانى والأَسانيد » إذ عقب على حالات الوحى فى مفتتح الكتاب بقوله : « وقد أَشبعنا هذا المعنى فى كتاب التمهيد عند ذكر حديث عائشة رضى الله عنها المذكور » . وتحدث فى خاتمة الكتاب عن صلاة أَبى بكر بالناس فى مرض الرسول ﷺ ، وقال : « وقد أَوضحنا معانى صلاته فى مرضه بالناس مع أَبى بكر ومكان المقدَّم منهما ، وما يصحُّ فى ذلك عندنا فى كتاب التمهيد » . ومرَّ بنا تعقبنا لمن روى عنهم ابن عبد البر الأَحاديث والأَخبار فى هذه السيرة ممن لم يذكرهم فى أَسانيده لكتب ابن عقبة وابن إسحٰق وابن أَبى خيثمة ، ورأَيناهم جميعًا فى عداد أَساتذته الذين روى عنهم ، بشهادة تلميذه الحميدى .

وكل ذلك معناه أَن نسبة هذه السيرة إلى ابن عبد البر نسبة وثيقة ، ونراه يقول فى خطبتها أو فاتحتها : « هذا كتاب اختصرت فيه ذكر مبعث النبى ﷺ وابتداء نبوته وأَول أَمره فى رسالته ومغازيه وسيرته فيها ، لأَنى ذكرت مولده وحاله فى نشأَته وعيونًا من أَخباره فى صدر كتابى فى الصحابة ، وأَفردت هذا الكتاب لسائر خبره فى مبعثه وأَوقاته ﷺ .. والنَّسَقُ كله على ما رسمه ابن إسحٰق . فذكرت مغازيه وسِيَره على التقريب والاختصار والاقتصار على العيون من ذلك دون الحشو والتخليط » .

وواضح من ذلك أَن ابن عبد البر قصد فى هذا الكتاب إلى صنع مختصر للسيرة النبوية ، وعبَّر عن مقصده لا فى خطبة الكتاب فحسب ، بل أَيضًا فى عنوانه الذى اختاره له ، وكأَنما رأَى كتب السيرة تحتوى على حشو كثير ، فرأَى أَن يكتفى بالدرر والفرائد التى تجعل منها خيطًا ممدودًا متصلا . وقد بدأَ هذا المختصر بالمبعث وما بعده من المغازى والأَحداث ، أَما ما قبل ذلك من ولادة الرسول ونسبه ووفاة أَبيه وأُمه وجده وكفالة أَبى طالب ونشأَته وأَطواره قبل البعثة وزواجه بالسيدة خديجة فقد أَجمله فى صدر كتابه : « الاستيعاب فى معرفة الأَصحاب » وكأنه رأَى أَن لا داعى لتكرار حديثه عنه . ويقول إنه بَنى الكتاب على ما رسمه ابن إسحق ، والتقاؤه به واضح فى المغازى وتواليها وأَسماء مَنْ شاركوا واستشهدوا من المسلمين فيها ومن قُتلوا أَو أُسروا من المشركين . وإذا كان قد تابع ابن إسحٰق فى البناء العام فإنه استقلَّ عنه فى كثير من المواضع بما أَضاف من كتابى موسى

ابن عقبة وابن أَبى خيثمة ، ومن روايات أَساتذته الذين سميناهم ، فقد استمد منهم كثيرًا من الأَحاديث . وإذا عرفنا أَنه كان من كبار الحُفَّاظ للحديث النبوى الذين اشتهروا بالدقة والتحرى والتثبت ، وأنه كان حاذقًا بعلم الأنساب ومعرفة الأَصحاب ، وضبط أَسمائهم على وجهها الصحيح اتضحت قيمة هذه السيرة ، وهو نفسه يحدثنا أَنه لم يكتف إزاء كتاب موسى بن عقبة وسيرة ابن إسحٰق برواية واحدة ، بل استعان برواياتهما المختلفة على المقارنة والموازنة ، وأَضاف إلى ذلك كتابات الواقدى وابن أَبى خيثمة وروايات شيوخه للحديث ، ونفذ من كل ذلك إلى وضع سيرة نبوية وثيقة .

وقد يبتدئ بعض فصول الكتاب دون سند ، وكأَنه يورد حينئذ ما استقر عليه رأيه بعد طول النظر والفحص والمراجعة والمقارنة . ونراه ينثر بعض آراء له فى جوانب السيرة ، وهى آراء عَلَم من أَعلام الفقه والحديث ، ولذلك كان لها وزنها الكبير مهما خالفت ما ذاع واشتهر ، على نحو ما يلقانا فى حديثه عن أَوائل السابقين إلى الإيمان بالله ورسوله ، فقد ذكر من بينهم السيدة عائشة بنت أَبى بكر الصديق ، وقيد ذلك بقوله : « وهى صغيرة » وفى ذلك ما يخالف المشهور من أن الرسول ﷺ بنى بها فى المدينة وهى بنت تسع سنين ، ولابد أنه ثبت عند ابن عبد البر أن السيدة عائشة أسلمت فى أول البعثة أى قبل الهجرة إلى المدينة بنحو ثلاث عشرة سنة ، مما يقتضى أن تكون سِنُّها حين البعثة خمس سنوات على الأقل حتى يصدق عليها أنها كانت من أول الناس إسلاماً ، ويؤيد ذلك ما جاء فى صحيح البخارى فى تفسير سورة اقتربت أى سورة القمر من قول السيدة عائشة رضى الله عنها » لقد أنزل على محمد ﷺ بمكة – وإنى لجارية ألعب – (بل الساعةُ موعدُهم والساعةُ أَدْهَى وأمرُّ) وهى من آيات سورة القمر التى نزلت فى السنة الخامسة للهجرة ، وتعبيرها بأنها كانت جارية تلعب يفيد أن عمرها لم يكن يقل حينئذ عن نحو عشر سنوات . ومن ذلك أنه ذهب إلى أن فرض صوم رمضان كان فى السنة الأولى للهجرة ، والمشهور أنه كان على رأس ثمانية عشر شهرا من الهجرة . ومن ذلك ذهابه فى حديثه عن مقاسم خيبر وأموالها أنها فتحت جميعها عنوة ، وقد ناقشه فى ذلك ابن سيد الناس مناقشة طويلة أثبتنا مجملها فى موضعها من الكتاب . ونراه يتوقف عند بعض الأحاديث التى لم تثبت ، ويتَّهمها ، من ذلك ما رُوى عن ابن مسعود من أحاديث عن إسلام الجن ، وما جاءَ فى بعضها

من وضوءِ الرسول بالنبيذ ، إذ لم يجد ماء ، فقد قال : « هذا الخبر عن ابن مسعود متواتر عن طرق شتى حسان كلها ، إلا حديث أبي زيد عن ابن مسعود الذى فيه ذكر الوضوء بالنبيذ ، فإن أبا زيد مجهول لا يعرف فى أصحاب ابن مسعود ، ويكفى فى ذكر الجن ما فى سورة الرحمن وسورة (قل أوحى إلىّ أنه استْمع نَفرٌ من الجنّ) وما جاءَ فى الأحقاف : قوله : (وإذ صرفنا إليك نفرًا من الجن يستمعون القرآن) الآيات . وهو بذلك يريد التمسك بنص القرآن الكريم دون زيادة عليه . ومما يصور دقته وتحريه قوله فى غزوة بنى المُصْطلق أو المُرَيسِيع : « وفى هذه الغزوة قال أهل الإفك فى عائشة – رضى الله عنها – ما قالوا ، فبرأها الله مما قالوا ، ونزل القرآن ببراءَتها ، ورواية مَنْ روى أن سعد بن معاذ راجع فى ذلك سعد بن عبادة ، وهم وخطأ ، وإنما تراجع فى ذلك سعبد بن عبادة مع أسيد بن حضير . كذلك ذكر ابن إسحق عن الزهرى عن عبيد الله بن عبدالله وغيره ، وهو الصحيح ، لأن سعد بن معاذ مات فى منصرف رسول الله ﷺ من بنى قريظة لا يختلفون فى ذلك ، ولم يدرك غزوة المريسيع . ولا حضرها » .

نحن إذن بإزاء سيرة نبوية محررة ، سيرة لا تعتمد على كتب السيرة المشهورة وحدها ، بل تعتمد أيضًا على كتب الحديث ورواية الموثقين مع الموازنة بين الأَخبار والأَحاديث واستخلاص الآراء الصحيحة ، ومع الوفاء بالدقة فى أَسماء الأَعلام ، ومع التوقف فى موضع التوقف والنفوذ إلى الرأى السليم ، ومع المعرفة الواسعة بالحديث ورجاله وتمييز صحيحه من زائفه .

وبلغ من قيمة هذه السيرة وأَهميتها فى عصرها أَن وضعها ابن حزم تلميذ ابن عبد البر عَلَمًا منصوبًا أَمام بصره حين حاول أَن يصنِّف سيرته النبوية التى سماها « جوامع السيرة » وقد نُشرت بدار المعارف نشرة جيدة محققة عن نسخة يكثر فيها التصحيف ، كما تكثر سواقط الكلام . ونراه يستهلُّها بقطعة موجزة يتحدث فيها عن نسب رسول الله ﷺ ومولده وسنه ووفاته وأَعلام رسالته وحجِّه وعمراته وغزواته وبعوثه وصفته وأَسمائه وأمرائه وكتابه وحرسه ومؤذنيه وخطبائه وشعرائه ورسله ودعوته بعضَ الملوك إلى الإسلام ونسائه وأَولاده وشيمه وأَخلاقه . وهو فى هذه القطعة لا يلتقى بابن عبد البر فى سيرته ، لأَنه كما قدمنا لم يعرض لكل ذلك مكتفيًا بما جاءَ منه فى صدر كتابه « الاستيعاب » غير أَننا لا نكاد

نتقدم مع ابن حزم حتى نجده يلتقى مع ابن عبد البر فى أكثر صحفه ، وتنبَّه إلى هذا الالتقاء ناشرو سيرة ابن حزم قائلين :

« وقد أفاد ابن حزم فى كتابه السيرة مما صنعه من قبله شيخه ومعاصره أبو عمر بن عبد البر مؤلف كتاب « الدرر فى اختصار المغازى والسير » ونحن لا نملك من هذا الكتاب صورة كاملة أو وافية تدلنا إلى أى مدى اعتمد عليه ابن حزم ، ولكن النقول القليلة التى احتفظ بها ابن سيِّد الناس من كتاب أبى عمر المذكور تؤكد أن ابن حزم قد نقل عن شيخه نقولا متفرقة فى شىء قليل من التصرف ، إلا أن نفترض أن المؤلِّفَيْن — نعنى ابن عبد البَرِّ وابنَ حزم — ينقلان عن مصدر ثالث لم يقع إلينا » .

ولو أن ناشِرى الكتاب رأوا مخطوطة كتاب ابن عبد البر لجزموا بأن ابن حزم نقل عنه منذ حديثه عن المبعث ص ٤٤ أكثر صحف كتابه مع تصرف قليل هنا وهناك . أما الظن بأنهما ربما نقلا عن مصدر مشترك فيضعفه أن ابن عبد البر عَيَّن فى سيرته مصادره التى نفذ من خلالها إلى وضع كتابه ، فى حين لم يذكر ابن حزم فيما التقى به معه مصدراً واحداً . وحقا أنه يتابع فى حديثه المفصل عن الغزوات ابن إسحٰق ، سواء فى ترتيبها أو فيما تضمنته من الأحداث ومن أسماء من شاركوا فيها من المسلمين والمشركين وشهداء الأولين وقتلى وأسرى الأخيرين ، غير أنه فى الواقع يتابع فى ذلك ابن عبد البر ، فقد مرَّ بنا ذكره فى تقديمه لكتابه هذه المتابعة . وابن حزم لا يتابع ابن عبد البر فى نسق كتابه وما تضمنه من الأحداث وأسماء الأعلام فحسب ، بل كثيرًا ما يتابعه فى سرد كلامه ناقلا نص عباراته مع شىء من التصرف أحيانًا . وقد يترك النص الذى ينقله عن أستاذه دون أى تصرف . ونراه يتابعه فى كثير من مراجعاته وآرائه ، حتى ليظن من لم يقرأ ابن عبد البر أنها ثمرة اجتهاده ، من ذلك متابعته له فى أن أبا موسى الأشعرى لا يصح أن يُسْلَكَ فيمن هاجر من مكة إلى أرض الحبشة ، يقول ابن عبد البر : « وقد جاء فى بعض الأثر وقاله بعض أهل السير (انظر ابن إسحق فى السيرة النبوية لابن هشام ٣٤٧/١) أن أبا موسى الأشعرى كان فيمن هاجر إلى أرض الحبشة وليس كذلك ، ولكنه خرج فى طائفة من قومه مهاجرًا من بلده باليمن يريد المدينة ، فركبوا البحر ، فرمتهم الريح بالسفينة التى كانوا فيها إلى أرض الحبشة . فأقام هنالك حتى قدم مع جعفر بن أبى طالب » وقارنْ بذلك جوامع السيرة ص ٥٨ .

ومن متابعة ابن حزم لأستاذه ما ذهب إليه من أن الزكاة فُرضت عقب الهجرة ومؤاخاة

الرسول ﷺ بين المهاجرين والأنصار (قارنْ بجوامع السيرة ص ٩٧) . وقد تابعه فى ان من شهد بدرًا من المهاجرين كانوا ستة وثمانين رجلا (قارنْ بجوامع السيرة ص ١٢٢) فى حين عدَّهم ابن إسحٰق فى السيرة ٢/٣٦٤ ثلاثة وثمانين . ومرَّ بنا آنفا نَفْيُ ابن عبد البر لأن تكون قد حدثت مراجعة فى حديث الإفك بين سعد بن معاذ وسعد بن عبادة لموت ابن معاذ قبل الحادث . (قارنْ بجوامع السيرة ص ٢٠٧) .

وهذا التطابق بين سيرة ابن حزم وسيرة ابن عبد البر فى الآراء وسرد الأعلام وعبارات النص جعلتنا نتخذ من أكثرها ما يشبه نسخة ثانية من كتاب ابن عبد البر ، وقد انتفعنا بها فى تصحيح ما جاء فى نسختنا من بعض التصحيفات ومن بعض نواقص الكلام . ولا نشك فى أنه لو كان بأيدى ناشريها مخطوطة كتاب ابن عبد البر لأصلحوا وقوَّموا نص نسختهم التى نشروا منها كتاب ابن حزم فى مواضع كثيرة . وحقًّا بذلوا جهدًا قيمًا فى تقويمه وردّ كثير من سواقطه إلى مواضعها من اتصال الكلام ، ولكن ظلت بقية يهدى إليها كتاب ابن عبد البر . يتصل بعضها بتصحيف بعض الألفاظ ، وبعضها يتصل بسقوط بعض أسماء الأعلام حين تتوالى متعاقبة ، فمن ذلك ما جاء فى ص ٦٩ عن قدوم بعض الأنصار إلى مكة قبل الهجرة يطلبون الحلف من قريش ، فقد جرت العبارة على هذا النحو : « ثم قدم إلى مكة أبو الحَيْسر أنيس بن رافع فى مائة من قومه » وصحة العبارة فى ابن عبد البر : « وقدم مكة أبو الحيسر أنس بن رافع فى فتية من قومه » وانظر ابن إسحٰق فى السيرة النبوية لابن هشام ص٦٩ . ونقرأ فى ص٨٨ : «ثم إن أَبا جهل والحارث بن هشام أَتيا المدينة وكلما عياش بن أَبى ربيعة وكان أَخاهما لأُمهما وابن عمتهما » وفى ابن عبد البر : « وكان أَخاهما لأُمهما وابن عمهما » وهو تصحيف واضح . وفى نفس الصفحة يسرد ابن حزم عن ابن عبد البر من قدموا المدينة مهاجرين مع عمر بن الخطاب ، ويسقط من كاتب النسخة اسم « إياس وعاقل وعامر وخالد بنو البكير الليثى حلفاء بنى عدى بن كعب » . ويكثر فى سيرة ابن حزم المنشورة ، أَو بعبارة أدق فى نسختها التى نُشرت ، سقوط مثل هذه الأَسماء المتوالية ويمكن دائماً إكمالها من ابن عبد البر ، ويكفى أن نمثل بمثال ثان فى الصفحة التالية ، إذ جاء فيها : « ونزل حمزة بن المطلب وحليفه أَبو مرثد كنَّاز بن حصين الغنوى وزيد بن حارثة الكلبى مولى رسول الله ﷺ على كلثوم بن الهِدْم» وصحتها فى ابن عبد البر : «ونزل حمزة بن عبد المطلب وحليفاه : أَبو مرثد الغنوى وابنه مرثد بن

أبي مرثد ، وزيد بن حارثة وأنسة وأبو كبشة موالى رسول الله ﷺ على كلثوم بن الهِدْم» . وفى ص١٠٦ أن أباسعيد بن المعلى «سمع رسول الله ﷺ [يأمر] بتحويل القبلة». وقد جُعلت كلمة يأمر بين قوسى الزيادة إشارة إلى أنها سقطت من الأصل ، وفى ابن عبد البر مكانها كلمة يخطب . وفى ص ١١٢ « عرض الرسول على أصحابه (فى وقعة بدر) مصارع رءُوس الكفر من قريش مصرعًا مصرعًا ، يقول : هذا مصرع فلان ومصرع فلان فما عَدا واحد منهم مضجعه » . وفى ابن عبد البر مكان مضجعه « مصرعه » . وفى ص ١١٩ « وعامر بن فهيرة . . من مولَّدى الأَسد » وفى ابن عبد البر : « من مولدى الأَزْد » . وفى ص ١٣٣ « ومن بنى مِرْضخة وعمرو ابنى غَنْم بن أُمية » وصحتها فى ابن عبد البر : « ومن بنى مِرْضخة وهو عمرو بن غَنْم بن أُمية » . وفى ص ١٥٦ « أَشار رسول الله ﷺ ألا يخرجوا إليهم (إلى المشركين) وأَن يتحصنوا بالمدينة فإن قدموا منها قاتلهم على أَفواه الأَزقة » وصحة العبارة فى ابن عبد البر : « أَشار رسول الله ﷺ على أَصحابه ألا يخرجوا إليهم وأَن يتحصنوا بالمدينة فإن قربوا منها قاتلوهم على أَفواه الأَزقة » . وفى ص ١٥٨ « وكان فى المشركين يومئذ خمسون فارسًا » وصحتها فى ابن عبد البر « وكان فى المسلمين يومئذ خمسون فارسًا » . وفى ص ١٦١ « وكان قد قُتل أَصحاب اللواء من المشركين حتى سقط فرفعته عمرة بنت علقمة » وعبارة ابن عبد البر : « وقُتل صاحب اللواء من المشركين فسقط لواؤهم فرفعته عمرة بنت علقمة » وبذلك تستقيم العبارة والسياق . وفى ص ١٦٥ « وجدوا الأَصيرم وبه رمق يسير فقال بعضهم لبعض : والله إن هذا الأصيرم فأَجابه لقد تركناه وإنه لمنكر لهذا الأَمر » وفى ابن عبد البر بدلا من « فأَجابه » « ما جاء به » وبذلك يستقيم الكلام . وفى ص ٢٠٤ « وذلك لشر وقع لبنى جهجاه بن مسعود الغفارى أَجير عمر بن الخطاب وبين سنان بن وَبر الجُهَنى » وصحة العبارة فى ابن عبد البر « وذلك لشر وقع بين جهجاه . . » . وعلى هذا النحو تصلح سيرة ابن عبد البر بعض عبارات النسخة المنشورة من سيرة ابن حزم فتكمل نواقصها وتصلح ما دخلها من فساد التصحيف والتحريف .

ولعل أَهم من خلفوا ابن عبد البر إفادةً من سيرته ابنُ سيِّد الناس المتوفى سنة ٧٣٤ للهجرة ، فقد جعلها نصب عينيه فى سيرته النبوية المطولة التى سماها « عيون الأَثر فى فنون المغازى والشمائل والسير » وهى مطبوعة فى مجلدين بالقاهرة ، وفيها ينقل فقرًا وفصولا كثيرة

عن ابن عبد البر مصرحاً باسمه غالباً ، وقد راجعه كثيرًا فى أسماء الأعلام وفى جوانب مختلفة من مادة سيرته وآرائه ، وهو دائماً ينوه به ، حتى إذا أنهى كتابه وأخذ فى ذكر أسانيد الكتب التى استقى منها سيرته أو كتابه قال : « ما كان فيه عن أبى عمر فمن كتاب الدرر فى اختصار المغازى والسير وهو مما رويته عن والدى — رحمه الله — عن شيخه أبى الحسين محمد بن أحمد بن السراج ، عن خاله أبى بكر بن خير ، عن أبى الحجاج الشنتمرى ، عن أبى على الغسانى . عنه » . ومعنى ذلك أن نقوله عن سيرة ابن عبد البر مأخوذة عن نسخة منسوبة مسندة تناقل روايتها عن مؤلفها شيوخ ثقات ، مما يرفع من قيمتها ومن درجة توثيقها . ونظن ظنًّا أن نسختنا التى نُعْنَى بنشرها قد أُخذت عن تلك النسخة التى تحولت من الأندلس إلى مصر مع والد ابن سيد الناس : محمد بن محمد بن عبد الله الإشبيلى نزيل القاهرة . وقد يكون ابنه كتب منها نسخة لنفسه ذاعت فى الناس أو لعل نسخة أبيه هى التى ذاعت عن طريق تلاميذه المصريين . وإنما يدفعنا إلى هذا الظن أن نصوص نسختنا تتطابق مع نصوص النقول التى اقتبسها ابن سيد الناس من الكتاب ، حتى فيما يبدو فيه الغلط أو التصحيف ، فمن ذلك ما جاء فى خبر دخول بنى هاشم وبنى المطلب فى الشِّعْب ومنابذة قريش لهم إذ وردت هذه العبارة : « ليسلموا رسول الله ﷺ برُمَّته إلى قريش » فى نسختنا وكذلك فى ابن سيد الناس ١٢٧/١ والرمة : الحبل ويراد بها هنا العهد ، ويمكن أن تكون مصفحة عن لفظة « بذمته » . وفى نفس الصفحة فى ابن سيد الناس وفى نسختنا : قد آن لكم أن ترجعوا عما أحدثتم علينا وعلى أنفسكم » . وصححت كلمة أحدثتم فى هامش نسختنا بكلمة « أخذتم » وهى أدق منها فى السياق وكأنما حدث فى الكلمة تصحيف .

وقد كثرت نقول ابن سيد الناس عن سيرة ابن عبد البر كثرة مفرطة ، وهى تلقانا منذ مفتتحها وحديثه عن خبر مبعث الرسول ﷺ ، إذ يلتقى به فى كثير من الأحاديث النبوية التى ساقها فى خبر المبعث (قارنْ بابن سيد الناس فى ٨٠/١ وفى مواضع متفرقة) وأيضًا فى كثير من الأحاديث المنثورة فى ثنايا الكتاب . ولا نصل إلى حديث ابن عبد البر عن المجاهرين بالظلم لرسول الله ولكل من آمن به حتى نجد ابن سيد الناس ينقل عنه هذا الحديث فى ١١٠/١ مصرحًا باسمه ، كما ينقل عنه فى ١١٣/١ الفقرة التى خصها بالمستهزئين بالرسول . ولا يلبث ابن عبد البر أن يعقد بابا يذكر فيه الهجرة إلى أرض الحبشة ، ويتابعه

ابن سيد الناس فى العنوان (انظر ١١٥/١) راويًا الحديثَ الذى ساقه فى مستهَلِّه وكثيرًا من مادة الباب . ويعقد ابن عبد البر عقب ذلك: « باب ذكر دخول بنى هاشم بن عبد مناف وبنى المطلب بن عبد مناف فى الشعب وما لقوا من سائر قريش فى ذلك » وينقله عنه ابن سيد الناس فى ١٢٧/١ بحذافيره . ويتلوه بفصل عن إسلام الجن وما جاء فيه من أحاديث مسندة إلى ابن مسعود ، وتتحول مادة الفصل كله إلى سيرة ابن سيد الناس فى ١٣٦/١ . ويتحدث عن عرض الرسول الإسلام على قبائل العرب وما كان من اجتماع العقبة الأولى والثانية والثالثة . ويمزج ابن سيد الناس بين مادة كتاب ابن عبد البر وغيره من كتب السيرة . وما يلبث أن ينقل عنه فى ١٧٤/١ الفقرة الخاصة بهجرة عمر بن الخطاب إلى المدينة ، كما ينقل عنه فى ١٩٩/١ مؤاخاة رسول الله ﷺ بين المهاجرين بعضهم وبعض قبل الهجرة وجوانب من مؤاخاته بين المهاجرين والأنصار . ويخرج ابن عبد البر إلى المغازى فيتابعه غزوة غزوة مقارنًا فى كثير من الأحوال بينه وبين غيره من رواة السيرة سواء فى الأخبار أو فى أسماء الأعلام.ونراه يقف مثله بعد بعث عبد الله بن جحش ، فيتحدث فى ٢٣٠/١ عن صرف القبلة عن البيت المقدس إلى الكعبة موردًا من كتابى ابن عبد البر : « التمهيد » و « الاستذكار » الروايات المتعلقة بالاختلاف فى الصلاة بمكة قبل الهجرة هل كانت إلى الكعبة أو إلى بيت المقدس ؟ وقد نقل عنه الفصول الخاصة بمن استشهد ببدر من المسلمين ، ومن قُتل وأسر من كفار قريش فى تلك الموقعة ، مصرحًا بنقله عنه (انظر ٢٨٦/١) ولا يلبث أن يلخص عنه فى ٢٩٢/١ فصلا عقَّب به على تلك الموقعة . وقد لاينقل عنه ، ولكن دائمًا يوازن بينه وبين غيره من رواة السيرة . ودائمًا يرجع إلى كتابه « الاستيعاب » فى موازناته ومراجعاته . وقد نقل عنه فى ١٣٦/٢ الفقرة الخاصة بفتح خيبر عَنْوة ومقاسم أَموالها وناقشه مناقشة واسعة . وبهذه النقول الكثيرة عن ابن عبد البر تحولت سيرة ابن سيد الناس فيها إلى ما يشبه نسخة من كتاب الدرر فى اختصار المغازى والسير ، للمقابلة على النسخة التى ننشرها ، وقد أَصلحنا بها النص فى غير موضع ورددنا إليه سواقطه وأَقمنا ما أَدخله الناسخ عليه من بعض التصحيف والتحريف .

٤

وصف مخطوطة الكتاب ومنهجنا فى تحقيقه

لم يكن بين أيدينا من نسخ هذا الكتاب فى تحقيقنا الأول له سوى مخطوطة واحدة محفوظة بدار الكتب المصرية برقم ٥٢٣ تاريخ . ولما كان يُعَدُّ من ذخائر تراثنا العربى النفيسة فقد رأيت تحقيقه معتمدًا على تلك المخطوطة ، وهى تامة وإن كان يبدو أن الورقة الأُولى منها التى كانت تحمل عنوان الكتاب فُقدت قديمًا ، ووُضع مكانها ورقة أُخرى كُتب عليها عنوانه على هذا النحو : «كتاب الدرر فى اختصار المغازى والسير للحافظ أَبى عمر بن عبد البر النمرى ، رحمه الله تعالى ، آمين » . وكُتب على يسار العنوان بخط محمد مرتضى الزبيدى صاحب تاج العروس فى شرح جواهر القاموس المتوفى سنة ١٢٠٥ للهجرة هذه العبارة : « افتداه ، وعلى وقفيَّته أَبقاه ، العبد لله ، محمد مرتضى الحسينى ، عُفى عنه ، حامدًا الله ومصليًا ومسلمًا على نبيه ومستغفرًا » . وكُتب أَيضًا على صفحة العنوان : « محضر من جامع محرم أَفندى الشهير بالكردى ، وأُضيف فى ٥ أُكتوبر سنة ١٨٨١ » . وواضح من ذلك أَن المخطوطة نقلت إلى دار الكتب المصرية فى التاريخ المذكور من جامع الكردى ، وكان يعرف قبلا بالمدرسة المحمودية التى أَنشأَها الأُستاذ محمود فى شارع قصبة رضوان بالقرب من باب زويلة . ولا نصل إلى الورقة السادسة من الكتاب حتى نجد الناسخ يخطئ فى لقب أَبى عمر بن عبد البر فيكتبه أَبا عمرو بالواو . ونجد فى الهامش استدراكًا عليه هذا نصه : « هذه الكراريس من كتاب السيرة النبوية للحافظ أَبى عمر بن عبد البر ، ولكن ناسخها يجعله أَبا عمرو بالواو ، وهو غلط ، فليصلح » . وكتب الزبيدى ، الذى تملك النسخة كما مرَّ بنا آنفًا ، بجانب هذا الاستدراك : « هذا خط الحافظ أَبى الخير السخاوى ، رحمه الله . وكتبه محمد مرتضى » . وأَبو الخير السخاوى هو شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوى صاحب كتاب الضوء اللامع فى أَعيان القرن التاسع المتوفى سنة ٩٠٢ للهجرة . وكل هذه شهادات من شأْنها أَن توثق المخطوطة ، فقد قرأَها السخاوى وتملكها الزبيدى .

وقد كُتبت المخطوطة بقلم معتاد ، وهى بخطين مختلفين ، أَحدهما خط نسخ واضح

ضُبطت فيه بعض الكلمات بالشكل ، وكُتبت عناوين الفصول والأبواب بالقلم الثلث . والآخر خط معتاد قليل الإعجام خال من الضبط . والعناوين فيه بخط أكبر مما يليها . وعلى الهوامش مراجعات واستدراكات ، مما يدل على أن ناسخها راجعها على الأصل الذى نسخها منه ، وقد صرَّح بذلك فى نهايتها . ويبدو أنها كتبت فى القرن الثامن الهجرى ، ومرَّ بنا استظهارنا لأن تكون نسخة فرعية للأم التى نقل عنها ابن سيد الناس نقوله فى كتابه « عيون الأثر » .

وتتردد فى المخطوطة كلمة « قلت » ويليها تعقيبات وتعليقات على كلام ابن عبد البر ، وكثيرًا ما يستضىء صاحبها ببعض ما ذكره السهيلى المتوفى سنة ٥٨١ للهجرة فى كتابه (الروض الأنف) فى تفسير ما اشتمل عليه حديث السيرة النبوية لابن هشام مما يقطع بأنه عالم متأخر . وقد أحال كثيرًا على كتاب الاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبد البر ، وأحال أيضًا على كتابيه « التمهيد » و « الاستذكار » . وقد يضع مكان كلمة « قلت » كلمة « فائدة » أو « ههنا لطيفة » . وفى مواضع قليلة جدًّا ذكر التعليق بدون إشارة تسبقه تدل على أوله ، غير أن تعليقه كان دائماً يحمل الدلالة على أنه ليس من كلام ابن عبد البر ، بما يتضمن من معارضته له ، وبما ينهيه به من علامات نهايات الاستدراكات كقوله : « يرجع الكلام » أو « عاد الكلام » أو « والله أعلم » أو « والله الموفق » أو « بالله التوفيق » أو « والحمد لله » أو « والحمد لله رب العالمين » . وإحدى اثنتين : إما أن تكون هذه التعليقات كُتبت على هامش الأصل الذى نقلت عنه هذه المخطوطة وأدخلها فيها ناسخها ، أو يكون الناسخ الذى كتبها هو نفس العالم الذى أضاف هذه التعقيبات والمراجعات . وقد أخرجتها جميعًا من الكتاب ووضعتها فى هوامشه مشيرًا إليها دائما بنجوم ، حتى تتميز مما فى الهوامش من تعليقات لى مرقمة . وهى تدل دلالة بينة على أن من كتبها محدِّث بصير بكتب السيرة النبوية وكتب الحديث المختلفة ، وأنه فقيه سنى ، عالم باختلافات الفقهاء وطرقهم فى الاستنباط ، وأنه يتقن العلم باللغة والنحو واختلافات النحاة : سيبويه وغيره فى بعض المسائل ، كما يتقن علوم البيان من المجاز وغير المجاز . وإنما أخرجت مراجعاته وتعليقاته من الكتاب حتى أعيد إليه نسقه وصورته الأصلية .

أما المنهج الذى ترسمته فى تحقيق الكتاب فقد أخذت نفسى فيه . بمقابلة نصوصه على الأصل الذى استمد منه ابن عبد البر فى المغازى ، وهو سيرة ابن إسحق برواية ابن هشام

المشهورة ، وأفدت كثيرًا من شرحها المسمى باسم الروض الأنف لمؤلفه السهيلى . وقابلت الأحاديث المبثوثة فى الكتاب على صحيح البخارى ومسند أبى داود الطيالسى وصحيح مسلم وسنن أبى داود ومسند ابن حنبل . وعُنيت بمقابلة نصوص الكتاب عامة على الفرعين اللذين استمدا منه ، وأقصد جوامع السيرة لابن حزم ، وعيون الأثر فى المغازى والشمائل والسير لابن سيد الناس . وقد أوضحت – فيا أسلفت – العلاقة بينهما وبينه وكيف أنهما يكادان يشبهان نسختين منه . نسخة كاملة هى نسخة ابن حزم وقد دخلها شىء من التصرف ، ونسخة ناقصة هى نسخة ابن سيِّد الناس ، وقد احتفظت بالنصوص التى نقلتْها عن الكتاب على وجهها الدقيق وأدائها الصحيح . وقد قابلتُ أعلام الكتاب وصحة أنسابها وضبطها على كتاب المؤلف « الاستيعاب فى معرفة الأصحاب » وأفدت منه فوائد جمة . وكل هذه المقابلات أثبتُّها فى الهوامش . وأثبت معها بعض الشروح اللغوية وبعض التوضيحات . وذكرت مع كل فصل وباب وفقرة مهمة المراجعَ التى بسطته أو أجملته من أمهات كتب السيرة والتاريخ والأخبار والحديث مثل مغازى الواقدى وطبقات ابن سعد وأنساب الأشراف للبلاذرى وتاريخ الطبرى وصحيح البخارى والمحبَّر لابن حبيب والبداية والنهاية لابن كثير ونهاية الأرب للنويرى والسيرة الحلبية وغير ذلك مما يراه القارئ متناثرًا فى الهوامش .

ولم أتخذ فى الكتاب رموزًا من شأنها أن تعقده . وكل ما اتخذته فيه من رموز هو هذه العلامات التى جرى بها الاصطلاح فى النشر والتحقيق :

و : وجه الورقة من مخطوطة دار الكتب المصرية وتتبع رقمها .

ظ : ظهر الورقة من المخطوطة وتتبع رقمها أيضًا .

: تدل هذه العلامة على بدء الصفحة التالية فى المخطوطة وتوضع أمام رقمها .

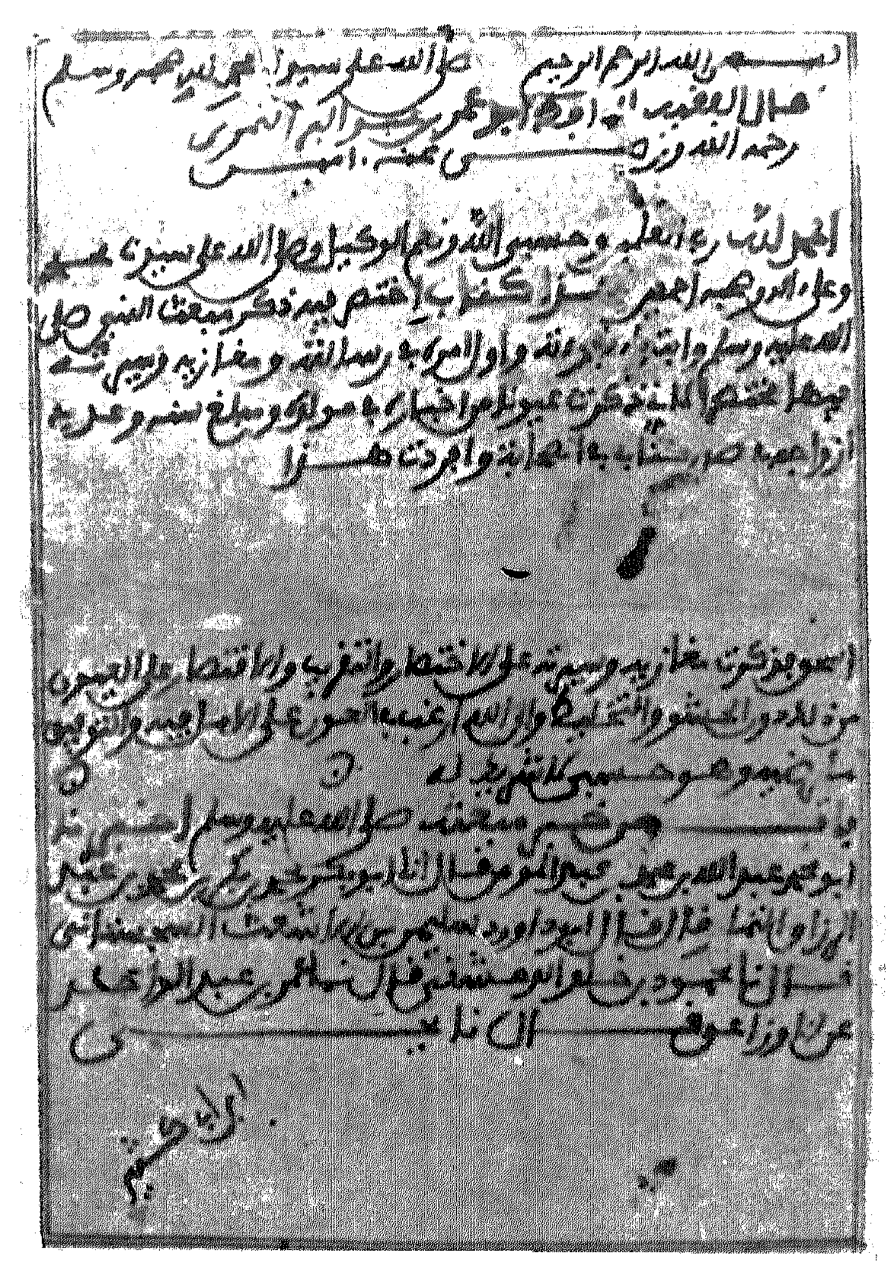
() : وضعنا هذين القوسين دائمًا حول الآيات القرآنية تمييزًا لها .

[ ] : واتخذنا هاتين الحاصرتين لما سقط من المخطوطة وجلبناه من أصولها أو فروعها أو من مخطوطة الرباط .

والله – وحده – أسأله أن يوفِّقنى بمنه وكرمه إلى الاقتداء بسيرة خير خلقه وخاتم رسله . إنه ولىّ الطَّوْل والفضل . وهو حسبى ونعم الوكيل .

شوقى ضيف

نموذج لظهر الورقة الأولى فى مخطوطة دار الكتب المصرية



بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد نبيه وسلم
قال الفقيه ابو عمر يوسف بن عبد البر النمري
رحمه الله ورضي عنه امين

الحمد لله رب العالمين وحسبي الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه اجمعين [illegible] كتاب اختصرت فيه ذكر مبعث النبي صلى
الله عليه وسلم وابتداء نبوته واول امره في رسالته ومغازيه وسيره فيها
مختصرا [illegible] ذكرت عيونا من اخباره في مولده ومبلغ سنه وعدد
ازواجه [illegible] واصحابه واوردت هذا

[illegible] مغازيه وسيره على الاختصار والتقريب والاقتصار على العيون
من ذلك دون الحشو والتخليط [illegible] اسال الله العون على ما اجده والتوفيق
[illegible] وهو حسبي لا شريك له
باب [illegible] مبعثه صلى الله عليه وسلم اخبرنا
ابو محمد عبد الله بن محمد بن عبد المومن قال انا ابو بكر محمد بن بكر بن محمد بن عبد
الرزاق التمار قال نا ابو داود [illegible] سليمان بن الاشعث [illegible]
قال نا محمود بن خالد الدمشقي قال نا [illegible] عمر بن عبد الواحد
عن الاوزاعي قال نا يحيى

نموذج للصفحة الأولى المصورة عن مخطوطة الرباط

/ بسم الله الرحمن الرحيم

١ ظ

[خطبة الكتاب] [١]

قال الفقيه الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النَّمَرِى رضى الله عنه [٢] :

الحمد لله رب العالمين ، وحسْبُنا [٣] الله ونعم الوكيل ، وصلى الله على محمد [٤] رسوله وعلى آله [٥] أجمعين . هذا كتاب اختصرت [٦] فيه ذكر مبعث النبى ﷺ وابتداء نبوته وأول أمره فى رسالته ومغازيه وسيرته فيها [٧] لأنى ذكرت [٨] مولده وحاله فى نشأته وعيوناً من أخباره فى صدر كتابى فى الصحابة [٩] . وأفردت هذا [١٠] الكتاب لسائر خبره فى مبعثه وأوقاته ﷺ . اختصرت ذلك من كتاب موسى بن عقبة وكتاب ابن إسحٰق رواية ابن هشام وغيره ، وربما ذكرت فيه خبرًا ليس منهما . والنَّسق كله على ما رسمه ابن إسحٰق . فذكرت مغازيه وسِيَره [١١] على التقريب [١٢] والاختصار والاقتصار على العيون من ذلك دون الحشو والتخليط ، وإلى الله أرغب [فى العون] [١٣] على الأمل فيه ، والتوفيق لما يرضيه ، وهو حسبى لا شريك له .

---

(١) ما بين الحاصرتين زيادة للسياق وقد استهلت نسخة ر (الرباط) الكتاب هكذا : بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

(٢) فى ر : رحمه الله ورضى عنه آمين .

(٣) فى ر : وحسبى .

(٤) فى ر : سيدنا محمد .

(٥) فى ر : وعلى آله وصحبه .

(٦) فى ر : أختصر .

(٧) فى ر مختصرا .

(٨) فى ر : لأنى ذكرت عيوناً من أخباره فى مولده ومبلغ سنه وعدد أزواجه .

(٩) يشير إلى كتابه : «الاستيعاب فى معرفة الأصحاب» .

(١٠) هنا فى ر : بياض بقدر ثلاثة أسطر .

(١١) فى ر : سيرته .

(١٢) فى ر : على الاختصار والتقريب والاقتصار .

(١٣) زيادة من ر .

باب

من خبر مبعثه ﷺ (١)

٢ و / أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن ، قال : أخبرنا أبو بكر محمد بن بكر بن محمد بن عبد الرزاق التمار : قال : حدثنا[٢] أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني ، قال : حدثنا محمود بن خالد الدمشقي ، قال : حدثنا عمر بن عبد الواحد ، عن الأوزاعي ، قال : حدثنا يحيى بن أبي كثير ، قال[٣] :

سألت أبا سلَمة بن عبد الرحمن : أي القرآن أُنزل أوَّلُ ؟ فقال : سألت جابر بن عبد الله ؛ أي القرآن أُنْزِل قبلُ : (يَـٰأَيُّها المُدَّثِّر) أو (اقْرأْ باسم ربك الذي خلق) ؟ فقال جابر : ألا أحدِّثكم بما حدثني به رسول الله ﷺ ، قال : قال رسول الله ﷺ : إني جاورتُ بحِراء[٤] شهرًا فلما قضيت جِواري نزلتُ فاستبطنتُ بطن الوادي ، فنُوديتُ ، فنظرت أمامي وخلفي وعن يميني وشمالي فلم أر شيئًا ، ثم نظرتُ إلى السماء ، فإذا هو[٥]

---

(١) انظر في مبعثه صلى الله عليه وسلم وبدء نزول الوحي عليه سيرة ابن هشام (طبعة الحلبي) ٢٤٩/١ وطبقات ابن سعد (طبعة ليدن) ج ا ق ١ ص ١٢٦ وما بعدها وصحيح البخاري المطبوع على النسخة الأميرية ٢/١ وصحيح مسلم بشرح النووي (طبع المطبعة المصرية بالأزهر) ١٩٧/٢ وتاريخ الطبري (طبع دار المعارف) ٢٩٠/٢ وجوامع السيرة لابن حزم (طبع دار المعارف) ص ٤٤ وعيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير لابن سيد الناس (نشر القدسي) ٨٠/١ والبداية والنهاية لابن كثير ٢٥٩/٢ والسيرة الحلبية ٣١١/١ ونهاية الأرب للنويري (طبعة دار الكتب المصرية) ٦٨/١٦ .

(٢) في ر : قال .

(٣) راجع في هذا الحديث صحيح البخاري ١٦١/٦ وصحيح مسلم بشرح النووي ٢٠٧/٢ ومسند أبي داود الطيالسي (طبع حيدر آباد) ص ٢٣٥ وابن سيد الناس ٨٤/١ وقارن بابن سعد ج ١ ق ١ ص ١٣٠ .

(٤) انظر في تنسك الرسول بغار حراء قبل مبعثه ابن هشام ٢٥١/١ وابن سعد ج ١ ق ١ ص ١٢٩ وصحيح البخاري ٣/١ وابن سيد الناس ٨٤/١ وابن كثير ٣٠٦/٢ والنويري ١٧٠/١٦ . وحراء : جبل على ثلاثة أميال من مكة عن يسار الذاهب منها إلى منى .

(٥) يريد جبريل الذي تنزل عليه بالوحي ، وقد أتته الرسالة وهو ابن أربعين سنة على رأس السنة الحادية والأربعين من عام الفيل والخامسة من بنيان الكعبة . واختلف الرواة في اليوم والشهر الذي أنزل فيه الوحي لأول مرة ، قيل إنه كان في يوم الاثنين لسبع من رمضان ، وقيل لسبع عشرة مضت منه ، وقيل بل السابع والعشرين من رجب ، وقيل : بل لثمان من ربيع الأول . واختار القول الأخير ابن عبد البر . انظر ابن سيد الناس ٨٩/١ والطبري ٢٩٣/٢ .

على العرش فى الهواء ، فأخذتنى رجْفَةٌ ، فأتيت خديجة ، فأمرتهم فدثَّرونى[١] ، ثم صبُّوا علىَّ الماء ، فأنزل الله عزَّ وجَلَّ : ﴿ يٰأيها المدَّثِّر . قُمْ فَأَنْذِرْ . ورَبَّكَ فكبِّرْ . وثيابك فطهِّرْ . والرُّجْزَ فاهْجُرْ ﴾ .

حدثنا عبد الله بن محمد ، قال : حدثنا محمد بن بكر ، قال : حدثنا أبو داود ، قال : حدثنا[٢] إبراهيم بن سعد ، قال : حدثنا محمد بن عبد الله/قال : حدثنى إسرائيل عن سماك بن حرب عن عكرمة ، عن ابن عباس[٣] ، قال[٤] : أتى نفر من قريش امرأة كاهنة ، فقالوا : أخبرينا بأقربنا شبهًا بصاحب هذا المقام[٥] ، قالت : إن جررْتُمْ على السَّهْلة عباءة ومشيتم عليها أنبأتكم بأقربكم منه شبهًا ، فجرّوا عليها عباءة ، ثم مشوا عليها ، فرأتْ أثر قدم محمد ﷺ ، فقالت : هذا والله أقربكم شبهاً . قال ابن عباس رضى الله عنهما : فمكثوا بعد ذلك عشرين سنة ، ثم بُعث محمد ﷺ .

٢ ظ

حدثنا عبد الله بن محمد ، قال : حدثنا محمد بن بكر ، قال : حدثنا أبو داود ، قال : حدثنا محمد بن بشار ، قال : حدثنا أبو داود الطيالسى ، قال : حدثنا سليمان بن معاذ الضبى ، عن سماك بن حرب ، عن جابر بن سَمُرة ، قال[٦] :

---

(١) دثرونى : لفونى بالثياب ، وأصله من الدثار وهو ما فوق ثوب الشعار الذى يلى الجسد .

(٢) فى ر : قال .

(٣) فى ر : رضى الله عنه .

(٤) روى ابن سيد الناس هذا الحديث عن ابن ماجة فى ٧٨/١ ونصه عنده :
عن ابن عباس أن قريشاً أتوا امرأة كاهنة فقالوا لها : أخبرينا بأشبهنا أثراً بصاحب المقام فقالت : إن أنتم جررتم كساء على هذه السهلة ثم مشيتم عليها أنبأتكم ، فجروا كساء ثم مشى الناس عليها ، فأبصرت أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : هذا أقربكم إليه شبهاً ، ثم مكثوا بعد ذلك عشرين سنة أو ما شاء الله ، ثم بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم .

(٥) المقام : مقام إبراهيم عليه السلام

(٦) أخرج هذا الحديث الترمذى ومسلم . انظر الروض الأنف للسهيلى (طبع مطبعة الجمالية بالقاهرة) ١٥٢/١ ويقول السهيلى : روى أن ذلك الحجر هو الحجر الأسود . وفى ابن سيد الناس ٨٩/١ : يحتمل أن يكون هذا التسليم حقيقة وأن يكون الله أنطقه بذلك كما خلق الحنين فى الجذع (يشير إلى حنين الجذع الذى كان الرسول يخطب إليه قبل اتخاذه المنبر وروى أنه ضمه إليه فسكن ، وفى رواية أنه مسح يده عليه) انظر صحيح البخارى ١٩٥/٤ ويحتمل أن يكون مضافاً إلى ملائكة يسكنون هناك من باب (واسأل القرية) فيكون من مجاز الحذف . وهو علم ظاهر من أعلام النبوة على كلا التقديرين .

قال رسول الله ﷺ : إن بمكة لحجرًا كان يسلِّم عليّ ليالي بُعثت ، إني لأعرفه الآن ، وسنفرد لأعلام نبوته(١) كتابًا إن شاء الله .

حدثنا عبد الله بن محمد ، قال : حدثنا محمد بن بكر بن داسة ، قال : حدثنا أبو داود ، قال : حدثنا إبراهيم بن الحسن الخثعمي ، قال : حدثنا حجاج ، قال : [قال(٢)] حدثنا ابن جُرَيْج : أخبرني عمرو بن دينار أنه سمع جابر بن عبد الله يقول(٣) :

٣ و

لما بُنيت الكعبة ذهب/عباس(٤) والنبي ﷺ ينقلان الحجارة ، فقال عباس للنبي ﷺ : اجْعلْ إزَارك على رقبتك [يقيك](٥) من الحجارة ، ففعل ، فَخَرَّ إلى الأرض وطمحت(٦) عيناه إلى السماء ، ثم قام وقال : إزاري إزاري ، فشدَّه عليه(٧) .

وفي حديث عكرمة عن ابن عباس في هذا الخبر ، قال :

خَرَّ محمد ، فانبطح . قال العباس : فجئت أسعى إليه ، وألقيتُ عني حَجري . قال : وهو ينظر إلى السماء ، قلتُ : ما شأنك ؟ قال : فقام وأخذ إزاره ، وقال : نُهيتُ أَن أمشي عُرْياناً . قال ابن عباس : قال أبي : فإني أكتمها الناس مخافة أن يقولوا مجنون .

وحَدَّثنا عبد الله ، قال : حدثنا محمد بن بكر قال حدثنا أبو داود ، قال : حدثنا عثمان ابن أبي شيبة ، قال : حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن منذر الثَّوْري ، عن الربيع بن خُثَيْم في قوله عزَّ وجلَّ : (إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده) قال :

---

(١) في ر : لأعلام نبوته ومعجزات ما جاء به .

(٢) زيادة من ر .

(٣) انظر في هذا الحديث صحيح البخاري ٤١/٥ .

(٤) في ر : العباس .

(٥) زيادة من صحيح البخاري .

(٦) هكذا في ر ، وصحيح البخاري ، وفي الأصل هكذا : هحل ، وهو تصحيف . وطمحت عيناه إلى السماء : ارتفعتا .

(٧) نسب ابن إسحق هذا الحادث إلى الرسول في صغره وهو غلام . انظر السيرة النبوية لابن هشام (طبعة الحلبي) ١٩٤/١ . وقال السهيلي في الروض ١٢٠/١ : هذه القصة إنما وردت في الحديث الصحيح في بنيان الكعبة . ويدل سياق الحديث وطرق أخرى له أنهم كانوا يضعون أزرهم على عواتقهم ويحملون عليها الحجارة وكان الرسول يحملها وإزاره مشدود عليه ، فقال له عمه العباس : لو جعلت إزارك على عاتقك خفت عليك المئونة ، ففعل ، فسقط إلى الأرض ، فعاد إلى شد إزاره ، وفي بعض الروايات أنه نودي من السماء : أن اشدد عليك إزارك يا محمد .

أوحى [الله [1]] إليه كما أوحى إلى جميع النبيين .

وفى حديث عائشة رضى الله عنها من رواية مالك ، رحمه الله ، وغيره [2] :

أن الوحى كان يأتيه أحياناً مثل صلصلة [3] الجرس ، وأحياناً يكلمه المَلَكُ ، وأحيانا يشتدُّ عليه ، فيتفصَّد [4] جبينه فى اليوم البارد عرقًا .

وقال عروة بن الزبير :

كان إذا أوحى إليه/وهو على ناقته وضعت جِرانها [5] . ٣ ظ

وفى حديث عمر رضى الله عنه ، قال :

كان ينزل عليه الوحى ، فيُسْمعُ له دوِىٌّ كدوىِّ النَّحْل .

وقد أشبعنا هذا المعنى [6] فى كتاب « التمهيد » عند ذكر حديث عائشة رضى الله عنها المذكور . والحمد لله .

حدثنا عبد الله ، قال : حدثنا محمد ، قال : حدثنا أبو داود ، قال : حدثنا محمد بن داود ابن سفيان ، قال : حدثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر عن الزهرى ، قال : أخبرنى عروة بن الزبير ، عن عائشة ، رضى الله عنها ، قالت : [7] أول ما بُدِئ به رسول الله ، ﷺ ، من الوحى الرؤيا الصادقة [8] ، ثم حُبِّب إليه الخلاءُ [9] ، فكان يأتى حِراء ، فيتحنث فيه – وهو [10] التعبد – الليالى [11] ذوات العدد ، ويتزوَّد لذلك . ثم يرجع إلى خديجة ، فتزوده

---

(١) زيادة من ر .

(٢) انظر فى حالات الوحى صحيح البخارى ٢/١ وما بعدها وابن سعد ج ١ ق ١ ص ١٢٩ وما بعدها والروض الأنف للسهيلى ١٥٣/١ وابن سيد الناس ٨٩/١ .

(٣) الصلصلة : صوت ذو رنين .

(٤) يتفصد : يسيل .

(٥) وضعت الناقة جرانها : بركت على الأرض . والجران : مقدم عنق الناقة والبعير .

(٦) هذا المعنى : أى فى حالات الوحى . وقد عرضنا لكتابه التمهيد فى المقدمة .

(٧) انظر فى هذا الحديث صحيح البخارى ٣/١ ، ١٧٣/٦ وصحيح مسلم بشرح النووى ١٩٧/٢ وابن سيد الناس ٨٤/١ .

(٨) رواية البخارى : الصالحة .

(٩) الخلاء : الخلوة .

(١٠) وهو : أى التحنث .

(١١) هكذا الرواية فى البخارى ومسلم . وفى الأصل و ر : فى الليالى .

لمثلها ، حتى فَجَأَه (١) الحق ، وهو فى غار حراء . فجاءَ المَلَكُ (٢) ، فقال : اقْرأ . قال رسول الله ﷺ : فقلت : ما أنا بقارئ . فأخذنى ، فغطَّنى(٣) ، حتى بلغ منى (٤) الْجَهْد ، ثم أرسلنى ، فقال : اقْرَأ ، فقلت : ما أنا بقارئ ، فأخذنى ، فغطَّنى الثانية ، حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلنى ، فقال : اقْرَأ ، فقلت : ما أنا بقارئ ، فأخذنى ، فغطَّنى الثالثة ، حتّى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلنى ، فقال :/(اقْرَأ باسم ربك الذى خلق) حتى بلغ (علَّم الإنسان ما لم يعلم) . قال : فرجع بها ترجف بوادره(٥) ، حتّى دخل على خديجة ، فقال : زمِّلُونى (٦) ، فزملوه ، حتّى ذهب [عنه](٧) الرَّوْع . فقال يا خديجة : ما لى ؟ وأخبرها الخبر . وقال : قد(٨) خشيت على نفسى ، فقالت له : كلاَّ ، أَبْشِرْ ، فوالله لا يخزيك الله [أبدًا] (٩) إنك لتصل الرَّحِم ، وتصدق الحديث ، وتحمل الكَلَّ(١٠) [وتكسب(١١) المعْدُومَ ، وتقْرِى الضَّيْف] ، وتُعين على نوائب الحق . ثم انطلقت به خديجة ، حتى أتتْ به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العُزَّى بن قُصَى ، وهو ابن عم خديجة أخى أبيها ، وكان امرءًا تنصَّر فى الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العربى(١٢) ، فكتب بالعربية من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب ، وكان شيخًا [كبيرًا](١٣) قد عَمِيَ . فقالت له خديجة : أى ابنَ عَمِّ اسْمَعْ من ابن أخيك . فقال ورقة بن نوفل : يا بن أخى ما(١٤) ترى؟ فأخبره النبى ﷺ بما رأى(١٥). فقال [له](١٦) ورقة : هذا الناموس(١٧)

---

(١) هكذا فى الأصل وصحيح مسلم ، وفى البخارى : جاءه .

(٢) فى ر : فجاء الملك فيه .

(٣) غطنى : من الغط ، وهو العصر الشديد .

(٤) هكذا فى صحيح البخارى ومسلم و ر ، وفى الأصل : بى ، ولعله تصحيف من الناسخ .

(٥) هكذا فى الأصل وصحيح مسلم ، وفى صحيح البخارى و ر : يرجف فؤاده .

(٦) زملونى : غطونى ولفونى ، من التزمل وهو الالتفاف فى الثياب .

(٧) زيادة من البخارى ومسلم .

(٨) فى البخارى ومسلم : لقد .

(٩) زيادة من صحيح البخارى ومسلم .

(١٠) الكل : من الكلال وهو الإعياء . ويطلق على الضعيف واليتيم ونحوهما . والمراد بحمله الإنفاق عليه .

(١١) زيادة من صحيح البخارى ومسلم .

(١٢) فى صحيح البخارى : وكان يكتب الكتاب العبرانى فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله .

(١٣) زيادة من البخارى ومسلم .

(١٤) فى البخارى ومسلم : ماذا ترى .

(١٥) فى البخارى ومسلم : خبر ما رأى .

(١٦) زيادة من البخارى ومسلم .

(١٧) الناموس : جبريل . وأصل الناموس : صاحب سر الخير . وضده الجاسوس صاحب سر الشر .

الذى أُنزل(١) على موسى ، ياليتنى أكون فيها حيًّا(٢) حين يخرجك قومك ، فقال رسول الله ﷺ : أو مخرجيَّ هم ؟ فقال ورقة بن نوفل : نعم إنه لم يأت أحد بما جئت به إلا عودى وأُوذىَ / وإن يدركنى يومك أَنصرك نصرًا مؤزرًا(٣) . ثم لم يلبث(٤) ورقة أَن توفِّى .

٤ ظ

وفَتَر الوحى فترة(٥) ، حتى حزن رسول الله ، ﷺ ، فيما بلغنا حزناً شديدًا ، غدا منه مرارًا كى يتردَّى من رءوس شواهق الجبال ، فكلما أوفى بذروة كى يلقى بنفسه منها تبدَّى له جبريل عليه السلام ، فقال : يا محمد إنك رسول الله حَقًّا ، فيسكن لذلك جَأْشُه(٦) ، وتَقِرُّ(٧) نفسه ، فيرجع ، فإذا [طالت](٨) عليه فترة الوحى غدا لمثل ذلك ، فإذا أوفى ذروة تبدَّى له جبريل عليه السلام ، فقال مثل ذلك .

حَدَّثنا عبد الله بن محمد ، قال : حدثنا محمد بن بكر ، قال : حدثنا [أبو](٩) داود ، قال : حدثنا موسى بن إسماعيل ، قال : حدثنا حماد بن سلمة ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس . قال أبو داود : وحدثنا مسدَّد بن مُسَرْهد ، قال : حدثنا أبو عوانة ، عن أبى بشير(١٠)، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس . قال أبو داود : وحدثنا نصر بن على ، قال : حدثنا أبو أحمد ، قال : حدثنا إسرائيل ، عن ابن إسحق ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، دخل حديث بعضهم فى بعض . قال :(١١) :

---

(١) فى ر : أنزل الله .

(٢) العبارة فى البخارى ومسلم و ر : يا ليتنى أكون فيها جذعًا ، ليتنى أكون حيًّا والجذع : القوى من الفتيان ، وأصله للفتى من الإبل . وهو استعارة واضحة .

(٣) مؤزرًا : قويًّا ، من الأزر ، وهو القوة والعون .

(٤) فى صحيح البخارى : ثم لم ينشب .

(٥) اختلف الرواة فى مدة فترة الوحى ، قيل : كانت اثنى عشر يوماً ، وقيل : كانت خمسة عشر يوماً ، وقيل خمسة وعشرين ، وقيل أربعين . وقال السهيلى فى الروض الأنف ١٦١/١ : جاء فى بعض الأحاديث المسندة أنها كانت سنتين ونصف سنة . وهذه الفقرة الخاصة بفترة الوحى وحزن الرسول نقلها ابن سيد الناس عن ابن عبد البر فى ٨٥/١ .

(٦) جأشه روعه .

(٧) تقر : تهدأ وتسكن .

(٨) زيادة من ر و ابن سيد النّاس وهى ساقطة من الأصل .

(٩) هكذا فى ر وفى الأصل : إسحق بن داود .

(١٠) فى ر : بشر .

(١١) روى ابن سيد الناس هذا الحديث فى ٨٧/١ وقارن بابن سعد ج ١ ق ١ ص ١١٠ .

٥ و كان لكل قبيل/من الجن مقعدٌ من السماء يستمعون فيه ، فلما رُموا بالشُّهب ، وحيل بينهم وبين خبر السماء قالوا : ما هذا إلا لشئ حدث فى الأرض ، وشكوا ذلك إلى إبليس ، فقال : ماهذا إلا لشىء[١] حدث فى الأرض ، فائتونى من تربة[٢] كل أرض ، فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها ، يبتغون علم ذلك . فأتوه من تربة كل أرض ، فكان يشمّها ويرمى بها ، حتى أتاه[٣] الذين توجهوا إلى تهامة بتربة من تربة مكة ، فشمّها ، فقال : من هٰهنا يحدث الحدث . فنظر ، فإذا النبى ﷺ قد بُعث ، فانطلقوا فوجدوا رسول الله وطائفة معه من أُصحابه بنخلة[٤] عامدين إلى سوق عكاظ ، وهو يصلى بهم صلاة الفجر[٥] . فلما سمعوا القرآن استمعوا له ، فقالوا : هذا والله الذى حال بيننا وبين خبر السماء ، فولّوا إلى قومهم منذرين ، فقالوا : يا قومنا ﴿ إنا سمعنا قرآنًا عجبًا يهدى إلى الرُّشْد ﴾ . وذكر تمام الخبر[٦] .

قال أبو داود[٧] : وحدثنا وهب بن بقية[٨] ، عن خالد . قال أبو داود : وحدثنا محمد بن العلاء ، عن ابن[٩] إدريس ، كلاهما عن حُصَين ، عن عامر الشعبى ، قال :

لما بُعث النبى ﷺ رُجِمَت الشياطين بنجوم لم تكن تُرْجم بها من قبلُ ، فأتوا عبْدَ

٥ ظ يا لِيل[١٠] ابن عمرو الثقفى / فقالوا : إن الناس قد فزعوا وأعتقوا رقيقهم وسيَّبوا أنعامهم لما رأوا فى النجوم ، فقال لهم : وكان رجلا أعمى : لا تعجلوا وانظروا ، فإن كانت النجوم التى تُعْرَف فهو عند فناء الناس ، وإن كانت لا تعرف فهو من حَدَث ، فنظروا ،

---

(١) فى ر . لأمر .

(٢) هكذا فى ر و ابن سيد الناس ، وفى الأصل : فى كل تربة كل أرض

(٣) هكذا فى ر و ابن سيد الناس . وفى الأصل : فأتوه ، بإضمار الفاعل فى الفعل ثم إظهاره ، وهى لغة شاذة وربما كان ذلك من خطأ الناسخ .

(٤) نخلة : واد على بعد ليلة من مكة وكانت عكاظ بينه وبين الطائف وكان سوقها ينعقد فى ذى القعدة عشرين يوما .

(٥) فرضت الصلاة فى أول البعثة المحمدية ، وكانت كل صلاة ركعتين ركعتين . ويقال إنها كانت أوّلا ركعتين فى الغداة وركعتين فى العشى . ثم فرضت الصلوات الخمس ليلة الإسراء على نحو ما سيذكر ذلك ابن عبد البر

(٦) فى ر . الحديث .

(٧) روى ابن سيد الناس هذا الحديث عن ابن عبد البر ذاكرًا طرقه وأسانيده فى ٥٥/١ .

(٨) هكذا فى ر و ابن سيد الناس ، وفى الأصل : منبه ، وهو تصحيف .

(٩) هكذا فى ابن سيد الناس ، وفى الأصل و ر : أبى .

(١٠) عبد يا ليل : من رؤساء ثقيف ، وقد لحق الإسلام .

فإذا هى نجومٌ لا تُعرْف . فقالوا : هذا[١] أَمرٌ حدث ، فلم يلبثوا حتى سمعوا بالنبى ﷺ .

أخبرنا عبد الله بن محمد ، قال : حدثنا محمد بن بكر ، قال : حدثنا أبو داود سليمان بن الأشعث ، قال : أَخبرنا أَبو عاصم خسيس[٢] بن أَصرم ، قال : أَخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهرى ، قال : أَخبرنى أَبو سلمة ، عن جابر ، قال[٣] :

سمعت رسول الله ﷺ وهو يحدث عن فترة الوحى ، قال : بينا أَنا أَمشى إذ سمعت صوتًا من السماء ، فرفعت رأسى ، فإذا المَلَكُ الذى جاءنى بحِراء جالسًا[٤] على كرسى بين السماءِ والأَرض فجُئِثتُ[٥] منه رُعْبًا ، فرجعت ، فقلت : زمِّلونى ، دثِّرونى ، فأَنزل الله عزَّ وجلَّ : (ياأيها المدثر) إلى قوله : (والرُّجْزَ فاهْجُرْ) وهى الأوثان .

وقال شُعْبَة ، عن مغيرة[٦] ، عن إبراهيم النَّخْعى[٧] :

نزلت عليه (يَٰأَيها المدثر) وهو فى قطيفة .

وقال شَيبان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم :

أَول سورة أُنزلت عليه : (اقْرَأْ باسم ربك الذى خلق) .

وهو قول عائشة وعُبَيد بن عُمَيْر ومحمد بن عبَّاد بن جعفر والحسن البصرى وعكرمة ومجاهد والزهرى .

---

(١) فى ابن سيد الناس . من

(٢) فى ر . حبيش .

(٣) انظر فى هذا الحديث صحيح البخارى ١/٣ ، ٦/١٧٤ وصحيح مسلم بشرح النووى ٢/٢٠٥ ومسند أبى داود الطيالسى ص ٢٣٦ وقارن بابن سعد ج ١ ق ١ ص ١٣١ والطبرى ٢/٣٠٦ .

(٤) هكذا فى الأصل وصحيح مسلم وفى البخارى و ر : جالس

(٥) هكذا فى الأصل و ر وصحيح مسلم ، وفى رواية البخارى : فرعبت . وجُئثت : فرعت ورعبت

(٦) فى ر : ابن المغيرة .

(٧) انظر فى هذا الحديث وتاليه ابن سيد الناس ١/٨٨

باب

[ذكر][1] دعاء الرسول ﷺ قومه وغيرهم إلى دين الله والدخول فى الإسلام ، وذكر بعض مالقى [منهم][2] من الأذى وصبْره فى ذلك على الْبلْوى ﷺ

[دعوة الرسول قومه وغيرهم إلى الإسلام][3] .

قال الله عزَّ وجَلَّ : (قُمْ فأَنْذِر) وقال عزَّ وَجَلّ : (فاصْدعْ بما تُؤمَرُ) .

أخبرنا عبد الله بن محمد ، قال : حدثنا محمد بن بكر [قال حدثنا أبو داود][4] قال : حدثنا محمد بن يحيى بن فارس ، قال : حدثنى محمد بن كثير الصَّنْعانى ، عن معمر ، عن الزهرى ، عن عروة ، عن عائشة قالت[5] :

٦ و ثم دعا رسول الله ، ﷺ ، إلى الإسلام سرًّا [وجهرًا][6] /وهجْر الأَوثان ، فاستجاب له مَنْ شاءَ الله من الأَحداث والكهول وضَعَفة الناس ، حتى كثُر من آمن به وصَدَّقه ، وكفَّارُ قريش غير منكرين لما يقول ، يقولون إذا مرَّ عليهم : إن غلام بنى هاشم هذا ويشيرون إليه ليكلَّم ، زعموا ، من السماءِ . فكانوا على ذلك حتى عاب آلهتهم التى كانوا يعبدون ، وذكر هلاك آبائهم الذين ماتوا كُفَّاراً ، فغضبوا لذلك وعادوْه . فلما ظهر الإسلام وتحدث به المؤمنون أَقبلوا عليهم يعذِّبونهم ويؤذونهم ، يريدون بذلك فتنتهم عن دينهم . فقال لهم رسول الله ﷺ تفرَّقوا فى الأَرض ، فقالوا أَين نذهب يا رسول الله ؟

---

(١) زيادة من ر .

(٢) زيادة من ر .

(٣) انظر فى دعاء الرسول قومه وغيرهم إلى الإسلام ابن هشام ٢٨٠/١ وابن سعد ج ١ ق ١ ص ١٣٢ وصحيح البخارى ٤١/٤ وابن سيد الناس ٩٨/١ والنويرى ١٩٥/١٦ .

(٤) زيادة من ر

(٥) انظر فى هذا الحديث ابن سعد ج ١ ق ١ ص ١٣٣ والنويرى ١٩٦/١٦ .

(٦) زيادة من ابن سعد ، يدل عليها السياق السابق ، فقد ظل الرسول يدعو إلى الإسلام سرًا نحو ثلاث سنين إلى أن أمره الله بإظهار الدعوة على نحو ما توضح ذلك الآيتان الكريمتان السابقتان لهذا الحديث .

فقال : هٰهنا : وأَشار بيده نحو أرض الحبشة . فهاجر إليها ناسٌ ذوو عدد ، منهم من هاجر بنفسه ، ومنهم مَنْ هاجر بأهله .

أَخبرنا عبد الله بن محمد ، قال : حدثنا محمد بن بكر ، قال : حدثنا أبو داود ، قال : حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثنى ، قال ابن المثنى : حدثنا محمد بن عبد الله الأَنصارى ، وقال ابن بشار : أَخبرنا عبد الوهاب ، قالا : حدثنا محمد بن عمرو ، عن محمد بن المنكدر ، عن ربيعة بن عباد الدُّؤلى ، قال[1] :

رأَيت رسول الله ﷺ بذى المجاز[2] يطوف بالناس ، ويتبعهم فى منازلهم ، يدعوهم إلى الله ، يقول : إن الله يأمركم أَن تعبدوه ولا تُشْركوا به شيئًا ، ورجل خلفه يقول : يأَيها الناس هذا/ ينهاكم أَن تدينوا دين آبائكم ، فلا يصدنَّكم عن دينكم ودين آبائكم فقلت : منْ هذا ؟ قالوا : عمه أَبو لهب .

٦ ظ

دخل حديث بعضهم فى بعض ، ورواه زيد بن أَسلم ، عن محمد بن المنكدر مثله [رُوِى[3] من وجوه كلها صحاح] .

[أَول الناس إيمانًا بالله ورسوله][4]

قال الفقيه أبو عمر[5] ، رضى الله عنه :

فكان أول من آمن بالله ورسوله — فيما أتت به الآثار وذكره أهل السِّير والأخبار — منهم ابن شهاب وغيره ، وهو قول موسى بن عقبة ومحمد بن إسحٰق ومحمد بن عمر

(١) روى ابن سيد الناس هذا الحديث فى ١/١٠٠ ، ١/١٥٢

(٢) ذو المجاز : على فرسخ من عرفة ، وكانت تقام به السوق الثالثة لأهل مكة فى هلال ذى الحجة . والأيام العشرة قبله كانت لسوق مجنة ، وقبلها كانوا يعقدون سوق عكاظ عشرين يوماً كما أسلفنا .

(٣) زيادة من ر .

(٤) انظر فى أول من آمن بالله ورسوله ابن هشام ١/٢٥٧ وتاريخ الطبرى ٢/٣٠٩ وجوامع السيرة لابن حزم ص ٤٥ وابن سيد الناس ١/٩١ وابن كثير ٣/٣٧ والنويرى ١٦/١٨٠ .

(٥) هكذا فى ر وفى الأصل : أبو عمرو ، وهو خطأ من الناسخ وقد جاء على هامش هذه الورقة رقم ٦ : « هذه الكراريس من كتاب السيرة المنسوبة للحافظ أبى عمر بن عبد البر ، ولكن ناسخها يجعله أبا عمرو بالواو ، وهو غلط ، فليصلح » وكتب محمد مرتضى الزبيدى صاحب تاج العروس بجانب هذا التعليق : « هذا خط الحافظ أبى الخير السخاوى ، رحمه الله وكتبه محمد مرتضى » . وهو شمس الدين السخاوى صاحب « الضوء اللامع فى أعيان القرن التاسع » المتوفى سنة ٩٠٢ للهجرة .

الواقدى وسعيد بن يحيى بن سعيد الأموى وغيرهم ، – خديجة بنت خويلد زوجته ﷺ ، وأبو بكر الصِّدِّيق ، وعلى بن أبى طالب ، واختُلف فى الأول منهما ، فرُوى عن حسان ابن ثابت وإبراهيم النَّخعى وطائفة : أبو بكر أول [١] من أسلم . والأكثر منهم [٢] يقولون على . وقد ذكرنا القائلين بذلك والآثار الواردة فى بابه من كتاب الصحابة [٣] . ورُوِى عن ابن عباس القولان جميعًا . واختلفوا فى سِنِّ على يومئذ ، فقيل : ثمانى سنين ، وقيل : عشر سنين ، وقيل : اثنتا عشرة سنة ، وقيل : خمس عشرة سنة ، قاله الحسن البصرى وغيره . وقال ابن إسحق : كان أول ذَكَرٍ ممن آمن بالله وصدَّق رسول الله فيما جاء به من عند الله على بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، وهو ابنُ عشر سنين يومئذ .

قال [أى ابن إسحق] :

٧ و ثم أسلم زيد بن حارثة بن شُرَحْبِيل بن كعب الكلبى / قلت : وقيل : شراحيل – قاله ابن هشام [٤] – مولى رسول الله ﷺ . قال : ثم أسلم أبو بكر بن أبى قُحافة ، واسم أبى قُحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم بن مُرَّة .

قال أبو عمر :

ثم أسلم خالد [٥] بن سعيد بن العاصى ، وأسلمت معه [٦] امرأته : أُمَيْنة بنت خلف بن أسعد الخزاعية ، وبلال وعمار بن ياسر وأمه سُمَيَّة ، وصُهَيْب بن سنان النَّمَرى [٧] المعروف بالرومى ، وعمرو بن عَبَسة [٨] السُّلَمِىّ ورجع إلى بلاد قومه ، وعمرو بن سعيد بن العاصى .

ثم أسلم بدعاء أبى بكر الصديق عثمان بن عفَّان ، والزُّبَيْر بن العوَّام ، وسعد بن

---

(١) راجع فى سبق أبى بكر إلى الإسلام كتاب صفة الصفوة لابن الجوزى ٨٩/١ .

(٢) منهم : أى من الرواة

(٣) انظر الاستيعاب فى معرفة الأصحاب (طبعة حيدر آباد) ص ٤٧٠ .

(٤) اختار ابن عبد البر هذه الرواية فى ترجمته له بكتاب الاستيعاب ص ١٩١ .

(٥) أخر ابن هشام خالد بن سعيد ، ولم يعده فى السابقين . انظر السيرة ٢٧٧/١ .

(٦) فى الهامش : أن روجة خالد أسلمت بعده هى ومن وليها من الصحابة .

(٧) النمرى : نسبة إلى قبيلة النمر بن قاسط ، ولقب بالرومى لأخذه لسان الروم إذ سبوه وهو صغير . انظر الاستيعاب ص ٣٢٥ .

(٨) فى الأصل و ر : عنبسة ، وهو تصحيف . راجع ترجمته فى الاستيعاب ص ٤٤٣ .

أَبى وَقَّاص ؛ وطلحة بن عبيد الله ، وعبد الرحمن بن عوْف .

ثم أسلم أبو عبيدة بن الجَرَّاح ، وأبو سلمة بن عبد الأسد ، وعثمان بن مظعون ، ثم أخواه : قدامة وعبد الله ، وابنه : السائب بن عثمان بن مظعون ، وسعيد بن زيد بن عمرو ابن نُفَيْل ، وأَسماءُ بنت أَبي بكر الصديق ، وعائشة بنت أَبي بكر الصديق ، وهى صغيرة* ، وفاطمة بنت الخطاب أُخت عمر بن الخطاب زوج سعيد بن زيد ، وعُميْر بن أَبي وقَّاص ، وعبد الله بن مسعود ، وأَخوه عتبة بن مسعود ، وسَليط بن عمرو العامرىّ ، وعيَّاش بن أَبي ربيعة المخزومى ، وامرأَته أَسماء بنت سلامة بن مخرِّبة التميمية ، ومسعود بن ربيعة بن عمرو القَارِىّ من بنى الهون بن خزيمة وهم القارة ، وخُنَيْس /بن حُذافة بن قيس ابن عدىّ السهمى ، وعبد الله بن جحْش الأَسدى . ٨ و

تتمة السابقين إلى الإيمان برسول الله ﷺ

وحمزة بن عبدالمطلب ، وجعفر بن أبى طالب ، وامرأته أسماء بنت عُميْس ، وعامر بن ربيعة العَنْزِىّ من عَنْز بن وائل – قال ابن هشام : عنز بن وائل من ربيعة[1] – حليف الخطاب بن نُفَيْل . وأبو أحمد بن جحش الأعمى ، وحاطب بن الحارث بن مَعْمر

* قلت : ذكره لعائشة وهم منه ، وذلك أن عائشة إما أن تكون ولدت بعد إسلام أبيها بأربع سنين فهى مولودة فى الإسلام مسلمة بإسلام أبيها ، تبعاً له بالإجماع . فلا ينبغى أن تعد ممن حدث إسلامه . [انظر تعليقنا على هذه الملاحظة فى المقدمة مما يؤكد صحة رواية ابن عبد البر] ويتابع صاحب الملاحظة كلامه قائلا :

وهذا على تقدير أن يكون أبو بكر الصديق أسلم أول الدعوة وهو الظاهر بل القريب من التواتر لوجوه ، منها قوله عليه السلام : بعثت إليكم فقلتم : كذبت ، وقال أبو بكر : صدق . وجاء فى طريق : أسلم وما عكم (أى تردد) وجاء وما تلعثم . وجاء فى طريق : أن خديجة أخذت النبى صلى الله عليه وسلم وأبا بكر عند فجأة الحق له فى غار حراء ، فذهبت بهما إلى ورقة بن نوفل . وجاء فى طريق صحيح قول عائشة رضى الله عنها : لم أعقل أبوى إلا وهما يدينان الدين . فإن لم يكونا أسلما قبل ولادتها فقد أسلما قبل أن تميز ، والطفل قبل سن التمييز يسلم بإسلام أبيه طبعاً إجماعاً ، إسلاماً حكميًّا كإسلام المولود فى الإسلام ، فلا يعد ممن تقدم له غير الإسلام البتة . والروافض يروون ما يدل – على رعمهم – على أن أبا بكر تأخر إسلامه ، وهذا بهت منهم ومخالفة للمستفيض المتواتر ، والله الموفق . والشعر ديوان العرب ، وقد جاء فى شعر حسان يمدح أبا بكر رضى الله عنه :

خيرَ البرية أتقاها وأفضلها ... بعد النبى وأوفاها بما حَملا

والثانىَ التالىَ المحمود سيرته ... وأولَ الناس منهم صدق الرسلا

والناس يدخل فى لفظه النساء والصبيان والموالى .

(١) انظر سيرة ابن هشام ٢٧٤/١ .

الجُمَحِى ، وامرأته بنت المجلِّل العامرية ، وحطاب[١] بن الحارث أخوه ، وامرأته فُكَيْهَة بنت يسار ، وأخوهما معمر بن الحارث بن معمر الجُمَحِىّ ، والمطلب بن أزهر بن عبد عوف الزُّهْرِى ، وامرأته رملة بنت أبى عَوْف السَّهْمِيَّة ، والنحَّام واسمه نعيم بن عبد الله العدوى ، وعامر بن فُهَيْرة أزدىٌّ من الأزد أُمه فُهَيْرة مولاة أبى بكر الصديق ، وحاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ودّ العامرىّ أخو سليط بن عمرو ، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة واسمه مهشِّم بن عتبة فيما قال ابن[٢] هشام ، وواقد بن عبد الله بن عبد مناف [بن عُرين][٣] - فيما قال ابن هشام - ابن ثعلبة بن يربوع بن حنظلة الحنظلى التميمى حليف بنى عدى بن كعب ، وأبو ذرّ جُنْدُب بن جُنادة ولكنه رجع إلى بلاد قومه فتأخرت هجرته ، وإياس وخالد وعاقل وعامر بنو البُكَيْر بن عَبْد يا لِيل بن ناشِب من بنى سعد بن ليث حلفاء بنى عدىّ ، والأرقم بن أبى الأرقم واسم أبى الأرقم عبد مناف بن أبى جُنْدب واسم أبى جندب أسد بن عبد/الله بن عمر بن مخزوم[٤] . ٨ ظ

وأسلم حمزة[٥] بن عبد المطلب ، وكان سبب إسلامه أن أبا جهل شتم رسول الله ﷺ ، وتناوله وحمزة غائب فى صَيْد ، وكان رامياً كثير الصيد ، فلما انصرف قالت له امرأة[٦] : يا أبا عمارة : ماذا لقى ابن أخيك من أبى جهل ؟ شتمه وتناوله وفعل وفعل ، قال : فهل رآه أحد ؟ قالت : نعم أهلُ ذلك المجلس عند الصَّفا . فأتاهم وهم جلوسٌ وأبو جهل فيهم ، فجمع على قوسه يديه ، فضرب بها رأس أبى جهل ، فدقَّ سِيَتَها[٧] .

---

(١) هكذا فى الاستيعاب ص ١٤٩ وفى الأصل و ر : خطاب بالخاء .

(٢) ذكر ابن عبد البر فى الاستيعاب ص ٦٥٣ أنه يقال إن اسمه مهشم ، وقيل هشيم ، وقيل هاشم

(٣) زيادة من ابن هشام ٢٧٨/١ والاستيعاب ص ٦٢٣ .

(٤) ممن لم يذكرهم ابن عبد البر هنا - وذكرتهم كتب السيرة - خباب بن الأرت حليف بنى زهرة ، وقد ذكر فى الاستيعاب ص ١٦٤ أنه قديم الإسلام ممن عذب فى الله وصبر على دينه . وكذلك لم يذكر عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف ، وفى الاستيعاب ص ٤٢٢ كان إسلامه قبل دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الأرقم بن أبى الأرقم وقبل أن يدعو فيها . وأيضاً لم يذكر المقداد بن الأسود حليف بنى زهرة ، وفى الاستيعاب ص ٢٨٩ كان قديم الإسلام ، وعن ابن مسعود : أول من أظهر الإسلام سبعة منهم المقداد وسيذكر ابن عبد البر عما قليل حديث ابن مسعود فى هذا الصدد .

(٥) انظر فى إسلام حمزة وسببه ابن هشام ٣١١/١ وابن سيد الناس ١٠٤/١ والنويرى ٢٠٨/١٦ .

(٦) كانت مولاة لعبد الله بن جدعان .

(٧) سية القوس : ما عطف من طرفيها

ثم قال : خذها بالقوس ، ثم أخرى بالسيف . أشهد أنه رسول الله وأنّ ما جاء به حقٌّ من عند الله . وسُمِّى من يومئذ أسد الله .

ثم عمر[١] بن الخطاب ، أسلم بعد أربعين[٢] رجلا واثنتى عشرة امرأة ، فعزَّ الإسلام وظهر بإسلام حمزة وعمر رضى الله عنهما .

[ذكر بعض ما لقى الرسول وأصحابه من أذى قومه وصبرهم على ذلك][٣]

ولما أعلن رسول الله ﷺ الدعاء إلى الله تعالى نابذتْه قريش ، ورموه بالبُهْتان ، وجاهروا فى عداوته ، وأظهروا البغضاء له ، وآذوه . وآذوا من اتبعه ، بكل ما أمكنهم من الأذى . فأما رسول الله ﷺ فأجاره عمه أبو طالب ، ومنَع منه . وكذلك أجار أبا بكر قومه ، ثم أسلموه فأجاره ابن الدُّغُنَّة[٤] . وأجار العاصى بن وائل عمر بن الخطاب .

أخبرنا عبد الله بن محمد ، قال : حدثنا محمد بن بكر ، قال : حدثنا أبو داود ، قال : حدثنا عثمان بن أبى/شيبة ومحمد بن المثنى ، قالا : حدثنا يحيى بن أبى بكير[٥] ، قال : حدثنا زائدة بن قدامة ، عن عاصم ، عن زر ، عن عبد الله[٦] ، قال : كان أول من أظهر إسلامه سبعة : رسول الله ﷺ ، وأبو بكر ، وعمَّار ، وأمه سميَّة ، وصهيب ، وبلال ، والمقداد . فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمه أبى طالب ، وأما أبو بكر فمنعه الله

٩ و

---

(١) راجع فى إسلام عمر ابن هشام ٣٦٠/١ وصحيح البخارى ٤٨/٥ وابن سيد الناس ١٢١/١ والنويرى ٢٥٣/١٦ ويقال إنه أسلم بعد حمزة بثلاثة أيام .

(٢) فى ابن هشام : وهم قريب من أربعين ما بين رجال ونساء

(٣) راجع فيمن آذوا الرسول وأصحابه وفى المجاهرين بعداوته والمستهزئين ابن هشام ٢٨٠/١ وابن سعد ح ١ ق ١ ص ١٣٣ وصحيح البخارى ٤٥/٥ وصحيح مسلم بشرح النووى ١٥١/١٢ والمحبر لابن حبيب (طبعة حيدر آباد) ص ١٥٧ وما بعدها وابن حزم ص ٥٢ وابن سيد الناس ١٠٢/١ وما بعدها والنويرى ١٩٨/١٦ .

(٤) هو مالك بن الدغنة سيد الأحابيش ، وهم بنو الحارث الكنانيون والهون بن خزيمة القاريون الكنانيون قوم ابن الدغنة وبنو المصطلق الخزاعيون ، تحالفوا عند جبل يقال له حبشى . فسموا الأحابيش وانظر الروض الأنف للسهيلى ٢٣١/١

(٥) فى ر : بكر .

(٦) هو عبد الله بن مسعود ، وقد ذكر ابن عبد البر هذا الحديث فى كتابه الاستيعاب ص ٥٨ .

بقومه ، وأما سائرهم فأخذهم المشركون فألبسوهم أدراع الحديد وصهروهم [١] في الشمس ، فما منهم إلا منْ واتاهم [٢] فيما أرادوا وأوهمهم بذلك إلا بلال ، فإنه هانت عليه نفسه في الله عزَّ وجلَّ ، وهان على قومه فأخذوه ، وأعطوه الولدان [٣] ، فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة ، وهو يقول : أَحَدٌ ، أَحد .

وعن مجاهد مثله سواء [٤] ، وزاد في قصة بلال : وجعلوا في عنقه حبلا ، ودفعوه إلى الصبيان يلعبون به ، حتى أثَّر الحبل في عنقه ، ثم ملُّوه فتركوه . قال ابن عبد البر : وقد ذكرنا خبره بأكثر من هذا في بابه من كتاب الصحابة [٥] . ولم يذكر ابن مسعود ولا مجاهد في هذا الخبر خديجة ولا عليًا ، وهما أول من أسلم عند أكثر أهل العلم ، لأنهما كانا في بيت رسول الله ، ومَنْ كان في بيته كان في جوار عمه . ومع ذلك فإنه [٦] لم يظهر إلى قريش منهما ذلك ، فلم يُؤذَيَا . وهؤلاء السبعة ظهر منهم ذلك ، فلقوا الأذى الشديد من قومهم . فقُصِد بهذا / الحديث إلى الخبر عنهم . ٩ ظ

حدثنا عبد الله ، قال : حدثنا محمد ، قال : حدثنا سليمان ، قال : حدثنا عمرو بن عثمان ومحمود بن خالد وحسين بن عبد الرحمن ، قالوا : حدثنا الوليد بن مسلم ، عن الأوزاعي ، قال : حدثنا يحيى بن أبي كثير ، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التَّيْمي ، عن عروة بن الزبير ، قال [٧] :

سألت عبد الله بن عمرو بن العاص ، قلت : أخبرْني بأشد شيء صنعه المشركون

---

(١) في ر . وسمروهم . (٢) واتاهم : أطاعهم .

(٣) الولدان : الغلمان والصغار

(٤) ذكر ابن عبد البر في الاستيعاب ص ٥٩ أن حديث مجاهد في معنى حديث ابن مسعود إلا أنه لم يذكر بين السبعة المقداد وذكر موضعه خبابا .

(٥) انظر ترجمته في الاستيعاب ص ٥٨ وما بعدها ، وقد وصف ابن هشام في السيرة ٢٠٥/١ تعذيب قريش له ، وكان لبعض بني جمح ، وكان الذي يتولى كبر تعذيبه أمية بن خلف ، فكان يخرجه إذا حميت الظهيرة ، فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ، ثم يقول له : لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى فيقول ، وهو في هذا العذاب والبلاء ، أحد أحد . وكأنما كان يزيده عذابه وبلاؤه إيماناً فوق إيمان . ورقَّ له أبو بكر حين رآه يوماً في هذا الهوان الشديد ، فاشتراه وأعتقه وأعتق معه ستا ممن كانوا يعذبون على الإسلام . وسيذكر ذلك ابن عبد البر عما قليل

(٦) في الأصل و ر : فإنهما .

(٧) انظر في هذا الحديث صحيح البخاري ٤٦/٥ .

برسول الله ، قال : نعم ، بينما رسول الله ، ﷺ ، فى حِجْر الكعبة إذ أقبل عقبة[١] بن أبى مُعَيْط ، فوضع ثوبه فى عنق رسول الله ﷺ ، فخنقه به خنقًا شديدًا . قال : فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبيه ، ودفعه عن رسول الله ، وقال : (أتقتلون رجلا أن يقول ربِّىَ الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم) .

ورواه بشر بن بكر [أيضًا][٢] عن الأوزاعى بإسناده مثله* . وروى بشر بن بكر ، عن الأوزاعى ، عن يحيى بن أبى كثير ، قال : حدثنى أبو سلمة بن عبد الرحمن ، قال : قلت : لعبد الله بن عمرو بن العاص : أخبرنى بأشد شىءٍ ، فذكر مثله . وعند عمر بن عبد الواحد ، عن الأوزاعى عن هذا الإسناد أيضًا فى هذا الخبر ، وعن إسماعيل بن سماعة أيضا مثله ، عن الأوزاعى بهذا الإسناد فى هذا الخبر./وعند الوليد بن مزيد ، عن الأوزاعى فى هذا الخبر الإسناد الأول . وروى محمد بن عمرو بن علقمة ، عن أبى سلمة ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص هذا الخبر بمعناه ، وزاد فيه ، فقال : ١٠ و

يا معشر قريش والذى نفسى بيده لقد أرسلنى ربى إليكم بالذَّبْح .

ورواه هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص بمعنى حديث يحيى ابن أبى كثير وحديث محمد بن عمرو ، عن أبى سلمة ، عن عبد الله بن عمرو .

حدَّثنا عبد الله ، قال : حدثنا محمد ، قال : حدثنا أبو داود ، قال : حدثنا محمد بن العلاء وعثمان بن أبى شيبة : أن محمد بن أبى عبيدة ، حدثهم عن أبيه ، عن الأعمش ، عن أبى سفيان ، عن أنس ، قال :

لقد ضربوا رسول الله ﷺ ، حتى غُشى عليه ، فقام أبو بكر ، فقال : (ويلكم أتقتلون رجلا أن يقول ربِّىَ الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم) فقالوا : هذا ابن أبى قحافة المجنون .

---

(١) من بنى أمية بن عبد شمس ، وكان من ألد أعداء الرسول ومن أكثر قريش حرباً عليه وظلماً له ، وقد وقع أسيراً فى غزوة بدر ، فقتل كافراً أثيمًا .

(٢) زيادة من ر .

* قلت : ذكر العلماء أن أبا بكر الصديق أفضل من مؤمن آل فرعون [الذى جاءت الآية الكريمة على لسانه : أتقتلون . .] لأن ذاك اقتصر – حيث انتصر – على اللسان ، وأما أبو بكر فأتبع اللسان يدًا ، ونصر بالقول والفعل محمداً صلى الله عليه وسلم

[المجاهرون بالظلم لرسول الله ﷺ ولكل من آمن به]

قال الفقيه أبو عمر رضى الله عنه :

وكان المجاهرون[١] بالظلم لرسول الله ﷺ ولكل من آمن به : من بنى هاشم عمّه أبا لهب* وابن عمّه أبا سفيان بن الحارث .

ومن بنى عبد شمس : عتبة وشيبةَ ابنى[٢] ربيعة ، وعُقْبة بن أبى مُعَيْط ، وأبا سفيان ابن حرب ، وابنه حنظلة ، والحكم بن أبى العاص بن أمية ، ومعاوية بن[٣] العاص بن أمية .

ومن بنى عبد الدار : النَّضْر بن الحارث .

ومن بنى أسد بن عبد العزَّى : الأسود بن المطلب[٤] ، وابنه زَمْعة ، وأبا البَخْتَرِىّ العاصى بن هشام .

ومن بنى زهرة : الأسود بن [عبد][٥] يغوث الزهرى .

---

(١) نقل ابن سيد الناس عن ابن عبد البر فى ١/١١٠ هذا الفصل الخاص بالمجاهرين بالظلم للرسول ولكل من آمن به ، وكذلك نقله ابن حزم فى ص ٥٢ بتصرف قليل ، وتدل معارضته على النسخة ر و ابن سيد الناس أن الكلام الآتى الذى ولى أبا لهب ليس من كلام ابن عبد البر ، ويكمل هذه الدلالة ما فى داخله من كلمة «يرجع الكلام» التى يكتبها عادة من يستدركون على كلام بعض المصنفين ، كما أوضحنا ذلك فى المقدمة .

* وكانت عاقبة أبى لهب إلى التباب والخسران والهجران حتى من أولاده . يقال إنه مرض بالعدسة (لعلها مرض الجدرى) وبهامات . وكانت العرب تتشاءم بها وتخاف منها العدوى . فيقال إنه لما مات امتنع أولاده من أن يقربوه أو يواروه خوفاً من العدوى ، ثم اجتمع رأيهم بعد ثلاث على أن يرموه بالحجارة حتى وارته . فكان ذلك - والله أعلم سبب استمرار الحجارة على قبره إلى أن تقوم الساعة ، فهو مرجوم باللسان لعناً وبالحجارة دفناً . نعوذ بالله من سوء العاقبة . يرجع الكلام . واختلف هل دفن أم لا فقيل : دفع إلى حفرته بعود من بعيد ، وقيل : لم يدفن البتة ، وإنما رمى بالحجارة . ذكره ابن إسحق .

(٢) فى الأصل : ابنا . والعطف على خبر كان السابقة يقتضى النصب . ولذلك أخذنا هنا وفيما يلى من الأسماء بالنصب متابعين فى ذلك ابن سيد الناس الذى نقل هذا النص عن ابن عبد البر كما أسلفنا .

(٣) هكذا فى ابن سيد الناس ، وفى الأصل : والعاص ، و فى ر : ومعاوية بن المغيرة بن العاص .

(٤) فى ابن سيد الناس : عبد المطلب ، وفى ر : ابن المطلب بن أسد .

(٥) زيادة من ر وابن سيد الناس .

ومن بنى مخزوم : أبا جهل بن هشام ، وأخاه العاصىَ بن هشام ، وعمَّهما الوليد بن المغيرة ، وابنه أبا قيس بن الوليد بن المغيرة ، وابن عمه قيس بن الفاكه[١] بن المغيرة ، وزهير بن أبى أمية بن المغيرة أخا أم سلمة[٢] ، وأخاه عبد الله بن أبى أمية ، والأسود بن عبد الأسد أخا أبى سلمة ، وصَيْفىّ بن السائب .

ومن بنى سهم : العاص بن وائل ، وابنه عمرو بن العاص ، وابن عمه الحارث بن قيس بن عدى ، ومنبِّهًا ونُبَيْهًا ابنى الحجاج .

ومن بنى جُمح : أمية وأبيًّا ابنى خلف بن وهب بن حذافة بن جمح السَّهْمى ، وأنيس بن مِعْير[٣] أخا أبى محذورة ./والحارثَ بن الطُّلاطلة الخُزَاعىّ . ١١ و

وعدى بن الحمراء الثقفى[٤] .

فهؤلاء كانوا أشد على المؤمنين مثابرة بالأذى ، ومعهم سائر قريش ، فمنهم من يعذِّبون مَنْ لا منعة له ولا جوار من قومه ، ومنهم من يؤذون . ولقى المسلمون من كفار قريش وحلفائهم من العذاب والأذى والبلاء عظيما ، ورزقهم الله من الصبر على ذلك عظيمًا ليدَّخر لهم ذلك فى الآخرة ويرفع به درجاتهم فى الجنة . والإسلام فى كل ذلك يفشو ويظهر فى الرجال والنساء .

وأسلم الوليد بن الوليد بن المغيرة ، وسلمة بن هشام أخو أبى جهل ، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، وجماعة ، أراد الله هداهم .

وأسرف بنو جُمَح على بلال بالأذى والعذاب ، فاشتراه أبو بكر الصِّدِّيق منهم ، واشترى أمّه حمامة ، فأعتقها . وأعتق عامر بن فُهَيْرة ، وأعتق خمسًا[٥] من النساء :

---

(١) هكذا فى ابن سيد الناس . واضطرب الناسخ هنا ، وعاد فكتب الوجه الصحيح دون أن يضرب على ما قبله .

(٢) زوج الرسول صلى الله عليه وسلم

(٣) هكذا فى ابن سيد الناس ، وفى الأصل و ر : معبد .

(٤) كان أشد المذكورين عداوة للرسول وإيذاء أبا لهب وعقبة بن أبى معيط وأبا جهل وأمية بن خلف والنضر بن الحارث .

(٥) فى الأصل : خمسة وانظر فيمن أعتقهم أبو بكر ممن كانوا يعذبون فى الله المحبر لابن حبيب ص ١٨٣ .

أمّ[١] عُبيْس ، وزِنِّيرة[٢] ، والنهْدِية ، وابنتها[٣] ، وجارية لبنى عدى بن كعب كان عمر ابن الخطاب – رضى الله عنه – يعذِّبها على الإسلام قبل أن يسلم . ورُوِى أن أبا قحافة قال لابنه أبى بكر : يا بُنى أراك تعتق قوماً ضعفاء ، فلو أعتقت قومًا جُلَداءَ يمنعونك . فقال : يا أبت إنى أُريد ما أُريد ، فقيل إن فيه نزلت : (وسيجنَّبها الأَتْقى الذى يُؤتى مالَه يتزَكّى) [إلى آخر السورة][٤] .

حدّثنا عبد الله بن محمد ، قال : حدثنا محمد بن بكر ، قال : حدثنا أبو داود ، قال : حدثنا يحيى بن خلف ، قال : حدثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نُجَيْح ، عن مجاهد :

(أرأيت الذى يَنْهى عبدًا إذا صلَّى) قال : أبو جهل ينهى محمدًا ﷺ .

١١ ظ

(فليدْع / نادِيهُ) : أهل مجلسه . (سنَدْع الزَّبَانِيَةَ)[٥] قال : الملائكة .

حدثنا عبد الله بن محمد ، قال : حدثنا محمد بن بكر ، قال : حدثنا أبو داود ، قال : حدثنا عثمان بن أبى شيبة ، قال : حدثنا سليمان بن حيان ، عن داود بن أبى هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال[٦] :

صَلَّى النبى ﷺ ، فجاء أبو جهل ، فقال : ألم أنْهك عن هذا ؟ فانصرف إليه النبى ﷺ ، فزجره[٧] ، فقال : يهدِّدنى محمد وقد علم أن ما بها[٨] رجل أكثر ناديًا منى ، فأنزل الله عزَّ وجلَّ : (فليدع ناديهُ سنَدْعُ الزَّبانيةَ) .

قال ابن عباس : والله لو دعا ناديه لأخذته الملائكة والعذاب .

---

(١) هكذا فى المحبر وابن هشام ٣٤٠/١ وابن حزم ص ٥٥ ، وفى الأصل و ر : أم عثمان ، وهو تصحيف . وكانت لبنى تيم بن مرة .

(٢) هكذا فى ابن هشام والمحبر والروض الأنف ٢٠٣/١ وفى الأصل ور : ربيدة وهو تصحيف ، وأصلحت فى الهامش : زهرة . وهو أيضاً تصحيف وكانت جارية رومية لبنى عبد الدار . وكانوا يعذبونها عذاباً شديداً . والزنيرة : واحدة الزنابير . وهى الحصا الصغار .

(٣) كانتا جاريتين لامرأة من بنى عبد الدار

(٤) زيادة من ابن سيد الناس

(٥) الزبانية : جمع زِبْنِيَة بكسر الزاى وسكون الباء وكسر النون ، وهو الشرطى . واستعارة الزبانية لملائكة العذاب واضحة فى الدلالة على أصل معناها .

(٦) انظر هذا الحديث فى ابن سيد الناس ١٠٧/١

(٧) فى ابن سيد الناس : فزبره . ومعنى الكلمتين واحد

(٨) ما بها : ما بمكة

[المستهزئون]

قال أبو عمر ، رضى الله عنه :

وكان المستهزئون[١] الذين قال الله فيهم : (إنَّا كفيناك المستهزئين) عمَّه أَبا لَهب ، وعقبة بن أَبى مُعَيْط ، والحكم بن أبى العاصى ، والأسود بن المطلب بن أسد أَبا زَمْعَة ، والأَسود بن عبد يغوث ، والعاصى بن وائل ، والوليد بن المغيرة ، والحارث بن غَيْطلة السَّهْمى ويقال له ابن الغَيْطلة .

وكان جبريل مع رسول الله ﷺ فى بعض وقفاته معه ، فمرَّ بهما من المستهزئين الوليد بن المغيرة والأَسود بن المطلب ، والأَسود بن عبد يغوث ، والحارث بن غيطلة ، والعاصى بن وائل ، واحداً بعد واحد . فشكاهم رسول الله ، ﷺ ، إلى جبريل ، فأَشار إليهم جبريل عليه السلام ، وقال : كفيتكهم . فهلكوا بضروب من البلاء والعمى قبل الهجرة .

وفيما لقى بلال وعمار والمقداد وخبّاب وسعد بن أبى وقّاص وغيرهم ممن لم تكن له منعة من قومه من البلاء/والأَذى ما يجْمُلُ أن يُفرَد له كتاب ، ولكنا نقف فى كتابنا عند شرطنا ، وبالله توفيقنا . ١٢ و

فلما اشتد بالمسلمين البلاء والأَذى وخافوا أَن يُفْتَنُوا عن دينهم ، أَذن الله لهم فى الهجرة إلى أَرض الحبشة ، وقال لهم رسول الله ﷺ : سيروا إليها فإن بها ملكًا لاتُظْلَمُون عنده * .

---

(١) نقل ابن سيد الناس فى ١١٣/١ هذه الفقرة الخاصة بالمستهزئين عن ابن عبد البر

* وهو أصحمة ، وتفسيره بالعربية عطية ، وهو ابن أَبْحر . والنجاشىّ عامّ لكل من ملك الحبشة كفرعَوْن لمصر وتُبَّع لليمن وقيصر للشام وكسرى للعراق وبطليموس لليونان وانظر فى موت أصحمة صحيح البخارى ٥١/٥ .

باب
ذكر الهجرة إلى أرض الحبشة[1]

قال أبو عمر :

أخبرنا عبد الله بن محمد ، قال : حدثنا محمد بن بكر ، قال : حدثنا أبو داود ، قال : حدثنا محمد بن داود بن سفيان . وحدثنا خلف بن سعيد ، قال : حدثنا أحمد بن خالد ، قال : حدثنا إسحق بن إبراهيم ، قالا : حدثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الزُّهرى ، عن عُرْوة ، قال[2] :

فلما كثر المسلمون وظهر الإيمان أقبل كفَّار قريش على مَنْ آمن من قبائلهم يعذِّبونهم ويؤذونهم ليردّوهم عن دينهم . قال : فبلغنا أن رسول الله ﷺ قال لمن آمن به : تفرّقوا فى الأرض ، فإن الله تعالى سيجمعكم . قالوا : إلى أين نذهب ؟ قال : ههنا[3] ، وأشار بيده إلى أرض الحبشة . فهاجر إليها ناسٌ ذوو عَدَدٍ/ منهم مَنْ هاجر بأهله ، ومنهم مَنْ هاجر بنفسه ، حتى قدموا أرض الحبشة . ١٢ ظ

قال الفقيه أبو عمر رضى الله عنه :

فكان أولَ من خرج من المسلمين فارًّا بدينه إلى أرض الحبشة عثمان بن عفَّان ، معه امرأته رُقَيَّة * بنت رسول الله ﷺ . وقد قيل إن أول من هاجر إلى الحبشة أبو حاطب بن

(١) كانت الهجرة إلى أرض الحبشة مرتين . أما الأولى فكان عدد المهاجرين فيها اثنى عشر رجلاً وأربع نسوة ، وكان خروجهم فى شهر رجب سنة خمس من النبوة ، فأقاموا فيها شهرين ، وسمعوا أن الإسلام أخذ ينتشر فى مكة فعادوا ولقوا من المشركين أشد مما عهدوا . وأما الثانية فكانت بعد عودة هؤلاء المهاجرين بقليل لاشتداد الأذى من قريش . والمشهور أنه كان عدد المهاجرين فيها ثلاثة وثمانين رجلاً وثمانى عشرة امرأة . وانظر فى الهجرة إلى الحبشة ابن هشام ٣٤٤/١ وابن سعد ج ١ ق ١ ص ١٣٦ وصحيح البخارى ٤٩/٥ والطبرى ٣٢٩/٢ وأنساب الأشراف للبلاذرى ٨٩/١ وابن حزم ص ٥٥ وابن سيد الناس ١١٥/١ والنويرى ٢٣٢/١٦ ، ٢٤١ والسيرة الحلبية ٤٣١/١ ، ٤٥٠/١ .

(٢) انظر فى هذا الحديث ابن سيد الناس ١١٥/١

(٣) فى ابن سيد الناس : إلى ههنا .

* قلت : وهى التى غنى النساء لها عندما بنى بها عثمان :

أحسن شخصين رأى إنسانْ رقيـــةٌ وبَـعْلُهـــا عثمانْ =

عمرو بن عبد شمس بن عبد وَدّ أخو سُهيْل بن عمرو . وقيل : هو سليط بن عمرو .

وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة هاربا عن أبيه [بدينه[١]] ، ومعه امرأته سهلة بنت سهيل بن عمرو مُراغمةً لأبيها فارَّة عنه بدينها ، فولدت له بأرض الحبشة محمد بن أبى حذيفة صِنْو الزبير بن العوام . ومصعب بن عمير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبو سلمة بن عبد الأسد معه امرأته أم سلمة[٢] بنت أبى أمية .

١٣ و وعثمان بن مظعون ، وعامر بن ربيعة حليف/آل الخطاب ومعه امرأته ليلى بنت أبى حَثْمة بن غانم العدوية .

وأبو سَبْرة بن أبى رُهْم العامرى ، وامرأته أم كلثوم[٣] بنت سهيل بن عمرو ، وسُهيْل ابن بيضاء ، وهو سهيل بن وهب بن ربيعة الفِهْرِىّ .

ثم خرج بعدهم جعفر بن أبى طالب ، ومعه امرأته أسماء بنت عُميْس ، فولدت له هناك بنيه : محمدا وعبد الله وعَوْنا .

وعمرو بن سعيد بن العاص بن أمية ، ومعه امرأته فاطمة بنت صفوان بن أمية بن محرِّث بن شِقٍّ بن رقبة بن مخدج الكنانية ، وأخوه خالد بن سعيد بن العاص ، معه امرأته أمَيْنة بنت خلف بن أسعد بن عامر بن بياضة بن يُثَيْع[٤] الخزاعية ، فولدت له هناك ابنه سعيدا وابنته أم خالد واسمها آمنة بنت خالد .

وعبد الله بن جحش بن رِئاب الأسدى ، وأخوه عبيد[٥] الله بن جحش ، معه امرأته أم حبيبة[٦] بنت أبى سفيان ، فتنصَّر هناك ، ومات نصرانيًا مرتدًّا عن دينه .

= كانت أحسن أهل زمانها . ومع ذلك ففاطمة أفضل بناته عليه السلام قيل لأنها أصيبت فى الرسول فكان فى ميزانها . وبقية البنات أصيب بهن الرسول ، فكن فى ميزانه . وجاء فى هذا المعنى حديث ذكره السهيلى . وقيل لأنها ولدت الحسن سيد المسلمين . والأصح عندى أن فضلها بسبب أنها عمرت حتى بدت النعمة وأكمل الله الدين وقامت بوظائفه كلها حجًّا وغيره . إلا أن يصح توقيف فى سبب تفضيلها بغير ذلك ، فيتعين المصير إليه ، والله الموفق .

(١) زيادة من ر .

(٢) هى أم سلمة هند بنت أبى أمية بن المغيرة المخزومية أم المؤمنين .

(٣) قال ابن سيد الناس فى ١١٥/١ : لم يذكرها ابن إسحٰق .

(٤) وفى الأصل و ر . سبيع . وهو تصحيف

(٥) ذكر ابن عبد البر فى كتاب الاستيعاب ص ٣٥٢ ممن هاجر مع عبد الله بن جحش أخوه أبو أحمد ، وكان أعمى

(٦) وقد بانت منه حين تنصر فتزوجها النبى صلى الله عليه وسلم

وقيس بن عبد الله حليف لبنى أُمية بن عبد شمس ، معه امرأته بَركة بنت يسار مولاة أَبى سفيان بن حرب .

ومُعيْقيب بن أَبى فاطمة الدَّوْسىّ حليف لبنى العاص بن أُمية .

وعتبة بن غَزْوَان بن جابر المازنى ، من بنى مازن بن منصور أَخى سليم بن منصور ، حليف بنى نوفل بن عبد مناف .

ويزيد بن زَمْعة بن الأَسود بن عبد المطلب بن أسد ، وعمرو بن أُمية بن الحارث بن أسد ، والأَسود بن نوفل بن خُوَيْلد بن أسد . وطُلَيْب بن عمير/بن وهب بن أَبى كبير بن عبد قصى[1] وسُوَيْبِط بن سعد بن حَرْملة ، ويقال حريملة ، بن مالك العبدرى .

١٣ ظ

وجهم بن قيس بن عبد شُرَحْبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار العبْدرى ، معه امرأَته [أُم[2]] حرملة بنت عبد الأَسود بن جَذِيمة بن الأُقَيْش بن عامر بن بياضة بن يُثَيْع بن جِعْثمة[3] بن سعيد[4] بن مُلَيْح بن عمرو من خزاعة ، وابناه عمرو بن جهم وخُزَيْمة بنت جهم .

وأَبو الروم بن عمير أَخو مصعب بن عمير ، وفِراس[5] بن النَّضر بن الحارث[6] بن كَلَدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار ، وعامر بن أَبى وقّاص أَخو سعد بن أَبى وقاص .

والمطلب[7] بن أَزهر بن عبد عوْف ، معه امرأَته رملة بنت أَبى عوف بن صُبيْرة السهمية ، ولدت له هناك عبد الله بن المطلب .

وعبد الله بن مسعود الهُذَلى ، وأَخوه عتبة بن مسعود ، والمقداد بن عمرو بن ثعلبة البهرانى ، ويقال له المقداد بن الأَسود لأَن الأَسود بن عبد يغوث الزُّهْرى تبنَّاه وهو حليف له .

---

(١) فى جوامع السيرة ص ٥٨ : عبد بن قصى .

(٢) الزيادة من ابن سيد الناس وجوامع السيرة وابن هشام ٣٤٧/١ .

(٣) هكذا فى جوامع السيرة ، وفى الأصل و ر : خثعمة .

(٤) فى جوامع السيرة و ر : سعد .

(٥) هكذا فى ابن سيد الناس وجوامع السيرة والنويرى و ر ، وفى الأصل و ر : فريس .

(٦) هكذا : الحارث بن كلدة بن علقمة فى جوامع السيرة ، وفى الأصل و ر : الحارث بن علقمة بن كلدة .

(٧) ذكر ابن عبد البر فى الاستيعاب أنه هاجر إلى الحبشة مع أخيه طليب وتوفيا هناك .

والحارث بن خالد بن صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تَيْم بن مرة ، ومعه امرأته رَيْطة بنت الحارث بن جُبَيْلة بن عامر بن كعب بن سعد بن تَيْم بن مرة ، فولدت له هناك موسى وزينب وعائشة وفاطمة .

وعمرو بن عثمان بن عمرو التَّيْمى عم طلحة ، وشَمَّاس بن عثمان بن الشَّريد المخزومى واسمه عثمان بن عثمان ، وهَبَّار بن سفيان بن عبد الأَسد بن هلال المخزومى ، وأَخوه عبد الله / بن سفيان ، وهشام بن أَبى حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وعيَّاش بن أَبى ربيعة بن المغيرة المخزومى ، ومعتِّب بن عوف بن عامر الخزاعى ، يعرف بمعتب بن حمراء حليف بنى مخزوم ، والسائب بن عثمان بن مظعون ، وعماه قدامة وعبد الله ابنا مظعون .

١٤ و

وحاطب وحطَّاب ابنا الحارث بن معمر الجُمَحِىّ ، ومع حاطب زوجه فاطمة بنت المجلِّل العامرية ، ولدت له هناك محمدًا والحارث ابنى حاطب ، ومع حطاب زوجُه فُكَيْهة بنت يسار .

وسُفْيان بن مَعْمر بن حبيب الجمحى ، ومعه ابناه جابر وجُناده ابنا سفيان ، وأُمهما حسنة ، وأَخوهما لأُمهما شُرَحْبيل بن حسنة ، وهو شرحبيل بن عبد الله بن المطاع الكندى وقيل[1] إنه من بنى الغوث بن مر أَخى تميم بن مر .

وعثمان بن ربيعة بن أُهْبان بن وهب بن حذافة بن جُمَح ، وخُنَيْس بن حذافة بن قيس بن عدِىّ السَّهْمى ، وأَخواه قيس وعبد الله ابنا حذافة ، ورجل من تميم اسمه سعيد ابن عمرو كان أَخا بشر[2] بن الحارث بن قيس بن عدى لأُمه .

وهشام بن العاص بن وائل أَخو عمرو بن العاص ، وعمير بن رِئاب بن حذيفة السَّهْمى ، [وأَبو] قيس بن الحارث بن قيس بن عدى السهمى ، وإِخوته : الحارث بن الحارث ومعمر بن الحارث وسعيد بن الحارث ، والسائب بن الحارث ، وبشر بن الحارث ، ومحْمية بن جَزْء الزُّبيدى حليف بنى سهم .

ومعمر بن عبد الله بن نَضْلة[3] العدوى من بنى عدى بن كعب / وعروة بن عبد العُزَّى

١٤ ظ

---

(١) هو قول ابن هشام ١/٣٥٠ .

(٢) سيذكره ابن عبد البر توًا .

(٣) فى ابن سيد الناس : وقيل : معمر بن عبد الله بن نافع بن نضلة .

ابن حُرْثان العدوى وعدىّ بن نَضْلة بن عبد العُزّى العدوى ، وابنه النعمان : بن عدى ، ومالك بن ربيعة[١] بن قيس العامرى وامرأته عمرة بنت أسعد[٢] بن وَقْدان بن عبد شمس العامرية . وسعد بن خَوْلة من أهل اليمن حليف لبنى عامر بن لُؤىّ ، وعبد الله بن مخْرمة بن عبد العُزّى العامرى ، وعبد الله بن سهيل بن عمرو العامرى ، وعماه : سليط بن عمرو ، والسكران بن عمرو ، ومع السكران بن عمرو امرأته سودة[٣] بنت زَمْعة .

وأبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح الفِهْرى ، وعمرو بن أبى سَرْح بن ربيعة ابن هلال بن أُهَيْب بن ضَبَّة بن الحارث بن فهر ، وعياض بن زهير بن أبى شداد الفِهْرى ، وعثمان بن عبْد غَنْم بن زهير بن أبى شداد . وسعد بن عبد قيس بن لقيط ابن عامر الفِهْرى .

وقد جاء فى بعض الأثر ، وقاله بعض أهل السِّير ، أن أبا موسى الأشعرى كان فيمن هاجر إلى أرض الحبشة ، وليس كذلك ، ولكنه خرج فى طائفة من قومه[٤] مهاجرًا من بلده باليمن ، يريد المدينة ، فركبوا البحر ، فرمتهم الريح بالسفينة التى كانوا فيها إلى أرض الحبشة ، فأقام هنالك حتى قدم مع جعفر[٥] بن أبى طالب .

ولما نزل هؤلاء بأرض الحبشة أمنوا على دينهم وأقاموا بخير دار عند خير جار . وطالبتهم قريش عنده ، فكان ذلك سبب إسلامه على ما نورده بعد إن شاء الله .

١٥ و

وأقام بمكة من كان له من عشيرته منَعة . / فلما رأت قريش أن الإسلام يفشو وينتشر اجتمعوا فتعاقدوا ، على بنى هاشم وأدخلوا معهم بنى المطلب ، ألاّ يكلموهم ولا يجالسوهم ولا يناكحوهم ولا يبايعوهم . واجتمع على ذلك مَلَؤهم ، وكتبوا بذلك صحيفة ، وعلقوها فى الكعبة . فانحاز بنو هاشم وبنو المطلب كلهم كافرهم ومؤمنهم ، فصاروا فى شِعب أبى طالب محصورين مُبْعَدين مُجْتَنبين ، حاشا أبا لهب وولده فإنهم صاروا مع قريش على قومهم . فبقوا كذلك ثلاث سنين إلى أن جمع الله قلوب قوم من قريش على نقض ما كانت قريش تعاقدت فيه على بنى هاشم وبنى المطلب .

---

(١) فى جوامع السيرة : زمعة . (٢) فى جوامع السيرة : السعدى .

(٣) اقترن بها رسول الله بعد وفاة خديجة ووفاة زوجها السكران .

(٤) انظر فى ذلك ابن إسحق فى السيرة النبوية لابن هشام ٣٤٧/١ .

(٥) راجع صحيح البخارى ٥١/٥ .

باب
ذكر دخول بنى هاشم بن عبد مناف وبنى المطلب بن عبد مناف فى الشِّعْب[1] وما لَقُوا من سائر قريش فى ذلك[2]

أخبرنا عبد الله بن محمد ، قال : أخبرنا محمد بن بكر ، قال : حدثنا أبو داود ، قال : أخبرنا محمد بن سلمة المرادى ، قال : حدثنا ابن وهب ، قال : أخبرنى ابن لَهيعة عن محمد بن عبد الرحمن أبى الأسود . وأخبرنا عبد الوارث بن سفيان ، قال : أخبرنا قاسم بن أصْبغ ، قال : حدثنا مطرّف بن عبد الرحمن بن قيس ، قال : حدثنا يعقوب ابن حميد بن كاسب . وأخبرنا عبد الله بن محمد / قال : حدثنا محمد بن بكر ، قال : حدثنا أبو داود ، قال : حدثنا محمد بن إسحق المسيَّبى ، قالا : حدثنا محمد بن فُلَيْح ، عن موسى بن عقبة ، عن ابن شهاب . دخل حديث بعضهم فى بعض ، قال : ١٥ ظ

ثم إن كفار قريش أجمعوا أمرهم واتفق رأيهم على قتل رسول الله ﷺ ، وقالوا : قد أفسد أبناءنا ونساءنا . فقالوا لقومه : خذوا منّا دِيَته[3] مضاعفة ويقتله رجل من غير قريش ، وتُريحوننا وتريحون أنفسكم . فأبى قومه بنو هاشم من ذلك وظاهَرهم بنو المطلب ابن عبدمناف . فأجمع المشركون من قريش على منابذتهم وإخراجهم من مكة إلى الشِّعْب . فلما دخلوا الشعب أمر رسول الله ﷺ مَنْ كان بمكة من المؤمنين أن يخرجوا إلى

---

(١) الشعب : واحد شعاب مكة وهى الوهاد والطرقات بين الجبال حيث كانت تسكن بعض عشائر قريش .

(٢) انظر فى تعاقد قريش على بنى هاشم وبنى المطلب وكتابتهم صحيفه هذا العقد ابن هشام١/٣٧٥ وابن سعد ج١ق١ص١٣٩ والطبرى ٢/٣٣٥ ومابعدها وابن كثير ٣/٨٤ والنويرى ١٦/٢٥٨ والسيرة الحلبية ١/٤٤٩ وقد نقل ابن سيد الناس هذا الباب عن ابن عبد البر ، انظر عيون الأثر١/١٢٦ .

وكان هذا العقد والحصار لبنى هاشم وبنى المطلب فى ليلة هلال المحرم سنة سبع من البعثة وظلوا محاصرين إلى السنة العاشرة وقيل بل إلى السنة التاسعة

(٣) فى ابن سيد الناس : دية .

أَرض الحبشة ، وكان مَتْجَرًا لقريش ، وكان يُثْنَى على النجاشى بأَنه لا يُظْلَمُ عنده أَحد.

١٦ و فانطلق المسلمون إلى بلده . وانطلق إليها عامَّةُ مَن آمن بالله ورسوله/ ودخل بنو هاشم وبنو المطلب شِعْبَهم : مؤمنهم وكافرهم ، فالمؤمن ديناً ، والكافر حميَّةً * . فلما عرفت قريش أَن رسول الله ﷺ قد منعه قومه أَجمعوا على ألاَّ يبايعوهم ولا يُدْخلوا إليهم شيئًا من الرِّفْق (١) – وقطعوا عنهم الأَسواق ولم يتركوا طعامًا ولا إِدامًا ولا بيعًا إِلا بادروا إِليه واشتروه دونهم (٢) – ولا يناكحوهم ، ولا يقبلوا منهم صلحًا أَبدًا ، ولا تأخذهم بهم رأْفة ، حتى يسلموا رسول الله ﷺ للقتل . وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها فى الكعبة ، وتمادوا على العمل بما فيها من ذلك ثلاث سنين . فاشتد البلاءُ على بنى هاشم فى شِعْبِهم وعلى كل من معهم* * . فلما كان رأْس ثلاث سنين تلاوم قوم من بنى قُصَىّ ، ممن ولدتهم بنو هاشم وممن سواهم ، فأَجمعوا أَمرهم على نَقْض ما تعاهدوا عليه من الغَدْر والبراءة ، وبعث الله على صحيفتهم الأَرضة ، فأَكلت ولحست ما فى الصحيفة من ميثاق وعهد . وكان أَبو طالب فى طول مدتهم فى الشِّعب يأْمر رسول الله ﷺ فيأْتى فراشه كل ليلة حتى يراه من أَراد به شرًّا أَو غائلة . فإذا نام الناس أَمر أَحد/ بنيه أَو إخوته أَو بنى عمه ، فاضطجع على فراش

١٦ ظ رسول الله ﷺ ، وأَمر رسول الله أَن يأْتى بعض فُرشهم فيرقد عليها . فلم يزالوا فى الشعب على ذلك إلى تمام ثلاث سنين . فلما أَكملوها تلاوم رجال من قريش وحلفائهم وأَجمعوا أَمرهم على نقض ما كانوا تظاهروا عليه من القطيعة والبراءة . وبعث الله على صحيفتهم الأَرَضَةَ ، فلحست كل ما كان فيها من عهد لهم وميثاق ، ولم تترك فيها اسمًا لله عز وجل إِلا لحسته ، وبقى ما كان فيها من شرك أَو ظلم أَو قطيعة رحم . فأَطلع الله عَزَّ وجَلَّ رسوله

---

* قلت : هذه حجة الشافعى فى إلحاق بنى المطلب ببنى هاشم دون بنى عبد شمس وغيرهم وجاء فى حديث : أن بنى هاشم وبنى المطلب لم يفترقوا فى جاهلية ولا إسلام ومذهب مالك أن بنى المطلب كغيرهم . وأن الخصوصية فى تحريم الصدقات ونحو ذلك لبنى هاشم خاصة . والله أعلم.

(١) الرفق : ما استعين به

(٢) أرادوا بذلك قطع الميرة عنهم . ويقال إنهم كانوا لا يخرجون من شعبهم إلا من موسم إلى موسم.

* * قلت : حتى قال أحدهم ، وطئت ذات ليلة على شىء رطب . فرفعته إلى فى ، فابتلعته ، فما أدرى ما هو إلى الآن وقال آخر : قعدت للبول ليلة ، فسمعت تحتى قعقعة فالتمست ، فإذا هى جلدة يابسة ، فأخذتها ، فغسلتها ، واشتويتها ، فرضضتها (دققتها) ، ولقد أمسكت رمقى بها [انظر فى هذين الخبرين السهيلى ١/ ٢٣٢] .

على ذلك . فذكر ذلك رسول الله ﷺ لأبي طالب ، فقال أبو طالب : لا والثواقب[١] ما كذبتني ، فانطلق فى عصابة من بنى عبد المطلب حتى أتوا المسجد ، وهم خائفون ، لقريش . فلما رأتهم قريش فى جماعة أنكروا ذلك ، وظنوا أنهم خرجوا من شدة البلاء ليُسْلموا رسول الله ﷺ برُمَّته[٢] إلى قريش . فتكلم أبو طالب ، فقال : قد جرت أمور بيننا وبينكم لم[٣] نذكرها لكم ، فأْتوا بصحيفتكم التى فيها مواثيقكم ، فلعله أن يكون بيننا وبينكم صُلْح . وإنما قال ذلك أبو طالب خشية أن ينظروا فى الصحيفة قبل أن يأْتوا بها . فأَتوا بصحيفتهم متعجبين لا يشكُّون أن رسول الله ﷺ يُدْفَعُ إليهم . فوضعوها[٤] بينهم ، وقالوا لأَبى طالب : قد آن لكم أن ترجعوا عما أخذتم[٥] علينا وعلى أنفسكم

١٧ و فقال أَبو طالب : إنما أَتيتكم فى أمر هو نَصَفٌ بيننا وبينكم ، إن ابن أخى أَخبرنى ، ولم يكذبنى ، أن هذه الصحيفة التى بين[٦] أيديكم قد بعث الله عليها دابة ، فلم تترك فيها اسمًا له إلا لحسته ، وتركتْ فيها غَدْرَكم وتظاهركم علينا بالظلم ، فإن كان الحديث كما يقول فأَفيقوا ، فلا والله لا نُسْلمه حتى نموت من عند آخرنا ، وإن كان الذى يقول باطلاً دفعنا إليكم صاحبنا فقتلتم أو استَحْيَيْتُمْ . فقالوا قد رضينا بالذى تقول . ففتحوا الصحيفة ، فوجدوا الصادق المصدوق ﷺ قد أخبر بخبرها قبل أن تُفْتَحَ . فلما رأت قريش صِدْقَ ما جاءَ به أبو طالب عن النبى ﷺ قالوا : هذا سحر ابن أَخيك . وزادهم ذلك بَغْيًا وعدوانًا .

وأَما ابن هشام فقال[٧] : قد ذكر بعض أَهل العلم أَن رسول الله ﷺ قال لأَبى طالب : يا عَمّ إن ربى قد سلَّط الأَرضة على صحيفة قريش ، فلم تَدعْ فيها اسمًا لله

---

(١) الثواقب . النجوم . وفى القرآن الكريم (والنجم الثاقب) .

(٢) هكذا فى الأصل و ر وابن سيد الناس ، والرمة : قطعة الحبل ويراد بها هنا العهد . وربما كانت محرفة عن : بذمته أى عهده .

(٣) لم تأت « لم » عند ابن سيد الناس .

(٤) هكذا فى ر وابن سيد الناس . وفى الأصل : فوضعوها إليهم بينهم .

(٥) هكذا فى ر و هامش الأصل : أخذتم تصحيحاً لكلمة : أحدثتم التى جاءت فى الأصل . وفى ابن سيد الناس أيضاً : أحدثتم .

(٦) فى ابن سيد الناس : فى أيديكم .

(٧) انظر ابن هشام ١/٣٧٥ .

إلا أَثبتته ، ونفت منها القطيعة والظلم والبهتان . قال : أَربُّك أَخبرك بهذا ؟ قال : نعم ، قال : فوالله ما يدخل عليك أَحد . ثم خرج إلى قريش ، فقال : يا معشر قريش إن ابن أَخى أخبرنى . وساق الخبر بمعنى ما ذكرنا* .

وقال ابن إسحٰق وموسى [بن عقبة](١) وغيرهما فى تمام ذلك الخبر(٢) :

وندم منهم قوم ، فقالوا : هذا بَغْىٌ منّا على إخواننا وظلم لهم . فكان أَول من مَشَى فى نَقْض الصحيفة هشام بن عمرو بن الحارث(٣) من بنى عامر بن لُؤَىّ ، وهو كان كاتب(٤) الصحيفة ، وأبو البَخْتَرِىّ العاص بن هشام(٥) بن الحارث بن أسد بن عبد العُزَّى ، والمطعم بن عدِى .

إلى ههنا تمّ(٦) خبر ابن لهيعة عن أَبى الأسود محمد بن عبد الرحمن المعروف بيتيم(٧) عروة ، وموسى بن عقبة عن ابن شهاب . وهو معنى ما ذكر ابن إسحٰق ، إلا أن ابن إسحٰق قال(٨) :

الذين مشوا فى نَقْض الصحيفة هشام(٩) بن عمرو بن الحارث بن حُبَيِّب بن نصر بن

* قلت : اتفق الطريقان على أن الله عز وجل غار لأسمائه الحسنى ، فلم يجمع بينها وبين القطيعة والظلم فى الصحيفة إما بأن محا أسماءه وترك ظلمهم ، وإما بأن محا ظلمهم وترك أسماءه . وهو من جنس قوله عليه السلام : فوالله لا تجتمع ابنة عدو الله وابنة رسول الله فى بيت رجل واحد أبدًا . وفيه ما يدل على أن الكتب المحرفة كالتوراة والإنجيل اللذين بأيدى أهل الكتاب لا يجوز امتهانها وإن اشتملت على الكفر لاشتمالها أيضاً على أسماء الله ، وإذا أردنا محوها غسلناها أو حرقناها

(١) زيادة من ابن سيد الناس .

(٢) يريد هذا الخبر الطويل الذى ساقه بأسانيده فى صدر هذا الباب .

(٣) فى ابن هشام ٢/١٤ : ابن ربيعة بن الحارث .

(٤) اختلف أهل السير فى كاتب الصحيفة ، فقيل منصور بن عكرمة ، وقيل طلحة بن أبى طلحة ، وقيل منصور بن عبد شرحبيل ، وقيل بغيض بن عامر بن هاشم بن عبد مناف ، واختاره ابن سعد ، وقيل هشام بن عمرو بن الحارث واختاره ابن عبد البر .

(٥) فى المحبر ص ١٦٢ : هاشم .

(٦) هكذا صححت الكلمة فى هامش الأصل ، وكانت فيه – كما فى ابن سيد الناس – انتهى .

(٧) هكذا الكلمة فى ر ، و صححت فى الهامش وكانت فى الأصل : ابن بنت عروة ، وفى ابن سيد الناس : عن أبى الأسود يتيم عروة .

(٨) انظر ابن هشام ٢/١٤ .

(٩) واضح من سياق هذا النص أن هشاماً هذا كان له بلاء حسن فى نقض الصحيفة ، وكان ابن أخى نضلة ابن هاشم بن عبد مناف لأمه ، وكان ذا شرف فى قريش . ويقال إنه كان أوصلهم لبنى هاشم حين حصروا فى =

مالك ابن حِسْل بن عامر بن لُؤَى لى زهير بن أَبى أُمية بن المغيرة المخزومى فعيَّرة بإسلامه أَخواله . وكانت أُم زهير عاتكة بنت عبد المطلب عمَّة رسول الله ﷺ . فأَجابه زهير إلى نقض الصحيفة . ثم مضى هشام إلى المطعم بن عدىّ بن نوفل فذكَّره أَرحام بنى هاشم وبنى المطلب/ابن عبد مناف . فأَجابه المطعم إلى نَقْضها . ثم مضى إلى أَبى البَخْتَرىّ بن هشام بن الحارث بن أَسد ، فذكَّره أَيضًا بذلك ، فأَجابه . ثم مضى إلى زَمْعة بن الأَسود بن المطلب ابن أَسد ، فذكَّره ذلك ، فأَجابه . فقام هؤلاءِ فى نَقْض الصحيفة .

١٨ و

أخبرنا عبد الوارث بن سفيان ، قال : حدثنا قاسم بن أصبغ ، قال : حدثنا محمد بن وضاح ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم بن دُحيْم ، قال : حدثنا الوليد بن مسلم ، قال : حدثنا الأَوزاعى ، قال : حدثنى الزُّهْرِىّ : أَن أَبا سلمة بن عبد الرحمن حدَّثه عن أَبى هريرة ، قال :

قال رسول الله ﷺ وهو بِمنًى : نحن نازلون عند خَيْف بنى كنانة حيث تقاسموا على الكفر . يعنى بذلك المحصَّب . قال : وذلك أَن قريشًا وكنانة تحالفتْ على بنى هاشم وبنى المطلب ألاّ يناكحوهم ولا يبايعوهم ، حتى يُسْلموا إليهم رسول الله ﷺ .

قال : أَبو عمر :

وأَراد أَبو بكر الصديق أَن يهاجر إلى أَرض الحبشة ، فلقيه ابن الدُّغُنَّة ، فردَّه[1] .

ذكر من انصرف من أَرض الحبشة إلى مكة[2]

ثم اتصل بمن كان فى أَرض الحبشة من المهاجرين أن قريشًا قد أسلمت ودخل أكثرها فى الإسلام/ خبرًا كاذبًا* . فانصرف منهم قوم من أرض الحبشة إلى مكة ، منهم عثمان بن

١٨ ظ

= الشعب ، إذ كان يأتى بالبعير ليلاً وقد أوقره طعامًا إلى فم الشعب المحاصرين فيه ، فيخلع من رأسه خطامه ويضربه على جنبه ، فيدخل الشعب عليهم ، وعبثاً حاولت قريش أن ترده عن صنيعه .

(١) انظر فى ذلك صحيح البخارى ٥/٥٨ .

(٢) فى ر : دكر انصراف من انصرف . و انظر فى هؤلاء العائدين من الحبشة إلى مكة ابن هشام ٢/٣ وابن سعد ج ١ ق ١ ص ١٣٧ وجوامع السير ص ٦٥ وابن سيد الناس ١/١١٩ والنويرى ١٦/٢٦٢ . وقد ظل من تركوهم فى الحبشة بها حتى سنة سبع للهجرة ، فقدموا على الرسول فى فتح خيبر .

* يريد لما نزل قوله تعالى : (والنجم إذا هوى) وقرأها الرسول عليه السلام وألقى الشيطان فى أسماع المشركين ما ألقى من الثناء على آلهتهم ، فلما سجد رسول الله ﷺ سجد المسلمون والمشركون بسجوده إلى أن أحق الله الحق وأبطل الباطل . فبتلك النادرة شاع الخبر بإسلام قريش قبل وقته .

عفان وزوجته رقية بنت رسول الله ﷺ ، وأبو حُذَيْفَةَ بن عُتْبة بن ربيعة ، وامرأته سهلة بنت سُهَيل ، وعبد الله بن جحش ، وعُتْبة بن غَزْوَان ، والزُّبيْر بن العوَّام ، ومصعب بن عُمَيْر ، وسُوَيْبِط بن سعد بن حَرْمَلَة ، وطُلَيْب بن عُمَير ، وعبد الرحمن بن عوف ، والمقداد بن عمرو ، وعبد الله بن مسعود ، وأبو سلمة بن عبد الأسد ، وامرأته أُم سلمة بنت أَبي أُمية ، وشَمَّاس بن عثمان وهو عثمان بن عثمان وشماس لقبه ، وسلمة بن هشام بن المغيرة ، وعَمَّار[١] بن ياسر ، وعثمان وقدامة وعبد الله بنو مَظْعُون ، والسائب بن عثمان بن مظعون ، وخُنَيْس بن حذافة ، وهشام بن العاص بن وائل ، وعامر بن ربيعة ، وامرأته ليلى بنت أبي حَثْمَة ، وعبد الله بن مخرمة بن عبد العُزَّى من بني عامر بن لُؤَيّ ، وعبد الله بن سهيل بن عمرو ، وأبو سَبْرة بن أبي رُهْم ، وامرأته أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو ، والسكران بن عمرو أخو سُهَيل بن عمرو رجع من أرض/الحبشة إلى مكة ومات بها قبل الهجرة فتزوج رسول الله ﷺ زوجه سودة بنت زَمْعة ، وسعد بن خَوْلة ، وأبو عبيدة بن الجَرَّاح ، وعمرو بن الحارث بن زهير بن شداد[٢] ، وسُهَيْل بن وَهْب الفِهْرِي وهو سهيل بن بيضاء ، وعمرو بن أبي سَرْح .

١٩ و

فوجدوا البلاء والأذى على المسلمين كالذى كان وأشد ، فبقوا صابرين على الظلم والأذى ، حتى أذن الله لهم بالهجرة إلى المدينة ، فهاجروا إليها[٣] ، حاشا سلمة بن هشام ، وعياش[٤] بن أبي ربيعة ، والوليد بن الوليد [بن المغيرة][٥] وعبد الله بن مخرمة ، فإنهم حُبِسوا بمكة ، ثم هاجروا بعد بَدْر وأُحد والخندق إلا عبد الله بن مَخْرمة فإنه هرب من الكفار يوم بدر إلى رسول الله ﷺ .

وبعد نَقْض الصحيفة ماتت خديجة[٦] رضي الله عنها ومات أبو طالب ، فأقدم سفهاءُ

---

(١) لم يذكره ابن عبد البر فيمن هاجر إلى الحبشة ، وفى هجرته إليها خلاف ، وقد شك فيه ابن هشام ٦/٢ .

(٢) فى ابن هشام : أبي شداد .

(٣) فى ابن سيد الناس ١١٩/١ أنه توفى من هؤلاء العائدين -- وكانوا ثلاثة وثلاثين - بمكة قبل الهجرة رجلان ، وحبس سبعة نفر ، أما الباقون وهم أربعة وعشرون فقد شهدوا بدرًا .

(٤) سها ابن عبد البر عن ذكره وذكر تاليه فيمن سماهم آنفاً من العائدين .

(٥) زيادة من جوامع السيرة .

(٦) راجع فى خبر موت خديجة وأبي طالب ابن هشام ٥٧/٢ وابن سعد ج ١ ق ١ ص ١٤١ والروض الأنف ٢٥٨/١ وابن كثير ١٢٢/٣ والنويرى ٢٧٧/١٦ وابن سيد الناس ١٢٩/١ والسيرة الحلبية ٤٦١/١ . وقد توفيت =

قريش على رسول الله ﷺ بالأذى ، فخرج إلى الطائف يدعو إلى الإسلام ، فلم يجيبوه ، فانصرف إلى مكة فى جوار المُطْعِم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف .

قال ابن شهاب بالإسناد المتقدم ، عن موسى بن عقبة :

فلما أفسد الله صحيفة مكرهم خرج النبى ﷺ ورهطه ، فعاشروا[1] وخالطوا الناس .

ذكر إسلام الجنّ[2]

/ وأقبل وفد الجن يستمعون القرآن ثم ولّوا إلى قومهم منذرين . ثم أتته الجماعة منهم فآمنوا به وصدّقوه . ١٩ ظ

قال : حدثنا أبو محمد عبد الله بن محمد ، قال : حدثنا أبو بكر محمد بن بكر ، قال : حدثنا أبو داود ، قال : حدثنا أحمد بن صالح ، قال : حدثنا عنبسة ، قال : حدثنا يونس ، عن ابن شهاب ، قال : أخبرنى أبو عثمان بن سنة الخزاعى ، وكان من أهل الشام أن ابن مسعود قال :

قال رسول الله ﷺ لأصحابه ، وهو بمكة : مَنْ أحبَّ منكم أن يحضر الليلةَ أمْرَ الجن فليفعلْ ، فلم يحضر ، أحد غيرى ، فانطلقنا حتى إذا كنا بأعلى مكة خَطَّ لى برجله خَطًّا ، ثم أمرنى أن أجلس فيه ، ثم انطلق حتى قام ، فافتتح القرآن ، فغشيته أسْوِدَةٌ[3] كثيرة حالت بينى وبينه ، حتى ما أسمع صوته . ثم طفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين حتى بقى منهم رهط . وفرغ النبى ﷺ منهم مع الفجر . فانطلق ، فتبرَّز ثم أتانى ، فقال : ما فعل الرَّهْطُ ؟ قلت : هم أولئك يا رسول الله . فأخذ عظْمًا ورَوْثًا فأعطاهم إياه . ثم نَهَى أن يستطيب أحد بعظم أَوْ رَوْثٍ .

قال أبو داود : حدثنا محمد بن عبد الملك ، قال : حدثنا يزيد ، قال : أخبرنا

= السيدة خديجة قبل الهجرة بثلاث سنوات ، وتوفى أبو طالب بعدها بخمس وثلاثين ليلة . وقيل بل توفيت بعده بثلاثة أيام ، وأن وفاته كانت بعد نقض الصحيفة بثمانية أشهر وواحد وعشرين يوماً .

(١) فى الأصل فعاشوا .

(٢) انظر فى إسلام الجن ابن هشام ٦٣/٢ وصحيح البخارى ٤٦/٥ وابن سيد الناس ١٣٦/١

(٣) أسودة : شخوص غير واضحة . جمع سواد

شريك ، عن أَبى فرادة ، عن أَبى زيد ، قال : أَنبأَنا عبد الله بن مسعود ، قال[1] :

قام رسول الله ﷺ ، فقال : إنى أُمِرْتُ أن أقرأَ على إخوانكم من الجن ، فليقم معى رجل ليس فى قلبه مثقال حبَّة خَرْدَلٍ من غِشّ ، قال : فقمت ومعى إداوة ، وفيها/ نبيذ قال : فمضى رسول الله ﷺ ومضيت ، حتى انتهينا إلى حيث أَمره الله ، فخطَّ علىَّ خطَّة ، ثم قال : إن خرجت منها لم ترنى ولم أَرك . قال : ومضى حتّى توارى عنى . فلما طلع الفجر جاءَ فوجدنى قائماً ، فقال : ما شأنك قائماً؟ قلت : خشيت أَن لاترانى ولاأَراك أبدًا. قال : ما ضَرَّك لو قعدت. وقال : ما هذا معك؟ قلت : نبيذ. قال : هات ، ثمرة طيبة وماء طهور ، فتوضأ ثم قام يصلِّى ، وقمت معه وخلفه رجلان من الجنّ . فلما قضى الصلاة أَقبلا عليه يسأَلانه . فقال : ما شأنكما ؟ أَلم أَقض لكما ولقومكما حوائجكم[2] ؟ قالا : يا رسول الله أَردنا أَن يشهد معك الصلاة بعضنا ، فقال : فمن أنتما ؟ قالا : من أَهل نَصيبين ، قال : أَفلح هذان وأَفلح قومهما . ثم سأَلا المباح ، فقال : العَظْم مباحٌ لكم ، والرَّوْثُ علفٌ لدوابِّكم . قال عبد الله بن مسعود : وإنهما ليجدانهما أَعظم ما كان وأَطراه .

٢٠ و

قال أَبو عمر رضى الله عنه :

هذا الخبر عن ابن مسعود متواتر من طرق شتّى حسان كلها إلا حديث أَبى زيد عن ابن مسعود الذى فيه ذكر الوضوء بالنبيذ ، فإن أَبا زيد مجهول لا يُعْرَفُ فى أَصحاب ابن مسعود[3] ويكفى من ذكر الجنّ ما فى سورة الرحمن وسورة (قل أُحى إلىّ أَنه استمع نَفَرٌ من الجن) وما جاء فى الأَحقاف : قوله (وإذ صرفنا إليك نفرًا من الجن يستمعون القرآن — الآيات) . وفى خبر علقمة عن ابن مسعود أَنه قال : وددت أَن أكون معه/ ليلة

٢٠ ظ

---

(١) روى ابن سيد الناس هذا الحديث بلفظ مقارب ، انظر ١/١٣٧ وراجع فيه سنن أبى داود (طبعة لكهنو سنة ١٣٠٥) ١/١٢

(٢) هكذا فى ر ، وفى الأصل : بحكم

(٣) روى الزمخشرى الحديث الأول عن ابن مسعود وذكر عن سعيد بن جبير أنه قال : ما قرأ رسول الله ﷺ على الجن ولا رآهم ، وإنما كان يتلو فى صلاته ، فمروا به ، فوقفوا مستمعين وهو لا يشعر ، فأنبأه الله باستماعهم . انظر تفسير الزمخشرى فى سورة الأحقاف (طبعة المطبعة الكبرى الأميرية سنة ١٣١٩ هـ) ٣/١٠٢ ويؤيده — كما لاحظ ابن عبد البر — ظاهر آية (قل أوحى إلىّ أنه استمع نفر من الجن) وآيات الأحقاف ، أما ما يشير إليه من سورة الرحمن فهو ما جاء فيها مما يدل على أن الجن مكلفون وأنهم يُثابون على أعمالهم ، وسيعرض لذلك المعلق على الكتاب عما قليل .

الجنِّ(١) . و [فى] قول علقمة : وددت أن صاحبنا معه ليلتئذ ما يدفع الأخبار الواردة بذلك ، لأن المعنى أنه لم يكن معه ، وما زال عن الخَطِّ الذى خطَّ له .

أخبرنا عبد الله بن محمد ، قال : أخبرنا محمد ، قال : أخبرنا سليمان ، قال : أخبرنا محمد ، قال : أخبرنا محمد بن المثنى ، قال : أنبأنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبى ظبيان عن أبى عبيدة بن عبد الله بن مسعود ، قال(٢) :

لما كانت ليلة الجن أتت النبى ﷺ سَمُرة(٣) ، فآذنته بهم ، فخرج إليهم .

حدثنا عبد الله ، قال : أنبأنا محمد ، قال : أنبأنا أبو داود ، قال : حدثنا هرون بن معروف ، قال : أنبأنا سفيان ، عن مسعر ، عن عمرو بن مرة ، عن أبى عبيدة أن مسروقاً قال له : أبوك أخبرنا : أن شجرة أنذرت النبى عليه السلام بالجن .

قال أبو داود : وحدثنا حجاج بن أبى يعقوب ، قال : أنبأنا أبو أسامة ، قال : أنبأنا مسعر ، عن معْن ، قال : سمعت أبى قال : سألت مسروقًا من آذن النبى ﷺ بالجن ليلة استمعوا القرآن ؟ قال : حدثنى أبوك يعنى عبد الله بن مسعود . أنه آذنته بهم سَمُرَة * .

---

(١) نص هذا الحديث فى صحيح مسلم : عن علقمة عن عبد الله بن مسعود قال : لم أكن ليلة الجن مع رسول الله ﷺ ووددت أنى كنت معه . وقبله حديث أكثر طولا وفيه قال علقمة : أنا سألت ابن مسعود فقلت هل شهد أحد منكم مع رسول الله ﷺ ليلة الجن قال : لا . وعلق النووى على ذلك بقوله : هذا صريح فى إبطال الحديث المروى فى سنن أبى داود وغيره المذكور فيه الوضوء بالنبيذ وحضور ابن مسعود معه ﷺ ليلة الجن فإن هذا الحديث صحيح وحديث النبيذ ضعيف باتفاق المحدثين ، ومداره على أبى زيد مولى عمرو بن حريث وهو مجهول . انظر النووى على صحيح مسلم ٦٦٨/٤

(٢) انظر فى هذا الحديث وتاليه ابن سيد الناس ١٣٧/١ .

(٣) السمرة : شجرة الطلح .

* قلت : لا خلاف فى أن الله كلف الجن على لسان رسول الله ﷺ تكاليف وشرع لهم شرائع . وإنما اختلف العلماء فى ثوابهم الموعود على طاعة المعبود ، فقيل ثوابهم السلامة ، وقيل : والكرامة بالجنة . وينقل الأول عن مالك رحمه الله تعالى ، واستشهد عليه بقوله تعالى [على لسانهم] : (يغفر لكم من ذنوبكم ويجرْكم من عذاب أليم) . فلم يتعلق أملهم إلا بالسلامة خاصة . واستشهد صاحب المذهب الآخر بقوله تعالى : (لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان) فهذا يدل على أن الجن يتوقع لهم الفوز بالحور كما يتوقع للإنس . والمذهب الأول أظهر ، ودلك أن الجان مخلوق من نار ، ولا مدخل للنار فى الجنة والله أعلم .

[ذكر خروج الرسول إلى الطائف وعوده إلى مكة][1]

قال الفقيه أبو عمر رضى الله عنه ، قال ابن إسحق :

وكان رسول الله ﷺ يعرض نفسه فى تلك السنين على القبائل ليمنعوه ، حتى يبلِّغ رسالات ربه ، ولم يقبله أحد منهم ، وكلهم كان يقول له : قومه أعلم به ، وكيف يصلحنا من أفسد قومه ؟ . وكان ذلك مما ذخره الله عزَّ وجلَّ للأنصار وأكرمهم به . فلما مات أبو طالب اشتد البلاءُ على رسول الله ﷺ ، فعَمَد لثقيف رجاءَ أن يُؤْوُوه ، فوجد ثلاثة نَفَرٍ ، هم سادة ثقيف ، وهم إخوة : عبد[2] ياليل بن عمرو ، وحبيب بن عمرو ، ومسعود بن عمرو . فعرض عليهم نفسه ، وأعلمهم بما لقى من قومه ، فقال أحدهم : أنا أسرق[3] ثياب الكعبة إن كان الله بعثك بشىء قط ، وقال الآخر : أعَجَز الله أن يرسل غيرك ؟ وقال الثالث : لا أكلمك بعد مجلسك هذا ، لئن كنت رسول الله لأنت أعظم حقًّا من أن أكلمك ، ولئن كنت تكذب على الله لأنت شر من أن أكلمك/ وهَزِئوا به . وأفْشوا فى قومهم ما راجعوه به ، وأقعدوا له صفَّين[4] ، فلما مرَّ رسول الله ﷺ بينهما[5] جعلوا لا يرفع رِجْلا ولا يضع رجلا إلا رضخوها[6] بحجارة ، قد كانوا أعدُّوها ، حتى أدْمَوْا رجليه ﷺ . فخلص منهم وعمد إلى حائط[7] من حوائطهم ، فاستظل فى ظل نخلة[8] منه ، وهو مكروب تسيل قدماه بالدماء ، وإذا فى

٢١ ظ

---

(١) انظر فى خروج الرسول إلى الطائف ابن هشام ٦٠/٢ وابن سعد ج ١ ق ١ ص ١٤١ والطبرى ٣٤٤/٢ وابن كثير ١٣٥/٣ والنويرى ٢٧٩/١٦ وابن حزم ص ٦٧ وابن سيد الناس ١٣٤/١ والسيرة الحلبية ٤٧١/١ وكان هذا الخروج فى ليال بقين من شوال سنة عشر من النبوة .

(٢) ياليل : صنم أضيف إليه مثل عبد يغوث وعبد مناة . وكانت عند أحد هؤلاء الإخوة امرأة من قريش من بنى جمح . ولعله لذلك اختار الرسول ﷺ لقاءهم والحديث إليهم ودعوتهم إلى الاسلام .

(٣) عبارة ابن هشام نقلا عن ابن اسحق : هو يمرط ثياب الكعبة أى ينزعها ويرمى .ه .

(٤) عبارة ابن سيد الناس نقلا عن موسى بن عقبة واقعدوا له صفين فى طريقه

(٥) فى ابن سيد الناس : بين صفيهم .

(٦) رضخوها : دقوها ورموها

(٧) الحائط : البستان عليه جدار

(٨) فى ابن هشام وابن سيد الناس حبلة بفتح الباء . وهى شجرة العنب .

الحائط عتبة[١] بن ربيعة وشيبة بن ربيعة . فلما رآهما كره مكانهما لما يعلم من عداوتهما لله ولرسوله . فلما رأياه أرسلا إليه غلاماً لهما يقال له عَدَّاس ، وهو نَصْرَانى من أهل نينوى ، معه عِنَب . فلما أتاه عَدَّاس قال له رسول الله ﷺ : من أىِّ أَرض أنت يا عَدَّاس ؟ قال : من أهل نينوى[٢] . فقال النبى عليه السلام : مدينة الرجل الصالح يونس بن متى . فقال له عدَّاس : ما يُدْريك مَنْ يونس بن متَّى . وكان رسول الله ﷺ لا يَحقِر أحدًا أن يبلغه رسالة ربه . فقال : أنا رسول الله . فلما أخبره بما أوحى الله إليه من شأن يونس خَرَّ عدَّاس ساجدًا لرسول الله ﷺ وجعل يقبِّل قدميه ، وهما يسيلان دماً . فلما أبصر عتبة وشيبة ما يصنع غلامهما سكتا . فلما أَتاهما قالا : ما شأنك ؟ ! سجدتَ لمحمد وقبَّلت قدميه ! قال : هذا رجل صالح ، أخبرنى بشيء عرفته من شأن رسول بعثه الله عَزَّ وَجَلَّ يُدْعَى يونس بن متى . فضحكا به ، وقالا له : إياك أن يفتنك/عن نَصْرانيتك فإنه رجل خَدَّاع . فرجع رسول الله ﷺ إلى مكة . ٢٢ و

حدثنا عبد الله بن محمد ، قال : أنبأنا محمد بن بكر ، قال : أنبأنا أبو داود ، قال : أنبأنا أحمد بن صالح وابن السَّرْح ، قالا : حدثنا ابن وهب ، قال : أخبرنى يونس بن يزيد ، عن ابن شهاب ، قال : حدثنى عروة أن عائشة حدثته[٣] :

أَنها قالت لرسول الله ﷺ : هل أَتى عليك يوم أَشد من يوم أُحد ؟ قال : لقيت من قومى[٤] ما كان أَشد . قال : وكان أَشد ما لقيت منهم يوم ثقيف[٥] ، إذ عرضت [نفسى][٦] على عبد[٧] يا لِيلَ بن بن عبد كُلال ، فلم يجبنى إلى ما أَردت . فانطلقت [على وجهى][٨] وأَنا مغموم[٩] ، فلم أستفق إلا وأَنا بِقَرْن[١٠] الثعالب .

---

(١) مر بـ أنهما كانا من أعداء الرسول ﷺ فى مكة

(٢) نينوى : من مدن الموصل

(٣) انظر الحديث فى صحيح مسلم بشرح النووى فى ١٥٤/١٢ وفى ابن سيد الناس ١٣٥/١ .

(٤) فى مسلم وابن سيد الناس : من قومك .

(٥) فى مسلم وابن سيد الناس : يوم العقبة

(٦) زيادة من مسلم وابن سيد الناس

(٧) فى مسلم وابن سيد الناس : ابن عبد ياليل .

(٨) زيادة من مسلم وابن سيد الناس

(٩) فى مسلم وابن سيد الناس : مهموم .

(١٠) قرن الثعالب : موضع تلقاء مكة ، على مرحلتين منها .

فرفعت رأسى ، فإذا أنا بسحابةٍ قد أَظَلَّتْنى ، فنظرت ، فإذا فيها جبريل فنادانى ، فقال : إن الله قد سمع قول قومك لك [وما رَدُّوا عليك][1] وقد بعث إليك ملك الجبال [لتأْمره بما شئت فيهم ، فنادانى ملك الجبال][2] فسلَّم علىّ وقال : يا محمد[3] : أَنا ملك الجبال وقد بعثنى ربى إليك لتأمرنى بما شئت ، فإن شئت أَن أُطبق عليهم الأَخْشبين . فقال له رسول الله ﷺ : بل أَرجو أَن يخرج الله من أَصلابهم من يعبد الله [وحده][4] ولا يشرك به شيئاً * .

[إسلام الطُّفَيْل بن عمرو الدَّوْسِىّ][5]

قال الفقيه الحافظ أَبو عمر رضى الله عنه :

وبعد رجوع رسول الله ﷺ من دعاء ثقيف قدم عليه الطفيل بن عمرو الدَّوْسى ، فدعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام ، وأمره بدعاء قومه ، فقال : يا رسول الله : اجْعَلْ لى آية تكون لى عَوْناً . فدَعا له رسول الله ﷺ ، فجعل الله فى وجهه نورًا ، فقال : يا رسول الله إنى أَخاف أَن يجعلوها مُثْلَة ، فدعا له رسول الله ﷺ ، فصار النور فى سَوْطه ، فهو

---

(١) زيادة من مسلم وابن سيد الناس

(٢) زيادة من مسلم وابن سيد الناس .

(٣) فى مسلم : وقال يامحمد إن الله قد سمع قول قومك وأنا ملك الجبال .

(٤) زيادة من مسلم .

* قلت الأخشبان ههنا جبلا مكة ، والعرب تسمى الجبل المتوعر باسم أخشب وبهذا الصبر على الأذى والكف عن الدعاء فصل محمد ﷺ على نوح [ﷺ] عليه وسلم فإنه دعا على قومه ، ومحمد دعا لقومه . فناسب إشفاقه عليهم فى الدنيا أن يشفع لهم فى الآخرة ويقول نوح يومئذ : نفسى نفسى ، إنى دعوت دعوة على قومى .

(٥) انظر إسلام الطفيل وآيته فى ابن هشام ٢١/٢ وابن سعد ج ٤ ق ١ ص ١٧٥ وصحيح البخارى ١٧٤/٥ وابن حزم ص ٦٧ وابن كثير ١٣٥/٣ وابن سيد الناس ١٣٩/١ وقد لخص كلام ابن سعد . وكان الطفيل شريفاً فى قومه شاعرًا نبيلا كثير الضيافة ، فقدم مكة ، فحاولت قريش منعه من لقاء الرسول ﷺ ، ولكنه لم يستمع إليها . ولقى الرسول فعرض عليه الإسلام وتلا عليه القرآن ، فقال : لا والله ما سمعت قولا قط أحسن من هذا ولا أمرًا أعدل منه ، وأسلم ودخل فى دين الله . وعاد إلى قومه ومعه الآية التى صورها ابن عبد البر ، فدعاهم إلى الإسلام ، فتبعه بعضهم . ومازال بينهم حتى هاجر بعد غزوة الخندق فى أثناء فتح الرسول ﷺ لخيبر . فقدم عليه بها فيما بين السبعين والثمانين بيتًا من قومه . وقد أبلى فى حروب الردة بلاءً حسناً ، وقتل باليمامة شهيداً .

معروف بذى النور * . ووصل إلى قومه بتلك الآية ، فأسلم أكثرهم . وأقام الطفيل فى بلاده إلى عام الخندق ثم قدم فى سبعين أو ثمانين رجلا من قومه مسلمين . وقد ذكرنا خبره بتمامه فى بابه من كتاب الصحابة .

حديث الإسراء [والمعراج] مختصرًا (١)

ثم أُسْرِى (٢) برسول الله ﷺ ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى . ثم منه إلى السماء ، فرأى الأنبياء فى السمٰوات على ما فى الحديث بذلك . وفرض الله تعالى عليه الصلوات الخمس (٣) .

ثم انصرف فى ليلته تلك إلى مكة ، فاخبر بذلك ، فصدَّقه أَبو بكر وكل من آمن به ، وكذَّبه الكفار ، واستوصفوه مسجد بيت المقدس ، فمثَّله الله له ، فجعل ينظر إليه ويصفه .

---

* قلت : هذا مما زاد النبى ﷺ من الفضائل على موسى ، لأن احدى آيات موسى اليد البيضاء . وكان نورها يعشى البصر ، وقد أكرم الله نبيه بأن جعل مثل ذلك لرجل من أمته ، وإنما سأل الطفيل أن ينقل ذلك النور إلى سوطه ، لأن العرب كانوا جدلين خصمين ، لهم من البيان والصنعة فى التخييل ما يقتضى أن يقلبوا الحق باطلا والحسن قبيحاً ما وجدوا إلى ذلك سبيلا ، ولهذا قال : إنى أخاف أن يجعلوها مُثْلة . فكان النور إلى سوطه آية أخرى ، والله الموفق .

(١) انظر فى الإسراء والمعراج ابن هشام ٣٦/٢ وابن سعد ج ١ ق ١ ص ١٤٢ وما بعدها وصحيح البخارى ٥٢/٥ وانظر ٧٤/١ وابن كثير ١٠٨/٣ وأنساب الأشراف ١١٩/١ والنويرى ٢٨٣/١٦ وابن حزم ص ٦٨ وابن سيد الناس ١٤٠/١ وما بعدها وصحيح مسلم (طبعة الحلبى) ١٤٥/١ والسيرة الحلبية ٤٧٨/١ .

(٢) اختلف العلماء فى الإسراء والمعراج هل كانا فى اليقظة أو فى المنام ، فذهب فريق إلى أنهما كانا بالروح ورؤيا منام ، وذهب فريق إلى أنهما كانا بالجسد ، وفى اليقظة ، انظر فى ذلك السهيلى ٢٤٣/١ . واختلفوا أيضاً هل كان الإسراء والمعراج معاً فى ليلة واحدة أو لا ؟ وواضح أن ابن عبد البر يأخذ بالرأى القائل أنهما كانا فى ليلة واحدة . والمشهور أن الإسراء برسول الله ﷺ كان ليلة السبت لسبع عشرة خلت من شهر رمضان قبل الهجرة بثمانية عشر شهرًا ، وقد أتت عليه إحدى وخمسون سنة . وقيل كان ليلة سبع عشرة من شهر ربيع الأول قبل الهجرة بنحو سنة . وقيل : بل كان بعد المبعث بخمس سنين .

(٣) مر بنا أن الصلاة فرضت فى أول البعثة المحمدية وأنها كانت ركعتين ركعتين كل صلاة ، وقيل أنها كانت ركعتين فى الغداة وركعتين فى العشى . والاتفاق على أن فرض الصلوات الخمس بصورتها المعروفة إنما كان فى ليلة الإسراء . انظر ابن هشام ٢٦٠/١ وصحيح البخارى ٧٤/١ والسهيلى ١٦٢/١ وابن سيد الناس ٩٠/١ ، ١٤٨ والنويرى ١٧٨/١ .

[عَرْض الرسول الإسلام على قبائل العرب][1]

وفى ذلك[2] كله رسول الله لا يزال يدعو إلى دين الله ، ويأمر به كل من لقيه ورآه من العرب[3] إلى أن قدم سُوَيْد بن الصامت أخو بنى عمرو بن عوف من الأوس ، فدعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام ، فلم يبعد ولم يجب ، ثم انصرف إلى يثرب ، فقُتل فى بعض حروبهم[4] . وقدم مكة أبو الحَيْسر أنس بن رافع فى فتية من قومه من بنى عبد الأشهل يطلبون الحلف[5] ، فدعاهم رسول الله ﷺ إلى الإسلام ، فقال رجل منهم اسمه[6] إياس بن معاذ ، وكان شابًا : يا قوم هذا والله خير مما قدمنا له . فضربه أبو الحيسر ، وانتهره ، فسكت . ثم لم يتم لهم الحلف ، فانصرفوا إلى بلادهم . /ومات إياس بن معاذ ، فقيل إنه مات مسلماً .

٢٣ ظ

---

(١) انظر فى ذلك ابن هشام ٦٣/٢ وابن سعد ج ١ ق ١ ص ١٤٥ والطبرى ٣٤٨/٢ وما بعدها وابن كثير ١٣٨/٣ وابن سيد الناس ١٥٢/١ والسيرة الحلبية ٢/٢ .

(٢) نقل ابن سيد الناس فى ١٥٥/١ الفقرة التالية عن ابن عبد البر .

(٣) فصّل ابن هشام نقلا عن ابن إسحق عرض الرسول الإسلام على العرب وقبائلهم ، ذاكرًا منهم كندة وكلباً وبنى حنيفة وبنى عامر بن صعصعة ، وذكر الواقدى دعاءه بنى عبس . وكان هذا الدعاء والعرض فى أثناء حجهم ونزولهم بسوق عكاظ وغيره .

(٤) فى ابن هشام نقلا عن ابن اسحق ٦٩/٢ أن رجالاً من قومه كانوا يقولون : إنا لنراه قد قتل وهو مُسلم ، وكان قتله قبل يوم بعاث .

(٥) يطلبونُ الحلف : أى حلف قريش على بنى الخزرج خصوم الأوس قبيلتهم ، وكانت الحرب والمعارك قد اضطرمت بين القبيلتين .

(٦) هكذا فى الأصل و ر وابن سيد الناس . ووضع أمام الكلمة فى الهامش : يقال له .

العقبة الأولى[1]

ثم إن رسول الله ﷺ لقى عند العقبة فى الموسم[2] ستة نفر من الأنصار ، كلهم من الخزرج ، وهم أبو أمامة أسعد[3] بن زُرارة ، وعوف[4] بن الحارث بن رفاعة وهو ابن عفراء[5] ، ورافع[6] بن مالك بن العجلان ، وقطبة[7] بن عامر بن حَديدة ، وعقبة[8] ابن عامر بن نابى ، وجابر[9] بن عبد الله بن رئاب . ومن أهل العلم بالسير من يجعل فيهم عبادة[10] بن الصامت ويسقط جابر بن عبد الله بن رئاب .

فدعاهم رسول الله ﷺ إلى الإسلام ، فكان من صُنْع الله لهم أنهم كانوا من جيران اليهود ، فكانوا يسمعونهم يذكرون أن الله تعالى يبعث نبيًّا قد أطلّ زمانه[11]. فقال بعضهم لبعض : هذا والله الذى تهدّدكم به يهود ، فلا يسبقونا إليه . فأسلموا به

---

(١) انظر فى بيعة تلك العقبة ابن هشام ٦٩/٢ وابن سعد ج ١ ق ١ ص ١٤٥ وما بعدها والطبرى ٣٥٣/٢ وابن سيد الناس ١٥٥/١ وابن كثير ١٤٥/٣ والنويرى ٣١٠/١٦ . والعقبة : موضع على يسار الطريق القاصد منى من مكة .

(٢) فى الموسم : أى موسم الحج ، وفيه كانت تقام الأسواق المشهورة مثل سوق عكاظ ، وكان العرب يفدون على مكة من جميع أنحاء الجزيرة ، وتنزل كل قبيلة فى منزل بها خاص .

(٣) فى بعض الروايات أنه أول من بايع الرسول حينئذ ، وأنه أول من صلى بالناس الجمعة فى المدينة قبل أن تصبح فريضة . وقد لبى نداء ربه فى السنة الأولى للهجرة . انظر الاستيعاب ص ٣٩ .

(٤) فى الاستيعاب ص ٥١٢ أنه استشهد فى غزوة بدر .

(٥) عفراء : هى بنت عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار .

(٦) شهد العقبتين : الأولى والثانية ، واستشهد فى غزوة أحد ، ولم يذكره ابن اسحق فى البدريين وذكره فيهم موسى بن عقبة . انظر الاستيعاب ص ١٧٩

(٧) شهد المشاهد كلها مع رسول الله ، وقتل فى معركة صفين ، وقيل : بل توفى فى خلافة عثمان .

(٨) شهد بدرًا وأحدًا والخندق وسائر المشاهد ، واستشهد فى حروب الردة لعهد الصديق .

(٩) شهد مع الرسول جميع المشاهد ، وقد روى المحدثون عنه أحاديث كثيرة .

(١٠) شهد مع الرسول المشاهد كلها ، ووجهه عمر إلى الشام قاضياً ومعلماً فأقام بحمص ، ثم انتقل إلى فلسطين ومات بها سنة أربع وثلاثين .

(١١) فى ابن هشام أنهم كانوا يقولون لهم : إن نبيًّا مبعوث الآن فقد أطل زمانه ، نتبعه ، فنقتلكم معه قتل عاد وإرم

وبايعوا *. وقالوا : إنا قد تركنا [١] قومنا ، بيننا وبينهم حروب ، فننصرف وندعوهم إلى ما دعوتنا إليه ، فعسى الله أن يجمعهم بك ، فإن اجتمعت كلمتهم عليك واتبعوك ، فلا أحد أعزّ منك . وانصرفوا إلى المدينة ، فدعوا إلى الإسلام ، حتى فشا فيهم ، ولم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر من رسول الله ﷺ .

العقبة الثانية [٢]

حتى إذا كان العام المقبل قدم مكة من الأنصار اثنا عشر رجلا ، منهم خمسة من الستة الذين ذكرنا وهم أبو أمامة ، وعوف بن عفراء ، ورافع بن مالك ، وقطبة بن عامر بن حديدة/وعقبة بن عامر بن نابى . ولم يكن فيهم جابر بن عبد الله بن رئاب ، ولم يحضرها [٣] .

٢٤ ظ

والسبعة الذين هم تتمة الاثنى عشر هم : معاذ بن الحارث بن رفاعة وهو ابن عفراء أخو عوف المذكور ، وذكوان بن عبد قيس الزُّرَقى وذكروا أنه رحل إلى رسول الله ﷺ إلى مكة فسكنها مع رسول الله ﷺ ، فهو مهاجرى أنصارى قُتِل يوم أُحد ، وعُبادة بن الصامت بن قيس بن أَصْرم ، وأبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة البَلَوِىّ حليف بنى غُصَيْنه من بَلِىّ ، والعباس بن عُبادة بن نَضْلة . فهؤلاء من الخزرج ، ومن الأوس رجلان :

* وكانت الحكمة الإلهية فى نقل اليهود من كنعان والشام إلى الحجاز ، هذا فى الزمان الأول ، هو أنهم قرّوا إلى العرب ورسّخوا فى أذهانهم الوعد برسول الله ﷺ قال الله سبحانه (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به) وذلك من جنس أن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر . ونقل فى سبب انتقالهم أن بختنصر لما اجتاحهم وشتتهم فى البلاد هربت طائفة إلى الحجاز ، فهم هؤلاء . وقيل : إنما استقروا بالحجاز فى زمن موسى عليه السلام ، فإنه أمرهم بقتال العماليق وأن لا يبقوا منهم أحدًا ، فأبقوا ابن الملك حنوا عليه ، فطردهم موسى من الشام ، فعادوا إلى بلاد العماليق ، وكانت العماليق حينئذ بالحجاز ، فسكنوه حينئذ ، والله أعلم . عاد الكلام إلى أهل العقبة

(١) عبارة ابن هشام نقلا عن ابن اسحق : وقالوا إنا قد تركنا قومنا ، ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم ، فعسى أن يجمعهم الله بك ، فسنقدم عليهم ، فندعوهم إلى أمرك ، وتعرض عليهم الذى أجبناك إليه من هذا الدين ، فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك .

(٢) انظر فى العقبة الثانية ابن هشام ٧٣/٢ وقد سماها العقبة الأولى كأنه لم يعتد بسابقتها . وانظر أيضًا ابن سعد ج ١ ق ١ ص ١٤٧ والطبرى ٣٥٥/٢ وما بعدها وصحيح البخارى ٨/١ ، ٥٤/٥ وابن حزم ص ٧١ وابن كثير ١٥٠/٣ وابن سيد الناس ١٥٦/١ والنويرى ٣١٢/١٦ .

(٣) ولم يحضرها : أى لم يحضر العقبة الثانية .

أَبوالهَيْثَم بن التَّيِّهان[١] من بنى عبد الأَشهل ، وعُوَيْم بن ساعدة من بنى عمرو بن عوف حليف[٢] لهم من بَلِىّ .

فبايع رسول الله ﷺ هؤلاء عند العقبة على بيعة النساء[٣] ، ولم يكن أُمر بالقتال بعد . فلما انصرفوا[٤] بعث رسول الله ﷺ معهم ابنَ أُمٍّ مكتوم ، ومُصْعب بن عُمَيْر يعلِّم من أَسلم منهم القرآن وشرائع الإسلام ، ويدعو من لم يسلم إلى الإسلام . فنزل مصعب بن عمير على أَسعد بن زُرارة . وكان مصعب بن عمير يُدْعَى المقرئ القارئ ، وكان يؤمُّهم ، فجمَّع بهم أول[٥] جمعة جُمِّعت فى الإسلام فى هزْم[٦] حَرَّة بنى بياضة فى بَقيع يقال له بقيع[٧] الخَضِمات ، وهم أَربعون رجلا .

٢٥ و

فأَسلم على يد مصعب بن عمير خلق كثير من الأَنصار ، وأَسلم فى جماعتهم/سعد بن مُعاذ وأُسَيْد بن حُضَير ، وأَسلم بإِسلامهما جميع بنى عبد الأَشهل فى يوم واحد : الرجال والنساء ، لم يبق منهم أَحد إلا أَسلم ، حاشا الأُصَيْرِم ، وهو عمرو بن ثابت بن وقْش ، فإِنه تأَخَّر إِسلامه إلى يوم أُحد ، فأَسلم واستُشْهِد ، ولم يسجد لله سجدة . وأَخبر رسول الله ﷺ أَنه من أَهل الجنة . ولم يكن فى بنى عبد الأَشهل منافق ولا منافقة ، كانوا كلهم حُنَفاء مخلصين ، رضى الله عنهم أَجمعين .

ولم يبق دارٌ من دور الأَنصار إلا وفيها مسلمون : رجال ونساء ، حاشا بنى أُمية بن

---

(١) فى ابن سيد الناس أن أهل الحجاز ينطقونه بتخفيف الياء وغيرهم يشددها .

(٢) انفرد ابن إسحق بقوله إن عويماً حليف لبنى عمرو بن عوف . انظر الاستيعاب ص ٥٢٨ .

(٣) واضح من تعقيب ابن عبد البر على هذه البيعة أنهم لم يبايعوه على القتال ، فهى بيعة كبيعة النساء حينئذ على الدخول فى الإسلام ، بيعة عاهدها أن لا يشرك المبايع بالله شيئاً وأن لا يسرق ولا يزنى ولا يقتل أولاده ولا يأتى ببهتان ولا يعصى الله فى معروف .

(٤) انصرفوا هنا : أى حان انصرافهم .

(٥) قال السهيلى فى الروض الأنف ٢٧٠/١ : تجميع أصحاب رسول الله ﷺ الجمعة فى المدينة وتسميتهم إيّاها بهذا الاسم هداية من الله لهم قبل أن يؤمروا بها . ثم نزلت سورة الجمعة بعد أن هاجر رسول الله إلى المدينة ، فاستقر فرضها ، واستمر حكمها ، ولذلك قال عليه السلام . أضلته اليهود والنصارى وهداكم الله إليه وروى الدارقطنى عن ابن عباس : أذن النبى ﷺ بها لهم قبل الهجرة . وانظر ابن سيد الناس ١٥٨/١ وعند ابن اسحق أن أول من صلى بالمسلمين الجمعة فى المدينة أسعد بن زرارة . انظر ابن هشام ٧٧/٢ .

(٦) الهزم . المكان المطمئن من الأرض .

(٧) بقيع هكذا بالباء فى الأصل وفى ابن سيد الناس ، وهو موضع بنواحى المدينة وقد سماه البكرى فى معجمه نقيع الخضمات بالنون .

زيد ، وخَطْمة ، وواقد[١] [ووائل][٢] ،وهم بطون من الأوس ، وكانوا سكَّانا فى عَوالى المدينة ، فأسلم منهم قوم . وكان سيدهم أبو قيس بن صيْفىّ بن الأَصلت الشاعر ، فتأَخَّر إسلامه وإسلام سائر قومه إلى أن مضت بدر وأُحد والخندق ، ثم أَسلمُوا كلهم .

ثم رجع مصعب بن عمير إلى مكة .

العقبة الثالثة[٣]

وخرج إلى الموسم جماعة كبيرة ممن أَسلم من الأَنصار يريدون لقاء رسول الله ﷺ فى جملة قوم كفَّار/منهم لم يُسْلموا بعد ، فوافوا مكة . وكان فى جملتهم البَراءُ[٤] بن مَعْرور ، فرأَى أَن يستقبل الكعبة فى الصلاة ، وكانت القبلة إلى بيت المقدس . فصلَّى كذلك طول طريقه . فلما قدم مكة ندم ، فاستفتى رسول الله ﷺ فقال له : قد كنت على قبلة لو صَبرت عليها ، منكرًا لفعله .

٢٥ ظ

فواعدوا رسول الله ﷺ العقبة من أواسط أيام التشريق . فلما كانت تلك الليلة دعا كعبُ بن مالك ورجال من بنى سلِمة عبد الله بن عمرو بن حَرَام وكان سيدًا فيهم ، إلى الإسلام ، ولم يكن أسلم ، فأسلم تلك الليلة وبايع . وكان ذلك سِرًا ممن حضر من كفَّار قومهم . فخرجوا فى ثلث الليل الأول متسلِّلين من رِحالهم إلى العقبة ، فبايعوا رسول الله ﷺ عندها على أن يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم ونساءهم وأبناءهم وأن يرحل إليهم هو وأصحابه .

وحضر العباسُ العقبةَ تلك الليلة متوثقاً لرسول الله ﷺ . ومؤكدًا على أهل يثرب ، وكان يومئذ على دين قومه لم يسلم . وكان للبراء بن معرور فى تلك الليلة المقام المحمود فى

---

(١) هكذا فى الأصل . وفى ابن هشام ور · واقف .

(٢) زيادة من ر وابن هشام

(٣) انظر فى بيعة هذه العقبة ابن هشام ٨١/٢ وابن سعد ج ١ ق ١ ص ١٤٨ والطبرى ٣٦٠/٢ وابن حزم فى جوامع السيرة ص ٧٤ وابن سيد الناس ١٦١/١ وابن كثير ١٥٨/٣ والنويرى ٣١٣/١٦ . وهى عند ابن هشام العقبة الثانية

(٤) البراء · آخر ليلة فى الشهر . وبها سمى البراء بن معرور . والمعرور : المقصود .

التوثق لرسول الله ﷺ والشدِّ لعقْدِ أَمره . وهو أَول[١] من بايع رسول الله ﷺ تلك الليلة : ليلة العقبة [الثالثة] . وكذلك كان مقام أَبى الهيثم[٢] بن التَّيْهان ، والعباس[٣] ابن نَضْلة يومئذ .

/ وكان المبايعون لرسول الله ﷺ تلك الليلة سبعين[٤] رجلا وامرأَتين . واختار رسول الله ﷺ منهم اثنى[٥] عشر نقيباً ، وهم : ٢٦ و

أَسعد بن زرارة بن عُدَس أَبو أُمامة ، وهو أَحد الستة ، وأَحد الاثنى عشر ، وأَحد السبعين[٦] ، وسعد بن الربيع ، وعبد الله بن روَاحة ، ورافع بن مالك بن العَجْلان وهو أَيضًا أَحد الستة وأَحد الاثنى عشر وأَحد السبعين ، والبَرَاءُ بن مَعْرور ، وعبد الله بن عمرو ابن حرام ، وسعد بن عبادة بن دُليم ، والمنذر بن عمرو بن خُنَيْس ، وعبادة بن الصامت وهو أَحد الستة فى قول بعضهم ، وأَحد الاثنى عشر وأَحد السبعين .

فهؤلاءِ تسعة من الخزرج ، وثلاثة من الأَوس :

أُسَيْد بن حُضَيْر ، وسعد بن خَيْثمة بن الحارث ، ورفاعة بن عبد المنذر .

وهؤلاءِ هم النقباءُ . وقد أَسقط قوم رفاعة[٧] بن عبد المنذر منهم ، وعدّوا مكانه أَبا الهيثم بن التَّيْهان ، والله أَعلم .

---

(١) فى ابن هشام ٨٤/٢ أنه أخذ بيد رسول الله ﷺ ثم قال عقب قوله : أبايعكم على أن تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم ، قال : نعم والذى بعثك بالحق نبيًّا لنمنعك مما نمنع منه أزرنا (أى نساءنا) ، فبايعنا يا رسول الله ، فنحن والله أبناء الحروب وأهل الحلقة (الدروع) ورثناها كابرًا عن كابر . وانظر ابن سيد الناس ١٦٥/١ .

(٢) فى ابن سعد ق ١ ج ١ ص ١٤٩ أنه حين حاول العباس بن عبد المطلب أن يأخذ عليهم المواثيق لابن أخيه قال له أبو الهيثم . إننا نقبله على مصيبة الأموال وقتل الأشراف . وانظر ابن سيد الناس ١٦٥/١ .

(٣) فى ابن سعد ق ١ ج ١ ص ١٥٠ أن العباس بن عبادة بن نضلة قال : يا رسول الله والذى بعثك بالحق لئن أحببت لنميلن على أهل منى بأسيافنا ، فقال رسول الله ﷺ : إنَّا لم نؤمر بذلك فانفضوا إلى رحالكم وانظر ابن سيد الناس ١٦٥/١ وابن هشام ٨٨/٢ .

(٤) فى ابن هشام أنهم كانوا ثلاثة وسبعين رجلا وامرأتين ، وفى ابن سعد نقلا عن محمد بن عمر بن واقد أنهم كانوا سبعين يزيدون رجلا أو رجلين .

(٥) إنما جعل الرسول ﷺ النقباء اثنى عشر اقتداء بقوله تعالى فى قوم موسى : (وبعثنا منهم اثنى عشر نقيباً) . وانظر فيهم ابن هشام ٨٦/٢ وابن سعد ق ١ ج ١ ص ١٤٨ والمحبر ص ٢٦٨ وابن سيد الناس ١٥٨/١ .

(٦) يريد ابن عبد البر أنه أحد من شهد بيعة العقبة الأولى والثانية والثالثة .

(٧) انظر ابن هشام ٨٧/٢ .

وهذه تسمية من شهد العقبة من الأَنصار[١]
مع[٢] الاثنى عشر النُّقباءَ

٢٦ ظ

ظُهَيْر بن رافع بن عديّ الحارثى ، وسلمة بن سلامة بن وَقْش/الأشهلى ، ونُهَيْر بن الهيثم من بنى نابى بن مَجْدَعة ، وعبد الله بن جُبَير بن النعمان من بنى عمرور بن عوف ، وأُسَيْد بن حُضَيْر بن سماك ، وأَبو الهيثم بن التَّيْهان ، وسعد بن خَيْثَمة ، ورفاعة ابن‌عبد‌المنذر ، وأَبو بُرْدة هانئ بن نِيار حليف لهم من بَلِيّ ، وعُوَيْم بن ساعدة حليف لهم من بَلِىّ ، ومعن بن عدى بن الجدّ حليف لهم من بَلِى .

فهؤلاء من الأوس أحد عشر رجلا ، وشهدها من الخزرج :

أَبو أَيوب الأَنصارى خالد بن زيد ، ومعاذ ، ومعوِّذ ، وعوف : بنو الحارث بن رفاعة وهم بنو عفراء ، وعُمارة بن حَزْم بن زيد بن لَوْذان ، وأبو رُهْم الحارث بن رفاعة بن الحارث . هؤلاء الستة من بنى غَنْم بن مالك بن النَّجّار .

وسهل بن عَتِيك بن النعمان بن النجار من بنى عامر بن مالك بن النجار .

وأَوس بن ثابت بن المنذر بن حرام ، وأبو طلحة وهو زيد بن سهل النجارى . وهذان من بنى عمرو بن مالك بن النجار .

وقيس بن أَبى صعصعة النجارى ، وعمرو بن غُزَيَّة بن عمر . وهذان من بنى غَنْم بن مازن بن النجار .

وخارجة بن زيد بن أَبى زهير ، وبشير بن سعد [بن ثعلبة] بن خِلاس[٣] . وخلاَّد ابن سُوَيد بن ثعلبة . وهؤلاء من بنى كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج .

---

(١) انظر فى أسماء من شهد العقبة الثالثة ابن هشام ٩٧/٢ وابن حزم ص ٧٨ وابن سيد الناس ١٦٧/١ وابن كثير ١٦٦/٣ والنويرى ٣١٧/١٦ .

(٢) فى الأصل و ر : سوى . وقد أعاد ابن عبد البر ذكر النقباء .

(٣) قال ابن سيد الناس : عند الدار قطنى بفتح الخاء المعجمة وتشديد اللام ، وبكسر الخاء وتخفيف اللام عند غيره .

وعبد الله بن زيد بن ثعلبة من بنى جُشم بن الحارث بن الخزرج .

وعقبة بن عمرو بن يُسَيْرة[١] بن عَسِيرة[٢] أبو مسعود الأنصارى من بنى الحارث بن الخزرج . وهو وجابر بن عبد الله أصغر من شهد العقبة .

وزياد بن لَبيد بن ثعلبة ، / وفَرْوة بن عمرو بن وَدْفة[٣] ، وخالد بن قيس بن مالك . ٢٧ و
وهؤلاء من بنى بياضة بن عامر بن زُرَيْق بن عبد حارثة بن مالك بن غَضْب بن جُشَم بن الخزرج .

وذكوان بن عبد قيس بن خَلَدة بن مُخَلَّد بن عامر بن زريق بن عامر أخى بياضة بن عامر ، وعبَّاد بن قيس بن عامر بن خالد بن عامر بن زريق بن عامر ؛ والحارث بن قيس ابن خالد بن مخلد بن زريق بن عامر أخى بياضة بن عامر .

ومن بنى سَلِمة بن سعد بن على : بشر بن البراء بن معْرور ، وسنان بن صيْفى بن صخر ، والطفيل بن النعمان بن خنساء ، ومعقل بن المنذر بن سَرْح ، ويزيد بن المنذر بن سرح ، ومسعود بن زيد بن سُبَيْع ، ويزيد بن خِدام[٤] بن سبيع ، والضحاك بن حارثة ابن زيد ، وجَبَّار بن صخر بن أمية ، والطفيل بن مالك بن الخنساء ، وهؤلاء كلهم من بنى عدىّ بن غَنْم بن كعب بن سلمة .

ومن بنى سَواد بن غَنْم بن كعب بن سلمة : كعب[٥] بن مالك بن أبى كعب الشاعر ، وسُلَيم بن عمرو بن حديدة ، وقطبة بن عامر بن حَديدة ، وأخوه يزيد بن عامر ، وأبو اليَسر كعب بن عمرو بن عَبَّاد ، وابن عمه صَيْفِىّ بن سواد بن عباد ، وثعلبة بن عَنَمة بن عدى ، وأخوه عمرو بن عَنَمة ، وعبْس بن عامر بن عدىّ ، وخالد بن عمرو بن عدى ، وعبد الله بن أُنَيْس بن أسعد حليف لهم من قضاعة .

---

(١) عند ابن هشام : أسيرة ، وفى رواية عن ابن إسحق نسيرة ، وضبطها ابن عبد البر بالياء ، انظر ابن سيد الناس ١٦٨/١ .

(٢) قال ابن سيد الناس : اختلفوا فى ضبط عسيرة ، فمنهم من يفتح العين ويكسر السين ومنهم من يفتح السين ويضم العين .

(٣) ضبطها ابن هشام بالدال والفاء وقال إن هذا هو الأصح ، وتروى بالذال ، وبالدال والقاف .

(٤) فى ابن هشام وبعض المراجع : حرام .

(٥) عند ابن هشام : كعب بن مالك بن أبى كعب عمرو بن القين ، وفى بعض المراجع : كعب بن مالك ابن أبى كعب بن عمرو بن القين . وقد توفى سنة ٥٠ فى زمن معاوية .

ومن بنى حرام بن كعب بن غَنْم بن كعب بن سلمة : جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام كان من أحدثهم سِنًّا ، ومعاذ بن عمرو/بن الجَموح ، وثابت بن الجِذْع ، واسم الجذع ثعلبة بن كعب[١] بن حرام بن كعب ، وعُمير بن الحارث بن لَبْدة ، وخَديج بن سلامة بن أوس حليف لهم من بَلِىّ.

٢٧ ظ

ومن إخوة بنى سَلِمة وهم بنو أُدىّ ، ويقال أُدىّ بن سعد بن على : معاذ بن جَبَل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدى بن كعب بن عمرو بن أُدَى .

وجميع من شهدها من بنى سلِمة وحلفائهم ثلاثون رجلا . وقد ذكر بعض أهل السير فيهم أوس بن عباد بن عدى .

ومن بنى عوف بن الخزرج ثم من بنى سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج : العباس بن عُبادة بن نَضْلة وهو مهاجرىّ أنصارى هاجر إلى النبى ﷺ إلى مكة فكان معه بها ثم هاجر معه إلى المدينة وقُتِل يوم أُحد ، ويزيد بن ثعلبة بن خَزْمة[٢] بن أَصْرم حليف لهم من [بنى] غُصَيْنَة من بَلِىّ ، وعمرو بن الحارث بن لَبْدة من القواقل. ومن بنى الحُبْلى واسمه سالم بن عمرو بن عوف : رفاعة بن عمرو بن زيد بن ثعلبة بن مالك بن سالم ، وعقبة بن وهب بن كَلَدة بن الجعْد من بنىعبد الله بن غطفان بن سعد بن قَيْس عَيْلان حليف لهم هاجر أيضًا إلى رسول الله ﷺ إلى مكة : فهؤلاء خمسة رجال .

ومن بنى كعب بن الخزرج : سعد بن عُبادة بن دُلَيم ، والمنذر بن عمرو وهما من النقباء الذين ذكرنا .

وامرأتان : نَسِيبة بنت كعب بن عمرو من بنى مازن بن النجار وهى أم عمارة قتل مسيلمةُ ابنَها حبيب بن زيد بن عاصم ، والثانية أسماء/بنت عمرو بن عدى بن نابى من بنى سَواد بن غَنْم بن كعب بن سَلِمة وهى أُمُّ مَنيع .

٢٨ و

وكانت البيعة ليلة العقبة (الثالثة) على حرب الأسود والأحمر. وأخذ لنفسه ، واشترط عليهم لربِّه ، وجعل لهم على الوفاء بذلك الجنة*

---

(١) فى ابن هشام : الجذع : ثعلبة بن زيد بن الحارث بن حرام .

(٢) فى ابن عبد البر ص ١٢٨ : بسكون الزاى عند ابن إسحق والكلبى وبفتحها عند الطبرى ورجح السكون ابن عبد البر ، وقال : ليس فى الأنصار خزمة بالتحريك .

* قلت : النقيب هو الأمين المصدق على طائفته المنقب المفتش على أسرارهم والعارف بطرق أمرهم المخاطب عنهم فى بعض الحالات .

باب

ذكر الهجرة(1) إلى المدينة*

فلما تمت بيعة هؤلاء لرسول الله ﷺ ليلة العقبة ، وكانت سِرًّا ، على كفار قومهم وكفار قريش أَمر رسول الله ﷺ مَنْ كان معه من المسلمين بالهجرة إلى المدينة أَرْسالا(2) ، فقيل : أَول(3) مَنْ خرج أَبو سَلَمة بن عبد الأَسد المخزومى وحُبِسَتْ عنه امرأَته أُم سَلَمة بنت

(1) انظر فى الهجرة إلى المدينة ابن هشام ١١٢/٢ وابن سعد ج ١ ق ١ ص ١٥٢ وما بعدها وصحيح البخارى ٥٦/٥ والطبرى ٣٦٩/٢ وابن حزم ص ٨٥ وابن سيد الناس ١٧٣/١ وابن كثير ١٦٨/٣ والنويرى ٣٢١/١٦ والسيرة الحلبية ٥٤/٢ .

* يقال إن المدينة مذكورة فى التوراة بطابة . قال : أوحى الله إلى طابة : يا طابة يا مسكينة لا تقبلى الكنوز فإنى أرفع أجاجيرك (سطوحك)على أجاجير القرى . وهى المُدْخل الصدق فى كتاب الله تعالى ، قال الله سبحانه : (وقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صدق وأخرِجْنى مُخْرَجَ صدق واجْعَل لى من لدنك سلطاناً نصيراً) المخرج الصدق : مكة ، والمدخل الصدق : المدينة ، والسلطان النصير : الأنصار . وفيه دليل واضح على تفضيل المدينة ، لأنّ الله ابتدأ بها ، وكان القياس أن يبتدئ بمكة ، لأنه خرج منها قبل أن يدخل المدينة ، وأيضاً فبالمدينة جعل له سلطاناً نصيراً ، وأيضاً فيأبى الله إلا أن ينقل نبيه إلا إلى ما هو خير . قلت : واختلف العلماء فى حكم الهجرة حينئذ وكيف كان ؟ فقيل : كانت الهجرة شرطاً فى الإسلام ، فمن لم يهاجر ولا عذر له ومات على ذلك مات كافراً . وقيل : بل كانت واجبة مؤكدة من قواعد الدين . ثم اختلفوا فى حكمها على من وجبت عليه أولا هل استمر بعد الفتح أو لا ؟ ولا خفاء فى أن غير المهاجرين الأولين لم يخاطبوا بالهجرة بعد الفتح ، وفيهم جاء الحديث : لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد . وظاهر قوله تعالى : (والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شىء حتى يهاجروا) أن الهجرة كانت شرطاً فى الإسلام ، وهو ظاهر قوله عليه السلام : ولكن البائس سعد بن خولة [من المهاجرين وقد شهد مع الرسول سائر المشاهد وتوفى بمكة فى حجة الوداع ، وقد وصفه الرسول بالبائس لأنه مات فى الأرض التى هاجر منها] يرثى له رسول الله ﷺ أن مات بمكة .

وقد استرسل المعلق هنا يقول :

وإطلاق البؤس عليه بعد الموت يدل على أن الخاتمة لم تكن على الإسلام لأن المسلم لا بؤس عليه إن شاء الله ولا سيما بؤس يسبق له فيه اسم والله أعلم .

وهو غلط واضح فى الاستنتاج ، لأن سعدًا كان من المسلمين الأولين ، وممن هاجروا إلى الحبشة ، وشهد بدرًا وغيرها من المشاهد . وإنما تعلق به البؤس لأنه لم يمت فى دار هجرته ، ويدل على ذلك قوله ﷺ : اللهم أمض لأصحابى هجرتهم ، ولا تردهم على أعقابهم . وانظر الاستيعاب ص ٥٦٦ .

(2) أرسالا : جماعات .

(3) وفى بعض الروايات أن أول المهاجرين مصعب بن عمير .

٢٩ و أبي أمية بمكة نحو سنة ، ثم أُذِنَ لها في اللِّحاق بزوجها فانطلقت/مهاجرة وشيعها عثمان بن طلحة بن أبي طلحة وهو كافر[١] إلى المدينة . ونزل أبو سَلَمة في قُباء[٢] .

ثم عامر بن ربيعة ، حليف بني عدي بن كعب معه امرأته ليلى بنت أبي حَثْمة بن غانم ، وهي أول ظعينة[٣] دخلت من المهاجرات إلى المدينة .

ثم عبد الله بن جَحْش ، وأخوه أبو أحمد بن جحش الشاعر الأعمى ، وأمهما وأم إخوتهما أُمَيْمَة بنت عبد المطلب . وهاجر جميع بني جحش بنسائهم ، فغَدا أبو سفيان على دارهم فتملَّكها إذ خلت منهم . وكانت الفارعة بنت أبي سفيان بن حرب تحت أبي أحمد ابن جحش .

فنزل هؤلاء الأربعة : أبو سلمة ، وعامر بن ربيعة ، وعبد الله وأبو أحمد ابنا جحش ، على مبشِّر بن عبد المنذر بن زَنْبر في بني عمرو بن عوف بقُباء . وهاجر مع بني جحش جماعة من بني أسد بن خُزَيمة بنسائهم ، منهم عُكَاشة بن مِحْصَن ، وعُقبة وشجاع ابنا وهب ، وأربد بن حُمَيِّر[٤] ، ومنقذ بن نُبَاتة ، وسعيد بن رُقَيْش وأخوه يزيد بن رقيش ، ومُحْرز بن نَضْلة ، وقيس بن جابر ، وعمرو بن مِحْصن ، ومالك[٥] بن عمرو ، وصفوان بن عمرو ، وثَقْف بن عمرو ، وربيعة بن أَكْثَم ، والزُّبير بن عبيدة ، وتَمَّام بن عبيدة ، وسَخْبرة بن عبيدة ، ومحمد بن عبد الله بن جحش ، ومن نسائهم زينب بنت[٦] جَحْش ، وحَمْنة بنت جَحْش ، وأم حبيب[٧] بنت جحش ،

---

(١) يروى عن أم سلمة أنها كانت تقول : ما رأيت صاحباً قط كان أكرم من عثمان بن طلحة .

(٢) في ابن سيد الناس ١/١٨٠ : قباء مسكن بني عمرو بن عوف على فرسخ من المدينة ، ويمد ويقصر ويؤنث ويذكر ويصرف ولا يصرف .

(٣) الظعينة : المرأة في الهودج .

(٤) في ابن هشام : حميرة بالحاء وقيل جميرة بالجيم ، وفي ابن سعد : حمير ، وتابعه ابن عبد البر هنا وفي ترجمته له بالاستيعاب

(٥) هكذا في ابن هشام والمراجع المختلفة وفي الأصل ور : خالد

(٦) هي أم المؤمنين ، وكانت أولا عند زيد بن حارثة ، ثم اقترن بها بعده الرسول .

(٧) واصح أن ابن عبد البر جعل لزينب أختين ، هما حمنة وأم حبيب أو حبيبة ، وتابعه في ذلك السهيلي قائلا إن حمنة كانت تحت مصعب بن عمير ، وكانت أم حبيب تحت عبد الرحمن بن عوف . وعند ابن عساكر أن حمنة كانت تكنى بأم حبيبة لا أم حبيب ، أي أنهما فقط زينب وحمنة أم حبيبة .

٢٩ ظ وجُدامة[١] بنت جَنْدل ، وأُم قيس بنت مِحْصن ، وأُم/حبيبة بنت نُباتة ، وأُمامة[٢] بنت رُقَيْش .

ثم خَرَج[٣] عمر بن الخطاب وعَيَّاش بن أَبى ربيعة فى عشرين راكباً ، فقدموا المدينة ، فنزلوا فى العوالى فى بنى أُمية بن زيد . وكان يُصَلِّى بهم سالم مولى أَبى حُذَيفة وكان أَكثرهم قرآناً . وكان هشام بن العاص بن وائل قد أَسلم ، وواعد عمر بن الخطاب أَن يهاجر معه ، وقال : تجدنى أَو أَجدك عند أَضاة[٤] بنى غِفار ، ففطن لهشام قومه ، فحبسوه عن الهجرة ، ثم إن أَبا جهل والحارث بن هشام أَتيا المدينة[٥] ، فكلَّما عياش بن أَبى ربيعة ، وكان أَخاهما لأُمها وابن عمهما ، وأَخبراه : أَن أُمه قد نذرت أَن لا تغسل رأْسها ولا تستظلَّ حتى تراه ، فرقَّت نفسه وصدَّقهما وخرج راجعاً معهما فكتَّفاه فى الطريق ، وبلَّغاه[٦] مكة ، فحبساه بها مسجوناً ، إلى أَن خلَّصه الله بعد ذلك بدعاءِ رسول ﷺ له فى قنوت الصلاة : اللهم أَنْج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن أَبى ربيعة والمُسْتَضْعفِينَ من المؤمنين ، اللهم اشدد وطْأَتك على مُضَر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف . ثم استنقذ الله عياش بن أَبى ربيعة وسائرهم وهاجر إلى المدينة .

وكان من جملة القادمين مع عمر بن الخطاب أَخوه زيد بن الخطاب ، وسعيد بن زيد ابن عمرو بن نُفَيل ، وعمرو وعبد الله ابنا سُراقة بن المعتمر ، وكلهم من بنى عَدِىّ بن كعب ، وواقد/بن عبد الله التميمىّ[٧] . وخَوْلِىّ ومالك ابنا أَبى[٨] خَوْلِىّ من بنى عِجْل بن ٣٠ و لَجيْم حُلَفاء بنى عدى بن كعب ، وإِياس وعاقل وعامر وخالد بنو البُكَيْر اللَّيْثى[٩] حلفاء

---

(١) استظهر السهيلى أن تكون جدامة بنت وهب بن محصن انظر الروض الأنف ٢٨٧/١ .

(٢) فى ابن سيد الناس وأكثر المصادر : أمية

(٣) نقل ابن سيد الناس فى ١٧٤/١ هذه الفقرة عن ابن عبد البر .

(٤) كلمة الأضاة تمد وتقصر وهى الغدير ، وكانت أضاة بنى غفار خارج مكة على بعد بضعة أميال منها

(٥) عند بعض أهل السير أنه كان معهما العاص بن هشام .

(٦) هكذا فى الأصل ، وفى ابن سيد الناس وبلغا به .

(٧) هكذا فى ابن هشام وغيره ، وهو يتطابق مع ما ذكره ابن عبد البر فى حديثه عن أول الناس إيمانًا بالرسول وفى ترجمته بكتابه الاستيعاب وفى الأصل و ر : التيمى .

(٨) اسم أبى خولى عمرو بن زهير ، وقيل إنه حعفى لا عجلى

(٩) الليثى : أى من بنى سعد بن الليث .

بنى عدى بن كعب ، وخُنَيْس بن حُذافة السَّهْمى وزوجته حفصة بنت عمر بن الخطاب . تزلوا بقُباء على رفاعة بن عبد المنذر فى بنى عمرو بن عوف .

ثم قدم طَلحة بن عُبَيْد الله ، فنزل هو وصُهيب بن سِنان على خُبَيْب بن إساف [١] في بنى الحارث بن الخزرج [٢] ، ويقال : بل نزل طلحة على أَبى أُمامة أسعد بن زرارة . وكان صُهَيْب ذا مال ، فاتبعته قريش ليقتلوه ويأخذوا ماله ، فلما أشرفوا عليه ونظر منهم ونظروا إليه قال لهم : قد تعلمون أنى من أرماكم رجلا ، ووالله لا تصلون إلى أو يموت منكم من شاء الله أن يموت ، قالوا : فاترك مالك ، وانهض . قال : مالى خلّفته بمكة ، وأنا أعطيكم أمارة فتأخذونه ، فعلموا صدقه ، وانصرفوا عنه إلى مكة بما أعطاهم من الأمارة ، فأخذوا ماله ، فنزلت فيه : (ومن الناس مَنْ يَشْرِى نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رءُوفٌ بالعباد – الآية) .

ونزل حمزة بن عبد المطلب وحليفاه : أَبُو مَرْثد الغنوى ، وابنه مَرْثد بن أبى مرثد ، وزيد بن حارثة وأَنَسة [٣] وأبو كبشة [٤] موالى رسول الله ﷺ على كلثوم بن الهِدْم/أخى بنى عمرو بن عوف بقباء . ويقال : بل نزلوا على سعْد بن خَيْثمة ، وقيل : إن حمزة نزل على أَبى أمامة أسعد بن زُرارة . ٣٠ ظ

ونزل عبيدة ، والطُّفَيْل والحُصَيْن ، بنو الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف ، ومِسْطَح [٥] بن أُثاثة بن عباد بن المطلب ، وسُوَيْبط بن سعد بن حَرْملة [٦] العبْدرِىّ ، وطُلَيْب بن عمير من بنى عبد بن قصى ، وخبَّاب بن الأرتّ مولى عتبة بن غزوان [٧] ، على عبد الله بن سلمة العَجْلانى بِقُبَاء .

---

(١) فى الاستيعاب ص ١٦٨ : يقال فيه يساف بالياء ، ولم يكن خبيب مسلماً حين نزل عليه طلحة وصهيب وقد تأخر فى إسلامه إلى أن خرج الرسول إلى غزوة بدر فلحقه فى الطريق وأسلم وشهد بدراً وسائر المشاهد . وقد قتل أمية ابن خلف يوم بدر فيما ذكر الرواة

(٢) فى ابن هشام أن بنى الحارث بن الخزرج كانوا ينزلون فى السنح . وهو أطم أو حصن لهم كان على مسافة ميل من المسجد النبوى .

(٣) من مولدى السراة ، شهد مع الرسول ﷺ سائر المشاهد وتوفى فى خلافة أبى بكر .

(٤) يقال إن أصله من الفرس ، وله بلاء حسن مع الرسول فى المشاهد كلها ، مات فى خلافة عمر .

(٥) هكذا فى ر و ابن هشام وجميع المصادر ، وفى الأصل : مسلم ، وهو تصحيف .

(٦) هكذا فى الأصل والاستيعاب ص ٥٩٩ وفى ابن هشام : حريملة .

(٧) هكذا فى ر ، وفى الأصل : عبدان ، وهو تحريف .

ونزل عبد الرحمن بن عوف فى رجال من المهاجرين على سعد بن الربيع فى بنى الحارث بن الخزرج .

ونزل الزُّبَيْر بن العوَّام وأبو سَبْرة بن أَبى رُهْم على المنذر بن محمد بن عقبة بن أُحَيْحة بن الجُلاح فى بنى جَحْجَبى[١] .

ونزل مصعب بن عُمَيْر بن هشام بن عبد مناف بن عبد الدار على سعد بن معاذ بن النعمان الأَشهلى فى بنى عبد الأَشهل .

ونزل أَبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، وسالم مولى أَبى حذيفة وعتبة بن غزوان المازنى على عبَّاد بن بشر بن وَقْش فى بنى عبد الأَشهل .

ونزل عثمان بن عفَّان على أَوس بن ثابت أَخى حَسَّان بن ثابت فى بنى النَّجَّار .

ونزل العُزَّاب على سعد بن خَيْثَمَة وكان عَزَبًا .

ولم يَبْق بمكة أَحد من المسلمين إلا رسول الله ﷺ وأَبو بكر وعلى[٢] ، أَقاما مع ر الله ﷺ بأَمره . وحُبِس قوم كرهاً ، حبسهم قومهم ، فكتب الله لهم أَجر المجاهدين بما كانوا عليه/من حِرْصهم على الهجرة .

٣١ و

فلما رأَت قريش أَن المسلمين قد صاروا إلى المدينة ، وقد دخل أَهلها فى الإِسلام قالوا هذا شر شاغل لا يُطاق . فأَجمعوا أَمرهم على قَتْل[٣] رسول الله ﷺ ، فبيَّتوه ، ورصدوه على باب منزله طول ليلتهم ليقتلوه إذا خرج . فأَمر النبى ﷺ علىَّ بن أَبى طالب أَن ينام على فراشه ، ودعا الله عَزَّ وَجَلَّ أَن يُعمِّى عليهم أَثره ، فطمس الله على أَبصارهم ، فخرج وقد غشيهم النوم ، فوضع على رءُوسهم تراباً ونهض[٤] . فلما أَصبحوا خرج عليهم علىٌّ

(١) جحجبى : جد أحيحة ، وكانت دارهم التى نزلها الزبير وأبو سلمة تسمى العصبة كهمزة وكانت بقباء .

(٢) وأيضًا إلا من حبس كرهاً كما سيذكر ابن عبد البر ، وإلا من فتن عن دينه الحنيف .

(٣) فى ابن هشام وغيره من كتب السير أن قريشًا لما رأت الرسالة النبوية تشيع فى العرب ، ورأوا خروج أصحابه إلى المدينة خشوا عاقبة ذلك ، وخاصة أن المدينة كانت فى طريق قوافلهم التجارية إلى الشام ، فتداعوا للاجتماع بدار الندوة كى يتشاوروا فيما يصنعون بالرسول ، ويقال إن أبا البخترى بن هشام أشار بحبسه ، وأشار أبو الأسود ربيعة بن عمير بإخراجه ونفيه . ورفض المجتمعون الرأيين ، واتفقوا على قتله وأن تقوم بذلك مجموعة من قريش تتألف من كل عشيرة فيها ، بحيث تنتدب عنها شابًّا فتيًّا ، ويعمدون إليه فيضربونه بسيوفهم – شَلَّت أيديهم – ضربة رجل واحد ، وبذلك يتوزع دمه فى جميع العشائر ، فلا يقدر بنو عبد مناف على حربهم .

(٤) فى بعض الروايات أن الرسول كان يحثو على رءوسهم التراب وهو يتلو الآيات الأولى من سورة يس حتى قوله تعالى : (فأغشيناهم فهم لا يبصرون) .

وأخبرهم أن ليس فى الدار ديّار ، فعلموا أن رسول الله ﷺ قد فات ونجا[١] .

وتواعد رسول الله ﷺ مع أبى بكر الصِّدِّيق للهجرة ، فدفعا راحلتيهما إلى عبد الله ابن أُرقط ، ويقال ابن أُرَيْقط ، الدِّيلىّ ، وكان كافرًا لكنهما وثقا به ، وكان دليلا بالطرق ، فاستأْجراه ليدلَّ بهما إلى المدينة * .

خروج رسول الله ﷺ للهجرة[٢]

وخرج رسول الله ﷺ من خَوْخَةٍ[٣] فى ظهر دار أبى بكر التى فى بنى جُمح ، ونهضا نحو الغار فى جبل[٤] ثَوْر ** .

---

(١) أشار القرآن الكريم إلى ما كانت تبيته قريش من قتل الرسول فى قوله تعالى : (وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) وقوله جلَّ شأنه : (أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون قل تربصوا فإنى معكم من المتربصين) .

* جاء فى الصحيح أنه كان هاديًا خرِّيتا ، قلت : يؤخذ من ذلك جواز الاعتماد على الكافر فى الأمور الخطيرة إذا غلب على الظن أنه لا يخون ، كالاعتماد على الكافر فى الكحل ، وعلى النصارى فى الطب والكتابة والحساب ونحو ذلك ما لم تكن ولاية فيها عز ، فلا يجوز الاعتماد عليهم فيها . ولا يلزم من مجرد كونه كافرًا أن لا يوثق به فى شىء ، فإنه لا شىء أخطر من الدلالة فى الطرق ، ولا سيا فى مثل الهجرة ، ومع ذلك فقد اعتمد فيها على هذا الديلى وهو كافر ، وحمدت العاقبة فى ذلك والحمد لله . والخريت : الحاذق الذى يعرف مضايق الطرق ولو مثل خرت (ثقب) الأبرة وجاء فى بعض الطرق : فأخذ بهم يد بحر أى طريق الساحل . وجاء أن النبى ﷺ قال لأبى بكر : لا أركب الراحلة إلا بالثمن ، فقال أبو بكر . بالثمن يا رسول الله . وقال بعض أهل العلم : قد ورد أن أبا بكر أنفق على النبى ﷺ ماله كله ، وقال عليه السلام : إن آمنكم على فى ماله أبو بكر . فما وجه كونه امتنع أن يركب الراحلة إلا بالثمن وأجيب أنه عليه السلام أراد أن تكون هجرته لله بنفسه وبماله ، لا يستعين فى ذلك بالخلق . استحسنه السهيلى [انظر الروض الأنف ٣/٢] . ويقويه عندى أنه عليه السلام قال فى المربد الذى اتخذه مسجدا : لا آخذه إلا بالثمن . ولم يقل ذلك فى منزل أبى أيوب . ويحتمل عندى أن يكون إنفاق أبى بكر على النبى ﷺ من ماله انما أريد به الانفاق فى سبيل الله لأجل رسول الله ومواساة أصحابه عليهم السلام لمكانهم منه عليه السلام ، ولا يريد الإنفاق عليه فى ذاته ولا فى قوام حياته ، فلهذا أعطاه ثمن الراحلة

(٢) انظر فى هجرة الرسول إلى المدينة ابن هشام ١٢٣/٢ وابن سعد ج ١ ق ١ ص ١٥٣ وصحيح البخارى ٥٦/٥ والطبرى ٣٧٥/٢ وما بعدها وأنساب الاشراف ١٢٠/١ وابن سيد الناس ١٨١/١ وابن حزم ص ٩٠ وابن كثير ١٧٤/٣ والنويرى ٣٣٠/١٦

(٣) الخوخة : مخترق ما بين كل دارين .

(٤) جبل ثور بأسفل مكة .

** وروى أنه عليه السلام رقى على ثبير فقال له : يا محمد انزل من على ظهرى لئلا تقتل على ، فأعذب ، فناداه حراء : يا رسول الله إلىّ إلىّ . وقيل إن ثوراً ناداه أيضاً . فكان غار التعبد فى حراء وغار =

وأمر أبو بكر ابنه عبد الله أن يتسمَّع ما يقول الناس ، وأمر مولاه عامر بن فُهيْرة أن يَرْعى غنمه ويُريحها عليهما ليلا ، ليأخذا منها حاجتهما . ثم نهضا فدخلا الغار ، وكانت أسماءُ بنت أبي بكر تأتيهما بالطعام ، ويأتيهما عبد الله بن أبي بكر بالأخبار ، ثم يتلوهما عامر ابن فُهيْرة بالغنم فيعفِّى آثارهما .

فلما فقدته[1] قريش جعلت تطلبه بقائف[2] معروف ، فقفا[3] الأثر حتى وقف على الغار ، فقال : هنا انقطع الأثر . فنظروا فإذا بالعنكبوت قد نُسج على فم الغار من ساعته ، فلما رأوا نَسْج العنكبوت أيقنوا أن لا أحد فيه ، فرجعوا . وجعلوا في النبي ﷺ مائة ناقة لمن ردَّه عليهم . وقد رُوِي من حديث أبي الدَّرداء وثوبان :

أن الله عزَّ وَجلَّ أمر حمامة فباضَتْ على نَسْج العنكبوت ، وجعلت ترقد على بيضها ، فلما نظر الكفَّار إليها على فم الغار ردَّهم ذلك عن الغار * .

حدثنا أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن ، قال : حدثنا قاسم بن أصبغ ، قال : حدثنا الحارث بن أبي أسامة . وحدثنا سعيد بن نصر ، قال : أنبأنا قاسم بن أصبغ ، قال : أنبأنا محمد بن إسماعيل الترمذي ، قالا : أنبأنا عفان ، قال : أنبأنا همام ، قال : أخبرنا ثابت عن أنس أن أبا بكر حدَّثه ، قال :

قلت للنبي عليه السلام ونحن في الغار : لو كان أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا تحت قدميه ، فقال : يا أبا بكر : ما ظنُّك باثنين ، الله ثالثهما ** .

فلما مضت لبقائهما في الغار ثلاثة أيام أتاهما عبد الله بن أُريْقِط براحلتيهما وأتتهما أسماءُ

= التستر في ثور ، وكان لهما فضيلة الإيواء واحتمال الخطر في ذات الله بخلاف ثبير فإنه خاف على نفسه . فهذان الجبلان فازا بالكرامة وثبير طلب السلامة .

(١) فقدته : أي الرسول ﷺ .

(٢) القائف : متتبع الأثر .

(٣) قفا : تبع

* قلت . وجاء في الأثر أن حمام الحرم من نسل تينك الحمامتين اللتين وكرتا على فم الغار . فلذلك احترم حمام الحرم . وهو من جنس قوله تعالى : (وكان أبوهما صالحاً) وقيل جدهما السابع . فحفظ الله الأعقاب . رعاية للأسلاف . وإن طالت الأحقاب

** وتمادت الرافضة على الصفاقة والمكابرة ، فقالوا ، ما نهى أبو بكر عن الحزن إلا وهو معصية [يشيرون بذلك إلى ما جاء في الذكر الحكيم من قول الرسول له : [لا تحزن إن الله معنا] ونقض عليهم السهيلي [في ٢/٥] قولهم بقول الله تعالى لأنبيائه [في السهيلي لمحمد] : (فلا يحزنك قولهم) (ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر) [وقال لموسى : [خذها ولا تخف] وقال الملائكة للوط : (لا تخف ولا تحزن) . والتحقيق أن النهي إنما يتناول المستقبل ، =

بسُفْرتها(١) ، وكانت قد شَقَّت نطاقها فربطت بنصفه السفرة ، وانتطقت النصف الآخر ، ومن هنا سميت ذات النِّطاقين * .

فركبا الراحلتين ، وأردف أبو بكر عامر(٢) بن فهيرة ، وحمل أبو بكر مع نفسه جميع ماله ، وذلك نحو ستة آلاف درهم ** . فمروا فى مسيرهم بناحية موضع سراقة بن مالك بن جُعْشُم . [فنظر إليهم فعلم أنهم الذين جعلت فيهم قريش ماجعلت لمن أتى بهم] (٣) فركب فرسه ، وتبعهم ، ليردّهم بزعمه . فلما رآه رسول الله ﷺ دعا عليه ، فساخت يدا فرسه فى الأرض ، ثم استقلَّ ، فأتبع يديه دخان . فعلم أنها آية ، فناداهم : قِفوا علىّ وأنتم آمنون . فوقف رسول الله ﷺ حتى لحق بهم . ثم همَّ به فساختْ يدا فرسه فى الأرض ، فقال له : ادْعُ الله لى فلن ترى منى ما تكره . فدعا له ، فاستقلت فرسه . ورغب إلى رسول الله ﷺ أن يكتب له كتاباً(٤) ، فأمر أبا بكر ، فكتب(٥) له ***

= وفى المستقبل ما دفع الحزن ، بل الواقع فى الاستقبال الطمأنينة والسكينة والفرح . [و] ورد عن عائشة أنها قالت عن أبيها فى يوم الهجرة حين علم من الرسول أنه مهاجر معه : ما علمت أن أحداً يبكى من شدة الفرح حتى رأيت أبا بكر (حينئذ) يبكى من شدة الفرح . ثم كان من آثار المعية الإلهية لرسول الله ﷺ وأبى بكر أنه يقال إلى الأبد : قال رسول الله ، وقال خليفة رسول الله . فالله يذكر معهما وليس ذلك لأحد غيرهما .

(١) السفرة : الزاد .

* قلت : النطاق فى اللغة كالإزار : ثوب تلبسه المرأة ، ثم تشد وسطها ، ثم ترسل الأعلى على الأسفل . قال الهروى : وبه سميت أسماء ذات النطاقين ، لأنها كانت تطارق بين نطاقين مبالغة . وقيل : بل كانت تلبس أحدهما ، وتحمل الزاد لرسول الله ﷺ فى الآخر إلى الغار . والتفسير الذى ذكر فى السيرة (النبوّية) قريب من هذا .

(٢) فى ر : مع عامر .

** راحلة النبى ﷺ التى اشتراها من أبى بكر هى الجدعاء ، وهى غير العضباء . وجاء فى حديث أنه عليه السلام ذكر أن ناقة صالح تحشر معه – أى فيركبها والله أعلم . – فقال رجل : يارسول الله وأنت على العضباء ، فقال : لا فاطمة على العضباء وأنا على البراق ، وهذا – وأشار إلى بلال – على ناقة من نوق الجنة [انظر الروض الأنف ٣/٢] . واعلم أن العضباء اسم علم ولم تكن معضوبة الأذن .

(٣) زيادة من ر

(٤) كتاباً : أى كتاب أمن ، وكأنه وقع فى نفس سراقة أن سيظهر أمر الرسول ، وكان لقاؤه له – كما قال أصحاب السير – بقديد ، إذ اتخذ الرسول إلى المدينة طريق الساحل .

(٥) فى بعض الروايات أن الذى كتب له هذا الكتاب عامر بن فهيرة .

*** أصل الجعشم [يشير إلى اسم جد سراقة] لغة المنتفخ . ويقال إنه عليه السلام وعد سراقة حينئذ أن يلبسه الله تاج كسرى وسواريه . فعجب من ذلك . فأنجز الله وعده على يد عمر رضى الله عنه ، وذلك أن عامله على المدائن وجد فيها صنماً فى بعض بيوت كسرى عاقداً صورة واحد وأربعين مشيراً بأصبعه إلى الأرض . فقال : ما هذه الإشارة إلا لشىء ، فاحتفر تحته ، فإذا سفط فيه تاج كسرى وسواراه ونحو ذلك . فبعث به إلى عمر مختوماً ، وقال : هذا مما لم يؤخذ=

ثم مرُّوا(١) على خيمة أُمِّ معبد ، فكان من حديثها [فى قصة(٢) شاتها] ما هو منقول مشهور عن الثقاة * ، ونهضوا قاصدين على غير الطريق المعهودة . وقد وصف بعض أَهل السير مراحله يوماً فيوماً ، ولم أَرَ لذكرها وجهاً .

= غلبة بخيل ولا ركاب ، وقد بعثه لأمير المؤمنين يختص به . فرأى عمر تلك الليلة كأن نارًا أججت ، وكأنه يراد عليها ويستعيذ بالله ، فأمر بالسفط ، فوضع بختمه فى بيت المال واستدعى العامل من العراق ، قال : فصادفت عمر يطوف فى أهل الصدقة فطفت معه إلى أن ارتفع النهار ، ثم عاد إلى منزله فدعا بماء ، فاغتسل واغتسلت ، ثم قدمت له صحفة فيها طعام غليظ ، فأكل ، وجعلت آكل ، فلا أسيغ ذلك الطعام ، وقد كنت اعتدت درمك العراق إذا وضعته فىَّ سبقنى إلى بطنى ، ثم فرغ ودعا بالسفط ، وقال : أتعرف ختمك ؟ فقلت : هو هذا . فحكى لى القصة ثم دعا سراقة ابن مالك بن جعشم وكان طوالا جدًا ، فألبسه حلة كسرى وتوجه بتاجه وسواره بسواره ثم قال : الحمد لله الذى ألبس تاج عدو الله لسراقة . . قال السهيلى [الروض الأنف ٦/٢] : وكان سراقة أعرابيًا جلفاً بوالا على عقبيه . ثم قسم عمر ذلك بين المسلمين . وكان مما قوم بمال عظيم لما فيه من الجواهر . وما ندرى هل كان عمر سمع بوعد النبى ﷺ أم وافق ذلك خاطره ، وكان محدثًا (ملهماً) رضى الله عنه موفقاً رحمه الله .

(١) واضح أن ابن عبد البر يقدم لقاء الرسول لسراقة على قصة أم معبد ، وأكثر أهل السير يؤخرون هذا اللقاء إلى ما بعد قصتها ، وربما قدمه ابن عبد البر لأنه ورد فى الحديث الصحيح الوثيق بخلاف قصة أم معبد فلم ترو عند البخارى ولا عند مسلم . وأم معبد هى عاتكة بنت خالد إحدى بنى كعب من خزاعة ، كان منزلها بقديد ، حيث أخذ الرسول كما أسلفنا طريق الساحل . وانظر قصتها فى كتب السيرة والاستيعاب ص ٧٩٦ وقد نقلها المعلق عنه .

(٢) زيادة من ر .

* قلت : ونحن نذكر حديث أم معبد ، فلا غنى عن ذكره فى هذا الموطن :

مر النبى ﷺ وأبو بكر ودليلها على خيمتى أم معبد فى طريق هجرته . وكانت أم معبد برزة (تظهر للناس وتلقاهم) جلوة تحتبى (تجلس مؤتزرة بثيابها) بفناء القبة وتسق وتطعم ، فسألوها لحماً وتمراً يشترونه منها ، فلم يصيبوا عندها شيئاً وكان القوم مرملين مسنتين فنظر رسول الله ﷺ إلى شاة فى كسر الخيمة ، فقال : ما هذه الشاة يا أم معبد ؟ قالت : شاة خلفها الجهد عن الغنم . فقال : هل بها من لبن ؟ قالت : هى أجهد من ذلك قال : أتأذنين لى أن أحلبها ؟ قالت : بأبى أنت وأمى إن رأيت بها حلباً (لبناً يُحلب) فاحلبها . فدعا بها رسول الله ﷺ ، فمسح بيده ضرعها ، وسمى الله عز وجل ، ودعا لها فى شاتها ، فتفاجت عليه ودرت واجترت . ودعا بإناء يربض الرهط حتى علاه البهاء ، ثم سقاها حتى رويت ، وسقا أصحابه حتى رووا ، وشرب آخرهم ﷺ ثم أراضوا . ثم حلب فيه ثانياً بعد بدء ، حتى ملأ الإناء . ثم غادره عندها ، ثم بايعها [على الإسلام] ثم ارتحلوا عنها فقلّ ما لبثت حتى جاء زوجها أبو معبد يسوق أعنزًا عجافاً (هزيلة) تشاركن هزلاً مخهن قليل . فلما رأى أبو معبد اللبن عجب ، وقال : من أين لك هذا والشاة عازب حيال (لا تدر) ولا حلوب [شاة مدرة] فى البيت ؟ قالت : لا والله إلاّ أنه مر بنا رجل مبارك من حاله كذا . فقال : صفيه لى يا أم معبد . فقالت : رأيت رجلا ظاهر الوضاءة ، أبلج الوجه ، حسن الخلق ، لم تعبه نحلة [وفى الاستيعاب والمصادر الأخرى : ثجلة وهى ضخم البطن] ولم تزر به صَعْلة ، وسيماً قسيمًا ، فى عينيه دعج ، وفى أشفاره [شعر أجفانه] عطف [هكذا فى الاستيعاب] أو عطف ، وفى صوته صحل ، وفى عنقه سطع [طول] وفى لحيته كثاثة ، أزج [دقيق الحاجبين فى طول [أقرن] [مقرون الحاجبين] إن صمت فعليه الوقار ، وإن تكلم سما وعلاه البهاء ، أجمل الناس وأبهاه من بعيد ، وأحسنه وأجمله من قريب ، حلو المنطق ، فصل [محكم] لا نزر ولا هذر كأنما منطقه =

وعَبَروا على عُسْفان ، وهو وادٍ تعتسفه السيول ، وكان مأوى الجُذَماء قديماً ، ويقال إنه عليه السلام أَسرع [فى] مشيه حين سلكه ، وقال : إن كان من العلل شىء بعدى فهذه العلة ، نعوذ بالله من كل سوء .

ولما أَتوا إلى موضع يسمَّى العَرْج [على نحو ثمانين ميلا من المدينة] وقف بهم بعض

= خرزات نظم يتحدرن ، ربعة ، لا بائن من طول ولا تقتحمه عين من قصر . غصن بين غصنين فهو أنضر الثلاثة منظراً وأحسنهم قدرًا له رفقاء يحفون به ، إن قال أنصتوا لقوله ، أو أمر تبادروا لأمره ، محشود ، محفود ، لا عابس ولا مفند (لا يخطِّأ رأيه) قال أبو معبد : هو والله صاحب قريش ، لقد هممت أن أصحبه ، ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلا . فأصبح صوت بمكة عال يسمعون الصوت ولا يدرون من صاحبه ، وهو يقول :

جَزَى الله ربُّ الناسِ خيرَ جَزائه ... رفيقين قالا خَيْمَتَىْ أمِّ مَعْبَد
هما نزلاها بالهُدَى فاهتدتْ به ... فقد فاز من أمسى رفيقَ محمَّد
فيا لقُصَىٍّ ما زَوَى الله عنكمْ ... به من فعالٍ لا تجارَى وسُؤْدَد
ليَهْنِ بنى كعبٍ مكانُ فتاتِهم ... ومقعدها للمؤمنين بمرْصد
دعاها بشاةٍ حائلٍ فتحلَّبَتْ ... له بصَريح ضَرَّةِ الشاة مُزْبِد
فغادرها رَهْناً لديها لحالبٍ ... يرِدّدها فى مصدر ثم مورد

تفسير غريبه : البرزة : المسنة التى بررت ولم تنحدر لسنها . وقال بعضهم : البرزة الجليلة الكريمة مسنة أو غيرها . وكذلك البرز : الكامل المبرز فى الأوصاف الحسنة . مرملين نفد زادهم ومسنتين : أصابتهم السنة أى الجدب . وروى مشتين دخلوا فى الشتاء ، وحينئذ يقل الطعام عند العرب . كسر الخيمة : جانبها تفاجّت : فتحت ما بين رجليها وتمحجت . ويربض الرهط : يرويهم حتى يثقلوا فيركضوا . والرهط : إلى العشرة . والبهاء : وميض الرغوة . وأراضوا : من قولهم أراض الوادى إذا روى واستنقع الماء فيه . والشاء عازب : أى بعيدة عن المرعى . وأبلج : مضىء الوجه . والنحلة : الدقة . والصَّعْلة انتفاخ الأضلاع . وقيل : الدقة ، وقيل صغر الرأس ، واُختير فى هذه الكلمة فتح العين ، ذكره الهروى . والوسيم : القسيم الحسن الجميل . والدعج : سواد العين ، والعطف بالمعجمة طول الأشفار ولم يعرفه الرياشى بغير المعجمة وفى رواية : وفى أشفاره وطف أى طول أيضاً والصحل : بحة لطيفة مليحة تنكسر بها حدة الصوت وسما : علا برأسه أو بيده لا نزر ولا هدر [هكذا بالدال وفى الاستيعاب بالدال ، والهذر : الكلام فيه فضول] لا قليل جدًا ولا كثير جدًا ، بل وسط . ومحشود : تنحشد إليه الناس ويألفونه . محفود : مخدوم [قالا : نزلا وقت القيلولة . زوى . صرف] والصريح : الخالص والضرة : لحمة الضرع ، وقال الهروى : أصل الضرع والله أعلم [وقد روى الشطر الأخير فى الأبيات هكذا : تدر لها فى مصدر ثم مورد . وتابع المعلق الاستيعاب فى روايته] .

وفى هذا الحديث من الفقه : أنه لا يسوغ التصرف فى ملك « الغير » ولو لإصلاحه وتنميته إلا بإذن صاحبه . ولهذا استأذنها (الرسول) فى إصلاح شأنها . وفيه لطيفة عجيبة ، وهى أن اللبن المحتلب من الشاة المذكورة لابد أن يفرض مملوكاً . والملك هٰهنا دائر بين صاحبة الشاة وبين النبى ﷺ ، ولهذا قسم اللبن . وأشبه شىء بذلك المساقاة ، فإنها تكرمة للأصل وإصلاح بجر (بخالص) من الثمرة ، وكذلك فعل النبى ﷺ كرم الشاة وأصلحها بجر من اللبن . ويحتمل أن يقال إن اللبن مملوك للنبى ﷺ ، وسقاها تفضلا لأنه ببركته كان ، وعن دعائه وجد . والفقه الأول أدق وألطف . وفى =

ظَهْرهم [إبلهم] فألفوا رجلا من أسلم يقال له أوس بن حَجر . فحمل رسول ﷺ على جمل له ، وبعث معه غلاماً له يُقال له مسعود بن هُنَيْدة ليردّه إليه من المدينة ، فاحتملوا[١] إلى بطن رِئْمٍ حتى نزلوا بقُباء ، وذلك يوم الاثنين ضحى – وقد قيل عند استواء الشمس – وذلك/ لاثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول * ٣٧ و

وأول من رآه رجل من اليهود ، وكان أكثر أهل المدينة قد خرجوا ينظرون إليه ، فلما ارتفع النهار وقَلِصَت الظِّلال واشتد الحر يئسوا منه فانصرفوا . ورآه رجل من اليهود وكان فى نَخْلٍ[٢] له فصاح بأعلى صوته : يا بنى[٣] قَيْلَة هذا جَدُّكم قد جاء – يعنى حظكم – فخرجوا وتلقوه ودخل معهم المدينة . فقيل إنه نزل على سعْد بن خَيْثَمة ، وقيل إنه نزل على كلثوم بن الهِدْم ، ونزل أبو بكر على خُبَيْب بن إساف وقيل : بل نزل على خارجة بن زيد ابن أبى زهير وكلاهما من بنى الحارث بن الخزرج . وكان فيمن خرج لينظر إليه قوم من اليهود وكان فيهم عبد الله بن سلام ، قال عبد الله بن سلام : فلما نظرت إليه علمت أن وجهه ليس بوجه كذاب ، فكان أول ما سمعت منه : أيها الناس أفْشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصِلوا الأرْحام ، وصَلُّوا بالليل والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام .

وأقام علىٌّ بمكة رضى الله عنه بأمر رسول الله ﷺ حتى أدَّى ودائع كانت عنده ﷺ أمره بأدائها إلى أهلها ثم يلحق به ، ففعل علىٌّ ذلك ، ثم لحق بالمدينة ، فنزل مع النبى صلى الله عليه وسلم بقُباء . فأقام رسول الله ﷺ أيامًا[٤] ، وأسس مسجدها[٥] وهو ٣٧ ظ

= الشعر لطيفة عجيبة ، وهى قوله : رفيقين ، وكانوا ثلاثة ، ولكنه أسقط ذكر الدليل ، لأنه كان كافرًا لم يدخل فى الدعوة . والله أعلم . وقيل إن شاة أم معبد هذه استمرت بهذه الصفة ، واستقرت فيها البركة . سئل بعض الصحابة فقيل له : ترى آستمرت شاة أم معبد على هذا ؟ فقال : نعم أنا رأيتها تأدم أم معبد والصرم (الحى) الذى هى فيه بجملتهم والله أعلم . [وانظر فى هذا الحديث ابن سعد ج ١ ق ١ ص ١٥٥]

(١) احتملوا : رحلوا .

* وقد قيل غير ذلك على ما ذكر ابن عبد البر فى صدر كتاب الصحابة (انظر الاستيعاب ص ١٣) .

(٢) ذكر بعض أصحاب السير أنه كان على سطح أطمه (حصنه) .

(٣) بنو قيلة . هم الأوس والخزرج .

(٤) اختلف الرواة فى عدد الأيام التى أقامها الرسول فى قباء حيث لحق به علىّ ، فقيل أربعة وقيل أربعة عشر ، وقيل اثنان وعشرون

(٥) مسجدها : أى مسجد قباء

أول مسجد أسِّس على التقوى*

ثم خرج منها راكباً ناقته ، متوجهاً حيث أمره الله ، فأدركته الجمعة فى بنى سالم [بن عوف] فصلاَّها فى بطن الوادى[١] ، فخرج إليه رجال من بنى سالم ، منهم العباس بن عُبادة وعِتْبان بن مالك ، فسألوه أن ينزل عندهم ويقيم ، فقال : خَلُّوا الناقة[٢] فإنها مأمورة . ونهض الأنصار حوله حتى أتى [دور] بنى بياضة ، فتلقاه زياد بن لَبيد وفَرْوة بن عمرو فى رجال منهم / فدعوه إلى النزول والبقاء عندهم ، فقال عليه السلام : دعوا الناقة فإنها مأمورة . ومضى حتى أتى [دور] بنى ساعدة ، فتلقاه سعد بن عُبادة والمنذر بن عمرو ورجال من بنى ساعدة ، فدعوه إلى النزول والبقاء عندهم ، فقال ﷺ : دَعوا الناقة فإنها مأمورة . ومضى حتى أتى دوربنى الحارث بن الخزرج ، فتلقاه سعد بن الربيع وخارجة بن زيد وعبد الله بن رَواحة ، فدعوه ﷺ إلى البقاء عندهم ، فقال : دَعوا الناقة فإنها مأمورة . ومضى ﷺ حتى أتى دور [بنى] عدى بن النجار وهم أخوال عبد المطلب ، فتلقَّاه سَلِيط بن قيس وأبو سليط يُسَيْرَة[٣] بن أبى خارجة ورجال من بنى عدى بن النجار ، فدعوه إلى النزول عندهم والبقاء ، فقال : دعوها إنها مأمورة .

٣٨ و

ومضى ﷺ حتى أتى دور بنى مالك بن النجار ، فبركت الناقة فى موضع مسجده ﷺ ، وهو يومئذ مِرْبد تَمْرٍ لغلامين يتيمين من بنى مالك بن النجار وهما : سهل وسهيل ، وكانا فى حِجْر معاذ بن عفْراء ، وكان فيه وحواليه نَخْلٌ وخِرَبٌ وقبور للمشركين ، فبركت الناقة ، فبقى عليه السلام على ظهرها لم ينزل ، فقامت ومشت قليلا

---

* قال الله سبحانه وتعالى (من أول يوم) [فى الآية الكريمة : لمسجد أُسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه] . قال السهيلى : [الروض الأنف ١١/٢] : فيه تعريض بأن التاريخ المختص بهذه الأمة يكون مبدؤه الهجرة ، وفيه أيضاً تصويب لذلك ، لأنه تعالى قال : (من أول يوم) ولا يريد سائر الأيام . وليس فى الآية ما يعين يوماً مخصوصاً ، فلم يبق إلا صرفه لما وقع بعد ذلك ، كأنه قال : من أول يوم من التاريخ . قلت : وهذا عندى تكلف وتعسف وخروج عن تقدير الأئمة المتقدمين ، فإنهم قدروه : من تأسيس أول يوم ، فكأنه قال : من أول يوم وقع التأسيس فيه . وهذا تقدير تقتضيه العربية وتشهد له الآية ، ويحققه استعمال هذا الكلام فيما ليس مبدأ للتاريخ مثل أن تقول : عمر بن عبد العزيز خليفة صالح من أول يوم ، أى من أول يوم خلافته ، وهلم جرا إلى أمثال ذلك .

(١) وادى بنى سالم ، وقيل إنه صلى فى وادى رانوناء . انظر ابن هشام ١٣٩/٢ .

(٢) وكان عليه السلام راكباً ناقته .

(٣) فى بعض الروايات : أسيرة .

وهو لا يهيجها ثم التفتت [خَلْفها] فكرَّت إلى مكانها وبركتْ فيه واستقرَّت ، فنزل عنها* / صلّى الله عليه [وسلم] .

٣٨ ظ

وقد قِيل إن جبَّار بن صخْر من بنى سَلِمة ، وكان من صالحى المسلمين ، جعل ينخسها منافسة على بنى النجار فى نزول رسول الله ﷺ عندهم ، فانتهره أَبو أَيوب على ذلك وأوعده . فلما نزل رسول الله ﷺ عن ناقته أَخذ أبو أَيوب رَحْله ، فحمله إلى داره . ونزل ﷺ دار أَبى أَيوب فى بيت منها : عُلِّيَّته[1] مسكن أَبى أَيوب . وكان أَبو أَيوب قد أَراد أَن ينزل له عن ذلك المسكن ويُسْكنه فيه ، فأَبى رسول الله ﷺ . فلما كان بعد أَيام سقط شىء من ماء أَو غبار على رأْس رسول الله ﷺ فى ذلك البيت ، فنزل أَبو أَيوب وأَقسم على رسول الله وأَبدى الرغبة له ليطلعن إلى منزله ويهبط أَبو أَيوب عنه . ففعل ذلك رسول الله ﷺ .

فلم يزل رسول الله ﷺ ساكناً عند أَبى أَيوب حتى بنى مسجده[2] ، وحُجَره ومنازل / أَزواجه . ثم انتقل عنه إلى ما بنى فى ذلك المِرْبد . وكان رسول الله ﷺ قد سأَل عنه فقيل هو لغلامين ، فأَراد شراءه ، فأَبت بنو النجار من بيعه ، وبذلوه لله ، وعاوضوا اليتيمين بما هو أَفضل . وقد رُوِىَ أَن رسول الله ﷺ أَبى أَن يأخذه إلا بثمن ، والله أَعلم** .

٣٩ و

---

* قلت : الحكمة البالغة من الله عز وجل فى إحالة الأمر على الناقة أن يكون تخصيصه عليه السلام لمن خصه الله بالنزول عنده آية ومعجزة تطيب بها النفوس وتذهب معها المنافسة ، ولا يحيك ذلك فى صدر أحد منهم شيئاً . والله أعلم .

(١) واضح من السياق أن الرسول لما نزل فى بيت أبى أيوب نزل فى السفل وبقى أبو أيوب مع زوجه فى العلو . حتى إذا سقط الماء أو الغبار على الرسول فزع أبو أيوب وظل يتوسل إليه أن ينزل مع زوجه إلى السفل ويصعد الرسول مع أهله إلى العلو حتّى أجابه .

(٢) ويقال إنه مكث فى دار أبى أيوب سبعة أشهر .

** قلت : فيه ما يدل على جواز بيع عقار اليتيم وإن لم يكن محتاجاً للنفقة ، إذا كان فى البيع مصلحة ، إما للتعويض بما هو أولى ، وإما أن تدعو حاجة المسلمين إلى ذلك لبناء مسجد أو سور ونحوه . فتأمله . ونبش قبور المشركين وتعويض الأرض عنهم بتعبدات المسلمين وبركاتهم أصل فى جعل الكنائس المفتتحة مساجد وجوامع . وهى سنة المسلمين فى يفتحونه من البلاد . وفيه دليل على طهارة المقابر الدواثر والله أعلم .

[بناءُ مسجد رسول الله] (١)

فَبَنَى رسول الله ﷺ مسجده ، وجعل عِضَادتيه (٢) الحجارة وسَواريه (٣) جذوع النَّخْل وسقْفه جَرِيدها بعد أَن نبش قبور المشركين وسوَّاها وسوَّى الخِرَب وقطع النخل . وعمل فيه المسلمون حِسْبَةً .

٣٩ ظ ومات أبو أُمامة أَسعد بن زُرارة فى الأَيام التى كان/رسول الله ﷺ يبنى [فيها] مسجده وبيوته (٤) ، فوجد (٥) عليه رسول الله ﷺ وجدًا شديدًا ، وقد كان كواه من ذُبْحة نزلت به ، وكان نقيباً فى بنى النجار ، فلم يجعل رسول الله ﷺ بعده عليهم نقيباً (٦) .

مؤاخاة رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأَنصار رضى الله عنهم أَجمعين (٧)

وآخى رسول الله ﷺ بعد بنائه المسجد بين الأنصار والمهاجرين . وقد قيل إن المؤاخاة كانت ، والمسجد يُبْنَى ، بين المهاجرين والأَنصار على المواساة والحق ، فكانوا يتوارثون

---

(١) انظر فى بناء هذا المسجد ابن هشام ١٤٠/٢ وابن سعد ج ١ ق ٢ص ١ وصحيح البخارى ٨٩/١ وما بعدها والطبرى ٣٩٤/٢ وابن سيد الناس ١٩٥/١ وابن كثير ٣١٤/٣ والنويرى ٣٤٤/١٦ وقد ظل الرسول فى بنائه من حين نزوله بالمدينة حتى شهر صفر من السنة الثانية للهجرة وبنى معه منازله ، وكانت مادة البناء اللبن . ووسعه عمر ، وبناه عثمان بالحجارة ، وتأنق الوليد بن عبد الملك فى بنائه بالفسيفساء والرخام على ما هو معروف مشهور .

(٢) عصادة الباب : حاجب عتبته المنصوب عن يمين الداخل وشماله .

(٣) سوارى المسجد : أعمدته .

(٤) انظر فى بيوت الرسول الروض الأنف ١٣/٢ .

(٥) وجد : حزن .

(٦) ويقال إن الرسول قال لبنى النجار بعد وفاة أسعد : أنا نقيبكم فكانت من مفاخرهم .

(٧) انظر فى هذه المؤاخاة ابن هشام ١٥٠/٢ والمحبر لابن حبيب ص ٧١ وابن سعد ج ١ ق ٢ ص ١ والبخارى ٣١/٥ ـ ٦٩ وابن سيد الناس ١٩٩/١ وابن كثير ٢٢٦/٣ والنويرى ٣٤٧/١٦ .

المشهور أن هذه المؤاخاة كانت بعد قدوم الرسول إلى المدينة بخمسة أشهر ، وكانوا تسعين رجلا : خمسة وأربعين من المهاجرين وخمسة وأربعين من الأنصار ، ويقال كانوا مائة : خمسين من المهاجرين وخمسين من الأنصار . وواضح من السياق أن هذه المؤاخاة كانت على الحق والمواساة والتوارث وسيذكر ابن عبد البر مؤاخاة تسبقها بين المهاجرين بعضهم وبعض ، وكانت على الحق والمواساة فقط دون التوارث .

بذلك دون القرابات حتى نزلت[١] : (وأُولُو الأَرْحام بعضُهم أَوْلى ببعض فى كتاب الله) .

روى أبو داود الطيالسى عن سليمان بن معاذ عن سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس ، قال :

آخى رسول الله ﷺ بين أَصحابه : المهاجرين والأَنصار ، وورث بعضهم من بعض ، حتى نزلت : (وأُولو الأَرحام بعضهم أَولى ببعض) .

وذكر سعيد بن داود ، قال : بلغنا وكتبنا عن شيوخنا أَنه ﷺ :

آخى يومئذٍ بين أَبى بكر الصديق وخارجة بن زيد بن أَبى زهير ، وبين عمر بن الخطاب وعويم[٢] بن ساعدة ، قال : ويقال بين عمر بن الخطاب ومعاذ بن عفراء . قال : وقيل أَيضاً بين عمر وعِتبان[٣] بن مالك ، وبين عثمان بن عفان وأَوس بن ثابت ، وبين على بن أَبى طالب /وسهل[٤] بن حنيف ، وبين زيد بن حارثة وأُسيد[٥] بن الحُضَيْر ، وبين أَبى مَرْثد الغنوى وعبادة بن الصامت ، وبين الزبير وكعب[٦] بن مالك ، وبين طلحة وأُبى[٧] بن كعب ، وبين سعد [بن أَبى وقاص] وسعد بن معاذ ، وبين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع ، وبين عبد الله بن جحش وعاصم بن ثابت ، وبين أَبى حذيفة بن عتبة وعباد بن بشر ، وبين عتبة بن غَزْوان وأَبى دُجانة ، وبين مصعب ابن عُمَير وأَبى أَيوب ، وبين ابن مسعود ومعاذ[٨] بن جبل ، وبين أَبى سَلمة بن عبد الأَسد وسعد بن خَيْثَمَة ، وبين عمار وحذيفة [بن اليمان] ، وبين أَبى عبيدة ومحمد[٩] بن

٤٠ و

---

(١) واضح أن الآية نسخت ما فرضته هذه المؤاخاة من التوارث ، أما ما وراءه من الحق والمواساة فقد ظلا قائمين .

(٢) فى ابن هشام : إن الرسول إنما آخى بين عويم بن ساعدة وحاطب بن أبى بلتعة .

(٣) هو قول ابن هشام ، وعتبان وخارجه بن زيد خزرجيان ، وكذلك أكثر هؤلاء المتآخين الأنصار من الخزرج .

(٤) فى ابن هشام إن الرسول آخى بين على ونفسه ، وسيعنى ابن عبد البر عما قليل برواية الأخبار الواردة فى ذلك

(٥) فى ابن هشام أن الرسول آخى بين زيد بن حارثة وحمزة بن عبد المطلب عمه . وتلك كانت مؤاخاة قديمة ا قبل الهجرة ، وسيذكرها ابن عبد البر فى آخر هذا الفصل .

(٦) فى ابن هشام أن الرسول آخى بين الزبير وسلمة بن سلامة بن وقش ، وسنرى ابن عبد البر يأخذ بهذه الرواية .

(٧) فى ابن هشام : بين طلحة وكعب بن مالك . وسيأخذ ابن عبد البر بهذه الرواية .

(٨) فى ابن هشام : بين جعفر بن أبى طالب ومعاذ بن جبل .

(٩) فى ابن هشام : بين أبى عبيدة وسعد بن معاذ . وبذلك أخذ ابن عبد البر .

مسلمة ، وبين عثمان بن مظعون وأبي الهيثم بن التَّيهان ، وبين سلمان [الفارسي] وأبي الدرداء .

قال الحافظ ابو عمر رضي الله عنه :

ذكر هذا سُنَيْد ، ولم يسنده إلى أحد ، إلا أنه بلغه[1] . والصحيح عند أهل السير والعلم بالآثار والخبر في المؤاخاة التي عقدها رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار في حين قدومه إلى المدينة أنه : آخى بين أبي بكر الصديق وخارجة بن زيد بن أبي زُهَيْر ، وبين عمر بن الخطاب وعتبان بن مالك ، وبين عثمان بن عَفَّان وأوس بن ثابت بن المنذر أخي[2] حسان بن ثابت . وآخى بين علي بن أبي طالب/ وبين نفسه ﷺ ، فقال له : أنت أخي في الدنيا والآخرة .

٤٠ ظ

حدثنا سعيد بن نصر ، قال : أنبأنا قاسم بن أصْبغ ، قال : أنبأنا محمد بن وضاح ، قال : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، قال : أنبأنا عبد الله بن نمير ، عن حجاج ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس :

أن النبي ﷺ قال لعلي : أنت أخي* وصاحبي .

أخبرنا محمد بن إبراهيم ، قال : أخبرنا محمد بن معاوية ، قال : أخبرنا أحمد بن شعيب ، قال : أخبرنا محمد بن يحيى بن عبد الله النيسابوري ، وأحمد بن عثمان بن حكيم ، قالا : حدثنا عمرو بن طلحة ، قال : أنبأنا أسباط ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس :

أن عليًّا كان يقول : والله إني لأخو رسول الله ﷺ ووليُّه .

حدثنا سعيد ، قال : حدثنا قاسم ، أخبرنا ابن وضاح ، قال : أخبرنا أبو بكر ،

---

(١) واضح أن ابن عبد البر يضعف رواية سنيد . على أنه أخذ ببعض روايته .

(٢) في الأصل : أخا .

* قلت : ولا يلزم سنيدا احتجاج أبي عمر ، لأن المؤاخاة المتقدمة نسخت بآية المواريث وغيرها ، وهذه أخوة موثقة عامة بالإسلام ، وخاصة بأسباب غير المؤاخاة الأولى . . وقد (آخاه) عليه السلام ، ولكن أخوة الإسلام ، وأبو بكر أيضاً أخو رسول الله بهذا الاعتبار .

[واضح من هذا التعليق أن صاحبه ينفي أخوة علي للرسول في تلك المؤاخاة التي عقدها بين المهاجرين والأنصار ، حتى لا يتعلق الشيعة بمثل هذا الخبر في تفضيل عليّ على أبي بكر . وفي بعض الأخبار أن مؤاخاة الرسول لعلي كانت في المؤاخاة الأولى بين المهاجرين بعضهم وبعض قبل هجرتهم . انظر ابن سيد الناس ١/٢٠٠]

قال : أنبأنا عبد الله بن نمير ، عن العلاء بن صالح ، عن المنهال ، عن عباد بن عبد الله ،
قال : سمعت عليًّا/يقول : أنا عبد الله وأخو رسوله ، ولا يقولها بعدى إلا كذَّاب مُفْتَرٍ . ٤١ و

وحدثنا سعيد ، قال : أنبأنا قاسم ، قال : أنبأنا محمد ، قال : أنبأنا أبو بكر ، قال : أنبأنا عبد الله بن نمير ، عن الحارث بن حضيرة ، قال : حدثنى أبو سليمان الجُهَنى يعنى زيد بن وهب ، قال :

سمعت عليًّا يقول على المنبر : أنا عبد الله وأخو رسوله لم يقلها أحد قبلى ، ولا يقولها أحد بعدى إلاَّ كذاب مفتر .

وآخى بين جعفر بن أبى طالب وهو بأرض[١] الحبشة ومعاذ بن جبل ، وبين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع ، وبين الزبير وسلمة بن سلامة بن وقش ، وبين طلحة وكعب بن مالك ، وبين أبى عبيدة وسعد بن معاذ ، وبين سعد ومحمد[٢] بن مسلمة ، وبين سعيد بن زيد وأُبَىّ بن كعب ، وبين مصعب بن عُمَيْر وأبى أيوب ، وبين عمار وحذيفة بن اليمان حليف بنى عبد الأشهل ، وقد قيل بين عمار[٣] وثابت بن قيس ، وبين أبى حذيفة بن عتبة وعباد بن بشر ، وبين أبى[٤] ذَرّ والمنذر بن عمرو ، وبين ابن مسعود وسهل بن حنيف ، وبين سلمان الفارسى وأبى الدَّرْداء ، وبين بلال وأبى رُوَيحة الخثعمى حليف الأنصار ، وبين حاطب بن أبى بَلْتعة وعُوَيْم بن ساعدة ، وبين عبد الله بن جحش وعاصم بن ثابت ، وبين عبيدة[٥] بن الحارث وعمير بن الحُمَام ، وبين الطفيل ابن الحارث أخيه وسفيان/ابن بشر[٦] بن زيد من بنى جشم بن الحارث بن الخزرج ، وبين الحصين بن الحارث أخيهما وعبد الله بن جبير ، وبين عثمان بن مظعون والعباس بن ٤١ ظ

---

(١) مرَّ بنا أن المؤاخاة عند سنيد كانت بين ابن مسعود ومعاذ بن جبل ، وقد أنكر الواقدى مؤاخاة جعفر بن أبى طالب ومعاذ بن جبل لغيبة جعفر بالحبشة . انظر ابن سيد الناس ٢٠١/١ .

(٢) عند سنيد كما مر بنا أن المؤاخاة كانت بين سعد وسعد بن معاذ .

(٣) انظر فى ذلك ابن هشام نقلا عن ابن إسحق .

(٤) أنكر الواقدى هذه المؤاخاة لغيبة أبى ذر عن المدينة إلى ما بعد غزوة الخندق ، وأثبت مكانها مؤاخاة طليب بن عمير والمنذر بن عمرو .

(٥) ذكر ابن سيد الناس ٢٠١/١ – ٢٠٢ : أن ابن عبد البر انفرد بذكر المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار الباقين ما عدا المؤاخاة بين عتبة بن غزوان ومعاذ بن ماعص ، وبين أبى سلمة بن عبد الأسد وسعيد بن خيثمة ، وبين أبى مرثد الغنوى وعبادة بن الصامت .

(٦) اختلف الرواة هل هو بشر أو بشير أو نسر . انظر الاستيعاب ص ٥٧٤ .

عبادة ، وبين عتبة بن غزوان ومعاذ بن ماعص ، وبين صفوان بن بيضاء ورافع بن المعلى ، وبين المقداد بن عمرو وعبد الله بن رَواحة ، وبين ذى الشمالين ويزيد بن الحارث من بنى حارثة بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج ، وبين أبى سلمة بن عبد الأسد وسعيد بن خيثمة ، وبين عمير بن أبى وقَّاص وخُبيْب بن عدى ، وبين عبد الله بن مظعون وقُطْبة بن عامر بن حَديدة ، وبين شَمَّاس بن عثمان وحنظلة بن أبى عامر ، وبين الأرقم بن أبى الأرقم وطلحة بن زيد الأنصارى ، وبين زيد بن الخطاب ومعن بن عدى ، وبين عمرو بن سُراقة وسعيد[١] بن زيد من بنى عبد الأشهل ، وبين عاقل بن البُكير ومبشر بن عبد المنذر ، وبين عبد الله بن مخرمة وفروة بن عمرو البياضى ، وبين خُنَيْس بن حذافة والمنذر بن محمد بن عقبة بن أُحَيْحَة بن الجُلاح ، وبين أبى سَبْرة بن أبى رُهْم وعبادة ابن الخشخاش[٢] ، وبين مِسْطح بن أُثاثة وزيد بن المزَيَّن[٣] ، وبين أبى مرثد الغنوى وعبادة بن الصامت ، وبين عكاشة بن مِحْصَن والمجذَّر بن ذياد البلوىّ حليف الأنصار ، وبين عامر/بن فُهَيْرة والحارث بن الصِّمَّة ، وبين مِهْجَع مولى عمر وسراقة بن عمرو بن عطية من بنى غَنْم بن مالك بن النجار . ٤٢ و

وقد كان رسول الله ﷺ آخى بين المهاجرين بعضهم[٤] وبعض قبل الهجرة على الحق والمواساة أيضًا ، فآخى بين أبى بكر وعمر ، وبين حمزة وزيد بن حارثة ، وبين عثمان وعبد الرحمن بن عوف ، وبين الزبير وعبد الله بن مسعود ، وبين عبيدة بن الحارث وبلال ، وبين مصعب بن عمير وسعد بن أبى وقَّاص ، وبين أبى عبيدة وسالم مولى أبى حذيفة ، وبين سعيد بن زيد وطلحة بن عبيد الله[٥] . فلما نزل المدينة آخى بين المهاجرين والأنصار على ما تقدم ذكرُنا له .

---

(١) فى الأصل : سعد ، وهو تحريف ، انظر الاستيعاب ص ٥٦٥ .

(٢) ضبطه الواقدى : الحسحاس بالحاء والسين المهملتين ، ويقال فيه عباد بن الخشخاش بدون هاء . انظر الاستيعاب ص ٤٢٥ .

(٣) هكذا ضبطه ابن عبد البر ، وضبطه بعض الرواة بكسر الميم وسكون الزاى وفتح الياء انظر ابن سيد الناس ٢٠٢/١ .

(٤) فى الأصل : آخى بين المهاجرين والأنصار وهو تحريف ينقضه الكلام التالى وما جاء فى نهاية الفقرة ، وقد احتفظ بها ابن سيد الناس فى ١٩٩/١ .

(٥) زاد ابن سيد الناس المؤاخاة بين الرسول وعلى بن أبى طالب .

(فرض الزكاة)[١]

ثم فرضت الزكاة – وأسلم عبد الله بن سلام وطائفة من اليهود .

[كفار اليهود والمنافقون][٢]

وكفر جمهور اليهود ، ونافق قوم من الأوس والخزرج ، فأظهروا الإسلام مداراة لقومهم من الأنصار وأبطنوا الكفر ، ففضحهم الله عزَّ وجلَّ بالقرآن .

وممن ذُكر منهم من بنى عمرو بن عوف أهل قُباء : الحارث[٣] بن سُوَيْد بن الصامت منافق وكان أخوه خلاَّد بن سويد من فضلاء الأنصار وكان أخوهما الجُلاَس بن سويد ممن اتُّهم بالنفاق لنَزْغَةٍ نزغ بها ثم لم/يظهر بعدُ منه إلا النصح للمسلمين والخير والصلاح ، ونَبْتل[٤] بن الحارث ، وبِجاد بن عثمان بن عامر ، وأبو حبيبة بن الأَزْعر وهو أحد الذين بنوا مسجد[٥] الضِّرار ، وعباد بن حُنَيْف أخو سهل بن حنيف ، وكان أخواه سهل وعثمان من فضلاء الأنصار وصالحيهم . وجارية بن عامر بن العَطَّاف ، وابناه : زيد ومجمِّع . وقد قيل إن مجمع بن جارية لم يصح عنه النفاق ، بل صحَّ عنه الإسلام وحَمْل القرآن ، وإنما ذُكر منهم لأن قومه الذين بنوا مسجد الضِّرار اتخذوه إماماً فيه .

٤٢ ظ

ومن بنى أمية بن زيد : وَديعة بن ثابت وهو من أصحاب مسجد الضرار اتخذوه إماماً ، وبشر بن زيد وأخوه رافع بن زيد .

---

(١) اختلف الرواة فى أول وقت فرضت فيه الزكاة ، ورأى الجمهور أنها فرضت عقب الهجرة وبعد ما تم من المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ، وهو ظاهر قول ابن عبد البر : ثم فرضت الزكاة .

(٢) انظر فى هؤلاء الكفار والمنافقين ابن هشام ٢/ ١٦٠ وما بعدها ، وابن حزم ص ٩٧ وابن سيد الناس ٢٠٨/١ والنويرى ٣٥١/١٦ .

(٣) انضم إلى صفوف قريش فى يوم أحد وقتل المجذر بن ذياد البلوى ولحق بهم ، حتى إذا كان فتح مكة قتله الرسول بالمجذر قوداً .

(٤) هو الذى كان يقول إنما محمد أذن ، مَن حدَّثه شيئاً صدقه ، وفيه نزلت الآية الكريمة (ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هو أذن) .

(٥) بنى هذا المسجد اثنا عشر رجلا عند منصرف رسول الله من غزوة تبوك ، وقد أمر الرسول بإحراقه وهدمه ، وفيهم وفيه نزل قوله تعالى : (والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى ، والله يشهد إنهم لكاذبون) .

ومن النَّبيت من بنى حارثة : مِرْبَع بن قَيْظىّ ، وأَخوه أَوس[١] بن قَيْظى ، وحاطب ابن أَمية بن رافع ، وكان ابنه يزيد بن حاطب من الفضلاء ، وقزمان حليف لهم قتل نفسه يوم أُحد بعد أَن أَنكى فى المشركين[٢] .

ولم يكن فى بنى عبد الأَشهل منافق ولا منافقة : رجل ولا امرأَة ، إلا أَن الضحاك بن ثابت اتُّهم بشىءٍ ، لم[٣] يصح عليه .

ومن الخزرج من بنى النجار : رافع بن وَديعة ، وزيد بن عمرو ، وعمرو[٤] بن قيس .

ومن بنى جُشم بن الخزرج : الجدّ بن قيس .

ومن بنى عوف بن الخزرج : عبد[٥] الله بن أُبىّ بن سَلول كان رئيس المنافقين وكهفاً لهم يأْوون إليه /وكان ابنه عبد الله بن عبد الله من صُلَحاء المسلمين وفضلائهم . ووديعة ، وسويد ، وداعس ومالك .وهؤلاءِ من القواقل. وقيس بن فهر ممن اتُّهم بالنفاق . والله أَعلم .

٤٣ و

وكان قوم من اليهود نافقوا بعد أَن أَظهروا الإيمان بالله ورسوله واستبطنوا الكفر ، منهم : سعد بن حُنَيف ، وزيد بن اللُّصَيْت[٦] ، ورافع بن حريملة ، ورفاعة بن زيد بن التابوت ، وكِنانة بن صُورْيا .

---

(١) هو الذى قال للرسول ﷺ يوم الخندق : إن بيوتنا عورة فأذن لنا فلنرجع إليها ، فأنزل الله فيه : (يقولون إن بيوتنا عورة وما هى بعورة . . .) الآية .

(٢) ذُكر قزمان لرسول الله وهو ينكى فى الكفار فقال إنه من أهل النار ، فعجب أصحابه من قوله ، وسرعان ما جاءهم نبأ قتله لنفسه .

(٣) فى الأصل ور : لا .

(٤) زاد ابن هشام فى ٢/١٧٣ وغيره من المصادر على هذه المجموعة قيس بن عمرو بن سهل .

(٥) هو الذى قال فى غزوة بنى المصطلق : (لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل) وفيه نزلت سورة المنافقين بأسرها .

(٦) هكذا : اللصيت بالتاء فى الأصل وفى ابن هشام وغيره من المراجع ، وضبطه ابن حجر فى الإصابة : اللصيب بالباء بدلا من التاء .

[مغازى رسول الله ﷺ وبعوثه] [١]

غزوة وَدَّان[٢] ويقال لها غزوة الأَبْواء

وأَقام رسول الله ﷺ داعياً بالمدينة إلى الله ومعلماً مما علَّمه الله باقى شهر ربيع الأَول الشهر الذى قدم فيه المدينة وباقى العام كله إلى صفر من سنة اثنتين من الهجرة ، ثم خرج غازياً فى صفر المؤرخ ، واستعمل على المدينة سعد بن عبادة ، حتى بلغ وَدَّان . فوادع[٣] بنى ضمرة بن عبد مَناة[٤] بن كِنانة ، وعقد[٥] ذلك معه سيدهم مخْشىّ بن عمرو . ثم رجع إلى المدينة ولم يلق حَرْباً . وهى أَول غزوة غزاها بنفسه ﷺ .

---

(١) كان عدد غزوات الرسول التى خرج فيها بنفسه غازياً سبعاً وعشرين ، وقد قاتل بنفسه فى تسع منها هى : بدر ، وأحد ، والمريسيع ، والخندق ، وقريظة ، وخيبر ، وفتح مكة ، وحنين ، والطائف . وبلغ عدد بعوثه أو سراياه سبعاً وأربعين ، وقيل بل نحواًمن ستين . وفى اصطلاح الرواة وأصحاب السيرأن الغزوة هى الحرب التى يحضرها الرسول بنفسه ، أما البعث أو السرية فإنه يرسل فيهما طائفة من أصحابه . وأول آية نزلت فى الإذن بالقتال قوله تعالى : (أُذن للذين يقاتَلون بأنهم ظُلِمُوا وأن الله على نصرهم لقدير) . ونزل بعدها : (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله) أى حتى لا يفتن مؤمن عن دينه ، وحتى يعبد الله ولا يعبد سواه ، فغزا الرسول وبعث البعوث والسرايا حتى دخل الناس فى دين الله أفواجًا .

(٢) انظر فى هذه الغزوة ابن هشام ٢٤١/٢ وابن سعد ج ٢ ق ١ ص ٣ وتاريخ الطبرى ٤٠٣/٢ وابن حزم ص ١٠٠ وابن سيد الناس ٢٢٤/١ وابن كثير ٢٤١/٣ والنويرى ٤/١٧ . وودَّان : قرية من نواحى الفرع على الطريق من المدينة إلى مكة ، ومثلها الأبواء .

(٣) وادع : صالح .

(٤) هكذا فى روابن هشام ، وفى الأصل : مناف ، وهو تحريف .

(٥) عقد : أى عقد المصالحة وكتبها ، وكانت على أن لا يغزوه بنو ضمرة ولا يغزوهم ولا يكثروا عليه جميعاً ولا يعينوا عدوًّا .

باب

/بعث حمزة وبعث عبيدة[1]

٤٣ ظ

ولما انصرف رسول الله ﷺ من غزوة الأبواء أقام بالمدينة بقية صفر وربيع الأول وصدرًا من ربيع الآخر . وفى هذه المدة بعث رسول الله ﷺ عمه حمزة بن عبد المطلب فى ثلاثين راكبًا من المهاجرين ، ليس فيهم من الأنصار أحد ، إلى سيف[2] البحر من ناحية العِيص[3] ، فلقى أبا جهل فى ثلاثمائة[4] راكب من كفار أهل مكة ، فحَجَز بينهم مَجْدِيّ بن عمرو الجُهَنى . وتوادع الفريقان على يديه ، فلم يكن بينهما قتال .

وبعث رسول الله ﷺ فى هذه المدة أيضاً عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف فى ستين راكباً من المهاجرين ، أو ثمانين ، ليس فيهم من الأنصار أحد ، فنهض حتى بلغ أحياء[5] وهى ماء بالحجاز بأسفل ثَنِيَّة المَرَة . فتلقّى بها جمعاً من قريش عليهم عكرمة بن أبى جهل ، وقيل : كان عليهم مِكْرَز بن أبى حفص . فلَم يكن بينهم قتال . إلا أن سعد بن أبى وقَّاص وكان فى ذلك البعث رَمَى بسهم فكان أول سهم رُمِىَ به فى سبيل الله . وفرّ من الكفار يومئذٍ إلى المسلمين المقداد بن عمرو ، وعقبة بن غَزْوان ، وكانا قديمى الإسلام إلا أنهما لم يجدا السبيل إلى اللحاق بالنبى عليه السلام إلى يومئذٍ .

٤٤ و

واختلف أهل السير فى أى البعثين كان أول : أبعث حمزة /أو بعث عبيدة ، فقال ابن إسحق : أول راية عقدها رسول الله ﷺ وأول سَرِيَّة بعثها عبيدة بن الحارث . قال ابن

---

(١) انظر فى البعثين ابن هشام ٢٤١/٢ وما بعدها والطبرى ٤٠٤/٢ وابن سعد ج ٢ ق ١ ص ٢ وقد قدمها على غزوة الأبواء ، وانظر أيضًا ابن حزم ص ١٠٠ ، وابن سيد الناس ٢٢٤/١ وابن كثير ٢٣٤/٣ وهو ممن قدمها على غزوة الأبواء وكذلك صنع النويرى ٢/١٧ وقد قيل إن سرية حمزة كانت فى رمضان ، وتلتها سرية عبيدة فى شوال من السنة الأولى للهجرة .

(٢) سيف : ساحل .

(٣) العيص : موضع بساحل البحر فى ناحية ذى المروة .

(٤) كان أبو جهل فى قافلة لقريش من قوافلها التجارية

(٥) هكذا فى ابن سعد وغيره من المراجع ، وفى الأصل ور : أبى . وأحياء . ماء فى بطن رابغ على عشرة أميال من الجحفة .

إسحق : وبعض الناس يزعمون أن راية حمزة أول راية عقدها رسول الله ﷺ . وقال المدائنى : أول سرية بعثها رسول الله ﷺ حمزة بن عبد المطلب فى ربيع الأول من سنة اثنتين إلى سِيف البحر من أرض جهينة .

(فرض صوم رمضان)

ثم فُرض صوم رمضان سنة إحدى[1] قبل صَرْف القبلة بعام .

غزوة بُوَاط [2]

ثم خرج رسول الله ﷺ فى ربيع الآخر[3] إلى تمام[4] عام من مقدمه المدينة ، واستعمل على المدينة السائب بن عثمان بن مظعون ، حتى بلغ بواط من ناحية رَضْوَى . ثم رجع إلى المدينة ولم يلق حرباً .

غزوة العُشَيْرَة[5]

فأقام رسول الله ﷺ بالمدينة بقية ربيع الآخر وبعض جُمادى[6] الأولى ثم خرج

---

(١) المشهور أن فرض صوم رمضان كان على رأس ثمانية عشر شهرًا من الهجرة ، وأن صرف قبلة الصلاة عن بيت المقدس إلى الكعبة كان قبله بشهر أو بشهرين وانظر الطبرى ٢/٤١٧ .

(٢) انظر فى هذه الغزوة ابن هشام ٢/٢٤٨ وابن سعد ج ٢ ق ١ ص ٣ والطبرى ٢/٤٠٥ ، ٤٠٧ وأنساب الأشراف ١/٣٥٢ ، وابن حزم ص ١٠٢ ، وابن سيد الناس ١/٢٢٦ ، وابن كثير ٣/٢٤٦ ، والسيرة الحلبية ٢/١٦٦ ، والنويرى ١٧/٤ . وبواط من جبال جهينة قرب ينبع . وكان الرسول فى مائتين من أصحابه لطلب عير لقريش فيها أمية بن خلف .

(٣) فى ابن هشام وبعض المصادر : فى شهر ربيع الأول .

(٤) هكذا فى الأصل ، وكان ابن عبد البر يكون أدق لو قال : فى صدر السنة الثانية للهجرة ، لأن الرسول — كما مر بنا — هاجر إلى المدينة ونزل بها فى ربيع الأول .

(٥) انظر فى هذه الغزوة ابن هشام ٢/٢٤٨ وابن سعد ج ٢ ق ١ ص ٤ والطبرى ٢/٤٠٨ وأنساب الأشراف ١/١٣٥ وصحيح البخارى ٥/٧١ وابن حزم ص ١٠٢ وابن سيد الناس ١/٢٢٦ وابن كثير ٣/٢٤٦ والنويرى ١٧/٥ والسيرة الحلبية ٢/١٦٧ . وقد خرج الرسول لهذه الغزوة فى مائة وخمسين ويقال فى مائتين من المهاجرين يعترض عيراً لقريش . ويروى أنه كنى عليًا فيها بأبى تراب ، وكان قد رآه نائماً وعلق به بعض التراب .

(٦) فى ابن سعد أن هذه الغزوة كانت فى جمادى الآخرة وأنه حمل لواء رسول الله فيها حمزة بن عبد المطلب ، وأنه كانت بسببها وقعة بدر الكبرى .

٤٤ ظ غازيًا/واستخلف على المدينة أَبا سلمة بن عبد الأَسد . وأَخذ على طريق إلى العشيرة ، فأقام هنالك بقية جمادى الأولى وليالى من جمادى الآخرة . ووادع فيها بنى مُدْلِج . ثم رجع إلى المدينة ، ولم يلق حربًا .

غزوة بَدْر الأُولى (١)

ولما انصرف رسول الله ﷺ من العُشَيْرة لم يقم بالمدينة إلا عشر ليال أَو نحوها ، حتى أَغار كُرْز (٢) بن جابر الفِهْرِىّ على سرْح (٣) المدينة . فخرج رسول الله ﷺ فى طلبه حتى بلغ واديًا يقال له : سفوان فى ناحية بدر . وفاته كرز ، فرجع إلى المدينة .

بعث سعد بن أَبى وَقَّاص (٤)

وقد كان رسول الله ﷺ بعث فى حين خروجه لطلب كرز بن جابر سعدَ بن أَبى وقَّاص فى ثمانية (٥) رهط من المهاجرين ، فبلغ إلى الخَرَّار (٦) . ثم رجع [إلى] المدينة ولم يلق حربًا . وقيل (٧) إنما بعثه رسول الله ﷺ فى طلب كرز بن جابر الفِهْرى .

---

(١) انظر فى هذه الغزوة ابن هشام ٢٥١/٢ وابن سعد ج ٢ ق ١ ص ٤ والطبرى ٤٠٦/٢ وما بعدها وابن حزم ص ١٠٣ وابن سيد الناس ٢٢٧/١ وابن كثير ٢٤٧/٣ والنويرى ٥/١٧ والسيرة الحلبية ١٧٠/٢ وبدر : بئر على أربع مراحل من المدينة . وقد سمت بعض المصادر هذه الغزوة باسم غزوة سفوان .

(٢) هو كرز بن جابر بن حسيل بن لاحب الفهرى القرشى . وقد أسلم بعد هذا الحادث وهاجر إلى المدينة وحسن إسلامه واشترك فى بعض الحروب تحت لواء الرسول ، وقتل يوم فتح مكة سنة ثمان للهجرة قتله المشركون ، وكان فى خيل خالد بن الوليد انظر الاستيعاب ص ٢٣٠ .

(٣) السرح : الإبل والأغنام .

(٤) انظر فى هذا البعث ابن هشام ٢٥١/٢ ، وابن سعد ج ٢ ق ١ ص ٣ وابن حزم ص١٠٣ وابن سيد الناس ٢٢٥/١ والنويرى ٣/١٧ . وقال ابن هشام : ذكر بعض أهل العلم أن بعث سعد هذا كان بعد بعث حمزة . ومن ثم جعله بعض أهل السير على رأس تسعة أشهر فى السنة الأولى للهجرة ، كما جعلوا بعث حمزة كما قدمنا فى رمضان . وقد جعله ابن عبد البر كما هو واضح فى جمادى الأولى من السنة الثانية للهجرة .

(٥) فى بعض المراجع : انه كان فى عشرين رجلا من المهاجرين .

(٦) الخرار : من الأودية بين المدينة ومكة

(٧) يشير ابن عبد البر إلى اختلاف الرواة فى هذا البعث ، فقد قال بعضهم إنه كان فى طلب كرز وقال آخرون إنه كان فى طلب عير لقريش كانت تحمل بعض عروضهم . ويقال إن الرسول عهد إليه أن لا يجاوز الخرار .

بعث عبد الله بن جحش [وسَرِيَّتُه](١)

٤٥ و / ولما رجع رسول الله ﷺ من طلب كُرْز بن جابر ، وتُعْرَف تلك الخرجة ببَدْر الأولى ، أَقام بالمدينة بقية جمادى الآخرة ورجبًا . وبعث فى رجب عبد الله بن جحْش بن رِئاب ومعه ثمانية(٢) رجال من المهاجرين ، وهم : أَبو حذيفة بن عتبة ، وعُكاشة بن مِحْصن ، وعتبة بن غَزْوان ، وسُهَيل بن بيضاء الفِهْرِىّ ، وسعد بن أَبى وَقَّاص ، وعامر ابن ربيعة(٣) ، وواقد بن عبد الله التميمى(٤) ، وخالد بن البُكَيْر الليثى(٥) .

وكتب لعبد الله بن جحش كتاباً وأَمره أَن لا ينظر فيه حتى يسير يومين ، ثم ينظر فيه ، ولا يستكره أَحدًا من أَصحابه ، وكان أَميرهم . ففعل عبد الله بن جحش ما أَمره به ، فلما فتح الكتاب وقرأَه وجد فيه :

« إذا نظرت فى كتابى هذا فامْضِ حتى تنزل نَخْلة(٦) بين مكة والطائف فترصَّدْ بها قريشاً ، وتعلَّمْ لنا من أَخبارهم » * .

---

(١) زيادة من ر ، و انظر فى هذا البعث ابن هشام ٢٥٢/٢ وابن سعد ج ٢ ق ١ ص ٥ والطبرى ٤١٠/٢ وابن حزم ص ١٠٤ وابن سيد الناس ٢٢٧/١ وابن كثير ٢٤٨/٣ والنويرى ٦/١٧ .

(٢) فى بعض المراجع : فى اثنى عشر رجلا من المهاجرين .

(٣) هكذا فى ر وابن هشام وبقية المراجع ، وفى الأصل : أبى ربيعة .

(٤) هكذا فى ر وابن هشام وبقية المراجع ، وفى الأصل : التيمى .

(٥) زاد ابن سعد على هؤلاء الثمانية المقداد بن عمرو .

(٦) نخلة : موضع على ليلة من مكة .

* قلت : فى هذا الحديث من الفقه جواز شهادة التقليد ، وهى مسألة خلاف بين العلماء : إذا قال له اشهد على بما فيه ولا تقرأه . فقيل يصح ذلك ، وقيل لا . وظاهر هذا الحديث صحته . وفيه أيضا جواز تراخى القبول عن الإيجاب . وفيه جواز العقد والتولية على الأمر المجهول حين العقد بخلاف عقود المعاوضات كالإجارات ونحوها . ولو قال فى الإجارات : استأجرتك بكذا على أن تعمل لى بمقتضى ما فى هذا الكتاب ولا تقرأه إلا بعد كذا لما جاز ، لأن الغرر لا يحتمل فى المعاوضة . وفيه من السياسة كتمان ما يضر إعلانه قبل وقته . ويأخذ بهذا الأدب كثير من الملوك فى كثير من الأحوال وأخذ منه أصل حسن فى صحة الإجازة والمناولة واعتماد المجاز على ذلك وإن لم يعرف ما الكتاب . قال السهيلى [الروض الأنف ٥٩/٢] . لكن شرطه على مقتضى هذا الحديث أن يستمر الكتاب بيد المجاز ، وأن لا يستعيده المجيز . وهذا غير لازم . ومتى صح للمجاز أن النسخة على ما كانت عليه وقت الإجازة والمناولة لم تبدل ولم تغير اكتفى بذلك . وقرائن الأحوال فيه محكمة [لا] تلزم على سياق ما التزم السهيلى أن لا يخرج الكتاب من يد المجاز إلى أحد أبدًا وهذا العسف لا يقول به غيره

فلما قرأ الكتاب قال سمعاً وطاعة . ثم أخبر أصحابه بذلك وأنه لا يستكره أحدًا منهم وأنه ناهض لوجهه [مع] مَنْ طاوعه وأنه إن لم يطعه أحد مضى وحده ، فمن أحبَّ الشهادة فلينهضْ ومن كره الموت فليرجعْ . فقالوا : كلنا نرغب فيما ترغب ، وما منا أحد إلا وهو سامع مطيع لرسول الله ﷺ . ونهض ونهضوا معه . فسلك على الحجاز . وشَرَد لسعد ابن أبى وقاص وعتبة بن غزوان جمل كانا يعتقبانه [١] ، فتخلَّفا فى طلبه . ونفَذ عبد الله بن جحش مع سائرهم لوجهه . حتى نزل بنخلة . فمرَّتْ بهم عِيرٌ لقريش تحمل زَبيبًا [٢] /وتجارة فيها عمرو [بن] الحضرمى – واسم الحضرمى عبد الله بن عباد من الصَّدِف ، والصدف بطن من حضرموت – وعثمان بن عبد الله بن المغيرة ، وأخوه نوفل ابن عبد الله بن المغيرة المخزوميان ، والحكم بن كَيْسان مولى بنى المغيرة . فتشاور المسلمون وقالوا : نحن فى آخر يوم من رجب الشهر الحرام ، فإن نحن قتلناهم هتكنا حرمة الشهر الحرام ، وإن تركناهم الليلة دخلوا الحرم . ثم اتفقوا على لقائهم . فرمى واقد بن عبد الله التميمى عمرو بن الحَضْرمى [بسهم] فقتله ، وأسروا عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان ، وأفلت نوفل بن عبد الله . ثم قدموا بالعِير والأسيرين . وقال لهم عبد الله بن جحش : اعْزِلوا مما غنمنا الخُمْسَ لرسول الله ﷺ ، ففعلوا . فكان أول خُمْس [٣] فى الإسلام ، ثم نزل القرآن : (واعلموا أنَّ ما غنمتم من شىء فأنَّ لله خُمُسَه) . فأقرَّ الله ورسوله فعل عبد الله بن جحش فى ذلك ، ورضيه وسنَّه للأمة إلى يوم القيامة .

٤٦ و

وهى أول غنيمة غُنِمَتْ فى الإسلام ، وأول أسيرين ، وعمرو بن الحضرمى أول قتيل . وأنكر رسول الله قتل عمرو بن الحضرمى فى الشهر الحرام ، فسُقِطَ فى أيدى القوم ، فأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ : (يسألونك عن الشهر الحرام قتالٍ فيه قل قتالٌ فيه كبيرٌ وصَدٌّ عن سبيل الله وكفرٌ به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل ولايزالون يقاتلونكم حتى يردُّوكم عن دينكم إن استطاعوا ومَنْ يرتدد منكم عن دينه

---

(١) يعتقبان البعير : يتناوبان ركوبه .

(٢) فى بعض الروايات . تحمل زبيباً وأدماً وتجارة .

(٣) ويقال : بل وقف الرسول غنائم هذه السرية أو هذا البعث حتى رجع من بدر ، فقسمها مع غنائم بدر ، وأعطى كل قوم حقهم

فَيَمُتْ وهو كافر فأُولئك حبطت أَعمالهم فى الدنيا والآخرة وأُولئك أَصحابُ النار هم فيها خالدون)* .

وقَبل رسول الله ﷺ الفداء فى الأسيرين ، فأما عثمان بن عبد الله فمات بمكة كافرا ، وأما الحكم بن كَيسان فأَسلم وأقام مع رسول الله ﷺ حتى استشهد ببئر مَعُونة . ورجع سعد وعتبة إلى المدينة سالمين .

صرف القِبْلة (١)

وصُرِفَت القبلة عن بيت المقْدس إلى الكعبة فى السنة الثانية على رأس ستة عشر شهرًا ، وقيل سبعة عشر شهرًا من مقْدَم رسول الله ﷺ المدينة ، وذلك قبل بَدْر بشهرين . وقد ذكرنا الاختلاف فى الصلاة بمكة قبل الهجرة هل كانت إلى الكعبة أو إلى بيت المقدس ؟ والروايات بالوجهين فى كتاب التمهيد وفى كتاب الاستذكار (٢) . وروى أن أول من صَلَّى إلى الكعبة حين صُرِفت القبلة عن بيت المقدس أَبو سعيد بن المعلَّى ، وذلك أَنه سمع رسول الله ﷺ يخطب بتحويل القبلة ، فقام فصلى ركعتين إلى الكعبة .

---

* قلت : فى هذا الحديث (أى حديث الغزوة) دليل على تسويغ الاجتهاد فى زمنه عليه السلام . فإن عبد الله بن جحش أداه اجتهاده إلى قسمة الغنيمة كما شاء ، وتخصيص الرسول ﷺ بالخمس . فصوب الحق اجتهاده وأمضاه فإن قلت : كيف أنكر النبى ﷺ قتلهم لمن قتلوه فى الشهر الحرام ثم نزل القرآن بتصويب فعلهم ؟ قلت : لم يصوب القرآن شيئاً أنكره الرسول عليه السلام ، ولكنه قرر أن القتال منكر كما أنكره الرسول عليه السلام ، ولكنه قرر أيضًا أن فعل الجاهلية أشد نكرًا ، لأن فعلهم الكفر وقطع الطريق على الحجاج وإثارة الفتنة . فقطع الله احتجاجهم على المسلمين بأن الجاهلية أولى بالإنكار وأجدر برد الأعداء . والله المستعان .

(١) انظر فى صرف القبلة ابن هشام ٢٥٧/٢ وابن سعد ح ١ ق ٢ ص ٣ وصحيح مسلم بشرح النووى ٩/٥ وصحيح البخارى ٨٤/١ والطبرى ٤١٥/٢ وابن حزم ص ١٠٦ وابن سيد الناس ٢٣٠/١ وابن كثير ٢٥٢/٣ والنويرى ٣٩٧/١٦ .

(٢) نقل ابن سيد الناس الروايات المذكورة واختلافها فى أن الرسول كان أول ما صلى يستقبل الكعبة وهو لا يزال بمكة ثم تحول عنها فى المدينة إلى بيت المقدس . وقيل إنه تحول عنها وهو لا يزال بمكة . وقيل بل كان يصلى فى مكة مستقبلا بيت المقدس حتى صرفه الله عنه فى المدينة إلى الكعبة واستحسن ابن عبد البر قول من قال أنه كان بمكة يصلى مستقبل القبلتين معاً بجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس انظر ابن سيد الناس ٢٣٦/١]

غزوة بدر الثانية
وهى أعظم المشاهد فضلا لمن شهدها[1]

فأقام رسول الله ﷺ بالمدينة بعد بَعْث عبد الله بن جَحْش باقى رجب وشعبان . ثم اتصل به فى رمضان أن عِيرًا لقريش عظيمة ، فيها أموال لهم كثيرة مقبلة من الشام إلى مكة معها ثلاثون[2] أو أربعون رجلا ، رئيسهم أبو سفيان بن حَرْب ، وفيهم عمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل الزُّهرىّ . فنَدَب رسول الله ﷺ المسلمين إلى تلك العِير ، وأمر مَنْ كان ظهره[3] حاضرًا بالخروج . ولم يحتفل ﷺ [فى الحشْد] لأنه أراد العِير ولم يعلم أنه يلقى حرباً .

فاتصل بأبى سفيان أن رسول الله ﷺ قد خرج فى طلبهم ، فاستأجر ضَمْضم[4] بن عمرو الغِفارى ، فبعثه إلى مكة مستصرخًا لهم إلى نَصْر عِيرهم . فنهض إلى مكة وهتف بها ، واستنفر . فخرج أكثر أهل مكة فى ذلك النفير ، ولم يتخلف من أشرافهم إلا أقلهم . وكان فيمن تخلَّف/من أشرافهم أبو لهب . ٤٧ ظ

وخرج رسول الله ﷺ من المدينة لثمانٍ[5] خلون من رمضان ، واستعمل على المدينة عمرو[6] بن أم مكتوم العامرى ليصلِّى بالمسلمين . ثم ردّ أبا لُبابة من الرَّوْحاء[7] واستعمله على المدينة . ودفع اللواء إلى مصعب بن عمير . ودفع الراية : الواحدة إلى علىّ ، والثانية إلى رجل من الأنصار ، وكانتا سوداوين . وكانت راية الأنصار يومئذ مع سعد بن[8]

---

(١) انظر فى غزوة بدر الكبرى أو الثانية ابن هشام ٢٥٧/٢ والواقدى ص ١١ وابن سعد ج ٢ ق ١ ص ٦ وأنساب الأشراف ١٣٥/١ والطبرى ٤٢١/٢ وصحيح البخارى ٧٢/٥ وصحيح مسلم بشرح النووى ١٢٤/١٢ وابن حزم ص ١٠٧ وابن سيد الناس ٢٤١/١ وابن كثير ٢٥٦/٣ والسيرة الحلبية ١٨٩/٢ والنويرى ١٠/١٧ .

(٢) فى بعض المصادر أنه كان مع أبى سفيان سبعون رجلا ، وأن العير كانت تضم ألف بعير .

(٣) ظهره : بعيره .

(٤) أحد أدلاء القوافل فى الجاهلية .

(٥) هكذا قال ابن هشام نقلا عن ابن إسحق ، وقال ابن سعد هذا الخروج كان لاثنتى عشرة ليلة خلت من رمضان .

(٦) ويسمى أيضًا عبد الله بن أم مكتوم .

(٧) الروحاء : موضع على نحو ثلاثين ميلا من المدينة .

(٨) قال ابن سعد : كان لواء الخزرج مع الحباب بن المنذر ، ولواء الأوس مع سعد بن معاذ .

معاذ . وكان مع أصحاب رسول الله ﷺ يومئذ سبعون بعيرًا يعتقبونها[١] . فكان رسول الله ﷺ وعلىّ ومرْثَد بن أَبى مَرْثد يعتقبون بعيرًا . وكان حمزة وزيد بن حارثة وأَبو كبشة وأنسة موالى رسول الله ﷺ يعتقبون بعيرًا . وكان أَبو بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف يعتقبون بعيرًا . وجعل رسول الله ﷺ على الساقة قيس بن أَبى صعصعة من بنى النجار .

وسلك رسول الله ﷺ طريق العقيق إلى ذى الحُلَيْفَةِ إلى ذات الجيش إلى فَجِّ الرَّوْحاء إلى مضيق الصفراء[٢] . فلما قرب من الصفراء بعث رسول الله ﷺ بَسْبَسَ بن عمرو الجُهَنِى حليف بنى ساعدة وعدى بن أبى الزَّغْبَاء الجُهَنِى حليف بنى النجار إلى بدر يتجسّسان أخبار أبى سفيان وعِيره . واستخبر النبى عليه السلام عن جبلى الصفراء هل لهما اسم يعرفان به / فأَخبر عنهما وعن سكانهما بأَسماء كرهها : بنو النار ، وبنو حُراق : بطنان من غِفار . فتركهما على يساره ، وأَخذ على يمينه . ٤٨ و

فلما خرج من ذلك الوادى وأتاه الخبر بخروج نفير قريش لِنَصْر العِير ، فأَخبر أَصحابه بذلك واستشارهم فيما يعملون ، فتكلم كثير من المهاجرين[٣] . فتمادى رسول الله ﷺ فى مشورته وهو يريد ما تقول الأَنصار . فبدر سعد بن معاذ ، وقال : يا رسول الله ، والله لو استعرضت بنا هذا البحر لخُضْناه معك ، فسِرْ بنا يا رسول الله ، على بركة الله ، حيث شئت . فَسَرَّ رسولَ ﷺ قولُه ، وقال : سِيروا وأَبْشِرُوا ، فإن الله عَزَّ وَجَل قد وعدنى إحدى الطائفتين[٤] .

وسار رسول الله ﷺ حتى نزل قريباً من بدر . وركب رسول الله ﷺ مع رجال من أَصحابه مستخبرًا ، ثم انصرف . فلما أمسى بعث عليّا والزبير وسعد بن أَبى وقَّاص فى نفر

---

(١) يعتقبونها كما مر فى غير هذا الموضع : يتناوبونها ، وكانوا حينئذ كل ثلاثة يتناوبون بعيرًا . وقال ابن سعد كان معها فَرَسان : فرس للمقداد ، وفرس لمرثد بن أبى مرثد ، وقال ابن إسحٰق : وفرس للزبير بن العوام .

(٢) الصفراء : واد فوق ينبع مما يلى المدينة بينه وبين بدر مرحلة .

(٣) يروى أن أبا بكر قام يومئذ فقال وأحسن ، وكذلك عمر ، وقام المقداد فقال : يارسول الله امضى لما أمر الله ، فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : (اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون) ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون .

(٤) الطائفتان هنا : العير وقريش .

إلى بدر يلتمسون الخبر . فأصابوا راوية[1] لقريش . فيها أسْلَمُ غلام بنى الحجاج السهميين وأبو يَسار عَريضٌ غلام بنى سعيد بن العاص بن أمية . فأتوا بهما ورسول الله ﷺ قائم يصلِّى . فسألوهما : من أنتما ؟ فقالا : نحن سُقاة قريش . فكَرِهَ أصاب رسول الله ﷺ هذا الخبر وكانوا يرجون أن يكونا من العِير لما فى العير من الغنيمة وقلة المئونة ولأن شوكة قريش شديدة . فجعلوا يضربونهما . فإذا آلمهما الضرب قالا : نحن من عير أبى سفيان . فسلَّم رسول الله / ﷺ من صلاته . وقال : إذا صدقاكم ضربتموهما وإذا كذباكم تركتموهما . ثم قال لهما رسول الله ﷺ : أخبرانى أين قريش ؟ قالا : هم وراء هذا الكَثِيب . فسألهما : كم يَنْحْرون كل يوم من الإبل ؟ قالا : عشرًا من الإبل يوماً ، وتسعًا يوماً . فقال رسول الله ﷺ : القوم ما بين التسعمائة إلى الألف .

٤٨ ظ

وكان بسبس بن عمرو وعدى بن أبى الزَّغْباء اللذان بعثهما رسول الله ﷺ مستخبرين قد وصلا إلى ماء بدر . فأناخا بقرب الماء . ثم استقيا فى شَنِّها[2] ومجدىٌّ بن عمرو بقربهما لم يفطنا به . فسمع بسبس وعدى جاريتين من جوارى الحى وإحداهما تقول للأخرى : [أعْطِينى دَيْنى . فقالت الأخرى][3] إنما تأتى العير غدًا أو بعد غد . فأعمل لهم ثم أقْضيك . فصدَّقهما مجدىّ – وكان عَيْناً لأبى سفيان – ورجع بَسبسُ وعدى إلى النبى ﷺ فأخبراه بما سمعا .

ولما قرب أبو سفيان من بدر تقدم وحده ، حتى أَتى ماءَ بدر ، فقال لمجدىّ : هل أَحسست أَحدًا ؟ فقال : لا إلا راكبين أَناخا إلى هذا التلّ ، واستقيا الماءَ ونهضا . فأَتى أَبوسفيان مناخهما ، فأَخذ من أَبعار بعيريهما ، ففتَّه ، فإذا فيه النَّوى ، فقال : هذه والله علائف يثرب . فرجع سريعاً حذراً فصرف العِير عن طريقها ، وأَخذ طريق الساحل ، فنجا ، وأَوحى[4] إلى قريش يخبرهم بأَنه قد / نَجَا هو والعِير ، فارْجعوا . فأَبى أَبو جهل ، وقال : والله لا نرجع حتى نرى ماءَ بدر ونقيم عليه ثلاثاً ، فتهابنا العرب أَبدًا . ورجع

٤٩ و

---

(١) لراوية : الإبل التى تحمل الماء

(٢) شنها : قربتها .

(٣) زيادة من ابن حزم للسياق

(٤) أوحى : بعث رسولا

الأَخْنس بن شَرِيق الثَّقَفى حليف بنى زُهْرة بجميع بنى زهرة ، فلم يشهد بدرًا أحدٌ منهم ، وكان الأَخنس مطاعًا فيهم ، فقال لهم : إنما خرجتم تمنعون أَموالكم وقد نجت . وكان قد نَفَر من جميع بطون قريش جماعة إلا عَدِى[1] بن كعب ، فلم يكن نَفَر منهم أَحد . فلم يحضر بدرًا من المشركين عَدَوِىٌّ ولا زُهْرِىٌّ .

فسبق رسول الله ﷺ قريشًا إلى ماء بدر ، ومنع قريشًا من السبق إليه مطر – أنزله الله عليهم – عظيم . ولم يصب منه المسلمين إلا ما شَدَّ[2] لهم دَهْسَ الوادى ، وأَعانهم على السير . فنزل رسول الله ﷺ على أَدنى ماء من مياه بدر إلى المدينة ، فأَشار عليه الحُباب بن المنذر بن عمرو بن الجَموح بغير ذلك ، وقال لرسول الله : أَرأَيت هذا المنزل أَمنزلٌ أَنزلكه الله فليس لنا أَن نتقدمه أَو نتأَخر عنه أَم هو الرَّأْىُ والحربُ والمكيدة ؟ فقال عليه السلام : بل هو الرأى والحرب والمكيدة . فقال : يا رسول الله إن هذا ليس لك بمنزل ، فانهض بنا حتى نأْتى أَدنى ماء من القوم فننزله ، ونغوِّر ما وراءه من القُلُبِ[3] ، ثم نبنى عليه حَوْضًا ، فنملؤه ماءً فنشرب / ولا يشربون . فاستحسن رسول الله ﷺ ذلك من رأْيه ، وفَعله . ٤٩ ظ
وبُنِى لرسول الله ﷺ عَرِيش يكون فيه . ومشى رسول الله ﷺ على مواضع الوَقْعة يعرض على أَصحابه مصارع رءُوس الكفار من قريش مصرعاً مصرعاً ، يقول : هذا مصرع فلان ، وهذا مصرع فلان ، فما عَدَا واحد منهم مصرعه ذلك الذى حدَّه رسول الله ﷺ . فلما نزلت قريش فيما يليهم بعثوا عُمَيْر بن وهب الجُمَحى ، فحزَر لهم أَصحاب رسول الله ﷺ وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا منهم فارسان : المقداد والزبير . ثم انصرف ، وأَراد حكيم بن حزام وعتبة بن ربيعة قريشًا على الرجوع وترك الحرب ، وراما بهم كل مرام ، فأَبوا . وكان أَبو جهل هو الذى أَبى ذلك وساعدوه على رأْيه .

وبدأَت الحرب ، فخرج عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة يطلبون البراز ، فخرج إليهم عوْف ومعوِّذ ابنا عفراء وعبد الله بن رواحة الأنصارى . فقالوا . لستم لنا بأَكْفاء ، وأَبوا إلا قومهم ، فخرج إليهم حمزة بن عبد المطلب وعبيدة بن الحارث وعلى

---

(١) هم عشيرة عمر بن الخطاب .

(٢) فى ابن هشام وغيره : لبد . والدهس : المكان السهل اللين ليس برمل ولا تراب ولا طين .

(٣) القلب : جمع قليب وهو البئر .

ابن أبي طالب . فقتل الله عتبة وشيبة والوليد وسَلِمَ حمزة وعبيدة وعلى ، إلا أن عبيدة

٥٠ و ضربه عتبة فقطع رجله وارْتُثَّ[١] منها فمات بالصَّفراء . وعدَّل /رسول الله ﷺ الصفوف ، ورجع إلى العَرِيش ومعه أبو بكر ، وسائر أصحابه بارزون للقتال ، إلا سعد ابن[٢] معاذ فى قوم من الأنصار فإنهم كانوا وقوفاً على باب العريش يحمون رسول ﷺ .

وكان أول قتيل قُتل من المسلمين مِهْجع[٣] مولى عمر بن الخطاب أصابه سهم فقتله . وسمع عُمَيْر بن الحُمَام رسول الله ﷺ يحثُّ على القتال ويرغِّب فى الجهاد ويشوِّق إلى الجنة وفى يده تمرات يأكلهن فقال : بَخٍ بَخٍ أما بينى وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلنى هؤلاء . ثم رَمى بالتمرات وقاتل حتى قُتل .

ثم منح الله عَزَّ وَجَلَّ المسلمين النَّصْر وهزَم المشركين . وانقطع يومئذ سيف عُكَّاشة بن محْصن ، فأعطاه رسول الله ﷺ جِذْلا من حَطَب ، وقال له : دونك هذا ، فصار فى يده سيفاً لم يكد الناس يرون مثله أبيض كالمِلْح . فلم يزل عنده يقاتل به حتى قُتل فى الرِّدَّة ، رضى الله عنه .

وكانت وقعة بدر يوم الجمعة لسبع عشرة ليلة خلتْ من رمضان .

ثم أمر رسول الله ﷺ بقتلى المشركين ، فسُحبوا إلى القليب ورُموا فيه وضُمَّ[٤] عليهم

٥٠ ظ التراب ، ثم وقف عليهم فناداهم : هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقًّا فإنى قد وجدت /ما وعدنى ربى حقًّا ، فقيل له : يا رسول الله تنادى أقوامًا أمواتًا قد جَيَّفوا ؟ فقال : ما أنتم بأسمع منهم ولكن لا يجيبون . ومن هذا المعنى قوله ﷺ فى الميت إذا دُفن وانصرف الناس عنه إنه ليسمع خَفْق نِعالهم إذا ولَّوا عنه مدبرين .

وجعل رسول الله ﷺ على الأنفال[٥] عبد الله بن كعب بن عمرو الأنصارى . ثم

---

(١) ارتث : حمل من المعركة جريحاً .

(٢) واضح أن سعد بن معاذ كان يومئذ من حرس الرسول فى العريش ، وإذن فما سبق من أن لواء الأنصار كان معه فى تلك الغزوة يحتاج إلى شيء من التوقف . وربما حمله فى المسير لا فى الغزوة نفسها ، فقد كان فيها يحرس رسول الله قائماً على العريش خشية أن يكر العدو عليه .

(٣) قال ابن سعد : كان أول من جرح من المسلمين مهجع مولى عمر بن الخطاب ، وكان أول قتيل قتل من الأنصار حارثة بن سراقة ويقال عمير بن الحمام .

(٤) فى ابن حزم : وطم عليهم التراب .

(٥) الأنفال : الغنائم .

انصرف . فلما نزل الصَّفراء قسم بها الغنائم كما أمر الله عَزَّ وَجَلَّ . وضرب بها عُنُقَ النَّضْر بن الحارث بن علقمة بن كَلَدة العَبْدرى ، وهو الذى جاءت[1] ابنته قُتَيْلة إلى رسول الله ﷺ وأنشدته :

يا راكبًا إن الأُثَيْلَ مَظِنَّةٌ ... من صُبْح خامسةٍ وأنت موفَّقُ[2]
أَبلغْ به مَيْتًا بأَن تحيَّةً ... ما إن تزال بها النجائبُ تَخْفق[3]
منى إليه[4] وعبرةً مَسْفُوحةً ... جادتْ بواكفها وأُخرى تخنق[5]
ظَلَّتْ سيوفُ بنى أَبيه تَنُوشُهُ ... لله أَرحامٌ هناك تشقَّقُ[6]
/أَمحمدٌ يا خير ضِنْءِ كريمةٍ ... من قومها والفحلُ فحلٌ مُعْرِقُ[7]
ما كان ضَرَّك لو مَنَنْتَ وربما ... مَنَّ الفَتَى وهو المغيظُ المُحْنَقُ
والنَّضْرُ أَقربُ من قتلتَ قرابةً ... وأَحقهم إن كان عِتْقٌ يُعْتَقُ

٥١ و

فقال رسول الله ﷺ : أَما إنى لو سمعت هذا قبل قتله لم أَقتله ، وهذا ليس معناه الندم ، لأنه عليه السلام لا يقول ولا يفعل إلاّ حقًّا ، لكن معناه : لو شفعت عندى بهذا القول لقبلت شفاعتها . وفيه تنبيه على حق الشفاعة والضراعة . ولا سيما الاستعطاف بالشعر ، فإن مكارم الأخلاق تقتضى إجازة الشاعر وتبليغه قصده . والله أعلم .

ثم لما نزل عِرْق[8] الظُّبْيَة ضرب عُنُق عقبة بن أَبى مُعَيْط .

قال أَبو عمر :

رُوِىَ عن عُبادة بن الصَّامت قال :

خرج رسول الله ﷺ إلى بدر ، فلقوا العدو . فلما هزمهم الله اتبعتهم طائفة من

---

(١) المشهور أنها كتبت للرسول بهذه القصيدة حين جاءها نعى أبيها . وانظر الاستيعاب ص ٧٧٧ .
(٢) الأثيل : موضع قرب المدينة
(٣) النجائب : الإبل الكريمة .
(٤) فى الأصل : إليك ، وهكذا : إليه فى المصادر الأخرى .
(٥) جادت : من الجود وهو المطر . وواكف الدمع : سائله .
(٦) تنوشه : تتناوله .
(٧) الضنء : الأصل . معرق : كريم الأصل .
(٨) عرق الظبية : موضع قرب الروحاء

المسلمين يقتلونهم ، وأحدقت طائفة برسول الله ﷺ واستلوت طائفة على العسكر والنهب . فلما نفى الله العدوَّ ورجع /الذين طلبوهم قالوا لنا النَّفْل ، نحن طلبنا العدو ، وبنا نفاهم الله وهزمهم . وقال الذين أحدقوا برسول الله ﷺ : ما أنتم أحق به منا ، بل هو لنا ، نحن أَحْدَقْنَا برسول الله ﷺ لئلاَّ ينال العدوُّ منه غِرَّة . وقال الذين استلووا [على] العسكر والنهب : ما أنتم أحق به منا ، هو لنا ، نحن حويناه واستلوينا عليه . فأنزل الله عزَّ وجل : (يَسْأَلونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ قُلِ الأَنْفَالُ للهِ والرَّسُولِ فاتَّقُوا اللهَ وأَصْلِحُوا ذَات بَيْنِكُم وأَطِيعُوا اللهَ ورسُولَه إِنْ كنْتُم مُؤمِنِينَ) . فقسمه رسول الله ﷺ عن فُواق بينهم .

٥١ ظ

قال أبو عمر : قال أهل العلم بلسان العرب : استلووا : أطافوا وأحاطوا ، يقال : الموت مستلوٍ على العباد . وقوله : فقسمه عن فواق يعنى عن سرعة . قالوا : والفواق : ما بين حلبتى الناقة ، يقال : انتظره فُواقَ ناقةٍ أى هذا المقدار . ويقولونها بالفتح والضم : فَواق ، فُوَاق .

وكان هذا قبل أن ينزل : (واعلموا أن ما غنمتم من شيءٍ فأنَّ لله خُمُسَه — الآية) . وكان المعنى[١] عند العلماء : أى إلى الله وإلى الرسول الحكم فيها والعمل بها بما يقرب من الله .

وذكر محمد بن إسحق ، قال : حدثنى عبد الرحمن بن الحارث وغيره من أصحابنا عن سليمان بن موسى أبى الأشدق ، عن مكحول ، عن أبى أمامة الباهلى ، قال : سألت عبادة بن الصامت/ عن الأنفال[٢] ، فقال : فينا معشر أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا فى النَّفْل وساءت فيه أخلاقنا ، فنزعه الله من أيدينا وجعله إلى الرسول . فقسَّمه رسول الله ﷺ عن بَواء ، يقول على السواء . فكان [فى] ذلك تقوى الله وطاعة رسوله وإصلاح ذات البين .

٥٢ و

---

(١) المعنى أى معنى آية : (يسألونك عن الأنفال) .

(٢) الأنفال : أى سورة الأنفال وفى ذلك ما يدل على أن آية (واعلموا أنما غنمتم) لم تنزل عقب سرية عبد الله بن جحش كما قد يتبادر من رواية نزولها عقبها كما مر بنا ، وإنما نزلت بعد غزوة بدر الكبرى .

تسمية مَن استشهد ببدر من المسلمين[١]

فائدة : هذه التسمية معرفة الحق لأهل الحق ، وفضيلة السبق لأهل السبْق ، وحسن العهد وتجديد الذكر ، والمسارعة إلى الدعاء لهم بالرضوان والغفران على اليقين .

عُبَيْدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف ، وعُمَيْر بن أبي وقاص وكانت سِنّه فيما ذكروا يوم قُتل ستة عشر أو سبعة عشر عاماً ، وعُمَيْر بن الحُمام من بنى سَلِمة من الأنصار ، وسعد بن خَيْثَمَة بن بنى عمرو بن عوف من الأوس ، وذو الشِّمالين بن عبد عمرو بن نَضْلة الخزاعي حليف بنى زهرة وهو غير/ذى اليدين[٢] ذاك سُلَمِيٌّ اسمه خِرْباق وهو صاحب حديث السهو[٣] . ووَهِم فيه الزُّهرى على جلالة قدره ، لأَنه بنى على أنه لقب واحد ، واعتمد أبو العباس المبرد[٤] ذلك من كلام ابن شهاب فغلط ؛ ويحقق ذلك أن ذا اليدين روى حديثه أبو هريرة وكان إسلام أبى هريرة بعد قتل ذى الشمالين بسنين عدة .

٥٢ ط

ومبشر بن عبد المنذر الأنصارى من بنى عمرو بن عوف ، وعاقل بن البُكير الليثى حليف بنى عدى بن كعب ، ومِهْجَع مولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وصفوان بن بيضاء الفِهْرى ، ويزيد بن الحارث الأنصارى من بنى الحارث بن الخزرج ، ورافع بن المعلَّى الأنصارى ، وحارثة بن سراقة الأنصارى من بنى النجار ، وعوف ومعوِّذ ابنا عفراء .

الجميع أربعة عشر رجلا : ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار : ستة من الأوس واثنان من الخزرج .

---

(١) انظر فى شهداء بدر ابن هشام ٣٦٤/٢ والواقدى ص ١٤١ وابن حزم ص ١٤٦ وابن سيد الناس ٢٨٤/١ وابن كثير ٣٢٧/٣ والنويرى ٤٤/١٧ .

(٢) لقب بذى اليدين لطولها . ولقب ذو الشمالين بلقبه لأنه كان يعمل بيديه جميعاً .

(٣) حديث السهو المذكور هو ما روى عن خرباق من أن رسول الله ﷺ صلى الظهر فسلم من ركعتين فقال له خرباق : أشككت أم قصرت الصلاة يا رسول الله ؟ فقال الرسول : ما شككت ولا قصرت الصلاة ، وقال : أصدق ذو اليدين ؟ قالوا نعم فصلى الركعتين ، ثم سلم ثم سجد سجدتين وهو جالس ، ثم سلم . انظر الاستيعاب ص ١٧١ ، ١٧٧ .

(٤) ذكر ابن عبد البر فى الاستيعاب ص ١٧٨ خطأ المبرد فى جعله ذا الشمالين هو ذا اليدين ، وذلك فى كتابه الأذواء من اليمن فى الإسلام وقد اعترض عليه فى آخرين جعلهم من الأذواء ، ولم يكونوا منهم .

تسمية من قتل ببدر من كفار قريش[١]

وهم سبعون رجلا ، منهم :

حَنْظَلَة بن أَبى سفيان [بن صخر] بن حرب قتله زيد بن حارثة ، وعبيدة بن سعيد ابن العاص قتله الزبير ، وأَخوه العاص بن سعيد بن العاص قتله على[٢] ، وعتبة بن ربيعة قتله على ، وشيبة بن ربيعة قتله حمزة ، والوليد بن عتبة / بن ربيعة قتله عبيدة بن الحارث وقيل قتله علىّ وقيل اشترك على وحمزة فى قتل عتبة والوليد وشيبة .

٥٣ و

وعقبة بن أَبى مُعَيْط قتله عاصم بن ثابت صَبْرًا ، وقيل : بل قتله علىّ صبرًا بأَمر الرسول ﷺ له بذلك ، والحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف قتله علىّ[٣] ، وطُعَيْمَة ابن عدى بن نوفل قتله حمزة[٤] ، وقيل : بل قُتل صبرًا ، والأَول أَصح .

وزَمْعَة بن الأَسود بن المطلب بن أَسد ، وابنه الحارث بن زمعة ، وأَخوه عقيل بن الأَسود ، وأَبو البَخْتَرِىّ العاص بن هشام بن الحارث بن أَسد ، ونوفل بن خويلد بن أَسد ، قتله علىّ ، وقيل قتله الزبير .

والنَّضْر بن الحارث قُتل صبرًا بالصفراء ، وعمير بن عثمان عم طلحة بن عبيد الله بن عثمان ، وأَبو جهل بن هشام اشترك فى قتله معاذ بن عمرو بن الجموح ومعوِّذ بن عفراء ، وأَجهز عليه عبد الله بن مسعود وجدَه وبه رمقٌ فحزَّ رأسه ، وأَخوه العاص بن هشام قتله عمر بن الخطاب ، وهو خاله .

ومسعود بن أَبى أُمية المخزومى أَخو أُم سلمة ، وأَبو قيس بن الوليد بن المغيرة أَخو خالد ابن الوليد ، وقيس بن الفاكه بن المغيرة ، والسائب بن [أَبى] السائب المخزومى وقد قيل لم يُقْتل السائب / يومئذ بل أَسلم بعد ذلك[٥] .

٥٣ ظ

(١) انظر فى قتلى قريش ببدر ابن هشام ٢/٣٦٥ ، والواقدى ١٤٣ ، وابن حزم ص ١٤٧ وقد إكتفى بمشاهيرهم نقلا عن ابن عبد البر وصنع صنيعه ابن سيد الناس ١/٢٨٥ مصرحًا بنقله لهم عن ابن عبد البر . وانظر النويرى ١٧/٤٤ .

(٢) وقيل : قتله عاصم بن ثابت .

(٣) وقيل : قتله خبيب بن إساف .

(٤) وقيل : قتله على .

(٥) فى ابن هشام ٢/٣٦٩ أنه أسلم فحسن إسلامه ، وأن الرسول أعطاه من غنائم حنين فيمن أعطى من المؤلفة قلوبهم .

ومنبِّه ونُبَيْه ابنا الحجاج بن عامر السَّهْمى ، والعاصى والحارث ابنا منبه بن الحجاج ، وأُمية بن خَلَف الْجُمَحِىّ ، وابنه علىّ بن أُمية . وسائر السبعين قد ذكرهم ابن إسحٰق وغيره .

تسمية مَنْ أُسر ببدر من كفار قريش(١)

وأُسر مالك بن عبيد الله أخو طلحة فمات أسيرًا ، وأُسر حذيفة بن أَبى حذيفة بن المغيرة . وأُسر من بنى مخزوم وحلفائهم يوم بدر أَربعة وعشرون رجلا ، ومن بنى عبد شمس وحلفائهم اثنا عشر رجلا ، منهم عمرو بن أَبى سفيان [بن صخر] بن حرب ، والحارث ابن أَبى وَجْزَة(٢) بن أَبى عمرو بن أُمية ، وأَبو العاص بن الربيع بن عبد العُزَّى بن عبد شمس صهر رسول الله ﷺ زوج ابنته زينب .

وأُسر من بنى هاشم يومئذ العباس بن عبد المطلب ، وعَقيل بن أَبى طالب ، ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب . ومن بنى المطلب بن عبد مناف السائب بن [عبيد بن] عبد يزيد والنعمان بن عمرو .

وأُسِر من سائر قريش عَدِىّ بن الخِيار بن عدى بن نوفل بن عبد مناف ، وأَبو عَزيز بن عُمَيْر بن هاشم أَخو مصعب بن عمير ، والسائب بن أَبى حُبَيْش بن المطلب بن أَسد ، والحارث بن عامر(٣) بن عثمان بن أَسد ، وخالد بن هشام بن المغيرة المخزومى ، وصَيْفِىّ ابن أَبى رفاعة المخزومى ، وأَخوه أَبو المنذر بن أَبى رفاعة ، والمطلب بن حَنْطب المخزومى* .

---

(١) انظر فى هؤلاء الأسرى ابن هشام ٣/٣ وابن حزم ص ١٤٩ وابن سيد الناس ٢٨٦/١ والنويرى ٥١/١٧ .

(٢) فى بعض المصادر : أبى وحرة بالحاء والراء .

(٣) فى بعض المصادر : عائذ

* ومن ولده الحكم بن المطلب بن عبد الله بن المطلب وكان جوادًا جدًا وتزهَّد فى آخر عمره ومات بمنبج وكان من خيار المسلمين ، وفيه قال الشاعر يرثيه :

سالوا عن الجود والمعروف ما فعلا فقلت إنهما ماتا مع الحكم

ويقال إنه لما احتضر عالج شدة ، فقال قائل : اللهم هون عليه الموت بكرمه ، قال ابن عشيبة : فقال : من المتكلم ؟ فقال الرجل : أنا ، يقول لك ملك الموت : إنى بكل سخى رفيق ، ثم كأنما كان فتيلة طفئت كأسهل ما يرى . رحمه الله

٥٤ و [وأُسر] /خالد بن الأعلم الخزاعى ، وقيل إنه عُقَيْلى حليف لهم[١] ، وهو القائل :

ولسنا على الأعقاب تَدْمَى كُلومنا ولكن على أَقدامنا تقطر الدِّما

وهو أَول من فَرَّ يوم بدر فأُدْرِك وأُسِر ، وعثمان بن عبد شمس بن جابر المازنى حليف لهم ، وهو ابن عم[٢] عتبة بن غزوان ، وأُمية بن أَبى حذيفة بن المغيرة ،وأبو قيس[٣] بن الوليد أخو خالد بن الوليد ، وعثمان بن عبد الله بن المغيرة ، وأَبو عطاء عبد الله بن أَبى السائب بن عابد[٤] المخزومى ، وأَبو وداعة بن صُبيْرة[٥] السَّهْمى وهو أَول أَسير فُدِى منهم .

وعبد الله بن أُبَى بن خَلَفٍ الْجُمَحِىّ ، وأَخوه عمرو بن أُبَىّ ، وأَبو عَزَّة عمرو بن عبد الله بن عثمان[٦] بن أُهَيْب بن حذَافة بن جُمَح الْجُمحىّ ، وسهيل بن عمرو العامرىْ/وعبد[٧] بن زَمْعة بن قيس العامرى ، وعبد الله[٨] بن حُمَيْد بن زهير الأَسدى . ٥٤ ظ

فهؤلاء مشاهير من قُتل ومشاهير من أُسِرَ . ولا يختلفون فى أن القتلى يومئذ سبعون والأَسرى[٩] سبعون فى الجملة ، وقد يختلفون فى تفصيل ذلك .

---

(١) لهم : أى للمحزوميين .

(٢) ف ابن سيد الناس عمة

(٣) هكذا فى ابن سيد الناس : أبو قيس وفى الأصل ور : الوليد وقارت بصفحتى ٥٨ ، ١١٠ .

(٤) ف بعض المصادر : عائذ .

(٥) هكذا فى المصادر المختلفة . وفى الأصل ور : صهيرة .

(٦) هكذا فى الأصل و ر وابن هشام ومصادر مختلفة وفى ابن حزم . عمير .

(٧) هكذا فى ابن هشام والاستيعاب ومصادر عدة وفى الاصل ور : عبد الله .

(٨) هكذا فى الأصل وابن هشام ومصادر مختلفة وفى ابن سيد الناس : عبيد الله وقال السهيلى : هذا هو المعروف فيه .

(٩) وقد ارتضى الصحابة فيهم ما ارتضاه الرسول من الفداء وكان من ألف درهم إلى أربعة آلاف ، كل على قدر حاله ، قال ابن سعد : ومن لم يوجد عنده مال أعطى عشرة من غلمان المدينة فعلمهم الكتابة فإذا حذقوها فهو فداؤه . وكان أهل مكة يكتبون وأهل المدينة لا يكتبون

قال أبو عمر :

أَمر رسول الله ﷺ بقتل عقبة بن أَبي مُعيْط صبرًا ، كما رواه حماد بن سلمة عن عطاء ابن السائب ، عن عامر الشعبي ، قال :

لما أَمر رسول الله ﷺ بقتل عقبة بن أَبي مُعَيْط عدو الله قال : أَتقتلني يا محمد من بين سائر قريش ؟ قال : نعم . ثم أَقبل على أَصحابه ، فقال : أَتدرون ما صنع هذا بي ؟ جاءَ وأَنا ساجد خلف المقام ، فوضع رجله على عنق وجعل يغمزها ، فما رفعها حتى ظننت أَن عينيّ تندران[1] أَو قال تسقطان ، ثم مرة أُخرى [جاءَ][2] بِسَلاشاة ، فأَلقاه على رأسي وأَنا ساجدٌ خلف المقام ، فجاءَت فاطمة فغسلته عن رأسي .

تسمية من شهد بدرًا من المهاجرين[3]

من بني هاشم بن عبد مناف : رسول الله ﷺ ، وحمزة ، وعلي . ومن مواليهم زيد ابن حارثة الكلبي ، وأَنسة : حبشي ، وأَبو كبشة : فارسي . ومن حلفائهم أَبو مَرثد الغنوي حليف حمزة ، وابنه/مَرْثد بن أَبي مرثد . ثمانية رجال : ثلاثة من أَنفسهم ، وثلاثة من مواليهم ، واثنان من حلفائهم .

٥٥ و

ومن بني المطلب بن عبد مناف : عبيدة بن الحارث ، وأَخواه الطُّفَيل والحصين ابنا الحارث بن المطلب ، ومِسْطح بن أُثاثة . أَربعة رجال .

ومن بني عبد شمس بن عبد مناف : عثمان بن عفان ، يُعَدُّ فيهم لأَنه تَخَلَّف على رُقَيَّة[4] ابنة رسول الله ﷺ بأَمره ، فضرب له رسول الله ﷺ بسهمه : قال له : وأَجْري[5] يا رسول الله ؟ قال : وأَجرك . وأَبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، قيل اسمه عامر

---

(١) تندران : تسقطان .

(٢) زيادة من ر .

(٣) انظر فيمن شهد بدراً من المهاجرين ابن هشام ٣٣٣/٢ والواقدى ١٥١ والبخارى . ٨٧/٥ وابن حزم ص ١١٤ وابن سيد الناس ٢٧٢/١ وابن كثير ٣١٤/٣ والنويرى ٣٣/١٧ .

(٤) كانت رقية مريضة فظل يتعهدها حتى ماتت .

(٥) أجرى هنا : ثوابي .

وقيل اسمه قيس ، وقيل مهشَّم ، وسالم مولاه وكان يُدْعَى يومئذ ابنه . ومن مواليهم صُبَيْح مولى سعيد بن العاص بن أُمية ، وقيل إن صبيحًا تجهَّز للخروج إلى بدر فمرض فحمَل على بعيره أَبا سلمة بن عبد الأَسد ، ثم شهد صُبَيْح بعد ذلك سائر المشاهد مع رسول الله ﷺ . ومن حلفائهم عبد الله بن جَحْش الأَسدى ، وعُكَّاشة بن مِحْصن الأَسدى ، وأخواه : سنان بن محصن ، وأَبو سنان بن محصن ، وابنه سنان بن أَبى سنان ، وشجاع بن وهب الأَسدى ، وأَخوه عقبة بن وهب ، ويزيد بن[1] رُقَيْش بن رِئاب[2] الأَسدى ، ومحرز بن نَضْلة الأَسدى ، وربيعة بن أَكثم بن سَخْبَرة[3] الأَسدى .

٥٥ ظ ومن حلفاء/بنى أَسد بن خزيمة : ثَقْف[4] بن عمرو[5] ، ومدلج وقيل مدلاج بن عمرو[6] ، وأَخوهما مالك بن عمرو من بنى سليم ، وأَبو مخْشىّ سُوَيْد بن مَخْشى الطائى . ثمانية عشر أَو سبعة عشر[7] رجلا : اثنان من أَنفسهم ، واثنان من مواليهم ، وعشرة من حلفائهم من بنى أسد بن خُزيمة . ومن حلفاء بنى أسد بن خزيمة أربعة .

ومن بنى نوفل بن عبد مناف شهدها من حلفائهم — ولم يشهدها من أَنفسهم أَحد — عُتْبَة بن غَزْوان بن جابر بن وهب المازنى ، وخَبَّاب مولى عتبة بن غزوان وليس بخباب بن الأَرتّ : رجلان .

ومن بنى أَسد بن عبد العُزَّى بن قُصَىّ : الزُّبَيْر بن العَوَّام ، وحاطب بن أَبى بَلْتعة حليف لهم ، وسعد مولى حاطب . ثلاثة رجال ، اثنان منهم حليفان .

ومن بنى عبد الدار بن قُصَىّ : مُصْعب بن عُمَير ، وسُوَيْبط بن سعد بن حَرْملة . رجلان من أَنفسهم .

---

(١) قال ابن عبد البر فى الاستيعاب : وقيل فيه أربد بن رقيش وليس بشىء .

(٢) هكذا فى ر وابن هشام وبعض المصادر ، وفى الاستيعاب : رياب ، وفى الأصل ذياد وهو تحريف .

(٣) على هامش الأصل : سحيم ، وهو خطأ .

(٤) هكذا فى رو ابن هشام والاستيعاب وغيرهما من المصادر ، وفى الأصل : ثقيف . وقال ابن عبد البر يقال فيه ثقاف .

(٥) هكذا فى جميع المصادر وفى الأصل : مالك .

(٦) فى الأصل ور : مالك .

(٧) أى بإخراج عثمان لأنه لم يشهد الموقعة .

ومن بنى زُهْرَة بن كلاب ، عبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أَبى وقَّاص ، وأَخوه عمير بن أَبى وقَّاص . ثلاثة رجال . ومن حلفائهم المقداد بن عمرو البَهْرَانى يُعْرَفُ بالمقداد ابن الأَسود ، لأَن الأَسود بن عبد يغوث الزُّهْرِى كان قد تبنَّاه قبل الإِسلام ، وعبد الله بن مسعود الهُذَلىّ حليف لهم ، ومسعود بن ربيعة بن عمرو القَارِىّ من ولد الهُون بن خزيمة ابن مدركة وهم القارة حلفاءُ بنى زهرة ، وذو الشِّمالين عُمَيْر بن عبد/عمرو بن نَضْلة الخُزاعى حليف لهم ، وخبَّاب بن الأَرتِّ حليف لهم يقال إنه خُزَاعى ويقال إنه تميمى وقد ذكرنا الاختلاف فى نسبه وولائه وحلْفه فى باب اسمه من كتاب[١] الصحابة . خمسة رجال[٢] تتمة ثمانية .

٥٦ و

ومن بنى تيم بن مرَّة : أَبو بكر الصِّدِّيق ، وبلال بن رَباح مولاه ، وعامر بن فُهَيْرة مولاه وكان من مولَّدى الأَزد ، وصُهَيْب بن سنان النَّمرىّ حليف عبد الله بن جُدْعان التَّيْمِىّ ، وطلحة بن عبيد الله بن عثمان كان بالشام فى تجارة فضرب له رسول الله ﷺ بسهمه وأَجره . فيُعَدّ لذلك فى أَهل بدر . خمسة رجال : اثنان من أَنفسهم[٣] واثنان من مواليهم وواحد حليف لهم .

ومن بنى مخزوم بن يَقَظَة : أَبو سَلمة بن عبد الأَسد واسمه عبد الله ، وشَمَّاس بن عثمان ابن الشَّرِيد واسمه عثمان بن عثمان ، والأَرقم بن أَبى الأَرقم واسم أَبى الأَرقم عبد مناف ، وعمار بن ياسر العَنْسِىّ مولى لهم ، ومعتِّب بن عوف السَّلولىّ ثم الخزاعى حليف لهم . خمسة رجال : ثلاثة من أَنفسهم ، وواحد مولى لهم ، وواحد من حلفائهم .

ومن بنى عدى بن كعب : عمر بن الخطَّاب بن نُفَيْل ، وأَخوه زيد بن الخطاب ، وعمرو بن سُرَاقة بن المعتمر ، وأَخوه عبد الله بن سراقة ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيْل كان غائباً بالشام فضرب له /رسول الله ﷺ بسهمه وأَجره فهو معدود فى البدريين ، ومِهْجَع مولى عمر بن الخطاب . ومن حلفائهم واقد بن عبد الله اليَرْبوعى التميمى ، وخَوْلىّ

٥٦ ظ

---

(١) انظر كتاب الاستيعاب ص ١٦٤ ويقال : لحقه سباء فى الجاهلية فاشترته امرأة من خزاعة/وأعتقته.

(٢) أى من الحلفاء .

(٣) الثانى طلحة بن عبيد الله .

ومالك ابنا[١] أَبي خَوْلِيّ من بني عِجْل بن لُجَيْم ، وعامر بن ربيعة[٢] العَنْزِيّ ، وعامر وعاقل وخالد وإياس بنو البُكير بن عبد يا لِيل الليثيون من بني سعد بن لَيْث . أَربعة عشر رجلا : خمسة من أَنفسهم ، وواحد من مواليهم ، وثمانية من حلفائهم .

ومن بني جُمَح : عثمان ، وقدامة ، وعبد الله بنو مظعون بن حبيب بن وهب بن حُذافة بن جُمح ، والسائب بن عثمان بن مظعون ، ومعمر بن الحارث بن معمر بن حبيب ، خمسة رجال .

ومن بني سَهْم بن هُصيص : خُنَيْس بن حذافة . رجل واحد .

ومن بني عامر بن لُؤيّ : أَبو سَبْرة بن أَبي رُهْم بن عبد العُزَّى ، وعبد الله بن مخرمة بن عبد العُزَّى ، وعبد الله بن سهيل بن عمرو خرج مع المشركين فلما التقى الجمعان فَرَّ إلى رسول الله ﷺ ، ووهب[٣] بن سعد بن أَبي سرح ، وحاطب بن عمرو ، وعُمَير[٤] بن عَوْف ، وسعد بن خَوْلة حليف لهم من اليمن . سبعة رجال : خمسة من أَنفسهم ، ومولى لهم ، وحليف .

ومن بني الحارث بن فهر : أَبو عبيدة بن الجرَّاح واسمه عامر بن عبد الله بن الجراح ، وعمرو بن الحارث بن زهير ، وسهيل بن وهب بن ربيعة ، وأَخوه صَفْوان بن وهب وهما ابنا /بَيْضاء ، وعمرو بن أَبي سَرْح بن ربيعة ، [وعياض بن[٥] زُهَيْر] . ستة رجال كلهم من أَنفسهم . ٥٧ و

فجميع من شهد بدرًا من المهاجرين ستة[٦] وثمانون رجلا ، كلهم شهدها بنفسه إلا

---

(١) من أهل السير من عد معهما هلال بن أبي خولى .

(٢) فى بعض المراجع : أبى ربيعة ، وهو تحريف .

(٣) قال ابن هشام ٣٤٢/٢ لم يذكره ابن إسحٰق فى البدريين وذكره غيره من أهل العلم بالخبر والسير .

(٤) فى ابن سيد الناس ٢٧٣/١ · عمرو أو عمير .

(٥) زيادة من ابن سيد الناس يقتضيها السياق ، وقد قال : ذكره ابن عقبة وحكاه أبو عمر عن ابن إسحٰق من رواية إبراهيم بن سعد عنه ، وانظر الاستيعاب ص ٥١٠ وفيه أنه عم عياض بن غنم .

(٦) وقد أضاف ابن سيد الناس ثمانية رجع فيهم إلى كتاب الاستيعاب لابن عبد البر ، وهم وهب بن =

ثلاثة رجال ، وهم : عثمان وطلحة وسعيد بن زيد ، ضَرَبَ لهم رسول الله ﷺ بسهامهم وأُجورهم ، فهم كمن شهدها إن شاءَ الله . ومنهم من صَلِيبة قريش أَحد وأَربعون رجلا ، وسائرهم حلفاء لهم وموال . وجميعهم مهاجرى بدر رحمهم الله ورضى عنهم .

تسمية من شهد بَدْرًا من الأَنصار(١)

[ذكر من شهد بدرًا من الأَوس] .

شهدها من الأَوس حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر [ثم (٢) من بنى عبد الأَشهل] : سعد بن معاذ الأَشهلى ، وأَخوه عمرو بن معاذ ، وابن أَخيه الحارث بن أَوس بن معاذ . ومن بنى عبد الأَشهل أَيضًا : الحارث بن أَنس بن رافع [وسعد (٣) بن زيد بن مالك بن عبيد] وسلمة بن سلامة بن وَقْش ، وعباد بن بشر بن وَقْش ، وسلمة بن ثابت بن وَقْش ، .ورافع بن يزيد بن كُرْز من بنى زَعُورا (٤) بن عبد الأَشهل . ومن حلفائهم الحارث

= أبي سرح الفهرى أخو عمرو ، وقال ابن سيد الناس : رواه أبو عمر عن موسى بن عقبة ولم نره فى مغازيه ويشبه أن يكون وهْماً . ويظهر أنه حدث خلط فيه وفى وهب بن سعد بن أبي سرح العامرى ، وكأن رواية ابن عبد البر هنا أثبت منها فى الاستيعاب . وثانيهم –كما نص ابن عبد البر فى الاستيعاب – خريم بن فاتك الأسدى ، وقال ابن عبد البر : قيل إن خريماً هذا أسلم يوم فتح مكة ، قال : وصحيح البخارى وغيره أن خريماً وأخاه سبرة شهدا بدراً فهؤلاء ثلاثة . والرابع طليب بن عمير ، نص على ذلك ابن عبد البر فى ترجمته . والخامس كثير بن عمرو السلمى أخو ثقف ومالك حليفى بنى أسد كما سلف ، وقد شك فيه ابن عبد البر ، وقال : لعله هو نفسه ثقف ، فاسمه كثير وثقف لقبه . على أنه ذكر لثقف – فيما مر – أخاً يسمى مدلجا شهد بدرًا .فربما كان مدلج لقبه واسمه كثير . والسادس والسابع والثامن الأخنس السلمى وابنه يزيد وحفيده معن ، ولا يعرف فيمن شهد بدرًا ثلاثة جد وابن وحفيد سواهم ، وقال ابن عبد البر فى ترجمة يزيد بن الأخنس : يقال إنه شهد بدرًا هو وأبوه وابنه معن ، ولا أعرفهم فى البدريين، وقال ابن سيد الناس : أكثر أهل العلم بالسير لا يصحح شهودهم بدرًا . وكأن الذين يرجح شهودهم بدرًا من الثمانية هم خريم وأخوه سبرة وطليب بن عمير .

(١) انظر فيمن شهد بدرًا من الأنصار ابن هشام ٣٤٢/٢ وابن حزم ص ١٢٣ وابن سيد الناس ٢٧٤/١ والنويرى ٣٧/١٧ .

(٢) زيادة من ابن هشام يقتضيها السياق

(٣) زيادة من ابن هشام .

(٤) ويُقال فيه (رعْورا) بسكون العين .

ابن خَزَمة بن عدى خرج عن قومه[١] وحالف بنى زعورا بن عبد الأَشهل ، ومحمد بن سلمة من بنى الحارث بن الخزرج خرج عن قومه وحالف بنى زعورا ، [وسلمة[٢] بن أَسلم بن حريش خرج أيضًا عن قومه بنى الحارث بن الخزرج وحالف بنى زعورا] /وأَبو الهيثم بن التَّيِّهان ، وأَخوه عبيد ويقال عتيك بن التيهان ، وعبد الله بن سهل ويقال إنه من نفس بنى[٣] زعورا . خمسة[٤] عشر رجلا .

٥٧ ظ

ومن بنى ظفر واسمه كعب بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأَوس : قتَادة بن النعمان ، وعُبَيْد بن أَوس ويعرف بمقرِّن لأَنه أَسر أَربعة من المشركين فقرنهم وساقهم[٥] ، ونَصْر بن الحارث بن عبيد[٦] ، ومعتِّب بن عُبَيْد . ومن حلفائهم عبد الله بن طارق البلوى . خمسة رجال .

ومن بنى حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأَوس : مسعود بن سعد[٧] بن عامر ، وأَبو عبس بن جبر بن عمرو . ومن حلفائهم : أَبو بُرْدة بن نِيار البلوى واسمه هانئ بن نيار بن عمرو [بن عبيد[٨]] بن كلاب من بَلِىّ بن عمرو بن الحاف بن قضاعة . ثلاثة رجال .

ومن بنى عوف بن مالك بن الأَوس ثم من بنى ضُبَيْعة بن زيد : عاصم بن ثابت بن أَبى الأَقْلح واسم أَبى الأَقلح قيس بن عِصْمَة بن النعمان بن مالك بن أُمية بن ضُبَيْعَة ، ومعتِّب بن قُشَير بن مُلَيْل . وقد قيل إن معتب بن قشير من المنافقين[٩] والله أَعلم .

---

(١) هم بنو عمرو بن عوف بن الخزرج .

(٢) زيادة من ابن هشام .

(٣) ويقال : من غسان .

(٤) يتطابق ابن عبد البر مع ابن هشام فى هذا العدد ، وهم عند ابن سيد الناس ثلاثة وعشرون بزيادة شريك ابن أنس بن رافع ، وابنه عبد الله ، ويزيد بن السكن بن رافع ، وابنه عامر ، وأخوه زياد ، وابنه عمارة بن زياد ، وإياس بن أوس بن عتيك ، وأخوه الحارث بن أوس .

(٥) ويقال إنه أسر عقيل بن أبى طالب يومئذ . انظر ابن هشام ٣٤٣/٢

(٦) فى ابن هشام ور : عبد .

(٧) فى ابن هشام وقيل : ابن عبد سعد .

(٨) زيادة من ابن هشام .

(٩) سلكه النويرى ٣٥٣/١٧ فى المنافقين وذكر قصة نفاقه ، وقد شك ابن عبد البر بقوله والله أعلم بنفاقه لأنه بدرى .

[وأبو[١] مُلَيْل ابن الأزعر بن زيد بن العَطَّاف بن ضُبَيْعَة] وعمير[٢] بن معبد بن الأزعر ، وسهل بن حُنَيْف بن واهب . [خمسة رجال] .

ومن بنى أمية بن زيد بن مالك بن عوف : أبو لُبابة بشير ، وأخوه مبشر ، وأخوهما رفاعة بنو عبد المنذر بن زَنْبَر بن أمية بن زيد ، وسعد بن عبيد بن النعمان/ ، وعُوَيم[٣] بن ساعدة بن عائش بن قيس بن [النعمان بن] زيد بن أمية بن زيد ، ورافع بن عَنْجَدَة وهى أمه ، وعُبَيْد بن أبى عبيد ، وثعلبة بن حاطب . وقد قيل إن النبى ﷺ ردّ أبا لبابة والحارث[٤] بن حاطب إلى المدينة ، وأمَّر أبا لبابة عليها ، وضرب لهما بسهميهما وأجرهما . تسعة[٥] رجال . وقيل إن ثعلبة بن حاطب هو الذى نزلت فيه : (ومنهم منْ عاهد الله لئن آتانا من فضله لنَصَّدَّقَنَّ — الآيات) إذ منع الزكاة والله أعلم . وما جاء فيمن شهد بدرا يعارضه قوله تعالى : (فأعقبهم نفاقًا فى قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه — الآية) . ولعل قول من قال فى ثعلبة إنه مانع الزكاة الذى نزلت فيه الآية غير صحيح . والله أعلم .

٥٨ و

ومن بنى عُبَيْد بن زيد بن مالك بن عوف : أُنَيْس بن قتادة بن ربيعة بن خالد[٦] بن الحارث بن عبيد . ومن حلفائهم من بلِيّ : مَعْن بن عَدِيّ بن الجَدّ بن عَجْلان بن ضبيعة ، وثابت بن أقْرم[٧] بن ثعلبة [وعبد[٨] الله بن سلمة بن مالك] وزيد بن أسلم بن ثعلبة ، ورِبْعِىّ بن رافع بن زيد . وخرج عاصم بن عدى بن الجد مع رسول الله ﷺ فردّه وضرب له بسهمه وأجره . سبعة[٩] رجال .

---

(١) زيادة من ابن هشام .

(٢) هكذا فى ر وابن هشام والاستيعاب ، وفى الأصل : عمرو ، وهو تحريف

(٣) هكذا نسبه فى الاستيعاب ، وفى الأصل : عويم بن ساعة بن عامر ، وهو تحريف .

(٤) هكذا فى جميع المصادر وفى الاستيعاب ص ١١١ وفى الأصل : ثعلبة بن حاطب ، وهو وهم من الناسخ .

(٥) فى الأصل ور : ثمانية وهو خطأ من الناسخ .

(٦) هكذا فى الأصل ور وابن هشام ، وفى ابن سيد الناس : ابن المطروف بن الحارث بن زيد بن عبيد .

(٧) فى ر : أرقم وفى ابن سيد الناس ويقال فيه أقرن .

(٨) زيادة من ابن هشام .

(٩) عند ابن سيد الناس : ثمانية بزيادة خداش بن قتادة بن ربيعة .

ومن بنى معاوية [بن[١] مالك] بن عوف بن عمرو بن عوف : جَبْر بن عَتِيك[٢] بن الحارث/ومالك بن نُمَيْلة المُزَنِىّ حليف لهم ، والنعمان بن عِصْر[٣] البلوى حليف لهم . [ثلاثة رجال] .

٥٨ ظ

ومن بنى ثعلبة بن عمرو بن عوف : عبد الله بن جُبَير بن النعمان ، وأَخوه خَوَّات بن جبير بن النعمان ردّه رسول الله ﷺ وضرب له بسهمه وأَجره ، وعاصم بن قيس بن ثابت بن النعمان ، وأَخوه أَبو ضَيَّاح بن ثابت بن النعمان ، وأَخوه أَبو حية بن ثابت ابن النعمان وسالم بن عمير بن ثابت بن النعمان ، والحارث بن النعمان بن أُمية بن البَرْك واسم البرك امرؤ القيس بن ثعلبة بن عمرو بن عوف . سبعة رجال[٤] .

ومن بنى جَحْجَبى بن كُلْفة بن عوف بن عمرو بن مالك بن الأَوس : منذر بن محمد ابن عقبة بن أُحَيحة بن الجُلاح بن الحَرِيش بن جَحْجَبى . ومن حلفائهم : أَبو عَقيل بن عبد الله بن ثعلبة البلوى . رجلان .

ومن بنى غَنْم بن السَّلْم بن امرئِ القيس بن مالك بن الأوس : سَعْد بن خيْثَمة بن الحارث ، ومولاه تميم ، والحارث بن عَرْفَجَة [ومنذر[٥] بن قدامة بن عَرْفَجَة] ومالك ابن قدامة بن عرفجة [خمسة رجال] .

وجميعهم واحد[٦] وستون رجلا على حسب ما ذكرنا عنهم ممن شهدها بنفسه ومَنْ أُسْهِم له فيها بسهم .

---

(١) زيادة من ابن هشام .

(٢) فى ابن سيد الناس : جبر بن عتيك وعمه الحارث ، وإذن فعدة هؤلاء أربعة .

(٣) قال ابن سيد الناس : عصر : بفتحتين عند ابن الكلبى ، ومكسور العين ساكن الصاد عند ابن إسحق والواقدى وأبى معشر وابن عقبة

(٤) عند ابن سيد الناس : عشرة بزيادة النعمان والحارث ابنى أبى خزمة بن نعمان بن أمية وأبو حنة بالنون .

(٥) زيادة من ابن هشام .

(٦) عند ابن سيد الناس : أربعة وسبعون .

ذكر مَنْ شهدَ بَدْرًا من الخزرج

/ وشهد بدرًا من الخزرج بن حارثة ثم من بنى كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج : خارجة [١] بن زيد بن أَبى زُهَيْر بن مالك بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج ، وسعد بن الربيع بن عمرو بن أَبى زهير ، وعبد الله بن رواحة [بن [٢] ثعلبة] بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس بن مالك ، وخَلاَّد بن سُوَيد بن ثعلبة ، وبشير بن سعد بن ثعلبة ، وأَخوه سماك بن سعد ، وسُبَيْع بن قيس بن عَبَسَة [٣] ويقال عَيشَةَ ، وأَخوه عبَّاد بن قيس ، وعبد الله بن عَبْس ، ويزيد بن الحارث بن قيس ، يقال له : ابن فُسْحُم [٤] . عشرة رجال .

٥٩ و

ومن بنى جُشَم وزيد ابنى الحارث بن الخزرج وهما التَّوْءمَان : خُبَيْب بن إساف [٥] بن عِتَبة ، وعبد الله بن زيد بن ثعلبة صاحب الأَذان [٦] ، وأَخوه حُرَيْث بن زيد ، وسفيان ابن نَسْر [٧] بن عمرو . أَربعة رجال .

ومن بنى جُدَارة بن عَوْف بن الحارث بن الخزرج : تميم بن يَعار بن قيس ، وعبد الله [٨] بن عُمَيْر ، وزيد بن المُزَيِّنِ بن قيس ، وعبد الله بن عُرْفُطة بن عدى بن أُمية ابن جُِدارة [٩] . أَربعة رجال .

---

(١) تزوج أبو بكر الصديق ابنة له ، ومنها ابنته أم كلثوم .

(٢) زيادة من ابن هشام .

(٣) هكذا فى ابن هشام والاستيعاب ور ، وفى الأصل . ابن عنبسة ويقال عنبشة وهو تحريف . وفى بعض المصادر : عائشة .

(٤) هى أمه .

(٥) فى بعض المصادر . يساف .

(٦) كان المسلمون يجتمعون للصلاة فى أوقاتها دون أذان ، ثم شرع الأذان ويقال إن عبد الله بن زيد أشار به على الرسول . وإن له فضل تشريعه .

(٧) فى بعض المصادر بشر ، ولعله تحريف .

(٨) فى ابن سيد الناس ٢٨٠/١ : لم يذكره بعض الرواة فى البدريين .

(٩) هكذا نسبه ابن هشام وقيل : حليف لهم . وذكر ابن سيد الناس أن البخارى أضاف إلى هذه المجموعة أبا مسعود البدرى ، وقال : المشهور أنه لم يشهد بدرًا وأنه منسوب إلى الماء

ومن بنى الأَبْجر وهو خُدْرة بن عوف بن الحارث بن الخزرج أَخو جُدارة : عبد الله بن ربيع بن قيس بن عمرو بن عبَّاد بن الأَبجر . رجل واحد . وأَصل الخدرة الخمس الثانى من الليل ، والخمس الأَول الهزيع والخمس الثالث اليعفور/والرابع السدفة ، ذكره كراع .

٥٩ ظ

ومن بنى عَوْف بن الخزرج ثم من بنى الحُبْلى* : عبد الله بن عبد الله بن أُبىّ بن سَلول ، وسلول أُم أُبىّ بن مالك بن الحارث بن عبيد ، وأَوس بن خَوْلِىّ بن عبد الله بن الحارث بن عبيد . رجلان .

ومن بنى جَزْء بن عدى بن مالك بن سالم : زيد بن وديعة بن عمرو بن قيس بن جزء ، وعقبة بن وهب بن كَلدة ، حليف لهم من بنى عبد الله بن غطفان . رجلان .

ومن بنى ثعلب بن مالك بن سالم : رفاعة بن عمرو بن زيد بن عمرو بن ثعلبة ، وعامر – ويقال عمرو – بن سلمة بن عامر حليف لهم من اليمن[١] . [رجلان] .

ومن بنى المقدام بن سالم بن غَنْم : أَبو حُمَيْضَة[٢] معبد بن عباد بن قُشَيْر بن المقدم بن سالم ، وعامر بن البُكير[٣] حليف لهم ويقال عاصم بن العُكَيْر . [رجلان] .

ومن بنى سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج ثم من بنى العجلان بن زيد بن غَنْم بن سالم : عِتْبان بن مالك بن عمرو بن العَجْلان ، و [نوفل[٤] بن عبد الله بن] نضلة بن مالك بن العجلان . رجلان .

ومن بنى أَصرمَ بن فِهْر بن ثعلبة بن غَنْم بن سالم/بن عوف – وقد قيل إِنه غنم بن عوف أَخو سالم بن عوف بن الخزرج : عبادة بن الصامت بن قيس بن أَصْرَم ، وأَخوه أَوس بن الصامت . رجلان .

٦٠ و

* وينسب « إليه » حبلىّ على غير قياس كأنهم أرادوا أن يغيروا صفة التأنيث لبعد الحبلى من الذكور . وحاصله الفرق بين الحقيقة والمجاز ، لأن تسمية العظيم البطن حبلى مجاز .

(١) فى بعض المصادر أنه من قضاعة .

(٢) هكذا فى الأصل ور وابن هشام ، وقيل أبو خميصة وأبو عصيمة . واختلف فى نسبه أيضاً ، فقيل : معبد بن عبادة بن قشغر بن المقدم أو المقدم ، وقيل : معبد بن عبادة بن قيس بن المقدم .

(٣) قيل : مزنى .

(٤) زيادة من ابن هشام وغيره من المصادر .

ومن بنى دعد بن فهر بن ثعلبة بن غَنْم : النعمان بن مالك بن ثعلبة . وثعلبَة[1] هو قَوْقَل . [رجل واحد] .

ومن بنى قِرْيوش ويقال قريوس[2] بن غَنْم بن أُمية بن لَوْذان بن سالم بن عوف : ثابت بن هَزَّال بن ثابت بن عمرو بن قريوش . [رجل واحد] .

ومن بنى مَرْضَخة وهو عمرو بن غَنْم بن أُمية بن لَوْذان : مالك بن الدُّخْشُم بن مالك ابن الدُّخْشُم بن مَرضخة ، والرَّبيع ، وورقة ، وعمرو ، بنو إياس بن عمرو بن غَنْم بن أُمية بن لَوْذَان . وقد قيل إن عمرو بن إياس ليس بأَخ لهما ، وإنه حليف لهم من اليمن . ومن حُلفائهم من قضاعة : المجذَّر[3] بن ذِياد بن عمرو البَلَوِىّ واسم المجذَّر عبد الله ، وعبادة[4] ابن الخشخاش ابن عمرو بن زُمْزُمة ، ونحَّاث[5] — ويقال نَحَّاب — بن ثعلبة بن حزَمة[6] ، وعبد الله بن ثعلبة بن حَزَمَة ، وعتبة[7] بن ربيعة بن خالد البهرائى من قُضَاعة وقيل البَهْزى من بَهْز بن سليم حليف لهم .

ومن بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج ثم من بنى ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة : أَبو دُجانة سماك بن خَرَشَة ويقال سماك بن أَوس[8] بن خَرَشة بن لَوْذان بن عبد وَدّ بن زيد ابن ثعلبة ، والمنذر بن عمرو بن خُنَيْس[9] / بن حارثة بن لَوْذَان بن عبد وَدّ بن زيد بن ثعلبة . رجلان . ٦٠ ظ

---

(١) فى الأصل ور وابن هشام : النعمان ، والتصحيح من الاستيعاب ، قال ابن عبد البر فى الاستيعاب ص ٣٠٨ وثعلبة بن وعد وهو الذى يسمى قوقلا وكان له عز ، فكان يقول للخائف إذا جاء : قوقل حيث شئت فأنت آمن (أى ارق واصعد) فقيل لبنى غنم وبنى سالم لذلك القوافل .

(٢) وقيل قربوس بالباء .

(٣) المجذر : لقبه واسمه عبد الله ، ومعنى المجذر غليظ الخلق . وفى الاستيعاب : المجدر بن زياد بالزاى ولعله تحريف .

(٤) يقال فيه عبدة بن الحسحاس ، ويقال : عباد .

(٥) يقال فيه بحاث بالباء والثاء .

(٦) فى بعض المصادر : حزمة .

(٧) فى الاستيعاب ص ٥٠٦ : اختلف فى شهوده بدراً .

(٨) فى الأصل : زيادة وهو تحريف .

(٩) فى ابن هشام . يقال فيه خنبش .

ومن بنى عمرو بن الخزرج بن ساعدة : أَبو أُسَيْد[١] مالك بن ربيعة بن البَدِن[٢] بن عامر بن عوف بن حارثة بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة ، ومالك بن مسعود بن البَدِن . رجلان .

ومن بنى طريف بن الخزرج بن ساعدة : عَبْدُ ربِّه بن [حَقّ[٣] بن] أوس بن وقش ابن ثعلبة بن طريف بن الخزرج ين ساعدة . ومن حلفائهم : كعب بن حِمار[٤] بن ثعلبة الجُهَنى ، وضَمْرة ، وزياد ، وبَسْبَس بنو عمرو[٥] ، وعبد الله بن عامر من بِلِىّ .

ومن بنى سَلِمة بن سعد بن على بن أسد بن ساردة بن تزِيد بن جُشَم بن الخزرج : خِراش بن الصِّمَّة بن عمرو بن الجموح بن زيد[٦] بن حرام بن كعب بن غَنْم بن كعب ابن سلِمة ، وأبوه الصمة[٧] بن عمرو ، والحُباب بن المنذر بن الجَموح [وعمير بن الحُمام[٨]] وتميم[٩] مولى خِراش بن الصِّمَّة ، وعبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام بن كعب ، ومعاذ ومعوِّذ ابنا عمرو بن الجَموح ، وأخوهما خلَّاد بن عمرو بن الجَموح ، وعقبة بن عامر من بنى نابى بن زيد بن حرام [وحبيب[١٠] بن أسود مولى لهم] وعمير[١١] بن الحارث بن ثعلبة بن الحارث بن حرام ، وبشر بن البَراء بن مَعْرور بن

---

(١) روى بضم الهمزة وفتحها

(٢) فى بعض الروايات : البدى بالياء ولعله تحريف والبدن يروى بكسر الدال وفتحها .

(٣) زيادة من ابن هشام

(٤) ويقال : حار ، وحماز .

(٥) فى ابن هشام : ضمرة وزياد ابنا بشر . وبعضهم يقول : ضمرة ابن أخى زياد . وعند ابن سعد زياد بن كعب من عمرو بن عدى الجهنى

(٦) فى ابن هشام : كل ماكان ههنا الجموح فهو الجموح بن زيد بن حرام إلا ماكان من حد الصمة بن عمرو فإنه الجموح بن حزام

(٧) لم يذكره ابن هشام ولا غيره فى البدريين وهو سهو من ابن عبد البر وقد نقله عنه ابن حزم (انظر هامش ص ١٣٦ فى جوامع السيرة) .

(٨) زيادة من ابن هشام والمصادر المختلفة . وابن عبد البر يتابعه فى عد هؤلاء البدريين حسب ترتيبه

(٩) هكذا فى ر والمصادر مختلفة . وفى الأصل : تيم بن خراش وهو تحريف .

(١٠) زيادة من ابن هشام والمصادر المختلفة .

(١١) ويقال عمرو

صَخْر بن [مالك بن] خَنْساء ، والطفيل بن مالك بن خنساء ، والطفيل[١] بن النعمان ابن خنساء ، وسنان بن صَيْفى بن صَخْر بن خنساء ، وعبد الله بن الجد بن قيس بن صَخْر ابن خنساء ، وعتبة بن عبد الله بن صَخْر بن خنساء ، /وجبار بن أُمية بن صخر بن خنساء وقد قيل إن جبار بن صخر بن أُمية بن خُناس ، وخُناس وخنساءُ أخوان ، وخارجة[٢] بن حميرٍ ، وأَخوه عبد الله بن حميرٍ حليفان لهم من أَشجع ، ويزيد بن المنذر بن سَرْح بن خناس ، وأَخوه معقل بن المنذر ، وعبد الله بن النعمان بن بَلْدَمة[٣] ، والضحاك بن حارثة ابن زيد بن ثعلبة بن عبيد بن غَنْم[٤] بن كعب بن سَلِمة ، وسواد بن رِزْق بن زيد بن ثعلبة بن عبيد بن غنم ، ومعبد بن قيس بن صخر بن حرام بن ربيعة بن عدى بن غَنم [وعبد[٥] الله بن قيس بن صخر بن حرام] وعبد الله بن عبد مناف بن النعمان بن سنان ابن عبيد ، وجابر بن عبد الله بن رئاب بن النعمان بن سنان بن عبيد ، وخُلَيْدة بن قيس بن النعمان ، والنعمان[٦] بن يسار مولى لهم ، وأَبو المنذر يزيد بن عامر بن حديدة بن عمرو[٧] ابن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة ، وقطْبة بن عامر بن حديدة ، وسليم بن عمرو بن حديدة ، وعنترة مولاه ويقال إن عنترة هذا من بنى سُلَيْم ، وعبس بن عامر بن عَدِىّ بن نابى بن عمرو بن سواد بن غَنْم ، وثعلبة بن عَنَمَة[٨] بن عدى ، وأَبو اليَسر كعب بن عمرو بن عبَّاد بن عمرو بن سواد[٩] بن غنم ، وسهل بن سعد بن قيس بن أَبى كعب بن القيْن بن كعب بن سواد بن غنم ، وعمرو بن طَلْق بن زيد بن أُمية بن سنان بن كعب بن غَنْم .

ومن بنى أُدَىّ بن سعد أَخى سلمة بن سعد بن على : معاذ بن جبل بن عمرو بن

٦١ و

---

(١) قال ابن سعد فيمن عده : لا أحسبه إلا وهلا . انظر ابن سيد الناس ٢٨٣/١

(٢) ويقال : حمزة ، ويقال حارثة بن حمير بتخفيف الياء ، وقيل خمير بالخاء

(٣) ويقال : بلذمة .

(٤) فى ابن هشام : عدى .

(٥) زيادة من ابن هشام والمصادر المختلفة .

(٦) فى ابن هشام والاستيعاب النعمان بن سنان .

(٧) هكذا فى ر وابن هشام وفى الأصل : عمر .

(٨) ويقال : غنمة

(٩) فى ابن هشام تقديم غنم على سواد .

٦١ ظ أوس / بن عائذ[١] بن عدى[٢] بن كعب بن عمرو بن أُدَىّ بن سعد أخى سلمة بن سعد .

ومن بنى زُرَيق [بن عامر بن زريق] بن عبد حارثة بن مالك بن غَضْب بن جُشَم بن الخزرج : قيْسُ بن مِحْصَن[٣] بن خالد بن مخلّد بن عامر بن زُرَيق ، وأبو خالد الحارث ابن قيس بن خالد بن مخلّد ، وجُبَيْر بن إياس بن خالد بن مخلّد ، وأبو عبادة سعد بن عثمان ابن خَلَدَة بن مخلّد ، وأخوه عقبة بن عثمان ، وذكْوانْ بن عبد قيس بن خَلَدة بن مخلّد ، ومسعود بن خَلَدة بن عامر بن مخلد ، وعبَّاد بن قيس بن عامر بن خالد بن عامر بن زريق ، وأسعد[٤] بن يزيد بن الفاكه بن زيد بن خلَدة بن عامر بن زُريق ، والفاكه بن بشر[٥] بن الفاكه بن زيد بن خَلدة ، ومعاذ بن ماعص بن قيس بن خلدة بن زريق ، وأخوه عائذ بن ما عص ، وعمهما مسعود بن [سعد[٦]] بن قيس . ومن بنى العَجْلاَن بن عمرو بن عامر بن زريق : رفاعة بن رافع بن العجلان وأخوه خَلاَّد بن رافع ، وعبيد بن زيد بن عامر بن العجلان .

ومن بنى بَياضة بن عامر بن زريق : زياد بن لبيد بن ثعلبة بن سنان بن عامر بن عدى ابن أمية بن بياضة ، وفرْوة بن عمرو بن وَدْفة[٧] بن عبيد بن عامر بن بياضة ، وخالد بن قيس[٨] بن مالك بن العجلان بن عامر بن بياضة ، ورُجَيْلة بن ثعلبة بن خالد بن ثعلبة بن عامر بن بياضة [وعطية[٩] بن نويرة بن عامر بن عطية بن عامر بن بياضة] وخليفة بن عدى بن عمرو بن مالك بن عامر بن بياضة .

٦٢ و ومن بنى حبيب بن عبد حارثة/أخى زريق : رافع بن المُعَلَّى بن لَوْذَان بن حارثة بن

(١) هكذا فى ابن هشام والاستيعاب ، وروى فيه ابن هشام : أوس بن عباد ، لا ابن عائذ .

(٢) فى الأصل : عدى بن عامر بن كعب .

(٣) ويقال : حصن .

(٤) ويقال فيه : سعد .

(٥) فى ابن هشام : بسر .

(٦) زيادة من ابن هشام .

(٧) يقال فيه وذفة بالذال ، وودقة بالقاف .

(٨) هكذا نسبه فى ابن هشام والاستيعاب ، وفى الأصل ور : خالد بن مالك بن قيس .

(٩) زيادة من ر وابن هشام .

عدى بن زيد بن ثعلبة بن زيد مناة بن حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غَضْب بن جُشَم ابن الخزرج .

ومن بنى النَّجار وهو تَيْمُ الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج ثم من بنى غَنْم بن مالك ابن النجار : أَبو أَيوب خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة بن عبد بن عَوْف بن غَنْم بن مالك بن النجار ، وثابت بن خالد بن النعمان بن خنساء بن عُسَيْرة[١] بن عبد بن عوف ابن غَنْم بن مالك بن النجار ، وعمارة بن حزم بن زيد بن لَوْذان بن عمرو بن عبد [بن] عوف بن غَنْم بن مالك بن النجار ، وسراقة بن كعب بن عبد العُزَّى بن غَزِيَّة بن عمرو بن عبد بن عَوْف بن غَنْم ، وحارثة بن النعمان بن نفع[٢] بن زيد بن عبيد بن ثعلبة بن غَنْم [وسليم[٣] بن قَيْس بن قَهْد واسم قهد خالد بن قيس بن ثعلبة بن غنم] وسُهَيل بن رافع ابن أَبى عمرو بن عائذ بن ثعلبة بن غَنْم ، وعدى بن أَبى الزَّغْباء حليف لهم من جُهَيْنة ، ومسعود بن أَوس بن زيد [بن[٤] أَصرم بن زيد] بن ثعلبة بن غَنْم بن مالك بن النجار ، وأَبو خزيمة بن أَوس بن زيد بن أَصرم بن زيد بن ثعلبة بن غنم ، ورافع بن الحارث بن سواد[٥] بن زيد بن ثعلبة بن غنم ، وعوف ، ومعوَّذ ، ومعاذ بنو الحارث ابن رفاعة بن سواد بن مالك[٦] بن غنم بن مالك بن النجار وهم بنو عَفْرَاء ، ويقال إِن أَبا الحمراء مولى الحارث بن عَفْراء شهد بدرًا ، والنعمان/بن عمرو بن رفاعة بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النجار ، وعامر بن مخلَّد بن الحارث بن سواد بن مالك بن غَنْم ابن مالك بن النجار وعبد الله بن قيس بن خالد بن خلدة بن الحارث بن سواد بن مالك

٦٢ ظ

---

(١) فى ابن هشام : ويقال عشيرة .
(٢) فى بعض الروايات : نقع ، وفى بعضها : يفع .
(٣) زيادة من ر وابن هشام . وفى بعض الروايات : فهد بالفاء .
(٤) زيادة من ابن هشام ويدل عليها نسب أخيه بعده ، وانظر الاستيعاب ص ٢٨١
(٥) فى بعض الروايات : الأسود . انظر ابن سيد الناس ١/٢٧٧ .
(٦) فى الأصل : ابن زيد بن ثعلبة بن غنم ، وهو خطأ جاء من أن رافع بن الحارث السابق لهم فى أسماء نسبه سواد بن زيد بن ثعلبة ، وكأنما تبادر إلى الناسخ أن سواداً دائمًا ابن زيد بن ثعلبة ، ومضى يصنع نفس الصنيع بالنعمان بن عمرو بن رفاعة وعامر بن مخلد وعبد الله بن قيس وثابت بن عمرو . وكلهم – كما فى ابن هشام ١/٣٦٠ وابن سيد الناس ١/٢٧٨ – من بنى سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النجار . وقد روى ابن عبد البر نسبهم جميعًا صحيحًا فى الاستيعاب . انظرهم بترتيب أسمائهم على حروف المعجم .

ابن غنم بن مالك بن النجار ، وعُصَيْمة حليف لهم من أَشجع ، ووديعة[١] بن عمرو حليف لهم من جهينة ، وثابت بن عمرو بن زيد بن عدى بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النجار.

ومن بنى مبذول واسمه عامر بن مالك بن النجار ثم من بنى عمرو بن عتيك بن عمرو ابن مبذول : ثعلبة بن عمرو بن مِحْصن بن عمرو بن عَتيك ، وسهل بن عتيك بن النعمان[٢] بن عمرو بن عتيك ، والحارث بن الصِّمَّة بن عمرو بن عَتيك كُسِر به بالرَّوحاء فضرب له رسول الله ﷺ بسهمه .

ومن بنى معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار وهم بنو حُدَيْلة : أُبَىُّ بن كعب بن قس بن عبيد بن زيد بن معاوية ، وأَنس بن معاذ بن أَنس بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاويةابن عمرو بن مالك بن النجار.

ومن بنى عدى بن عمرو بن مالك بن النجار وهم بنو مُغَالة فنُسبوا إلى أُمهم امرأَة من كنانة : أَوس بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدى بن عمرو بن مالك بن النجار ، وأَبو شيخ بن أُبى بن ثابت ، وقيل أَبو شيخ بن ثابت أَخو حَسَّان/بن ثابت وأَوس بن ثابت ، وأَبو طلحة زيد بن سهل بن الأَسود بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدى بن عمرو بن مالك بن النجار . انقضى بنو مالك بن النجار. ٦٣ و

ومن بنى عدى بن النجار : حارثة[٣] بن سُراقة بن الحارث بن عدىّ بن مالك بن عدى بن عامر بن غَنْم بن عدى بن النجار ، وعمرو بن ثعلبة بن وهب بن عدى بن مالك ابن عدى بن عامر بن غَنْم بن عدى بن النجار وهو أبو حكيم ، وسليط بن قيس بن عمرو ابن عَتيك بن مالك بن عدى بن عامر بن غَنْم بن عدى بن النجار ، وأَبو سليط أُسَيْرة[٤] ابن عمرو وهو أَبو خارجة بن قيس بن مالك بن عدى بن عامر بن غَنْم بن عدى بن

---

(١) فى بعض الروايات : رفاعة

(٢) فى ابن هشام : سهل بن عتيك بن عمرو بن النعمان . وانظر الاستيعاب ص ٥٨٥ .

(٣) قيل - كما سلف - إنه أول قتيل ببدر.

(٤) فى بعض الروايات : عسيرة . انظر ابن سيد الناس ٢٧٨/١

النجار ، وثابت بن خنساء بن عمرو بن مالك بن عدى بن عامر بن غَنْم بن عدى بن النجار ، وعامر بن أُمية بن زيد بن الحسحاس بن مالك بن عدى بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار ، ومحرز بن عامر بن مالك بن عدى بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار ، وسواد[١] بن غَزِيَّة بن أُهَيْب حليف لهم من بَلِىّ ، وأَبو زيد قيس بن سَكَن بن قيس بن زعوراء بن حرام بن جندب بن عامر بن غَنْم بن عدى بن النجار ، وأَبو الأَعور الحارث بن ظالم ويقال أَبو الأَعور[٢] بن الحارث بن ظالم بن عَبْس بن حرام بن جُنْدُب ، وسليم ، وحرام ، ابنا مِلْحان[٣] واسم ملحان : مالك بن خالد بن زيد بن حرام ابن جندب بن عامر/بن غَنْم بن عدى بن النجار . ٦٣ ظ

ومن بنى مازن بن النجار : قيس بن أَبى صعصعة واسم أَبى صعصعة عمرو بن زيد ابن عوف بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار ، وعبد الله بن كعب بن عمرو بن عوف بن مبذول ، وعُصَيْمة[٤] حليف لهم من بنى أسد بن خزيمة ، وأبو داود عمير بن عامر بن مالك بن خنساء بن مبذول ، وسراقة بن عمرو بن عطية بن خنساء بن مبذول ، وقيس بن مخلد بن ثعلبه بن صخر بن حبيب بن الحارث بن ثعلبة بن مازن بن النجار .

ومن بنى دينار بن النجار : النعمان بن عبد عمرو بن مسعود بن عبد الأشهل بن حارثة ابن دينار بن النجار ، وأخوه الضحاك بن عبد عمرو ، وسليم[٥] بن الحارث بن ثعلبة بن كعب بن [عبد[٦] الأشهل بن] حارثة بن دينار بن النجار ، وجابر بن خالد [بن مسعود] بن عبد الأشهل بن حارثة بن دينار ، وسعد[٧] بن سهيل بن عبد الأشهل بن حارثة بن دينار ، وكعب بن زيد بن قيس بن مالك بن كعب بن حارثة بن دينار ، وبُجَيْر ابن أبى بجير حليف لهم من بنى عبْس بن بَغِيض .

---

(١) هو الذى أسر إخوة أبى جهل الثلاثة : خالدًا ، والعاصى ، والحارث .
(٢) فى الاستيعاب على هذه الرواية اسمه كعب .
(٣) اسم أمهما مليكة بنت مالك بن عدى بن زيد مناة بن عدى بن عمرو بن مالك بن النجار .
(٤) فى بعض الروايات : عصمة .
(٥) أخو الضحاك والنعمان لأمهما .
(٦) زيادة من الاستيعاب ص ٥٧٧ .
(٧) ويقال فى سعد سعيد وفى سهيل سهل .

فجميع مَنْ شهد بدرًا – على ما وصفنا – من الخزرج بن حارثة مائة[1] وسبعون رجلا ، وجميع أهل بدر – على ما ذكرنا – ثلاثمائة رجل وسبعة[2] عشر رجلا . وقد ذكرنا من غاب عنها وضرب به رسول الله ﷺ بسهمه وأجره فيها* .

---

(١) هم عند ابن سيد الناس : مائة وخمسة وتسعون

(٢) عند ابن سيد الناس : ثلاثمائة وثلاثة وستون . يقول : وهذا العدد أكثر من عدد أهل بدر . وإنما جاء ذلك من جهة الخلاف فى بعض من ذكرناه .

* فى هذه الجملة شىء من خلاف قد ذكره ابن عبد البر فى كتابه (الاستيعاب) فى الصحابة رحمهم الله . وقد اختلف فى شهود عتبان بن مالك و « هلال » بن المعلى بن لوذان ومليل بن وبرة وطائفة قد ذكرهم هناك والحمد لله .
ويلاحظ أن المعلق لم يضبط سوى الاسم الأول . أما الاسم الثانى فقد سقط منه فيه هلال . والاسم الثالث محرف . وهو عصمة بن وبرة انظر ابن حزم ص ١٤٦

فصل

قال الفقيه[1] أبو عمر رضى الله عنه :

فلما أوقع الله عز وجل بالمشركين يوم بدر واستأصل وجوههم قالوا إن ثأرنا بأرض الحبشة فلنرسلْ إلى ملكها يدفَعْ إلينا من عنده من أتباع محمد ، فنقتلهم بمن قتل منا ببدر .

بعث مشركى قريش عمرو بن العاص وابن أَبى ربيعة إلى النجاشى

وبالإسناد قال الفقيه أبو عمر :

أخبرنا عبد الله بن محمد ، قال : أنبأنا محمد بن بكر ، قال : أنبأنا أبو داود ، قال : أنبأنا ابن السَّرح ، قال : أنبأنا ابن وهب ، قال : أخبرنى يونس عن ابن شهاب ، قال :

بلغنى أن مخرج عمرو بن العاص وابن أبى ربيعة إلى أرض الحبشة فيمن كان بأرضهم من المسلمين كان بعد وقعة بدر . فلما بلغ رسول الله ﷺ مخرجهما بعث عمرو بن أمية الضمرى من المدينة إلى النجاشى بكتاب[2] .

أخبرنا عبد الله بن محمد ، قال : أنبأنا محمد بن بكر ، قال : أنبأنا أبو داود ، قال : أنبأنا محمد بن سلمة المرادى ، قال : أنبأنا ابن وهب ، قال : أخبرنى ابن يونس عن ابن شهاب ، عن أبى بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وعن سعيد بن المسيب ، وعن عروة بن الزبير :

---

(١) نقل هذه الفقرة بما جاء فيها من الخبر الأول ابن سيد الناس فى عيون الأثر ٢٩٢/١ ، وقد استشكل على هذا الخبر لما جاء فيه من ذكر توجيه الرسول لعمرو بن أمية الضمرى إلى النجاشى بكتاب بعد وقعة بدر قائلا : إن توجيهه إليه كان فى سنة سبع أو فى سنة ست كما حكاه أبو عمر عن الواقدى . وقال أيضاً إن عمرو بن أمية شهد بدرا واحداً مع المشركين ثم أسلم بعد ذلك . وواضح أن ابن عبد البر أقحم - كما لاحظ ابن سيد الناس - هذه القصة على المغازى .

(٢) هكذا فى ابن سيد الناس وفى الأصل ورد بكتابه .

٦٤ ط / أن الهجرة الأولى هجرة المسلمين إلى أرض الحبشة ، وأنه هاجر فى تلك الهجرة جعفر ابن أبى طالب بامرأته أسماء بنت عُمَيْس ، وعثمان بن عفان بامرأته رقية بنت رسول الله ﷺ ، وأبو سلمة بن عبد الأسد بامرأته أم سلمة بنت أبى أمية ، وخالد بن سعيد بن العاص بامرأته . وهاجر فيها رجال من قريش ذوو عدد[1] ليس معهم نساؤهم . فلما أُرِىَ رسول الله دار هجرتهم قال لأصحابه : قد أُرِيت دار هجرتكم : سَبِخَةً ذات نخل بين لابَتَيْن[2] وهى المدينة . فهاجر إليها مَنْ كان معه ، ورجع رجال من أرض الحبشة حين سمعوا بذلك ، فهاجروا إلى المدينة ، منهم عثمان بابنة رسول الله ﷺ ، وأبو سلمة بامرأته أم سلمة وحُبِسَ (مكث) بأرض الحبشة جعفر بن أبى طالب ، وحاطب بن الحارث ، ومعمر بن عبد الله العدوى ، وعبد الله بن شهاب ، ورجال ذوو عدد من المهاجرين من قريش الذين هاجروا إلى أرض الحبشة حالت بينهم وبين رسول الله ﷺ الحربُ . فلما كانت وقعة بدر وقتل الله فيها صناديد الكفار قال كفار قريش : إن ثأركم بأرض الحبشة ، ٦٥ و فأهدوا إلى النجاشى وابعثوا إليه / رجلين من ذوى رأيكم ، لعله يعطيكم مَنْ عنده من قريش ، فتقتلونهم بمن قُتل منكم ببدر . فبعث كفار قريش عمرو بن العاص وعبد الله بن أبى ربيعة[3] ، وأهدوا للنجاشى ولعظماء الحبشة هدايا . فلما قدما على النجاشى قَبِل هداياهم ، وأجلس معه عمرو بن العاص على سريره . [فكلّم النجاشى فقال إن بأرضك رجالا منا ليسوا على دينك ولا على ديننا فادفعهم إلينا فقال عظماء الحبشة للنجاشى : صدق ، فادفعهم إليه ، فقال النجاشى : فلا والله لا أدفعهم حتى أكلمهم فأنظر على أى شىء هم فأرسل النجاشى فيهم وأجلس معه عمرو بن العاص على سريره[4]] فقال لهم النجاشى : ما دينكم ؟ أنصارى أنتم ؟ قالوا : لا . قال : فما دينكم ؟ قالوا : ديننا الإسلام ، قال : وما الإسلام ؟ قالوا : نعبد الله ولا نشرك به شيئاً ، قال : ومَنْ جاءكم

---

(١) مر بنا أن عدد المهاجرين إلى الحبشة فى الهجرة الثانية كان ثلاثة وثمانين رجلا وثمانى عشرة امرأة

(٢) اللابة : الحرة . والمدينة تقع بين لابتين أو حرتين بتشديد الراء .

(٣) فى بعض الروايات أن الذى أرسلته قريش مع عمرو بن العاص هو عمارة بن الوليد ، وانظر الروض الأنف ٢١٢/١ وابن سيد الناس ١١٨/١ والأغانى لأبى الفرج الأصفهانى فى (طبعة دار الكتب) ٥٥/٩ وسيشير إلى ذلك ابن عبد البر فى نهاية القصة .

(٤) زيادة من ر سقطت من الأصل

بهذا ؟ قالوا : جاءنا به رجل من أنفسنا قد عرفنا وجهه ونسبه أنزل الله عليه كتابه ، فعرَّفنا كلام الله وصَدَّقناه . قال لهم النجاشي : فبِمَ يأمركم ؟ قالوا يأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئًا ، ويأمرنا أن نترك ما كان يعبد آباؤنا ، ويأمرنا بالصلاة وبالوفاء وبأداء الأمانة وبالعفاف .

٦٥ ظ

قال النجاشي : فوالله إنْ[1] خرج هذا إلا من المشكاة[2] التي خرج منها أمر موسى عليه السلام ، فقال عمرو بن العاص حين سمع ذلك من النجاشي : إن هؤلاء يزعمون أن ابن مريم إلٰهك الذي تعبد عَبْدٌ . فقال النجاشي لجعفر ومَنْ معه من المهاجرين : ماذا تقولون في عيسى بن مريم ؟ قالوا : نقول هو عبد الله ورسوله ، وكلمته ألقاها إلى مريم ، وروح منه ، وابن العَذْرَاء البَتُول[3] . فخفض النجاشي يده إلى الأرض ، فأخذ عودًا وقال : والله ما زاد على ذلك قَدْرَ هذا العود[4] . فقال عُظَماءُ الحبشة : والله لئن سمعت الحبشة بهذا لتخلعنَّك . فقال النجاشي : والله لا أقول في ابن مريم غير هذا القول أبدًا ، إن الله لم يُطِع فيَّ الناسَ حين رَدَّ إليَّ ملكي فأنا أُطيع الناس في الله ، معاذَ الله من ذلك . ارجعوا إلى هذا هديته ، فوالله لو رَشَوْني دَبَرًا من ذهب ما قبلته . والدبر : الجبل ، قال الهروي : لا أدري عربي أم لا . ثم قال : من نظر إلى هؤلاء الرَّهط نظرة يؤذيهم بها فقد غرم – ومعنى غرم هلك في قوله تعالى : « إن عذابها كان غَراماً » – فخرج عمرو بن العاص وابن أبي ربيعة * وسمع رسول الله ﷺ ببعث قريش عمرو بن العاص إلى النجاشي ، فبعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضَّمْرِي وكتب معه إلى النجاشي ، فقدم

---

(١) إنْ هنا بمعنى ما النافية .

(٢) المشكاة · كل كوة – بتشديد الواو – نافذة .

(٣) البتول : الطاهرة .

(٤) يريد : ما رادت المسيحية على ذلك .

* قلت : وكان من شأنه أن نزع من الملك مرة وباعه قومه واشتراه العرب ، فوقع لرجل من بني مرة ، فاسترعاه الغنم ولما سمع بانتصار النبي ﷺ يوم بدر بعث إلى من عنده من المسلمين يبشرهم بذلك ، فحضروا ، فإذا عليه مسح أسود وقد افترش الرماد وجلس عليه ، وذكر أن السبب في ذلك أنه يجد عنده [أي في الإنجيل] ان من أصابته نعمة عظيمة تواضع الله بقدر تلك النعمة ، وقص عليهم الخبر ، فقال : إن الواقعة كانت ببدر ، واد كثير الأراك ، وقال · أنا أعرف الوادي كنت أرعى فيه الغنم على سيدي أحد بني ضمرة (هكذا) . وأقام النجاشي مستعبداً ما شاء الله . فلما اختلط أمر الحبشة لفقده بعثوا في طلبه فأعادوه إلى مكة بعد العبودية . فهذا ما أشار إليه حيث يقول : « فوالله ما أطاع الله في الناس حين رد على ملكي » والله أعلم .

على النجاشي ، فقرأ كتاب رسول الله ﷺ ، ثم دعا جعفر بن أبي طالب والمهاجرين ، وأرسل إلى الرُّهْبان والقِسِّيسين ، فجمعهم ، ثم أمر جعفرًا يقرأ عليهم القرآن ، فقرأ سورة مريم : (كٓهيعٓصٓ) وقاموا تفيض أعينهم من الدمع ، فهم الذين أنزل الله فيهم : (ولتجدنَّ أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى)/وقرأ عليهم إلى الشاهدين [١] .

٦٦ ظ

وحدثنا عبد الله بن محمد ، قال : حدثنا محمد بن بكر ، قال : أنبأنا أبو داود ، قال : حدثنا محمد بن عمرو المرادى ، قال : أنبأنا سلمة بن الفضل ، قال : حدثنى محمد بن إسحٰق ، عن محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزُّهْرى ، عن أبى بكر بن عبد الرحمٰن بن الحارث بن هشام ، عن أم سلمة بنت أبى أمية بن المغيرة زوج النبى ﷺ ، قالت [٢] :

لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار [النجاشى [٣]] ، أمِنَّا على ديننا ، وعبدنا الله عزَّ وَجَلَّ لا نُؤذَى ، ولا نسمع شيئًا نكرهه . فلما بلغ ذلك قريشًا ائتمروا بينهم أن يبعثوا إلى النجاشى فينا رجلين منهم جَلْدَين وأن يهدوا إلى النجاشى ما يُسْتَطْرَفُ من متاع مكة ، وكان من أعجب ما يأتيه منها الأدَم ، فجمعوا له [٤] أدماً كثيرًا ، ولم يتركوا من بطارقته بِطْرِيقاً إلا أهدوا إليه هدية . ثم بعثوا [بذلك] [٥] عبد الله بن أبى ربيعة وعمرو بن العاص بن وائل ، وقالوا لهما : ادْفَعا إلى كل بِطْريق هديته قبل أن تكلِّما النجاشىَّ فيهم ، ثم قَدِّما إلى النجاشىِّ هداياه ، ثم سَلاه أن يسلِّمهم إليكما قبل أن يكلمهم . قالت : فخرجا حتى قدما على النجاشى ونحن عنده بخير دار ، فلم يبق بطْرِيقٌ إلا دفعا إليه هديته قبل أن يكلما النجاشى ، وقالا لكل بطريق : إنه قد ضَوَى [٦] إلى بلد/الملك مناغلمانسفهاءخالفوا [٧]

و

---

(١) أى إلى نهاية الآية التالية لهذه الآية .

(٢) انظر فى هذا الخبر ابن هشام ٣٥٨/١ والنويرى ٢٤٧/١٧ .

(٣) زيادة من ابن هشام والنويرى .

(٤) هكذا فى رواية ابن هشام . وفى الأصل : فجمعوا له منها .

(٥) زيادة من ابن هشام .

(٦) ضوى : لجأ

(٧) فى رواية ابن هشام : فارقوا

دين قومهم ولم يدخلوا فى دينكم ، وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم ، وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشراف قومهم لنردّهم[١] إليهم ، فإذا كلمنا الملك [فيهم] فأشيروا عليه أن يسلمهم إلينا ولا يكلمهم فإن قومهم أعلى بهم عيْنًا — يريد أقعد علماً بهم ، العين : العلم ههنا ، أى فوقهم فى العلم بهم وأعلى من غيرهم — فقالوا لهما : نعم . ثم إنهما قدّما هداياهما إلى النجاشى فقبلها منهما . ثم كلّماه ، فقالا : أيها الملك إنه قد ضوَى إلى بلدك منا غلمان سفهاء ، فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا فى دينك ، جاءوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا أنت ، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردّهم عليهم ، وهم أعلى بهم عيْناً ، وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم[٢] فيه . قالت : ولم يكن شىء أبغض إلى عبد الله بن أبى ربيعة وعمرو بن العاص من أن يسمع كلامهم النجاشى . فقالت[٣] بطارقته حوله : صدقا أيها الملك ، قومهم أعلى بهم عيْنًا وأعلم بما عابوا عليهم [وعاتبوهم[٤] فيه] . فأسْلِمْهم[٥] إليهم ليردّاهم إلى بلادهم وقومهم . قالت[٦] : فغضب النجاشى ، ثم قال : لا والله أبدًا لا أسلمهم إليهما[٧] ولا يُكاد قوم جاورونى ونزلوا بلادى واختارونى على مَنْ / سواى حتى أدعوهم فأسألهم عما يقول هذان فى أمرهم ، فإن كانوا كما يقولان[٨] أسلمتهم إليهما ، ورددتهم إلى قومهم ، وإن كانوا على غير ذلك منَعْتهم منهما[٩] وأحسنت جوارهم ما جاورونى .

٦٧ ظ

قالت : ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ ، فدعاهم ، فلما جاءهم[١٠] رسوله اجتمعوا وقال بعضهم لبعض : ما تقولون للرجل إذا جئتموه[١١] ؟ قالوا : نقول والله : ما

---

(١) هكذا فى ر وابن هشام ، وفى الأصل : ليردوهم .
(٢) هكذا فى ابن هشام ، وفى الأصل ور : يعاتبونهم .
(٣) هكذا فى ابن هشام ، وفى الأصل ور : فإن .
(٤) زيادة من ابن هشام .
(٥) هكذا فى ابن هشام ، وفى الأصل ور : فأرسلهم .
(٦) هكذا فى ر وابن هشام ، وفى الأصل : فقال .
(٧) هكذا فى ابن هشام ، وفى الأصل ور : إليهم .
(٨) هكذا فى ابن هشام ، وفى الأصل ور : يقولون .
(٩) هكذا فى ابن هشام ، وفى الأصل ور : منهم .
(١٠) هكذا فى ابن هشام ، وفى الأصل ور : جاء .
(١١) فى نهاية الأرب : أجبتموه .

علَّمنا الله وما أمرنا به نبيُّنا ﷺ كائناً فى ذلك ما هو كائن ، فلما جاءوه – وقد دعا النجاشىّ أساقفته ونشروا مصاحفهم حوله – سألهم ، فقال لهم : ما هذا الدين الذى فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا به فى دينى ولا فى دين أحد من هذه الملل ؟ . قالت : فكان الذى كلَّمه جعفر بن أبى طالب ، فقال : أيها الملك كُنَّا قومًا أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل المَيْتَةَ ، ونأتى الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسىءُ إلى الجار[١] ويأكل القوى منا الضعيف . كُنَّا على ذلك حتى بعث الله عزَّ وَجَلَّ إلينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعا [نا][٢] إلى الله لنوحِّده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من الحجارة والأوثان . وأمرنا بصدق / الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحُسْن الجِوار والكفِّ عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش وقَوْل الزور وأكل مال اليتيم وقذف المُحْصَنَة ، وأمرنا أن نعبد الله لا[٣] نشرك به شيئًا ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام . قالت : فعدَّد [عليه[٤]] أمور الإسلام . وقال : فصدقناه وآمنا به ، واتبعناه على ما جاء له عن الله عز وجل ، فعبَدنا الله وحده ولم نشرك به شيئًا ، وحرَّمنا ما حرَّم علينا ، وأحللنا ما حلَّل لنا . فَعدَا علينا قومنا فعذَّبونا وفتنونا عن ديننا ، ليردونا إلى عبادة الأوثان [من عبادة الله] وأن نستحلَّ ما كنا نستحلُّ من الخبائث . فلما قهرونا وظلمونا وضيَّقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلدك وآثرناك على مَنْ سواك ، ورغبنا[٥] فى جوارك ، ورجونا أن لا نُظْلَم عندك أيها الملك . قالت : فقال : هل معك مما جاء به عن الله شىء ؟ قال جعفر : نعم ، فقال له النجاشى : فاقرأه علىّ . فقرأ عليه : (كهيعص) . قالت : فبكى النجاشى حتى والله اخضلَّت[٦] لحيته ، وبكت أساقفته حتى اخضلت لحاهم[٧] حين سمعوا ما يتلى[٨] عليهم . فقال النجاشى : إن هذا والذى جاء به موسى[٩]

٦٨ و

---

(١) فى ابن هشام وغيره ونسىء الجوار .

(٢) زيادة من ابن هشام وغيره .

(٣) فى ابن هشام : ولا .

(٤) زيادة من ابن هشام

(٥) فى الأصل ور : فرغبنا

(٦) فى الأصل ور : أخضل . واخضلت : نديت وابتلت .

(٧) فى ابن هشام وغيره : مصاحفهم .

(٨) فى ابن هشام : تلا .

(٩) فى النويرى : عيسى .

ليخرج من مشْكاة واحدة . انْطلِقا فوالله لا أسلمهم إليكما أبدًا .

قالت : فلما خرجا من عنده قال عمرو بن العاص : والله لآتينَّه غدًا بما أستأصل به خَضْرَاءهم ./قالت : فقال له عبد الله بن أبى ربيعة ، وكان أبْقى الرجلين فينا ، لا تفعَلْ ، فإن لهم أرحامًا وإن كانوا قد خالفونا ، قال : والله لأخبرنَّه أنهم يزعمون أن عيسى عَبْدٌ . قالت : ثم غدا عليه من الغد ، فقال : أيها الملك إنهم يقولون فى عيسى بن مريم قولا عظيمًا ، فأرسلْ إليهم ، فاسألهم عما يقولون فيه . قالت : فأرسل إليهم ليسألهم[1] عنه . قالت : ولم ينزل بنا مثلها فاجتمع القوم ، ثم قال بعضهم لبعض : ماذا تقولون فى عيسى إذا سألكم [عنه[2]] ؟ . قالوا : نقول ما قال الله عزَّ وَجَلَّ وما جاءنا به نبينا ﷺ كائناً فى ذلك ما هو كائن .

٦٨ ظ

قالت : فلما دخلوا عليه قال لهم ما تقولون فى عيسى بن مريم ؟ فقال جعفر بن أبى طالب : نقول فيه الذى جاء [نا] به نبينا عليه السلام : عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البَتُول . قالت : فضرب النجاشى بيده إلى الأرض وأخذ منها عودًا ، وقال : ما عَدا[3] عيسى بن مريم مما[4] قلت هذا المقدار[5] . قال : فتناخرت بطارقته حين قال ما قال : فقال : وإن نَخرْتم . ثم قال لجعفر وأصحابه : اذهبوا فأنتم شُيُومٌ بأرضى – والشيوم : الآمنون – مَنْ سبَّكم غرم ، ثم قال : ما أحب أن لى دَبْر ذهب [و[6]] أنى آذيت واحدًا منكم ، والدَّبر بلسان الحبشة : الجبل ./ رُدُّوا عليهما هديتهما فلا حاجة لنا فيها . فوالله ما أخذ الله منى الرشوة حين رد إلىَّ ملكى فآخذُ الرشوة [فيه[7]] وما أطاع الناسَ فىَّ فأطيعهم فيه . قالت : فخرجا من عنده مقبوحين مردودًا عليهما ما جاءا به . فأقمنا عنده بخير دار وخير جار قالت : فوالله إنا لعلى ذلك إذ نزل به رجل من الحبشة ينازعه فى ملكه . قالت : فوالله ما علمنا حزناً قطّ كان أشد من حزن

٦٩ و

---

(١) فى ابن هشام : مسألهم

(٢) زيادة من ابن هشام .

(٣) عدا : تجاوز

(٤) هكذا فى ابن هشام وفى الأصل ور : ما .

(٥) فى بعض الروايات : العود .

(٦) زيادة من ر وابن هشام

(٧) زيادة من ابن هشام

حزنّاه عند ذلك خوفاً أن يظهر ذلك الرجل على النجاشي ، فيأتينا رجل لا يعرف من حقنا ما كان النجاشي يعرف منه . وسار إليه النجاشي وبينهما عرض النيل . قالت : فقال أصحاب رسول الله ﷺ : من يخرج حتى يحضر وقعة القوم ثم يأتينا بالخبر ؟ فقال الزبير بن العوام : أنا أخرج . قالت : وكان من أحدث القوم سِنّاً . قالت : فنفخوا له قِرْبَةً ، فجعلها فى صدره ثم سَبَحَ عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التى بها مُلْتَقَى القوم ، ثم انطلق حتى حضرهم . قالت : فدعونا الله عزَّ وَجلَّ للنجاشي بالظهور على عدوه والتمكين له فى بلاده ، فوالله إنا لعلى ذلك متوقعون لما هو كائن إذ طلع الزبير يسعى ويلوّح بثوبه ويقول : ألا أبْشِروا فقد ظهر النجاشي وأهلك الله عدوه ومكّن له فى بلاده . قالت : فوالله ما علتنا فرحة قط مثلها . قالت : ورجع النجاشي سالماً وأهلك الله عدوه ، واستوسق له أمر الحبشة ، فكنا عنده فى خير منزل حتى قدمنا على رسول الله ﷺ بمكة .

قال الفقيه الحافظ أبو عمر رضى الله عنه :

هؤلاء[1] قدموا على رسول الله ﷺ بمكة ثم هاجروا إلى المدينة ، وجعفر وأصحابه بقوا بأرض الحبشة إلى عام خَيْبر . وقد قيل إن إرسال قريش إلى النجاشي فى أمر المسلمين المهاجرين إليها كان مرتين فى زمانين : المرة الواحدة كان الرسول مع عمرو بن العاص عبد الله بن أبى ربيعة المخزومى . والمرة الثانية كان مع عمرو بن العاص عمارة بن الوليد بن المغيرة المخزومى . وقد ذكر الخبر بذلك كله ابن إسحٰق وغيره ، وذكروا ما دار لعمرو مع عمارة بن الوليد من رميه إيّاه فى البحر وسَعْى عمرو به إلى النجاشي فى بعض وصوله إلى بعض حُرمه أو خدمه ، وأنه ظهر ذلك فى ظهور طِيب الملك عليه ، وأن الملك دعا بسحرةٍ ، فسحروه ونفخوا فى إحليله ، فتشرد ولزم البرية وفارق الإنس ، وهام حتى وصل إلى موضع رام أهله أخذه فيه ، فلما قربوا منه فاضت نفسه ومات . هذا معنى الخبر . قال أبو عمرو : ولم أرَ لإيراده على وجهه معنى اكتفاء بما كتبناه فى الكتاب ، ولأن ابن إسحٰق قد ذكره بتمامه . والله الموفق للصواب *

(١) يشير إلى من رجع من أرض الحبشة .

* قلت : وحاصل الخبر أن عمارة كان جميلا وسيماً ، وكان عمرو استصحب امرأته معه ، فهويها عمارة وهويته . وهم عمارة أن يطرح عمرًا فى البحر . فأسرها عمرو فى نفسه ، فلما وصلا الحبشة قال له عمرو : إننى كتبت إلى قومى أن لا يطالبوك بدمى ، فاكتب إلى قومك أن لا يطالبونى بدمك ، لتنمى فى قريش منا المصافاة والاتفاق على ما بعثونا إليه . ففعل عمارة ذلك ، فيقال إن شيخاً من قريش عندما سمع ذلك قال : قتل عمارة ، والله ، إن هذه مكيدة من عمرو ، =

غزوة بنى سُلَيم[١]

ولم يُقم رسول الله ﷺ بعد مُنْصَرفه عن بدر إلا سبعة أيام ، ثم خرج بنفسه الكريمة يريد بنى سليم ، واستخلف على المدينة سباع بن عُرْفُطَة الغِفارى ، وقيل : ابنَ أُمِّ مَكْتوم ، فبلغ ماءً[٢] يقال له الكُدْر ، فأقام عليه ثلاث ليال ثم انصرف ولم يلق أحدًا .

غزوة السَّويق[٣]

ثم إن أبا سفيان [بن حَرْبٍ[٤]] لما انصرف فَلُّ بَدْر آلى أن يغزو/رسول الله ﷺ ، فخرج فى مائتى راكب حتى أتى العُرَيض فى طرف المدينة ، فحرق أصوارًا[٥] من النخل ، وقتل رجلا من الأنصار وحليفًا له وجدهما فى حَرْثٍ لهما ، ثم كرَّ راجعًا .

٧١ و

ثم نَفَر رسول الله ﷺ والمسلمون فى أثره ، واستعمل على المدينة أبا لُبابة بن عبد

= ثم إن عمراً حسَّن لعمارة أن يتصل بزوجة الملك لتعينهما عند النجاشى ، فاتصل بها ، إلى أن عرف عمرو أنها طيبته من طيب الملك ، وكان له طيب خاص . فألقى حينئذ إلى الملك أن عمارة تعرض لحريمه بأمارة كذا ، فكشف الملك ، فصحت له الأمارة ، ففعل به ما فعل والله أعلم بذلك . وبالجملة فهذا إن صح فهو من أمور الجاهلية التى لا يلتمس لها التأويل . غير أن فى هذه القصة نكتة ، وذلك أن عمارة هذا كان من قريش يضاهى به النبى ﷺ فى جمال صورته وفى قبول (حُسْن) على وجهه ، حتى قالوا لأبى طالب : خذ عمارة هذا عوضاً من محمد ، فقال : والله لا أعدل بمحمد أحداً . فكأن الله عز وجل آخذ عمارة وآخذ قريشاً فيه حتى ساءت عاقبته ، وانتقل من جمال البشر إلى بشاعة الوحش ، وصار الشيطان أشبه به من الإنسان ، يقال إنه صار يغطى وجهه شعر حاجبيه ، وطالت أظفاره طولا فاحشاً ، وساءت حاله ، ونفر من الآدميين ونفروا منه ، وناهيك بإنسان يرى الإنسان فيموت . وطلبت قريش أن تؤلف عليه الناس عناداً به لرسول الله ﷺ فابتلاه الله بهذه الفرقة وبهذه الوحشة ، وقبضه عليها ، والأمر بيد الله ، ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين . والحمد لله رب العالمين

(١) انظر فى غزوة بنى سليم ابن هشام ٤٦/٣ وابن سعد ج٢ ق١ ص٢٤ والطبرى ٤٨٢/٢ وابن حزم ص ١٥٢ وابن سيد الناس ٢٩٤/١ وابن كثير ٣٤٤/٣ والسيرة الحلبية ٢٧٠/٢ .

(٢) فى ابن هشام : فبلغ ماء من مياههم .

(٣) انظر فى غزوة السويق ابن هشام ٤٧/٣ وابن سعد ج ٢ ق ١ ص ٢٠ والواقدى ص ١٨٢ والطبرى ٤٨٣/٢ وأنساب الأشراف ١٤٧/١ وابن حزم ص ١٥٢ وابن سيد الناس ٣٤٤/١ وابن كثير ٣٤٤/٣ والنويرى ٧٠/١٧ والسيرة الحلبية ٢٧٧/٢ .

(٤) زيادة من ر .

(٥) أصوار : جمع صور ، وهو صغار النخل المجتمعة .

المنذر. وبلغ رسول الله ﷺ قَرْقَرَة الكُدْر. وفاته أبو سفيان والمشركون، وقد طرحوا سَوِيقًا[1] كثيرًا من أزوادهم، يتخففون بذلك، فأخذه المسلمون. فسمِّيت غزوة السَّوِيق: وكان ذلك فى السنة الثانية من الهجرة بعد بدر بشهرين[2] وأيام.

قال المصنف رضى الله عنه:

ولعمر، رضى الله عنه، حديث حسن فى غزوة قرقرة الكدر[3]، يقال إن عمران بن سوادة قال له وهو خليفة: إن رعيتك تشكو منك عُنْفَ السِّياق وقهر الرعية، فَدَقّ على الدِّرَّة وجعل يمسح سيورها، ثم قال: قد كنت مع رسول الله ﷺ فى قرقرة الكُدْر، فكنت أرتع فأشبع وأسقى فأروى، وأُكْثر الزَّجر، وأُقِلّ الضرب، وأردُّ العَنود، وأزجر العروض، وأَصِمُ اللَّفوت، وأسِمُ بالعصا، وأضرب باليد، ولولا ذلك لأعذرت أى تركت، فضيَّعت. /يذكر حسن سياسته حينئذ. والعنود: الحائد. والعروض: المستصعب من الرجال والدّواب. والقرقرة: الأرض الواسعة الملساء. والكدر: طيور غُبْر كأنها القطا.

٧١ ظ

غزوة ذى أَمَرّ[4]

وأقام رسول الله ﷺ بالمدينة بقية ذى الحجة، ثم غزا نجدًا يريد غطفان، واستعمل على المدينة عثمان بن عفان، فأقام ﷺ بنجد صَفرا كله، ثم انصرف، ولم يلق حَرْباً.

---

(١) السويق: مطحون الحنطة أو الشعير.

(٢) كانت هذه الغزوة لخمس خلون من ذى الحجة من السنة الثانية للهجرة.

(٣) كلام المصنف التالى عن غزوة قرقرة الكدر ساقط من ر، ولم يفرد ابن عبد البر لهذه الغزوة كلاماً متابعاً فى ذلك ابن هشام وكأنه يجعلها نفس غزوة السويق التى بلغ فيها الرسول قرقرة الكدر، وكثير من أصحاب السير يجعلها غزوتين، أما غزوة السويق ففى ذى الحجة كما سلف، وأما غزوة قرقرة الكدر ففى نصف المحرم على رأس ثلاثة وعشرين شهرا من الهجرة. وقرقرة الكدر: على بعد ثمانية برد من المدينة، وربما سميت غزوة بنى سليم باسمها كما صنع ابن هشام إذ سماها غزوة الكدر.

(٤) انظر فى غزوة ذى أمر ابن هشام ٣/٤٩ والواقدى ١٩٢ وابن سعد ج ٢ ق ١ ص ٢٤ والطبرى ٢/٤٨٧ وابن حزم ص ١٥٣ وابن سيد الناس ١/٢٠٣ وابن كثير ٤/٢ والنويرى ١٧/٧٧ والسيرة الحلبية ٢/٢٧٩. وقال ابن سعد: ذو أمر: موضع بناحية النخيل. وتسمى فى بعض كتب السير: غزوة غطفان. وقيل: كانت فى المحرم. وقيل: بل فى ربيع الأول. ويظهر أن الرسول خرج فى أواخر المحرم وعاد فى أوائل ربيع الأول. وكان سببها أن الرسول علم أن بعض عشائر غطفان تجمعت لغزو المدينة.

غزوة بُحْران (١)

فأقام رسول الله ﷺ بالمدينة ربيعًا الأول ، ثم غَزَا يريد قريشًا ، واستخلف على المدينة ابن أمِّ مكتوم ، فبلغ بُحْران ، معدناً بالحجاز ، ولم يلق حرباً . فأقام هنالك ربيعًا الآخر وجمادى الأولى من السنة الثالثة . ثم انصرف إلى المدينة .

غزوة بنى قَيْنُقَاع (٢)

٧٢ و

/ ونَقض بنو قَيْنُقاع من اليهود عقد رسول الله ﷺ ، فخرج إليهم ﷺ وحاصرهم حتى نزلوا على حكمه . فشفع فيهم عبد الله بن أُبَىّ بن سَلول ، ورغَّب فى حَقْن دمائهم ، وألحَّ على رسول الله وتعلَّق به حتى أدخل يده فى جَيْب دِرْعه ، فقال : أرْسلْنى ، فقال : والله لا أرْسِلُك حتى تحسن إلىَّ فى مواليّ : أربعمائة حاسر (٣) وثلاثمائة دارع تريد أن تحصدهم فى غداة واحدة . فشفَّعه رسول الله ﷺ فيهم وحقن دماءهم . وهم قومُ عبد الله بن سَلام . وكان حصاره ﷺ لهم خمس عشرة ليلة ، واستخلف على المدينة فى تلك المدة [أبالُبابة] بشير بن عبد المنذر .

---

(١) انظر فى غزوة بحران ابن هشام ٣/٥٠ وابن سعد ج ٢ ق ١ ص ٢٤ والواقدى ص ١٩٥ والطبرى ٢/٤٨٧ وابن حزم ص ١٥٣ وابن سيد الناس ١/٣٠٤ وابن كثير ٤/٣ والنويرى ١٧/٧٩ والسيرة الحلبية ٢/٢٨٠ وبحران : موضع لبنى سليم من ناحية الفرع بفتحتين ، وهى قرية من قرى المدينة ، وكان الرسول بلغه أن بنى سليم تجمعوا للإغارة على يثرب ، فرأى أن يعاجلهم ، ويقول ابن سعد أنه خرج إليهم لست خلون من جمادى الأولى فى السنة الثالثة للهجرة .

(٢) انظر فى عزوة بنى قينقاع ابن هشام ٣/٥٠ والواقدى ١٧٧ وابن سعد ج ٢ ق ١ ص ١٩ والطبرى ٢/٤٧٩ وابن حزم ص ١٥٤ وابن سيد الناس ١/٢٩٤ وابن كثير ٤/٥ والنويرى ١٧/٦٧ والسيرة الحلبية ٢/٢٧٢ . وكانت هده الغزوة يوم السبت لنصف شوال من السنة الثانية للهجرة ، فكان ينبغى تقديمها على جميع الغزوات السابقة ما عدا عزوة بنى سليم الأولى . وكان بنو قينقاع أول من نقض العهد من اليهود فحاربهم الرسول وحاصرهم حصارًا شديدًا لمدة خمسة عشر يوماً حتى نزلوا على حكمه ، وهو أن له أموالهم وعليهم الجلاء عن المدينة ، فجلوا عنها ولحقوا بأذرعات مخلفين بحصنهم سلاحًا وآلة كثيرة . ولم يكن لهم زرع ولا نخل وإنما كانوا تجاراً وصاغة .

(٣) الحاسر ضد الدارع أى لابس الدرع

وذكرابن إسحق عن عاصم بن عمر وعبد الله بن أبي بكر :
أن رسول الله ﷺ لما قدم المدينة وادعته اليهود وكتب عنه وعنهم كتابًا ، وألحق كل قوم بحلفائهم[١] ، وشرط عليهم فيما شرط أن لا يظاهروا عليه أحدًا . فلما قدم رسول الله ﷺ من بدر أتاه بنو قَيْنُقاع ، فقالوا له : يا محمد لا يغرَّك من نفسك أن نِلْتَ من قومك ما نِلْتَ ، فإنه لا علم لهم بالحرب ، أما والله لو حاربتنا لعلمت أن حربنا ليس كحربهم وأنا لنحن الناس* .

٧٢ظ /قال ابن إسحق : وكان أول من نقض العهد بينه وبين رسول الله ﷺ وغَدَر من يهود بنو قَيْنُقَاع . فسار إليهم رسول الله وحاصرهم في حصونهم ، وقذف الله في قلوبهم الرُّعْبَ ، فنزلوا على حكمه ﷺ .

البعث[٢] إلى كعب بن الأشرف

. ولما اتصل بكعب بن الأشرف – وهو رجل من نَبْهان من طَيِّئ وأُمه من بني النَّضير – قَتْلُ صناديد قريش ببدر قال : بَطْنُ الأرض خير من ظهرها . ونهض إلى مكة ، فجعل يَرْثي قَتْلَى قريش ، ويحرِّض على قتال[٣] النبي ﷺ ، وكان شاعرًا . ثم انصرف إلى موضعه[٤] فلم يزل يؤذي رسول الله ﷺ ويدعو إلى خلافه ويسبُّ المسلمين حتى آذاهم .
فقال رسول الله ﷺ : منْ لي بابن الأشرف فإنه يؤذي الله ورسوله والمؤمنين ؟ فقال له محمد بن مسلمة : أنا له يا رسول الله ، أنا أقتله إن شاء الله ، قال : فافعلْ إن قدرت على

---

(١) كان بنو قينقاع حلفاء للخزرج .
* قلت : بوفيهم نزل قوله تعالى : (قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد)
وعقب الآية التي استشهد بها المعلق : (قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين ، والله يؤيد بنصره من يشاء إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار) .
(٢) انظر في هذا البعث : ابن هشام ٥٤/٣ والواقدي ص ١٨٤ وصحيح مسلم بشرح النووي ١٦١/١٢ وابن سعد ج ٢ ق ١ ص ٢١ والمحبر لابن حبيب ص ٢٨٢ والطبري ٤٨٧/٧ وسنن أبي داود (طبعة القاهرة) ٢٧٧/١ وابن حزم ص ١٥٤ وابن سيد الناس ٢٩٨/١ وابن كثير ٥/٤ والنويري ٧٢/١٧ . وكان هذا البعث لأربع عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول مفتتح السنة الثالثة للهجرة .
(٣) وأيضًا فإنه كان يشبب بنساء المسلمين قصدًا لإيذاء أزواجهن .
(٤) إلى موضعه : أي من المدينة .

٧٣ و ذلك . فمكث محمد بن مسلمة أياماً مشغول النفس بما/وعد رسول الله ﷺ من نفسه فى قتل ابن الأشرف ، وأتى أبا نائلة سِلْكان[١] بن سلامة بن وَقْش وكان أخا كعب بن الأشرف من الرَّضاعة وعبَّاد بن بشر بن وَقْش والحارث بن أُوس بن معاذ وأبا عَبْس[٢] ابن جَبْر ، فأعلمهم بما وعد به رسول الله ﷺ من قتل ابن الأشرف ، فأجابوه إلى ذلك ، وقالوا : كلنا — يا رسول الله — نقتله . ثم أتوا رسول الله ﷺ ، فقالوا : يا رسول الله إنه لابد لنا أن نقول[٣] ، فقال : قولوا مابدالكم فأنتم فى حل* .

ثم قدَّموا إلى كعب بن الأشرف أبا نائلة ، فجاءه وتحدث معه ساعة ، وتناشدا الشعر . وكان أبو نائلة يقول الشعر أيضًا ، فقال له/أبو نائلة : يا بن الأشرف إنى جئت فى حاجة ٧٣ ظ أذكرها لك فاكتم علىَّ ، قال : أفعل . قال : إن قدوم هذا الرجل[٤] علينا بلاء من البلاء ، عادتْنا العرب ورمْتنا عن قوس واحدة ، وقُطِعَتْ عنا السبل حتى ضاع العيال وجُهدت الأنفس وأصبحنا قد جَهِدنا . فقال كعب : أنا ابن الأشرف أما والله لقد كنت أحدثك يابن سلامة أن أمركم سيصير إلى هذا ** . فقال له سلكان : إنى أُريد أن تبيعنا طعامًا ونرهنك ونوثق لك ونُحسن فى ذلك ، قال : أترهنونى أبناءكم أو نساءكم ، قال : لقد أردت أن تفضحنا ، أنت أجمل[٥] العرب فكيف نرهنك نساءنا . وكيف نرهنك أبناءنا فيعيَّر أحدهم ، فيقال : رهْنُ وَسْق[٦] ورهن وَسْقَيْن . إن معى أصحابًا على

---

(١) فى ابن سيد الناس ٣٠٣/١ أن اسمه سعد

(٢) فى ابن سيد الناس أن اسمه عبد الرحمن .

(٣) أى يقولون فى الرسول ما لا يعتقدون خدعة له على سبيل جواز ذلك مع الأعداء فى الحرب

* قلت وههنا لطيفة ، وذلك انهم استأذنوه عليه السلام فى أن ينالوا منه بألسنتهم استدراجا للعدو فأذن لهم . وقد استقر أن النيل من عرضه عليه السلام كفر وأن الكفر لا يباح إلا بالإكراه لمن قلبه مطمئن بالإيمان . وأين الإكراه ههنا ؟ . والجواب عن ذلك أن كعب بن الأشرف كان يحرض على قتل المسلمين . وكان فى قتله صلاح وخلاص المسلمين من ذلك ، فكأنه أكره الناس على النطق بهذا الكلام ، بتعريضه إياهم للقتل . فدفعوا عن أنفسهم بألسنتهم مع أن قلوبهم مطمئنة بالإيمان . والحمد لله .

(٤) هذا الرجل : أى الرسول ﷺ .

** وانظر كيف اقتصروا معه على المعاريض لأن البلاء يكون نعمة ويكون نقمة ، قال الله تعالى : (وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا) . والمسلمون أرادوا بلاء النعمة ، والكافر ظن أنهم أرادوا بلاء النقمة . ولهذا قال بعض العلماء : لا يكون الاكراه عذرا إلا عند المعاريض ، وهو صواب إن شاء الله .

(٥) فى بعض الروايات : وانت أشب أهل يثرب وأعطرهم .

(٦) وسق : حمل بعير .

مثل رأيى . وقد أردت أن آتيك بهم . فتبيعهم وتحسن فى ذلك ونرهنك من الحلْقة [١] مافيه وفاء – وأراد أبو نائلة أن لا ينكر السلاح عليهم إذا أتوه – قال : إن فى الحلقة لوفاء .

٧٤ و فرجع أبو نائلة إلى أصحابه فأخبرهم الخبر . وأمرهم أن يأخذوا السلاح ويأتوا رسول الله ﷺ . ففعلوا واجتمعوا عند رسول الله ﷺ . فمشى بهم إلى بقيع [٢] الغَرْقَد . ثم وجّههم ، وقال : انْطَلِقُوا على اسم الله ، اللهم أعِنْهُمْ . ورجع عنهم فنهضوا – وكانت ليلة مقمرة – حتى انتهوا إلى حِصْنه . فهتف به أبو نائلة – وكان كعب حديث عهد بعُرْسٍ ، فوثَب فى مِلْحفة . فأخذت امرأته بناحيتها . وقالت : إنك امرؤ محارب ، وإن أهل الحرب لا ينزلون فى مثل هذه الساعة ! فقال : إنه أبو نائلة لو وجدنى نائمًا ما أيقظنى . فقالت : والله إنى لأعرف فى صوته الشرّ [٣] . فقال لها كعب : لو دُعى الفتى إلى طعنة أجاب [٤] . فنزل فتحدث معهم ساعة ، ثم قالوا [٥] له : يا ابن الأشرف لو رأيت أن نتماشى إلى شِعْب [٦] العجوز فنتحدث به بقية ليلتنا . قال : إن شئتم . فخرجوا يتماشون . ثم إن أبا نائلة مَسَّ فَوْد رأسه بيده ثم شمّها ، وقال : مارأيت كالليلة طيبا أعطر . ثم مشى ساعة وعاد لمثلها ، حتى اطمأنَّ ، ثم مشى ساعة وعاد لمثلها وأخذ بفَوْدَىْ رأسه . وقال : اضربوا عدوّ الله . فضربوه بأسيافهم ، فصاح صيحة منكرة سمعها أهل الحصون . فأوقدوا النيران . واختلفت سيوفهم فلم تعمل شيئًا . قال محمد بن مسلمة : فذكرت مِغْوَلا [٧] فى سيفى حين رأيت أسيافهم لا تُغْنى . فأخذته – وقد صاح عدو الله صيحة أسمعت كل

٧٤ ظ حصن/حوله – فوضعته فى ثُنَّته [٨] ثم تحاملت عليه حتى بلغتُ عانته . فوقع عدو الله ميتًا .

وأصاب الحارثَ بن أوس يومئذ جرح فى رجله أو فى رأسه ببعض سيوف أصحابه ،

---

(١) الحلقة : السلاح .

(٢) بقيع الغرقد : مقبرة أهل المدينة .

(٣) فى حديث البخارى عن جابر بن عبد الله قالت : أسمع صوتا كأنه يقطر منه الدم .

(٤) فى الروايات الأخرى : لأجاب .

(٥) فى الأصل وابن هشام : قال ، وفى ر والمراجع الأخرى : قالوا .

(٦) شعب العجوز : موضع بظاهر المدينة

(٧) المغول : سيف قصير ، وحديدة لها حد ماض .

(٨) الثنة : ما دون السرة .

فتأخر ، ونجا أصحابه ، وسلكوا على دور بنى أُمية بن زيد إلى بنى قريظة إلى بُعاث إلى حَرَّة العُرَيْض. وانتظروا هنالك صاحبهم حتى وافاهم . فأتوا رسول الله ﷺ فى آخر الليل وهو يصلِّى ، فأخبروه ، فتَفَل فى جرح الحارث بن أوس ، فَبَرِىء . وأطلق رسول الله ﷺ المسلمين على قَتْل اليهود . وحينئذ أسلم حُوَيِّصَة بن مسعود وقد كان أسلم أخوه مُحيِّصة قبله .

غزوة أُحُد [١]

فأقام رسول الله ﷺ بالمدينة بعد قدومه من بُحْران جمادى الآخرة ورجبا وشعبان ورمضان ، فغزته كفار قريش فى شوال [٢] سنة ثلاث ، وقد استمدوا بحلفائهم والأَحابيش [٣] من بنى كنانة . وخرجوا بنسائهم لئلا يَفِرُّوا عنهن . وقصدوا المدينة ، فنزلوا قرب أُحُد على جبل على شفير الوادى بقناة مقابل المدينة .

فرأى رسول الله ﷺ فى مَنامه أن فى سيفه ثُلْمة وأن بقَرًا له تُذْبحُ وأنه أدخل يده فى دِرْع حصينة [٤] . فتأوّلها أن نفرًا من أصحابه يُقْتَلون وأن رجلا من أهل بيته يصاب وأن الدِّرْع الحصينة المدينة . فأشار رسول الله ﷺ على أصحابه أن لا يخرجوا إليهم وأن يتحصنوا بالمدينة/فإن قربوامنها قاتلوهم على أفواه الأزِقة . ووافق رسول الله ﷺ على هذا الرأى عبد الله بن أُبَىّ بن سَلول ، وأَبَى أكثر الأنصار إلا الخروج إليهم ليكرم الله من شاء منهم بالشهادة . فلما رأى رسول الله ﷺ عزيمتهم دخل بيته ، فلبس لأْمَته [٥] ، وخرج ، ٧٥ و

---

(١) انظر فى عزوة أحد ابن هشام ٦٤/٣ والواقدى ص ١٩٧ واس سعد ج ٢ ق ١ ص ٢٥ وصحيح مسلم بشرح النووى ١٤٧/١٢ وصحيح البخارى ٩٣/٥ والطبرى ٤٩٩/٢ وأنساب الاشراف ١٤٨/١ وابن حرم ص ١٥٦ وابن سيد الناس ٢/٢ وابن كثير ٩/٤ والنويرى ٨١/١٧ والسيرة الحلبية٢/٢٨٤ .

(٢) كانت فى يوم السبت لإحدى عشرة ليلة خلت من شوال ، وعند ابن سعد · لسبع ليال حلون منه ، وقيل للنصف منه

(٣) الأحابيش : هم بنو المصطلق وبنو الهون بن خزيمة تحالفوا عند حبيش جبل بمكة فسمعوا أحابيش باسمه ، وقيل · سموا أحابيش لاجتماعهم من التحبش وهو التجمع

(٤) فى بعض الروايات أن الرسول رأى أيضا فى منامه أنه مردف كبشا وتأوله أن حامل لواء المشركين يقتل .

(٥) اللأمة · الدرع أو جميع السلاح

وذلك يوم الجمعة ، فصلّى على رجل من بنى النجار مات ذلك اليوم يقال له مالك بن عمرو ، وقيل : بل اسمه محرز بن عامر . وندم قوم من الذين ألحّوا فى الخروج وقالوا : يا رسول الله إن شئت فارجعْ ، فقال رسول الله ﷺ : ما ينبغى لنبىٍّ إذا لَبِسَ لأْمَتَه أن يضعها حتّى يقاتل .

فخرج رسول الله ﷺ فى ألف من أصحابه ، واستعمل ابن أُم مكتوم على الصلاة لمن بقى بالمدينة من المسلمين ، فلما سار رسول الله ﷺ نحو أُحد انصرف عنه عبد الله بن أُبى بن سَلول بثُلث الناس مغاضبًا ، إذ خولف رأْيه ، فاتّبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام ، فذكّرهم الله والرجوع إلى رسول الله ﷺ ، فأَبوا عليه ، فسبَّهم ، ورجع عنهم إلى رسول الله ﷺ . ونهض رسول الله ﷺ بالمسلمين ، وذكر له قوم من الأنصار أن يستعينوا بحلفائهم من يهود ، فأَبى عليهم . وسَلَك على حَرَّة بنى حارثة ، وشَقَّ أَموالهم[1] حتّى مشى على مالٍ لمِرْبع بن قَيْظى وكان ضرير البصر فقام يحثو[2] التراب فى وجوه المسلمين ويقول : إن كنت رسول الله فلا يحلّ لك أن تدخل حائطى[3] / وأكثر من القول . ٧٥ ظ
فابتدره أَصحاب رسول الله ﷺ ليقتلوه ، فقال عليه السلام : لا تقتلوه ، فهذا الأعمى أعمى القلب أعمى البصر . وضربه سعد بن زيد أخو بنى عبد الأشهل بقوسه فشجّه فى رأسه . ونفذ رسول الله ﷺ حتّى نزل الشِّعْب من أحد فى عُدْوة الوادى إلى الجبل ، فجعل ظهره إلى أُحد ، ونهى الناس عن القتال حتّى يأمرهم . وسرَّحت قريش الظهر[4] والكُراع فى زروع المسلمين بقناة . وتعبَّأ رسول الله ﷺ للقتال ، وهو فى سبعمائة ، وقيل : إن المشركين كانوا فى ثلاثة آلاف فيهم مائتا فارس ، وقيل : كان فى المسلمين يومئذ خمسون فارسًا[5] . وكان رُماة المسلمين خمسين رجلا . وأَمَّر رسول الله ﷺ على الرُّماة عبد الله بن جُبَيْر أخا بنى عمرو بن عوف وهو أخو خوَّات بن جُبَيْر ، وعبد الله يومئذ مُعْلَمٌ

---

(١) أموالهم هنا : زروعهم .

(٢) يحثو : يرمى

(٣) الحائط : بستان النخيل .

(٤) الظهر : الإبل . الكراع : الخيل

(٥) قيل : لم يكن مع المسلمين فرس واحد . وقيل بل كان معهم فرس الرسول وفرس أبى بردة .

بثياب بيض ، فرتبهم رسول الله ﷺ خلف الجيش ، وأمره بأن ينضح[١] المشركين بالنَّبل لئلا يأتوا المسلمين من ورائهم . وظاهر[٢] رسول الله ﷺ يومئذ بين دِرْعَيْن ، ودفع اللِّواء[٣] إلى مصعب بن عمير أحد بنى عبد الدار . وأجاز رسول الله ﷺ يومئذ سَمُرة بن جُنْدب الفزارى ورافعَ ابن خَدِيج ولكل واحد منهما خمس عشرة سنة . وكان رافع رامياً . وردَّ رسول الله / ﷺ يومئذ عبدَ الله بن عمر وزيد بن ثابت وأُسامة بن زيد والبراء بن عازب وأُسَيْد بن ظُهَيْر وعرابة بن أَوس وزيد بن أَرقم وأَبا سعيد الخُدْرى[٤] ، ثم أجازهم كلهم – عليه السلام – يوم الخندق[٥] . وقد قيل إن بعض هؤلاءِ إنما ردَّه يوم بدر وأجازه يوم أُحد . وإنما ردَّ من لم يبلغ خمس عشرة سنة وأجاز مَنْ بلغها . وجعلت قريش على ميمنتهم فى الخيل خالد بن الوليد وعلى ميْسرتهم فى الخيل عِكْرِمة بن أَبى جهْل . ودفع رسول الله ﷺ سَيْفَه إلى أَبى دجانة الأَنصارى سماك بن خرشة السَّاعدى وكان شجاعاً يختال فى الحرب . وكان أَبو عامر المعروف بالراهب – وسماه رسول الله ﷺ الفاسق واسمه عبد عمرو بن صَيْفىّ بن مالك بن النعمان أحد بنى ضُبَيْعَةَ وهو والد حنظلة بن أَبى عامر غسيل الملائكة – قد[٦] ترهب وتنسك فى الجاهلية ، فلما جاءَ الإِسلام غلب عليه الشقاءُ ، ففرَّ عن المدينة إذ نزلها رسول الله ﷺ مباعدا لرسول الله ﷺ ومبغِّضا فيه وخرج إلى مكة فى جماعة من فتيان[٧] الأَوس ، وشهد يوم أُحد مع الكفار ، ووعد قريشا بانحراف[٨] قومه إليه ، فكان أول / منْ خرج للقاءِ المسلمين فى عُبْدان[٩] أَهل مكة والأَحابيش . فلما

٧٦ و

٧٦ ظ

---

(١) ينضح : يرمى

(٢) ظاهر بين درعين : لبس احداهما فوق الأخرى

(٣) ويقال : دفعه إلى على بن أبى طالب ، وهو لواء المهاجرين ، ويقال : دفع لواء الأوس إلى أسيد بن حُضير ولواء الخزرج إلى الحباب بن المنذر .

(٤) وذكر بينهم عمرو بن حزم وسعد بن عقيب . وكانوا جميعا فى سن الرابعة عشرة .

(٥) أى بعد ذلك بعام .

(٦) فى الاصل : وكان أبوه أبو عامر قد ترهب . وحذفنا الجزء الأول لاطراد السياق . وقد نقله ابن حزم عن ابن عبد البر دون نظر إلى السياق . انظر ص ١٥٩ .

(٧) هكذا فى ابن حزم وفى الأصل : من الأوس فتيان .

(٨) لأنه كان سيدا فيهم .

(٩) عبدان : عبيد

نادى قومه وعرّفهم بنفسه قالوا : لا أنعم الله بك عينا يا فاسق ، فقال : لقد أصاب قومى بعدى شر ، ثم قاتل المسلمين قتالا شديدا .

وكان شعار أصحاب رسول الله ﷺ يوم أُحد : أَمِتْ أَمِتْ . وأَبْلَى يومئذ على وحمزة وأبو دُجانة وطلحة[١] بلاءً حسنا ، وأَبْلَى أنس[٢] بن النَّضْر يومئذ بلاءً حسنا وكذلك جماعة من الأنصار أبلوا وأُصيبوا يومئذ مقبلين غير مدبرين . وقاتل الناس قتالا شديدا ببصائر ثابتة ، فانهزمت قريش ، واستمرت الهزيمة عليهم . فلما رأى ذلك الرماة قالوا : قد هُزِم أعداء الله فما لقعودنا ههنا معنى . فذكّرهم أميرهم عبد الله بن جُبَيْر أمر رسول ﷺ ﷺ إياهم بأن لا يزولوا[٣] فقالوا : قد انهزموا ولم يلتفتوا إلى قوله ، وقاموا . ثم كرّ المشركون وولّى المسلمون وثبت من أكرمه الله منهم بالشهادة . ووُصِلَ إلى رسول الله ﷺ . فقاتل دونه مُصْعَب بن عُمَيْر حتى قُتِل رضى الله عنه ، وجُرِح رسول الله ﷺ فى وجهه وكُسِرت رَبَاعِيَتُه[٤] اليمنى السُّفْلى بحجر وهُشِمت البيضة[٥] [على] رأسه ﷺ وجزاه عن أُمته بأفضل ما جَزَى به نبيا من أنبيائه عن صَبْره . وكان الذى تولّى ذلك من النبى عليه السلام عمرو بن قَمِئة اللَّيْثِى وعتبة / بن أبى وقّاص . وقد قيل إن عبد الله بن شهاب جد[٦] الفقيه محمد بن مسلم بن شهاب هو الذى شَجّ رسول الله ﷺ فى جبهته[٧] . وأكبّت الحجارة على رسول الله ﷺ[٨] حتى سقط فى حفرة كان أبو عامر الراهب قد حفرها مكيدة للمسلمين ، فخرّ عليه السلام على جنْبه ، فأخذ علىّ بيده ، واحتضنه طلحة حتى قام . ومَصّ مالك بن سنان – والد أبى سعيد الخُدْرِىّ – من جرح

٧٧ و

---

(١) هو طلحة بن عبيد الله .

(٢) هكذا فى المصادر المختلفة والاستيعاب ص ٣٣ وفى الأصل ور : النضر بن أنس . ويظهر أنه سهو من ابن عبد البر نفسه ، وسيذكر عما قليل اسمه صحيحا .

(٣) يزول : يترك مكانه .

(٤) الرباعية : السن بين الثنية والناب

(٥) البيضة : الخوذة .

(٦) فى بعض الروايات أنه عم الفقيه ابن شهاب الزهرى . وانظر الاستيعاب ص ٣٩٨ .

(٧) فى ابن هشام : أن عتبة بن أبى وقاص هو الذى رمى رسول الله فكسر رباعيته وأن ابن شهاب شجه فى جبهته وأن ابن قمئة جرح وجنته .

(٨) فى الأصل زيادة ليست فى ر ، وهى : فى جبهته . ولا موضع لها . ولعلها خطأ من الناسخ .

رسول الله ﷺ الدَّم ونَشِبَتْ حلقتان من حلق المِغْفَر(١) فى وجهه ﷺ ، فانتزعهما أبو عبيدة بن الجَرَّاح – وعضَّ عليهما – بثَنِيَّتَيْهِ ، فسقطتا ، وكان الهتم يزينه . وأعطى رسول الله ﷺ الراية – حين قُتل مصعب بن عمير – علىَّ بن أَبى طالب .

وصار رسول الله ﷺ تحت راية الأَنصار . وشدَّ حَنْظَلَة الغَسِيل بن أَبى عامر على أَبى سفيان بن حرب ، فلما تمكن منه حمل شداد بن الأَسود الليثى – وهو ابن شَعوب – على حنظلة ، فقتله . وكان جُنُباً فغسلته الملائكة ، أَخبر بذلك جبريلُ رسولَ الله ﷺ ، وأَخبر رسول الله بذلك أَصحابه ، وقال : كان حنظلة قد قام من امرأَته جُنُبًا فغسَّلته الملائكة .

وقُتل صاحب لواء المشركين ، فسقط لواؤهم ، فرفعته عَمْرة بنت علقمة الحارثية للمشركين / فاجتمعوا إليه ، وحملوا على رسول الله ﷺ ، فكرَّ دونه نفر من الأَنصار ، قيل سبعة ، وقيل عشرة ، فقُتلوا كلهم ، وكان آخرهم عمارة بن يزيد بن السَّكن أَو زياد بن السَّكن . وقاتل يومئذ طلحة قتالا شديدا ، وقاتلت أُم(٢) عمّارة الأَنصارية ، وهى نُسيْبَة بنت كعب قتالا شديدا ، وضربت عمرو بن قَمِئة بالسيف ضربات فوقاه درعان كانتا عليه وضربها عمرو بالسيف فجرحها جرحا عظيما على عاتقها . وتَّرس(٣) أبو دُجانة بظهره عن رسول الله ﷺ والنَّبْلُ يقع فيه وهو لا يتحرك ، وحينئذ قال رسول الله ﷺ لسعد بن أَبى وقَّاص : ارْم فِداك أَبى وأُمى . وأُصيبت يومئذ عين قتادة بن النعمان الظَّفرى فأَتى رسول الله ﷺ وعيْنه على وَجْنته ، فردّها رسول الله ﷺ بيده وغمزها(٤) فكانت أجمل عينيه وأَصحّها .

وانتهى أَنَس بن النّضْر ، وهو عم أَنس بن مالك ، يومئذ إلى جماعة من الصحابة قد أَلقوا(٥) بأيديهم ، فقال [لهم] : ما يُجْلسكم ؟ قالوا : قُتِل رسول الله ﷺ ، فقال لهم : ما تصنعون بالحياة بعده ؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ . ثم استقبل

٧٧ ظ

---

(١) المغفر : زرد أوحلق يتقنع به المتسلح .

(٢) من بنى النجار وهى أم حبيب وعبد الله ابنى زيد بن عاصم شهدت أحدا مع زوجها وابنيها ، كما شهدت بيعة الرضوان وأبلت فى حرب اليمامة لعهد الصديق .

(٣) ترس بظهره : أى اتخذه ترسا وقاية للرسول .

(٤) فى الاستيعاب : وغمزها براحته .

(٥) كناية عن انصرافهم عن الحرب .

الناس ، ولقى سعد بن معاذ فقال له : يا سعد والله إنى لأجد ريح الجنّة من قِبل أُحد ، فقاتل حتى قُتِل ، رضى الله عنه ، وُجِدَ به أَزيد من سبعين جُرْحا من بين ضَرْبة وطَعْنة/ورمْيَةٍ فما عرفتْه إلا أُخته ببنَانه ، ميَّزتْه ، وجُرح يومئذ عبد الرحمن بن عَوْف نحو عشرين جراحة بعضها فى رجله ، فعرج منها — رحمه الله — إلى أن مات . ٧٨ و

وأوّل من ميّز رسول الله ﷺ بعد الجوْلة كعب بن مالك الشاعر ، فنادى بأعلى صوْته : يا معشر المسلمين أبْشِروا ، هذا رسول الله ﷺ . فأشار إليه رسول الله ﷺ أنْ أنْصِتْ[1] . فلما عرفه المسلمون مالوا إليه وصاروا حوله ونهضوا معه نحو الشِّعْب ، فيهم أبو بكر وعمر وعلى وطلحة والزُّبير والحارث بن الصِّمَّة الأنصارى وجماعة من الأنصار . فلما أُسْنِد رسول الله ﷺ فى الشِّعب أدركه أُبَىّ بن خلف الجمحى ، فتناول ﷺ الحربة من الحارث بن الصِّمَّة ، ثم طعنه بها فى عنقه ، فكَرَّ أُبىٌّ منهزما ، فقال له المشركون : والله ما بك من بأس ، فقال : والله لو بزق[2] علىّ لقتلنى ، أليس قد قال : بل أنا أقتله . وكان قد أوعد رسول الله ﷺ القتل بمكة ، فقال له رسول الله ﷺ : بل أنا أقتلك . فمات عدو الله من ضربة رسول الله ﷺ فى مرجعه إلى مكة بموضع يقال له : سَرِف[3] .

وملأ علىٌّ دَرَقَته[4] من ماءِ المِهْراس[5] وأتى به رسول الله ليشربه ، فوجد فيه رائحة ، فعافه وغسل به من الدم وجهه ، ونهض/إلى صخرة من الجبل ليعلوها ، وكان عليه درعان وكان قد بدَّن[6] ، فلم يقدر [أن] يعلوها ، فجلس له طلحة ، وصعِد رسول الله ﷺ على ظهره ، ثم استقلَّ به طلحة حتّى استوى على الصخرة . وحانت الصلاة ، فصلّى جالسا والمسلمون وراءه قعودًا . ٧٨ ظ

روى سُفيان الثَّوْرى ومعمر بن كُراع عن سعد بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن جده ، عن سعد بن أبى وقَّاص ، قال : رأيت عن يمين النبى ﷺ وعن شماله رجلين عليهما ثياب بيض يوم أُحد لم أرهما قَبْلُ ولا بعْدُ .

---

(١) فى بعض المصادر : اصمت .

(٢) فى رو بعض المصادر : بصق .

(٣) سرف : موضع على ستة أميال من مكة .

(٤) الدرقة : الترس من جلد .

(٥) المهراس : اسم ماء بأقصى شعب أحد .

(٦) بدن أسن وضعف .

وانهزم قوم من المسلمين يومئذ . منهم عثمان بن عَفَّان ، فعفَا الله عنهم ونزل فيهم : (إن الذين تولَّوا منكم يوم التقى الجمْعان إنما استزلَّهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عَفا الله عنهم – الآية) وكان الحُسَيْل بن جابر العَبْسى – وهو اليمان والد حذيفة بن اليمان – وثابت بن وقْش شيخين كبيرين قد جُعلا فى الآطام[1] مع النساء والصبيان . فقال أحدهما لصاحبه : ما بقى من أعمارنا[2] ؟ ! فلو أخذنا سيوفنا ولحقنا برسول الله ﷺ لعل الله يرزقنا الشهادة . وفَعلا ذلك ، فدخلا فى جملة المسلمين . فأما ثابت بن وقْش فقتله المشركون . وأما الحُسَيْل فظنه المسلمون من المشركين فقتلوه خطأ ، وقيل إن الذى قتله عتبة بن مسعود . وكان حذيفة يصيح والمسلمون قد علوا أباه : أبى أبى ! ثم تصدَّق بديته على المسلمين .

٧٩ و وكان مُخَيْريق أحد بنى ثعلبة بن الفِطْيَوْن من اليهود قد دعا اليهود /إلى نصْر رسول الله ﷺ وقال لهم : والله إنكم لتعلمون أن نصر محمد عليكم حق ، فقالوا له : إن اليوم السبت ، فقال : لا سبْتَ لكم . وأخذ سلاحه ، ولحق برسول الله ﷺ ، فقاتل معه حتى قُتل ، وأوصى : أن ماله لرسول الله ﷺ . فيُقال إن بعض صدقات رسول الله ﷺ بالمدينة من مال مُخَيْريق .

وكان الحارث بن سُوَيد بن الصامت منافقا لم ينصرف مع عبد الله بن أُبىّ فى حين انصرافه عن رسول الله ﷺ فى جماعته عن غزاة أحد ، ونهض مع المسلمين ، فلما التقى المسلمون والمشركون بأُحد عدَا على المجذَّر بن ذياد البلوى وعلى قَيْس بن زيد أحد بنى ضُبيْعَة ، فقتلهما وفرَّ إلى الكفار – وكان المجذر قد قتل فى الجاهلية سُوَيْد بن الصامت والد الحارث المذكور فى بعض حروب الأوس والخزرج – ثم لحق الحارث بن سويد مع الكفار بمكة ، فأقام هنالك ما شاء الله ، ثم حيَّنه[3] الله فانصرف إلى المدينة إلى قومه . وأتى رسول الله ﷺ الخبرُ من السماء ، نزل جبريل عليه السلام ، فأخبره أن الحارث بن سويد قد قدم فانهض إليه ، واقتصَّ منه لمن قتله من المسلمين غَدْرًا يوم أُحد . فنهض رسول الله

---

(١) الآطام : الحصون .

(٢) فى بعض المصادر : ما بقى من أعمارنا ظمء حمار . والظمء : ما بين الوردين . والحمار : أقصر الدواب ظمأ أى ما بقى من أعمارنا إلا القليل

(٣) حيه : كتب عليه الحين وهو الهلاك والموت .

ﷺ إلى قُباء فى وقت لم يكن يأتيهم فيه ، فخرج إليه الأنصار أهل قُباءٍ فى جماعتهم وفى جملتهم الحارث بن سُوَيْد وعليه ثوب مورَّس[1] فأمر رسول الله ﷺ عُويْم بن ساعدة ، فضرب عنقه /وقال الحارث : لِمَ يا رسول الله ؟ فقال : بقتلك المجذَّر بن ذياد وقيس بن زيد . فما راجعه بكلمة وقدَّمه عويمر ، فضرب عنقه . ثم رجع رسول الله ﷺ ولم ينزل عندهم .

٧٩ ظ

وكان عمرو بن ثابت بن وقْش من بنى عبد الأشهل يُعْرَفُ بالأُصيْرم يأبى الإسلام . فلما كان يوم أُحد قذف الله الإسلام فى قلبه للذى أراد من السعادة به . فأسلم وأخذ سيفه ولحق بالنبى ﷺ ، وقاتل حتى أُثْبِت[2] بالجِراح ولم يعلم أحد بأمره . ولما انجلت الحرب طاف بنو عبد الأشهل فى القتلى يلتمسون قتلاهم ، فوجدوا الأُصَيْرم وبه رَمَقٌ لطيف ، فقالوا : والله إن هذا الأُصَيْرم ما جاء به ؟ لقد تركناه وإنه لمنكرٌ لهذا الأمر . ثم سألوه : يا عمرو ما الذى جاء بك إلى هذا المشهد ؟ أحَدب على قومك أم رغبة فى الإسلام ؟ فقال : بل رغبة فى الإسلام ، آمنت بالله ورسوله ، ثم قاتلت مع رسول الله ﷺ [حتى[3] أصابنى ما ترون . فمات من وقته ، فذكروه لرسول الله ﷺ] فقال : هو من أهل الجنة . ولم يُصَلِّ صلاة قط .

وكان فى بنى ظفر رجل لا يُدْرَى ممن هو يقال له قُزْمان[4] أبْلَى يوم أُحد بلاءً شديدا ، وقتل يومئذ سبعة من وجوه المشركين ، وأُثْبِت جراحا ، فأُخبر رسول الله ﷺ بأمره ، فقال : هو من أهل النار . وقيل لقزمان : أَبْشِرْ بالجنة ، فقال : بماذا ؟ وما قاتلت إلا عن أحساب قومى . ثم لما اشتد عليه ألم الجِراح أخرج سهما من كِنانته ، فقطع به بعض عُروقه ، فجرى دمه حتى مات . ومُثِّل بقتلى/المسلمين . وأخذ الناس ينقلون قتلاهم بعد انصراف قريش ، فأمر رسول الله ﷺ أن يُدْفَنُوا فى مضاجعهم بدمائهم وثيابهم لا يُغْسَلُون .

٨٠ و

---

(١) مورس : مصبوغ بالورس وهو نبات اصفر .

(٢) أثبت بالجراح : عرف بين الجرحى .

(٣) زيادة من ر

(٤) ق ابن سيد الناس ٢/٢٧ : ذكره ابن سعد فقال : قزمان بن الحارث من بنى عبس حليف لبنى ظفر

ذكر من استُشهد[1] من المهاجرين يوم أُحد

حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ ورضى [الله] عن حمزة ، قتله وحشي بن حرب مولى طُعيْمَة بن عدى بن نوفل ، وقيل : مولى جُبَيْر بن مُطْعِم بن عدى ، وأَعتقه مَولاه لقتله حمزة . وكان وحشى حبشيا يرمى بالحَرْبة رَمْىَ الحبشة ثم أَسلم ، وقتل بتلك الحربة مُسَيْلمَة الكذَّاب يوم اليمامة . وعبد الله بن جحش بن رئاب الأَسدى حليف بنى عبد شمس وهو ابن عمة رسول الله ﷺ دُفن مع حمزة فى قبر واحد . وقد ذكرنا خبره عند ذكره فى [كتاب] الصحابة[2] . ويعرف بالمجدَّع فى الله لأَنه تمنَّى ذلك قبل الدخول فى القتال يوم أُحد فقُتل وجُدع أَنفه وأُذنه وجُعلا فى خيط . ومصعب بن عمير[3] قتله ابن قَمِئة اللَّيثى . وشمَّاس[4] بن عثمان واسمه عثمان بن عثمان[5] . وشَّماس لقب أَربعة من المهاجرين .

تسمية من استُشْهِدَ[6] من الأَنصار يوم أُحد

استشهد يومئذ من الأوس ثم من بنى عبد الأشهل : عمرو بن معاذ أخو سعد بن معاذ ، والحارث بن أوس بن معاذ ابن أخى سعد بن معاذ ، والحارث بن أَنَس بن رافع ، وعمارة بن / زياد بن السَّكن[7] . وسلمة وعمرو ابنا ثابت بن وقش ، وأبوهما ثابت بن

٨٠ ط

---

(١) انظر فى شهداء أحد من المهاجرين والأنصار ابن هشام ١٢٩/٣ والواقدى ٢٩١ وابن سعد ج ٢ ق ١ ص ٢٩ وابن حزم ص ١٦٦ وابن سيد الناس ٢٧/٢ وابن كثير ٤٦/٤ والنويرى ١٠٤/١٧

(٢) راجع الاستيعاب ص ٣٥٢ حيث روى انه دعا ربه ان يلقى مشركا فيقتله المشرك ويجدع انفه وأذنه فى سبيل الله ورسوله

(٣) عبدرى : من بنى عبد الدار .

(٤) من بنى مخزوم .

(٥) قال ابن سيد الناس ٢٧/٢ : زاد ابن عقبة فى شهداء المهاجرين سعدا مولى حاطب الأسدى وزاد ابن سعد عبد الله وعبد الرحمن ابنى الهبيب الليثى ووهب بن قابوس المزنى وابن أخيه الحارث بن عقبة وملكا ونعمان ابنى خلف بن عوف . وزاد أبو عمر فى الاستيعاب ثقف بن عمرو الأسلمى حليف بنى عبد شمس .

(٦) هكذا فى رواية الأصل . قتل .

(٧) فى ابن هشام . السكن بفتح الكاف وتسكينها

وقش ، وأخوه رفاعة بن وقش ، وصيفيّ بن قَيْظي ، وخَباب [1] بن قيْظي ، وعبّاد بن سهل ، واليَمان بن جابر والد حذيفة بن اليمان واسمه حُسَيْل حليف لهم من عبْس ، وعبيد بن التَّيْهان ، وحبيب [2] بن زيد ، وإياس بن أوس بن عتيك بن عمرو بن عبد الأعلم بن زعوراء بن جُشَم بن عبد الأشهل .

ومن بنى ظَفر : زيد [3] بن حاطب بن أُمية بن رافع .

ومن بنى عمرو بن عوف ثم من بنى ضبيعة بن زيد : أبو سفيان بن الحارث بن قيس بن يزيد [4] ، وحنظلة [5] الغَسيل بن أبى عامر الراهب بن صيفى بن النعمان .

ومن بنى عُبيْد بن زيد : أُنَيْس بن قتادة .

ومن بنى ثعلبة [بن] عمرو بن عوف : أبو حبَّة [6] بن عمرو بن ثابت وهو أخو سعد بن خَيْثمة لأمه ، وعبد الله بن جُبَيْر بن النعمان أمير الرماة .

ومن بنى السَّلْم بن امرىء القيس بن مالك بن الأوس : خيثَمة والد سعد بن خيثمة .

ومن حلفائهم من بنى العجْلان : عبد الله بن سلمة .

ومن بنى معاوية بن مالك : سُبَيْع [7] بن حاطب بن الحارث ، ومالك بن أوس [8] حليف لهم .

---

(١) هكذا فى الأصل وفى ابن هشام ور : حباب ، وترجم ابن عبد البر فى الاستيعاب له باسم حباب وخباب جميعا .

(٢) هكذا فى الأصل ور والاستيعاب ص ١٢٥ وقال هناك انه من بنى بياضة من الأنصار ، وفى ابن هشام : حبيب بن يزيد ، وفى ابن سيد الناس : انه من بنى بياضة وكان حليفا لبنى عبد الأشهل . وقد زاد ابن سيد الناس رجالا آخرين من بنى عبد الأشهل وغيرهم من كتب الطبقات .

(٣) وقيل . يزيد .

(٤) فى ابن هشام ومصادر أخرى : زيد .

(٥) ورد نسب حنظلة فى الأصل هكذا : حنظلة الغسيل بن أبى عامر الراهب بن صيفى بن النعمان بن قيس بن زيد بن ضبيعة . والشطر الأخير من النسب خطأ ، إنما هو النعمان بن مالك ابن ضبيعة بن زيد – انظر الاستيعاب ص ١٠٦ وقارن بابن هشام ١٣٠/٣ ويظهر أن هذا الاضطراب من ابن عبد البر نفسه لأن ابن حزم تابعه فيه فاضطرب الاسم عنده . انظر ص ١٦٩ .

(٦) ويقال فيه : أبو حنة بالنون وأبو حية بالياء .

(٧) وقيل فيه : سويبق .

(٨) هكذا فى الأصل ور . وفى الاستيعاب وابن هشام وابن سيد الناس : مالك بن نميلة وهى أمه وهو مالك بن ثابت .

ومن بنى خَطْمة واسم خطمة عبد الله بن جشم بن مالك بن الأوس : عمير[١] بن عدى ولم يكن /يومئذ فى بنى خطمة مسلم غيره فى قول بعضهم . وقد قيل إن الحارث بن عدى بن خَرَشَة بن أُمية بن عامر بن خطمة ممن استُشْهد يومئذ . ٨١ و

واستشهد يوم أُحد من الخزرج ثم من بنى النجار : عمرو بن قيس بن زَيد بن سواد ، وابنه قيس بن عمرو ، وثابت بن عمرو بن زيد ، وعامر بن مُخَلَّد ، وأبو هبيرة بن الحارث ابن علقمة ، وعمرو بن مطرِّف ، وإياس بن عدى ، وأوس[٢] بن ثابت أخو حسان بن ثابت وهو والد شداد ابن أوس ، وأَنَس بن النضر بن ضمضم عم أنس بن مالك ، وقيس بن مخلَّد من بنى مازن بن النجار ، وكَيْسان عبد لهم .

ومن بنى الحارث[٣] بن الخزرج : خارجة بن زيد أبى زُهَيْر ، وسعد بن الربيع بن عمرو بن أبى زهير ودُفنا فى قبر واحد ، وأوس بن الأرقم بن زيد بن قيس أَخو زيد بن أرقم .

ومن بنى الأبجر وهم بنو خُدْرة : مالك بن سنان والدأبى سعيد الخُدرىّ ، وسعيد[٤] بن سُوَيْد بن قيس بن عامر ، وعتبة بن ربيع[٥] بن رافع .

ومن بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج : ثعلبة بن سعد بن مالك ، وثَقْف[٦] بن فروة بن البدن ، وعبد الله بن عمرو بن وهب بن ثعلبة ، وضَمْرة حليف لهم من جهينة .

ومن بنى عوف بن الخزرج ثم من بنى سالم : عمرو[٧] بن إياس ، ونوفل[٨] بن عبد الله ، وعبادة بن الخشخاش ، والعباس /بن عبادة بن نضْلة ، والنعمان بن مالك بن ٨١ ظ

---

(١) لم يذكره سوى ابن عبد البر وكان ضريرا . وقد ترجم له فى الاستيعاب ولم يذكر أنه استشهد بأحد مع نصه على كل من استشهدوا بها . وقد روى عن الواقدى أنه لم يشهد أحدا ولا الخندق .

(٢) فى بن سيد الناس : زعم الواقدى انه بقى إلى خلافة عثمان .

(٣) فى ابن هشام قبلهم : ومن بنى دينار بن النجار سليم بن الحارث ونعمان بن عبد عمرو . رجلان . وقد أغفلها بن حزم متابعا فى ذلك ابن عبد البر

(٤) فى بعض المصادر : سعد . وقد عقد ابن عبد البر فى الاستيعاب ترجمتين لها !

(٥) هكذا فى ابن هشام والاستيعاب . وفى الأصل ور : رفيع .

(٦) بعضهم بفتح قافه . وعند بعض آخر : ثقيف . ويقال فى البدن : البدى .

(٧) لم يذكره ابن اسحق . انظر الاستيعاب ص ٤٤٢ .

(٨) فى بعض المصادر : نوفل بن ثعلبة بن عبد الله

ثعلبة . والمجذَّر بن ذياد البلوىّ حليف لهم . ودُفن النعمان والمجذَّر وعبادة فى قبر واحد .

ومن بنى سواد بن مالك : مالك[١] بن إياس .

ومن بنى سَلِمة : عبد الله بن عمرو بن حرام اصطبح الخمر ذلك اليوم ثم قتل آخر النهار شهيدا ثم نزل تحريم الخمر بعد . وعمرو بن الجَموح بن زيد بن حرام دُفِنا فى قبر واحد كانا صِهْرين وصديقين متآخيين . وابنه خلاَّد بن عمرو بن الجَموح . وأبو أسيرة[٢] مولى عمرو ابن الجموح .

ومن بنى سواد بن غَنْم : سليم بن عمرو بن حديدة . ومولاه عنترة[٣] . وسهل[٤] بن قَيس بن أبى كعب .

ومن بنى زريق بن عامر : ذكوان بن عبد قيس . وعبيد بن المعلَّى بن لَوْذَان .

وجميعهم سبعون[٥] رجلا . واختُلف فى صلاة رسول الله ﷺ على شهداء أُحد ولم يختلف عنه فى أنه أمر أن يدفنوا بثيابهم ودمائهم ولم يغسلوا .

[تسمية منْ قُتِل من كُفَّار قريش يوم أُحد]

وقُتل من كفار قريش يوم أحد اثنان وعشرون رجلا ، منهم من بنى عبد الدار أحد عشر رجلا : طلحة . وأبو سعيد . وعثمان بنو أبى طلحة واسم أبى طلحة عبد الله بن عبد العزّى بن عثمان بن عبد الدار . قتل طلحةَ بن أبى طلحة علىٌّ . وقتل أبا سعيد بن أبى طلحة سعد بن أبى وقَّاص وقال ابن هشام : بل قتله على . وعثمان بن أبى طلحة قتله حمزة . ومسافع والحارث/والجُلاس وكلاب بنو طلحة المذكور . قتل مسافعا والجُلاس عاصمُ بن ثابت بن أبى الأقْلَح . وقتل كلابا والحارث قزمان وقيل : بل قتل كلابا

٨٢ و

---

(١) لم يذكره ابن هشام .

(٢) لم يذكره ابن اسحق ، إنما ذكره الواقدى كما قال ابن عبد البر فى الاستيعاب . وقد ذكر ابن هشام وأكثر المصادر مكانه . أبا أيمن مولى عمرو بن الجموح . وقال ابن عبد البر فى الاستيعاب أنه قتل يوم أحد شهيدا

(٣) هكذا فى المصادر المختلفة والاستيعاب ص ٥٢٤ وفى الأصل : عامر وفى ر . عمرة

(٤) هكذا ر وفى المصادر المختلفة والاستيعاب ، وفى الأصل : سهيل

(٥) عدّ ابن سيد الناس منهم ما يزيد على المائة نقلا عن كتب السير والطبقات وعقب على ذلك بأنه ذكر أن قتلى أحد سبعون . وانما نشأت هذه الزيادة من الخلاف فى الرواية والأسماء

عبد الرحمن بن عوف . وأرطاة بن [عبد[1]] شُرَحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار قتله حمزة ، وأبو يزيد[2] بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار أخوَ مصعب بن عمير قزمان ، والقاسط بن شرَيح بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار قتله قزمان ، وصُؤاب أبي طلحة . واختُلف فى قاتل صُؤاب ، فقيل قزمان ، وقيل على ، وقيل سعد ، وقيل أبو دُجانة .

ومن بنى أسد بن عبد العُزّى رجلان : عبد الله بن حُمَيْد بن زهير بن الحارث بن أسد قتله على ، وسِباع[3] بن عبد العُزّى الخُزاعى حليف بنى أسد .

ومن بنى مخزوم أَربعة : هشام[4] بن أَبى أُمية بن المغيرة أَخو أُم سلمة أُم المؤمنين ، والوليد بن العاص بن هشام بن المغيرة ، وأميــة[5] بن أَبى حذيفة بن المغيرة ، وخالد[6] ابن الأَعلم حليف لهم .

ومن بنى زهرة : أبو الحكم بن الأخنس بن شَرِيق حليف لهم قتله على .

ومن بنى جُمَح رجلان : أُبىّ بن خلف قتله رسول الله ﷺ ، وأبو عزَّة واسمه عمرو بن عبد الله بن عمير بن وهب بن حذافة بن جُمَح أمر رسول الله ﷺ بضرب عنقه صبرا ، وذلك أنه مَنَّ عليه يوم بدر وأطلقه من الأسرى بلا فداء ، وأخذ عليه/أن لا يُعين عليه فنقض العهد وغزاه مع المشركين يوم أُحد ، فقال له رسول الله ﷺ : [والله][7] لا تمسح عارضيك بمكة تقول : خدعت محمدا مرتين ، وأمر به ، فضُربت عنقه . ٨٢ ظ

ومن بنى عامر بن لُؤى رجلان : عبيدة بن جابر قتله ابن مسعود . وشيبة بن مالك .

---

(١) زيادة من ر وابن هشام وغيره .
(٢) هكذا فى ر وابن هشام وغيره ، وفى الأصل : زيد .
(٣) قتله حمزة
(٤) قتله هو وتاليه قزمان
(٥) قتله على بن أبى طالب
(٦) قتله قزمان
(٧) زيادة من ر وابن حزم .

غزوة[1] حمراء الأَسَد

وكانت وقعة أُحُد يوم السبت للنصف[2] من شوال من السنة الثالثة من الهجرة . فلما كان من الغد يوم الأحد أمر رسول الله ﷺ بالخروج فى إثر العدو ، وعَهِدَ أن لا يخرج معه إلا مَنْ حضر المعركة ، فاستأذنه جابر بن عبد الله فى أن يفسح له فى الخروج معه ، ففعَل وكان أبوه عبد الله بن عمرو بن حرام ممن استُشْهِد يوم أُحد فى المعركة .

فخرج المسلمون على ما بهم من الجهد والقَرْح[3] ، وخرج رسول الله ﷺ مرهبا[4] للعدو ، حتى بلغ موضعا يُدْعَى حمراء الأسد على رأس ثمانية[5] أميال من المدينة ، فأقام به يوم الاثنين[6] ، والثلاثاء ، والأربعاء ، ثم رجع إلى المدينة . قال ابن إسحق : وإنما خرج بهم رسول الله ﷺ مرهبا للعدو وليظنوا أن بهم قوة وأن الذى أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم[7] .

وكان مَعْبد بن أبى معبد الخُزاعى قد رأى خروج رسول الله ﷺ والمسلمين إلى حمراء الأسد ، ولقى أبا سفيان وكفار/قريش بالرَّوْحاء ، فأخبرهم بخروج رسول الله ﷺ فى طلبهم ، ففتَّ ذلك فى أعضاد قريش ، وقد كانوا أرادوا الرجوع إلى المدينة . فكسرهم خروجه ﷺ ، فتمادوا إلى مكة . ٨٣ و

وظفِر رسول الله ﷺ فى خروجه بمعاوية بن المغيرة بن العاص بن أمية ، فأمر بضرب عنقه صبرا ، وهو والد عائشة أم عبد الملك بن مروان .

---

(١) انظر فى غزوة حمراء الأسد ابن هشام ٣ / ١٠٧ والواقدى ٣٢٥ وابن سعد ج ٢ ق ١ ص ٣٤ والطبرى ٢ / ٥٣٤ وابن حزم ص ١٧٥ وابن سيد الناس ٢ / ٣٧ وابن كثير ٤ / ٤٨ والنويرى ١٧ / ١٢٦ والسيرة الحلبية ٢ / ٣٣٦ .

(٢) مر بنا فى غزوة أحد الخلاف فى تحديد يومها من شوال .

(٣) القرح : الجراح .

(٤) على الرغم من جراحه وكان لواء جيشه فى أحد لا يزال معقودا فدفعه إلى على وقيل : بل إلى أبى بكر .

(٥) ويقال : هى على عشرة أميال من المدينة .

(٦) ويقال : كانوا يوقدون فى ليالى هذه الأيام من النيران خمسمائة نار ، حتى يذهب صوت معسكرهم فى كل وجه .

(٧) وفى هذه الغزوة نزلت الآيتان الكريمتان : (الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم . فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم) .

بَعْثُ(١) الرَّجيع

وقدم على رسول الله ﷺ فى شهر صفر وهو آخر(٢) السنة الثالثة من الهجرة نَفَرٌ من عَضَل والقارَة وهم بنو الهُون بن خُزَيْمَة بن مُدْرِكة ، فذكروا له أنهم قد أسلموا ورغبوا أن يبعث معهم نفرا من المسلمين يعلمونهم القرآن ويفقهونهم فى الدين .

فبعث رسول الله ﷺ معهم ستة(٣) رجال : مَرْثَدَ بن أَبى مَرْثَد الغَنَوىّ ، وخالد بن البُكَيْر اللَّيْثى ، وعاصم بن ثابت بن أبى الأقْلَح ، وخُبَيْب بن عدىّ وهما من بنى عمرو بن عوف ، وزيد بن الدَّثِنَةَ ، وعبد الله بن طارق حليف بنى ظفر ، وأَمَّرَ عليهم مَرْثَد(٤) بن أبى مرثد .

فنهضوا مع القوم حتى إذا صاروا بالرجيع وهو ماء لهُذَيْل بناحية(٥) الحجاز استصرخوا عليهم هُذَيْلاً ، وغدروا بهم . فلم يُرَعِ القوم/وهم فى رِحالهم إلا الرجال قد غشوهم ٨٣ ظ وبأيديهم السيوف . فأخذ المسلمون سيوفهم ليقاتلوهم ، فأَمَّنوهم ، وأخبروهم أنهم لا أَرَبَ لهم فى قتلهم وإنما يريدون(٦) أن يصيبوا بهم فداءً من أهل مكة .

فأما مَرْثَد بن أبى مَرْثد وعاصم بن ثابت وخالد بن البُكير فأبوا أن يقبلوا منهم قولهم ذلك ، وقالوا : والله لا قبلنا لمشرك عهدا أبدا ، وقاتلوا حتى قُتلوا ، رحمةُ الله عليهم . وكان عاصم بن ثابت قد قَتل يوم أُحُد فَتَيَيْن(٧) من بنى عبد الدار أخوين أُمهما سُلافة بنت

---

(١) انظر فى هذا البعث ابن هشام ٣ / ١٧٨ والواقدى ٣٤٤ وابن سعد ج ٢ ق ١ ص ٣٩ والبخارى ٤ / ٦٧ ، ٥ / ١٠٣ والطبرى ٢ / ٥٣٨ وابن حزم ص ١٧٦ وابن سيد الناس ٢ / ٤٠ وابن كثير ٤ / ٦٢ والنويرى ١٧ / ١٣٣

(٢) هكذا فى ر وجميع المصادر ، وفى الأصل : أول وهو خطأ من الناسخ .

(٣) هكذا فى ابن هشام نقلا عن ابن اسحق ، وفى صحيح البخارى ، وابن سعد أنهم كانوا عشرة ، وفى الواقدى أنهم كانوا سبعة وكذلك فى الاستيعاب ص ١٦٧ ، ولم يذكر الرواة أسماء ثلاثة أما الرابع فهو معتب بن عبيد أخو عبد الله بن طارق لأمه وقد قتل مع مرثد وصاحبيه .

(٤) فى البخارى وبعض المصادر : أنه أمر عليهم عاصم بن ثابت .

(٥) بين عسفان ومكة .

(٦) هكذا فى ر وابن حزم وهو هنا يتابع ابن عبد البر ، وفى الأصل : أرادوا .

(٧) هما مسافع والجلاس كما مر آنفا .

سعد بن شُهيد ، فنذرت إنِ الله أمكنَها من رأس عاصم لتشربنّ فى قِحْفِه[١] الخمر . فرامت بنو هذيل أخذ رأسه ليبيعوه من سلافة ، فأرسل الله عزَّ وَجَلَّ دونه الدَّبْر[٢] فحمَتْهُ ، فقالوا إن الدَّبْرَ سيذهب فى الليل ، فإذا جاء الليل أخذناه . فلما جاء الليل أرسل الله عزَّ وجَلَّ سيلا لم يُرَ مثله ، فحمَلَه ، ولم يصلوا إلى جثته ولا إلى رأسه . وكان قد نذر أن لا يمسَّ مشركا أبدا . فأبَر الله عزَّ وَجَلَّ قسَمه ، ولم يروه ، ولا وصلوا إلى شيء منه ، ولا عرفوا له مَسْقَطًا . وأما زيد بن الدَّثِنَة وخُبَيْب بن عدى وعبد الله بن طارق فأعطوا بأيديهم[٣] ، فأسروهم وخرجوا بهم إلى مكة . فلما صاروا بمرِّ[٤] الظَّهْران انتزع عبد الله بن طارق يده من القِران[٥] ، ثم أخذ سيفه ، واستأخر عنه القوم ، ورموه بالحجارة حتى / قتلوه ، فقبره بمرِّ الظَّهْران . ٨٤ و

وحملوا خُبَيْب بن عدى وزيد بن الدَّثِنة فباعوهما بمكة . وقد ذكرنا خبر خبيب وما لقى بمكة عند ذكر اسمه فى كتاب الصحابة[٦] ، وصُلب خبيب – رحمة الله – بالتنعيم[٧] ، وهو القائل حين قُدِّم ليُصْلَب :

ولستُ أبالى حين أُقْتَلُ مسلما ... على أىِّ جَنْبٍ كان فى الله مَصْرِعى[٨]
وذلك فى ذات الإله وإن يشأْ ... يبارِكْ على أوْصالِ شِلْوٍ ممزَّعِ[٩]

فى أبيات قد ذكرتها عند ذكره فى كتاب الصحابة . وهو أول من سَنَّ الركعتين عند القتل . وقال له أبو سفيان[١٠] بن حَرْب : أيسرُّك – يا خُبَيْبُ – أن محمدا عندنا بمكة

(١) القحف : ما انفلق من الجمجمة .
(٢) الدبر : النحل .
(٣) أعطوا بأيديهم : كناية عن انقيادهم .
(٤) مر الظهران : واد قرب مكة .
(٥) القران : القيد .
(٦) انظر الاستيعاب ص ١٦٧ حيث يذكر صلب عقبة بن الحارث بن نوفل له ثأرا لأبيه المقتول ببدر وما أظهر خبيب فى صلبه من قوة إيمانه .
(٧) التنعيم : موضع خارج الحرم فى الحل .
(٨) روى الشطر الثانى هكذا : على أى شق كان لله مصرعى ، وروى : على أى حال كان فى الله مضجعى .
(٩) أوصال . أعضاء شلو هنا : جسد .
(١٠) روى هذا الخبر بين أبى سفيان وابن الدثنة .

تُضْرَب عنقه وأَنك سالم فى أَهلك ؟ فقال : والله ما يسرُّنى أَنى سالم فى أَهلى وأَن يصيب محمدا شوكة تؤذيه . وابتاع زيدَ بن الدَّثنة صفوانُ بن أُمية ، فقتله بأَبيه[١] .

بَعْث[٢] بِئْر مَعُونة

أَخبرنا أَحمد بن عبد الله بن محمد بن على – رحمه الله – قال : حدثنا الحسن بن إسماعيل ، قال : حدثنا عبد الملك بن بجير ، قال : حدثنا محمد بن إسماعيل الصائغ ، قال : حدثنا سنيد ، قال : حدثنا إسماعيل بن جعفر ، عن حميد ، عن أَنسٍ ، قال :

كان شباب من الأَنصار يسمعون القرآن ينتحون ناحية من المدينة يحسب أَهلوهم أَنهم فى المسجد ويحسب أَهل المسجد أَنهم فى أَهليهم ، فيُصَلُّون/من الليل حتى إذا قارب الصبح احتطبوا الحطب واستعذبوا الماءَ فوضعوه على أَبواب حُجَر النبى ﷺ . قال : فبعثهم جميعا إِلى بئر مَعُونة ، فاستشهدوا . فدعا النبى ﷺ على قتلَتهم أَياما .

٨٤ ظ

قال سُنَيْد : وحدثنا حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن عكرمة ، قال :

بعث رسول الله ﷺ المنذر بن عمرو الأَنصارى أَحد بنى النجار – وهو أَحد النقباءِ ليلة العقبة – فى ثلاثين[٣] راكبا من المهاجرين والأَنصار ، فخرجوا فلقوا عامر[٤] بن الطُّفَيْل بن مالك بن جعفر بن كلاب على بئر معونة وهى من مياه[٥] بنى عامر ، فاقتتلوا ، فقتل المنذر بن عمرو وأَصحابه إِلا ثلاثة نفر كانوا فى طلب ضَالَّةٍ لهم ، فلم يَرُعْهم إِلا الطير تحوِّم فى السماءِ يسقط من خراطيمها عَلَق[٦] الدَّم ، فقال أَحد النَّفَر : قُتِل أَصحابنا ، والرحمن . وذكر سنيد تمام الخبر فى ذلك وفى بنى النَّضير[٧] ، وسياق ابن إسحق لخبرهم

---

(١) هو أمية بن خلف .

(٢) انظر فى بعث بئر معونة ابن هشام ٣ / ١٩٣ والواقدى ٣٣٧ ، ٣٧٨ وابن سعد ج ٢ ق ١ ص ٣٦ والبخارى ١٠٣/ والطبرى ٢ / ٥٤٥ وابن حزم ص ١٧٨ وابن سيد الناس ٢ / ٤٦ وابن كثير ٤ / ٧١ والنويرى ١٧ / ١٣٠ .

(٣) سيذكر ابن عبد البر عن ابن اسحق أنهم كانوا أربعين ، وقيل كانوا سبعين ، وفى البخارى أنهم كانوا لاثين .

(٤) أحد فرسان العرب المعلمين . وكان عدوا للإسلام ولله ورسوله .

(٥) بالقرب من حرة بنى سليم .

(٦) علق الدم هنا : قطعه المتجمدة .

(٧) يريد الغزوة التالية .

أحسن وأبين ، قال ابن إسحق :

وأقام رسول اللهَّ ﷺ بالمدينة بقية شَّوال وذا القعدة وذا الحجة والمحرَّم ، ثم بعث أصحاب بئر معونة فى صفر فى آخر تمام السنة الثالثة من الهجرة ، على رأس أربعة أشهر من أحُد. وكان سبب ذلك أن أبا بَراء[١] الكلابى من بنى كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة – ويُعْرَفُ بملاعب الأسنة واسمه عامر بن مالك /بن جعفر بن كلاب – وفد على رسول الله ﷺ . فدعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام ، فلم يُسْلم ولم يبْعُدْ ، وقال : يا محمد لو بعثتَ رجالا من أَصحابك إلى أَهل نَجْد فدعوهم إلى أَمرك لرجوت أَن يستجيبوا لك . فقال عليه السلام : إنى أخشى عليهم أهل نجد . فقال أبو براء : أنا لهم جارٌ. فبعث رسول الله ﷺ المنذر بن عمرو السَّاعدى – وهو الذى يعْرَف بالمعنق[٢] ليموت : لقب غلب عليه . والأكثر يقولون : أعنق ليموت – فى أربعين رجلا من المسلمين ، وقد قيل فى سبعين رجلا من خيار المسلمين . منهم الحارث بن الصِّمَّة . وحَرام بن مِلْحان – أخو أم سُلَيم[٣] وأم حرام[٤] – وعُرْوة بن أسماء بن الصَّلْت السُّلَمى . ونافع بن بُدَيْل بن وَرْقاء الخزاعى . وعامر بن فُهَيْرة مولى أبى بكر الصِّدِّيق . وأمَّر على جميعهم المنذر بن عمرو .

٨٥ و

فنهضوا حتى نزلوا بئر معونة – بين أرض بنى عامر وحرة بنى سُلَيْم وهى إلى حَرَّة بنى سليم أقرب – ثم بعثوا منها حَرام بن مِلْحان بكتاب رسول الله ﷺ إلى عدو الله عامر بن الطُّفَيْل . فلما أتاه لم ينظر فى كتابه . حتى عَدَا عليه فقتله . ثم استصرخ عليهم بنى عامر . فأبوا أن يجيبوه . وقالوا : لن نَخْفِر أبا براء وقد عقد لهم عَقْدًا وجوارًا . فاستصرخ قبائل من بنى سُلَيْم : عُصَيَّةَ ورِعْلا وذَكْوان . فأجابوه إلى ذلك . فخرجوا حتى غشوا القوم/فأحاطوا بهم فى رحالهم . فلما رأوهم أخذوا سيوفهم ثم قاتلوا . حتى قُتلوا عن آخرهم[٥] إلا كعب بن زيد أخا بنى دينار بن النجار . فإنهم تركوه وبه رمقٌ . وارْتُثَّ[٦]

٨٥ ظ

---

(١) كان من فرسان قومه وشجعانهم وهو عم عامر بن الطفيل .

(٢) المعنق : المسرع . لقب بذلك لمسارعته إلى الشهادة

(٣) هى أم أنس بن مالك

(٤) هى زوجة عبادة بن الصامت

(٥) انظر فيمن استشهدوا يوم بئر معونة ابن سيد الناس ٢ / ٤٦

(٦) ارتث : حمل من المعركة جريحا

من بين القتلى وعاش حتى قُتِل يوم الخندق شهيدا رحمه الله .

وكان فى سَرْح[١] القوم عمرو بن أُمية الضَّمْرى ورجل من الأنصار من بنى عمرو بن عوف وهو المنذر بن محمد بن عقبة بن أُحَيْحة بن الجُلاح ، فنظرا الطير تحوم[٢] على العسكر ، فقالا والله إن لهذه الطير لشأْناً فأَقبلا لينظرا فإذا القوم فى دمائهم ، وإذا الخيل التى أصابتهم واقفة . فقال المنذر بن محمد الأنصارى لعمرو بن أمية الضَّمْرى : ما ترَى ؟ فقال : أرى أن نلحق برسول الله ﷺ فنخبره الخبر . فقال الأنصارى : ما كنت لأرغب عن موطنٍ قُتِل فيه المنذر بن عمرو ثم قاتل القوم حتى قُتل ، وأخذوا عمرو بن أُمية أسيرا . فلما أخبرهم أنه من مُضَر أطلقه عامر بن الطُّفيل وجزَّ ناصيته ، وأعتقه عن رقبة زعم أنها كانت على أُمه . وخرج[٣] عمرو بن أُمية حتى إذا كان بالقَرْقرة[٤] من صدر قناة[٥] أقبل رجلان من بنى عامر – وقيل من بنى سُلَيْم – حتى نزلا معه فى ظلٍّ هو فيه ، وكان معهما عقد من رسول الله ﷺ ولم يعلم به عمرو بن أُمية . وكان قد سألهما حين نزلا : ممن أنتما ؟ قالا : من بنى عامر . فأمهلهما ، حتى إذا ناما عَدَا عليهما ، فقتلهما ، وهو يرى أنه قد أصاب منهما ثأره من بنى عامر فيما أصابوا من أصحاب رسول الله ﷺ . فلما قدم عمرو بن أُمية على رسول الله ﷺ وأخبره الخبر قال : لقد قتلت قتيلين كان لهما منى جوار ، لأدِيَنَّهما[٦] . هذا عمل أبى براء ، قد كنت لهذا كارها متخوِّفا .

فبلغ أبا براء ما صنع عامر بن الطُّفَيْل فشق عليه إخْفاره إياه . وقال حسان بن ثابت يحرِّض أبا براء على عامر بن الطفيل :

بنى أُمِّ البنين ألم يَرُعْكُمْ … وأنتمْ من ذوائبِ أهل نَجْدِ[٧]

---

(١) السرح : الرعاء .

(٢) هكذا فى ابن حزم . وفى الأصل : تحرم على موضعه والخيل التى أصابتهم

(٣) هكذا فى الأصل وابن هشام . وفى ابن حزم وغيره : ورجع

(٤) القرقرة : هى قرقرة الكدر على ثمانية يرد من المدينة .

(٥) قناة : واد يأتى من الطائف ويصب فى قرقرة الكدر

(٦) أدينهما : أؤدى ديتهما وقد جاء الرسول خبر هذا البعث وبعث الرجيع فى وقت واحد فوجد عليهم جميعا وجدا شديدا وظل ثلاثين صباحا يدعو على رعل وذكوان وعصية وبنى لحيان الذليين لما عصوا الله ورسوله وسفكوا من دماء المسلمين .

(٧) سميت بأم البنين لأنها ولدت خمسة أبناء جاء فرسانا وهم طفيل وربيعة وأبو براء عامر ملاعب الأسنة وعبيدة الوضاح ومعاوية معود الحكماء . الذوائب . الأعالى والأعاظم .

تهكُّمُ عامرٍ بأبي بَراءٍ ليُخْفِره وما خطأٌ كَعَمْدِ
ألا أبلغْ ربيعةَ ذا المساعى فما أحدثْتَ فى الحَدَثَان بَعْدِى[١]
أبوك أبو الحروب أبو براءٍ وخالُك ماجدٌ حَكم بن سَعْد[٢]

أُم البنين هى أُم أبى براء من بنى عامر بن صعصعة . فحمل ربيعة بن أبى براء على عامر ابن الطفيل ، فطعنه بالرمح ، فوقع فى فخذه ، فأشواه[٣] ، ووقع عن فرسه . فقال : هذا عمل أبى براء ، إن أنا مِتُّ فدمى لعمى فلا يُتْبَعَنَّ به ، وإن أعِشْ فسأرى رأيى .

غزوة[٤] [بنى] النَّضِير

وكان سبب غزوة بنى النَّضير أن رسول الله ﷺ لما قال لعمرو بن أُمية : لقد قتلت قتيلين لأدينَّهما خرج إلى بنى النضير مستعينا بهم فى دية ذينك القتيلين . فلما كلَّمهم قالوا : نعم يا أبا القاسم اجلسْ حتى تطعم وترجع بحاجتك فنقوم ونتشاور ونصلح أمرنا فيما جئتنا له . فقعد رسول الله ﷺ مع أبى بكر وعمر وعلى ونفر/من الأنصار إلى جدار من جُدرهم .

٨٦ ظ

فاجتمع بنو النضير ، وقالوا : مَنْ رجلٌ يصعد على ظهر البيت فيلقى على محمد صخرةً فيقتله ، فيريحنا منه ؟ فإنا لن نجده أقرب منه الآن . فانتدَب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب فأوحى الله عزَّ وَجَلَّ إلى رسول الله ﷺ بما ائتمروا به من ذلك ، فقام ولم يُشْعِر أحدا ممن معه[٥] .

---

(١) ربيعة : يريد ربيعة بن أبى براء . المساعى : المكارم . الحدثان : النوائب والنوازل .

(٢) حكم بن سعد من القين بن جسر ويبدو أن أم ربيعة كانت منهم .

(٣) أشواه : أصاب أطرافه وأخطأ مقتله .

(٤) انظر فى غزوة بنى النضير ابن هشام ٣ / ١٩٩ والواقدى ٣٥٣ وابن سعد ج ٢ ق ١ ص ٤٠ والطبرى ٢ / ٥٥٠ والبخارى ٥ / ٨٨ وسنن أبى داود ٢ / ٢٥ وأنساب الأشراف ١ / ١٦٣ وابن حزم ص ١٨١ وابن سيد الناس ٢ / ٤٨ وابن كثير ٤ / ٧٤ والنويرى ١٧ / ١٣٧ والسيرة الحلبية ٢ / ٣٤٤ وكانت منازلهم فى وادى بطحان والبويرة .

(٥) وقيل نزل فى ذلك : (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هَمَّ قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم — الآية) .

ونهض إلى المدينة ، فلما استبطأه أصحابه ، وراث [١] عليهم خبره أقبل رجل من المدينة ، فسألوه ، فقال : لقيته وقد دخل أزقّة المدينة . وقالت اليهود لأصحابه : لقد عجل أبو القاسم قبل أن نقيم له حاجته . فقام أصحابه ولحقوه بالمدينة . فأخبرهم بما أوحى الله عزَّ وجَلَّ إليه مما أرادت اليهود فعله به .

وأَمر ﷺ أَصحابه بالتهيُّئ لقتالهم وحربهم [٢] . وخرج إليهم ، واستعمل على المدينة ابن أُمّ مكتوم ، وذلك فى ربيع الأول [٣] أول السنة الرابعة من الهجرة . فتحصَّنوا منه فى الحصون ، فحاصرهم ستَّ ليال ، وأمر بقطع النخل وإحراقها ، وحينئذ نزل تحريم الخَمْر .

ودسَّ عبد الله بن أُبَىّ بن سَلول ومَنْ معه من المنافقين إلى بنى النَّضير : إنا معكم ، وإن قوتلتم قاتلنا معكم ، وإن أُخرجتم خرجنا معكم . فاغترُّوا بذلك . فلما جاءت الحقيقة خذلوهم وأسلموهم ، فألقوا بأيديهم [٤] . وسألوا رسول الله ﷺ أن يكفَّ عن دمائهم ويُجْليهم على أنَّ لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا السلاح [٥] . فاحتملوا [٦] /كذلك إلى خَيْبَر ، ومنهم من سار إلى الشام . وكان ممن سار منهم إلى خيبر أكابرهم حُيَىّ بن أخطب ، وسلاَّم بن أبى الحقَيق ، وكنانة بن الربيع بن أبى الحُقَيق . فدانت لهم خيبر . ٨٧ و

وقسم رسول الله ﷺ أَموال بنى النضير بين المهاجرين خاصة [٧] ، إلا أَنه أَعطى منها أبا دُجانة سِماك بن خَرَشَة ، وسَهْل بن حُنَيْف وكانا فقيرين . وإنما قسمها رسول الله ﷺ

---

(١) راث : أبطأ

(٢) من أسباب تلك الغزوة أن بنى النضير كانوا قد خانوا عهد رسول الله ، ودسوا إلى قريش فى قتاله ، وحضوهم على حربه ، ودلوهم على العورة . وهم كانوا أصحاب كعب بن الأشرف .

(٣) هكذا عند ابن اسحق أنها كانت على رأس خمسة أشهر من وقعة أحد ، وذكر البخارى أنها كانت على رأس ستة أشهر .

(٤) ألقوا بأيديهم : ذلوا وانقادوا .

(٥) ويقال أنهم خلفوا من السلاح خمسين درعا وخمسين بيضة (خودة) وثلاثمائة وأربعين سيفا .

(٦) احتملوا : رحلوا . ويقال أنهم رحلوا على سبعمائة بعير ، وقيل على ستمائة حملوها كل ما استطاعوا حتى قيل أنهم حملوها بيوتهم وكل ما استطاعوا من أنقاضها .

(٧) أوضح ابن عبد البر العلة فى ذلك حتى يرد المهاجرون على الأنصار ما أخذوا من ثمارهم التى شاطروهم فيها ، ومن حينئذ وقفت المواساة التى كانت مفروضة عليهم للمهاجرين .

بين المهاجرين لأنهم إذ قدموا المدينة شاطرتهم الأنصار ثمارهم ، وعلى ذلك بايعوا ليلة العقبة على نُصْرته ومواساة أصحابه . فردَّ المهاجرون على الأنصار ثمارهم .

ولم يُسلم من بنى النَّضِير إلا رجلان : يا مِين بن عمير بن كعب بن عمرو بن جِحاش . وأبو سعيد بن وهب ، أسلما فأحرزا أموالها . وذُكر أن يامين بن عمير جعل جُعْلاً لمن قتل ابن عمه عمرو بن جِحاش لما هَمَّ به فى رسول الله ﷺ .

ونزلت سورة الحشر فى بنى النَّضِير[1] . قال عزَّ وجَلَّ : (هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول[2] الحشر) إلى قوله : (لئن أُخْرِجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وإن قوتلتم لننصرنكم) إلى قوله : (وذلك جزاءُ الظالمين) فكان إجلاء بنى النضير أول الحشر فى الدنيا إلى الشام ، ولذلك قيل الشام أرض الحشر[3] .

غزوة[4] ذات الرِّقاع

٨٧ ظ

ثم أقام رسول الله ﷺ بعد إجلاء /بنى النَّضِير بالمدينة شهر ربيع الآخر وبعض جمادى الأُولى صَدْرَ[5] السنة الرابعة بعد الهجرة . ثم غزا نَجْدًا يريد بنى محارب وبنى ثعلبة بن سعد بن غطفان ، واستعمل على المدينة أبا ذَرٍّ الغِفَّارىّ ، وقيل : بل استعمل يومئذ عليها عثمان ابن عفان . والأول أكثر .

ونهض عليه السلام حتى نزل نَخْلا[6] . وإنما سميت هذه الغزوة ذات الرِّقَاع لأنَّ

---

(١) أوضحت هذه السورة قصة بنى النضير وحصار الرسول لهم ووسوسة ابن أبى والمنافقين لهم بأنهم سيقفون فى جانبهم وما كان من جلائهم وتخريبهم لبيوتهم بأيديهم .

(٢) قيل المراد بأول الحشر حشرهم من المدينة ، ثم كان حشرهم الثانى من خيبر إلى الشام على نحو ما سنعرف فى غزوة خيبر وقيل أن المراد هذا الحشر فى الدنيا ثم يليه حشر الآخرة . وقيل : بل نار تحشرهم من المشرق إلى المغرب

(٣) انظر الروض الأنف ٢ / ١٧٧

(٤) انظر فى غزوة ذات الرقاع ابن هشام ٣ / ٢١٣ وابن سعد ج ٢ ق ١ ص ٤٣ وأنساب الإشراف ١ / ١٦٣ وصحيح مسلم بشرح النووى ١٢ / ١٧ وتاريخ الطبرى ٢ / ٥٥٥ والبخارى ٥ / ١١٣ وابن حزم ص ١٨٢ وابن سيد الناس ٢ / ٥٢ وابن كثير ٤ / ٨٣ والنويرى ١٧ / ١٥٨ والسيرة الحلبية ٢ / ٣٥٣ .

(٥) قيل : كانت فى المحرم من السنة الرابعة وهو قول صعيف . وكان السبب فيها ماسمعه رسول الله من تجمع بنى محارب وبنى ثعلبة لحربه

(٦) هكذا فى ابن هشام وفى الأصل ور : نخلة ونخل من منازل بنى ثعلبة بنجد على يومين من المدينة .

أقدامهم نَقِبَتْ[1] فكانوا يلفُّون عليها الخِرَق . وقيل : بل قيل لها ذات الرِّقاع لأنهم رقَّعوا راياتهم فيها . ويقال : ذات الرقاع شجرة بذلك الموضع تُدْعى ذات الرِّقاع . وقيل : بل الجبل الذى نزلوا عليه كانت أَرضه ذات أَلوان من حمرة وصفرة وسواد ، فسمّوا غزوتهم تلك ذات الرقاع . والله أَعلم .

ولقى النبى ﷺ بنخل جَمْعان من غطفان ، فتواقفوا ، إلا إنه لم يكن بينهم قتال . وصلَّى رسول الله ﷺ يومئذ صلاة[2] الخوف . وقد أَوضحنا اختلاف الروايات فى التمهيد فى هيئة صلاة الخوف يوم ذات الرقاع . وفى انصرافهم من تلك الغزوة أَبطأَ جمل جابر بن عبد الله ، فنخسه النبى ﷺ ، فانطلق متقدما بين يدى الرِّكاب ثم قال له : أَتبيعنيه ؟ فابتاعه منه ، وقال : لك ظَهْره إلى المدينة . فلما وصل إلى المدينة أَعطاه الثمن ، ووهب له الجمل ، لم يأْخذه منه .

وفى هذه الغزاة أَتى رجل[3] من بنى محارب بن خَصفة ليفتك برسول الله ﷺ وشرط ذلك لقومه ، وأَخذ سيف رسول الله صلى / الله عليه وسلم وأَصلته[4] بعد أَن استأْذنه فى أَن ينظر إلى السيف . فلما أَصلته هَمَّ به ، فصرفه الله عنه ، ولحقه بَهَتٌ ، فقال : مَنْ يمنعك منى يا محمد ؟ قال : الله ، فردَّ السيف فى غِمْدِه ، فقيل : فيه نزلت : (يا أَيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هَمَّ قوم أن يبسطوا إليكم – الآية) وقيل نزلت هذه الآية فيما أَراد بنو النضير أَن يفعلوا به من رَمْى الحجر عليه وهو جالسٌ إلى حائط حصنهم .

٨٨ و

---

(١) نقبت أقدامهم : رقت جلودها وقرحت من الحفاء .

(٢) ذكرت روايات مختلفة فى هذه الصلاة ، فقيل : ﷺ بطائفة ركعتين ثم سلم وطائفة مقبلون على العدو ، وجاءوا فصلى بهم ركعتين أخريين ثم سلم . وقيل فى هيئة تلك الصلاة أنه تقوم مع الإمام طائفة ، وطائفة ثانية مما يلى عدوهم . فيركع الإمام ويسجد بالطائفة الأولى وتتأخر وتصلى بنفسها ركعة ثانية وتتقدم مكانها الطائفة الثانية وتصلى معه ركعة وتسجد ثم تصلى بنفسها ركعة ثانية . وانظر ابن هشام ٣ / ٢١٥ .

(٣) يسمى غورث بن الحارث المحاربى .

(٤) أصلته : شهره .

غزوة (١) بَدْر الثالثة

وكان أبو سفيان يوم أُحد قد نادى رسول الله ﷺ : موعدُنا معكم بدر فى العام المقبل . فأمر رسول الله ﷺ بعض أصحابه أن يجيبه بنعم . وأقام رسول الله ﷺ مُنْصَرفه من ذات الرِّقاع بالمدينة بقية جمادى الأُولى وجمادى الآخرة ورجبا . ثم خرج فى شعبان من السنة الرابعة للميعاد المذكور ، واستعمل على المدينة عبد الله (٢) بن عبد الله بن أُبَىّ [بن] سلول . ثم نهض حتى أَتى بَدْرًا ، فأقام هناك ثمانى ليال .

وخرج أبو سفيان بن حرب فى أهل مكة حتى بلغ عُسْفان (٣) ، ثم انصرف ، واعتذر هو وأصحابه بأن العام عام جَدْب .

٨٨ ظ

/غزوة (٤) دُوْمَة الجَنْدَل

وانصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة ، فأقام بها إلى أن انْسَلخ ذو الحِجَّة من السنة الرابعة من الهجرة ، ثم غزَا عليه السلام دومة (٥) الجندل فى ربيع الأول ، وذلك أول السنة الخامسة من احتلاله المدينة . واستعمل على المدينة سِباع بن عُرْفُطة . وانصرف عليه السلام من طريقه (٦) قبل أن يبلغ دومة الجَنْدل . ولم يلق حربا .

---

(١) انظر هذه الغزوة فى ابن هشام ٣ / ٢٢٠ وابن سعد ج ٢ ق ١ ص ٤٢ وإنساب الأشراف ١ / ١٦٣ والطبرى ٢ / ٥٥٩ وابن حزم ص ١٨٤ وابن سيد الناس ٢ / ٥٣ وابن كثير ٤ / ٨٧ والسيرة الحلبية ٢ / ٣٦٠ .

(٢) وقيل : عبد الله بن رواحة .

(٣) وقيل : بل نزل مجنة من ناحية الظهران .

(٤) انظر فى غزوة دومة الجندل ابن هشام ٣ / ٢٢٤ وابن سعد ج ٢ ق ١ ص ٤٤ وأنساب الأشراف ١ / ١٦٤ والطبرى ٢ / ٥٦٤ وابن حزم ص ١٨٤ وابن سيد الناس ٢ / ٥٤ وابن كثير ٤ / ٩٢ والنويرى ١٧ / ١٦٢ والسيرة الحلبية ٢ / ٣٦٢ . ودومة الجندل فى شمالى نجد ، وهى طرف من أفواه الشام بينها وبين دمشق خمس ليال وبينها وبين المدينة خمس عشرة ليلة .

(٥) قال ابن سعد أن السبب فيها أن الرسول ﷺ بلغه أن بها جمعا كثيرا يظلمون من يمر بهم وأنهم يريدون غزو المدينة .

(٦) فى ابن سعد وفى مصادر أخرى غير ابن هشام أن الرسول نزل بساحتهم وأنهم حين علموا بقدومه تفرقوا فى كل وجه . وفى هذه الغزوة وادع الرسول عيينة بن حصن الفرارى أن يرعى هو وقومه بتغلمين إلى المراض وكانت بلاده قد أجدبت كما يقول ابن سعد . وبين تغلمين والمراض ميلان . وبين المراض والمدينة نحو ثلاثين ميلا على طريق الربذة .

غزوة[١] الخندق

ثم كانت غزوة الخندق فى شوال[٢] من السنة الخامسة ، وكان سببها أن نفرًا من اليهود ، منهم كنانة بن الربيع بن أبى الحُقَيْق ، وسَلاَّم بن مِشْكم ، وحُيَىّ بن أَخْطب النَّضَرِيُّون[٣] ، وهَوذة بن قَيْس وأبو عَمَّار[٤] من بنى وائل – وهم كلهم يهود ، وهم الذين حزبو الأَحزاب وأَلَّبوا وجمعوا – خرجوا[٥] فى نَفر من بنى النَّضير ونفر من بنى وائل ، فأتوا مكة ، فدعوا قريشا إلى/حَرْب رسول الله ﷺ ووعدوهم من أنفسهم بِعَوْن من انتدَب إلى ذلك ، فأَجابهم أَهل مكة إلى ذلك . ثم خرج اليهود المذكورون إلى غطفان فدعوهم إلى مثل ذلك فأَجابوهم .

٨٩ و

فخرجت قريش يقودهم أبو سفيان بن حرب ، وخرجت غطفان وقائدهم عُيَيْنَة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفَزَارى على فزارة والحارث بن عوف المُرِّى على بنى مرة ومسعود[٦] ابن رُخَيْلَة على أَشجع[٧] . فلما سمع رسول الله ﷺ باجتماعهم وخروجهم إليه شاور أَصحابه ، فأَشار عليه سَلْمَان بحفر الخندق ، فرضى رأْيه * . وقال المهاجرون يومئذ :

---

(١) انظر فى غزوة الخندق – وتسمى غزوة الأحزاب – ابن هشام ٣ / ٢٢٦ والواقدى ٣٦٢ وابن سعد ج ٢ ق ١ ص ٤٧ والطبرى ٢ / ٥٦٤ وأنساب الأشراف ١ / ١٦٥ والبخارى ٥ / ١٠٧ وصحيح مسلم بشرح النووى ١٢ / ١٤٥ ، ١٢ / ١٧١ وابن سيد الناس ٢ / ٥٤ وابن كثير ٤ / ٩٢ والنويرى ١٧ / ١٦٦ والسيرة الحلبية ٢ / ٤٠١ .

(٢) قال ابن سعد : فى ذى القعدة من السنة الخامسة . وقيل : بل كانت فى السنة الرابعة . وهو قول ضعيف وبه قال البخارى وابن حزم .

(٣) النضريون : نسبة إلى بنى النضير .

(٤) هكذا فى ر وجميع المصادر ، وفى الأصل : أبو عمارة .

(٥) وفيهم نزل قوله تعالى : (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا)

(٦) فى بعض المصادر مسعر بكسر الميم وسكون السين .

(٧) ويقال : خرجت معهم بنو سليم يقودهم سفيان بن عبد شمس حليف حرب بن أمية ، وبنو أسد يقودهم طليحة بن خويلد الأسدى .

* قلت : فيه ما يدل على وجوب استعمال الحذر فى وقته ، فإن كان فى ظاهره وهن ضعيف فإن عاقبته حميدة . وفيه ما يدل على أن الأعمال الشاقة المتعبة على الجماعة ينبغى أن تقسم حتى لا يتواكل الناس فيها بعضهم على بعض . وتلك=

سلمان منا ، وقالت الأنصار : سلمان منا ، فقال رسول الله ﷺ : سلمان منا أهلَ البيت *

وعمل المسلمون فى الخندق مجتهدين ، ونكص المنافقون ، وجعلوا يتسللون لِواذًا[١] . فنزلت فيهم آيات من القرآن ذكرها ابن إسحق وغيره . وكان من فرغ من المسلمين من حصته عاد إلى غيره فأعانه حتى كمل الخندق . وكان فيه آيات بيِّنات وعلامات للنبوات مذكورات عند أهل السير والآثار ، منها أن كُدْيةً[٢] اعتاصتْ على المسلمين ، فدعوا رسول الله ﷺ إليها ، فضربها بالفأس ضربة طار منها الشَّرار وقطع منها الثلث ، وقال : الله أكبر فتح قيصر والله إنى لأَرى القصور الحُمْرَ . ثم ضرب الثانية فقطع منها الثلث الثانى . وقال : الله أكبر فتح كسرى والله إنى لأَرى القصور البيض . ثم ضرب الثالثة فقطع الثلث الباقى ، وقال الله أكبر فتح اليمن والله إنى لأَرى باب صَنْعَاء[٣] . وقد نصر الله عبده وصدق وعده ، والحمد لله رب العالمين .

=سنة الأنبياء فى مثل ذلك وجاء فى تفسير قوله تعالى : (إنا ذهبنا نستبق) : أن كانوا اقتسموا الأعمال من احتطاب واحتشاش ورعى وحراسة ، فهو معنى الاستباق . وهى أيضا عادة المسلمين فى حفر الخنادق . وشرط ذلك السلامة من التنافس والتحاسد والتعيير . ولهذا كان من فرغ (من) حصته قبل صاحبه أعان من لم يفرغ بلا تنقيص ولا تعيير . والله أعلم .

* قلت : مذهب سيبويه النصب على الاختصاص (أى فى كلمة أهل البيت) وقيل : يجوز الخفض على البدل من الضمير (فى منا) وهو مذهب الأخفش لجواز البدل من ضمير المتكلم والمخاطب خلافا لسيبويه ، فإنه قال : هما غاية فى البيان فلا يحتاجان إلى البدل . وعندى فى أعراب هذه الكلمة فى الحديث نكتة لطيفة ، وذلك أن المضمر فيها جاء فيه احتمال أن يراد المتكلم خاصة أو يراد المتكلم وجماعته . والجماعة ههنا يحتمل أن يراد بهم الصحابة رضوان الله عليهم أو أهل البيت صلوات الله عليهم ، فلما تعدد الاحتمال جاز البيان بالإبدال . وينبغى أن يكون النبى ﷺ داخلا فى أهل البيت ههنا لقوله « منا » ويكون المراد أهل بيت النبوة ، بخلاف التقدير فى قوله تعالى : (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) فينبغى أن يكون التقدير حينئذ أهل بيت النبى ، ويكون النبى ﷺ ههنا خارجا من اللفظ ، لأن أهل بيته أزواجه . وفى هذه المرحمة تعظيم عظيم من الله تعالى لنبيه عليه السلام فإنه جعل البيت المطلق عبارة عن بيته كما جعل البيت المطلق فى حقه تعالى عبارة عن الكعبة كالاسم العلم لها (أى فى مثل قوله تعالى : وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا) .

(١) اللواذ : التستر بشىء عند الفرار وهو إشارة إلى تعللهم بالأعذار .

(٢) الكدية : الحجر الضخم الصلد .

(٣) وكأنما سلم رسول الله لأصحابه فى ذلك اليوم مفاتيح تلك البلدان .

فلما فرغ[1] رسول الله ﷺ أقبلت قريش فى نحو عشرة[2] آلاف بمن معهم من كنانة وأهل تهامة[3] . وأقبلت غطفان بمن معها من أهل نجد حتى نزلوا إلى جانب أحد. وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون حتى نزلوا – بظهر[4] سَلْع – فى ثلاثة[5] آلاف ، وضربوا عسكرهم ، والخندق/بينهم وبين المشركين . واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم فى قول ابن شهاب .

٩٠ ظ

وخرج عدو الله حُيَىّ بن أَخْطب النَّضَرِى[6] حتى أتى كعب بن أسد القُرَظِىّ وكان صاحب عَقْد بنى قُرَيْظَةَ ورئيسهم ، وكان قد وادع رسول الله ﷺ وعاقده وعاهده . فلما سمع كعب بن أسد بِحُيىّ بن أَخْطب أغلق دونه باب حصنه ، وأبى أن يفتح له ، فقال له : افتح لى يا كعب بن أسد ، فقال : لا أفتح لك فإنك رجل مشئوم تدعونى إلى خلاف محمد وأنا عاقدته وعاهدته ولم أر فيه إلا وفاءً وصدقا ، فلستُ بناقضٍ ما بينى وبينه . فقال حُيَىّ : افتَحْ لى حتى أُكلِّمك فأنصرف عنك ، قال : لا أفعل ، قال : إنما تخاف أن آكل معك جَشِيشَتك[7] . فغضب كعب وفتح له ، فقال هل : إنما جئتك بعِزِّ الدَّهْر : جئتك بقريش وسادتها وغطفان وقادتها قد تعاقدوا على أن يستأصلوا محمدا ومَن معه . فقال له كعب : جئتنى والله بذل الدهر وبجهام[8] لا غيث فيه ، وَيْحَك يا حُيَىّ ! دَعْنى فلستُ بفاعلٍ ما تدعونى إليه . فلم يزل حُيَىّ بكعبٍ يَعده ويغرُّه ، حتى رجع إليه وعاهده على خذلان النبى ﷺ وأصحابه وأن يصير معهم . وقال له حُيَىّ بن أَخْطَب : إن

---

(١) اختلف فى مدة حفر الخندق ، فقيل : كمل فى ستة أيام . وقيل : فى بضعة عشر يوما ، وقيل . فى أربعة وعشرين يوما .

(٢) هكذا فى رو الأصل وابن هشام ، وفى بعض المصادر أن قريشا ومن معها من كنانة وأهل تهامة كانوا أربعة آلاف وكان معهم ثلاثمائة فارس وألف وخمسمائة بعير وأن جميع من وافى الخندق من قريش وغطفان والعرب كانوا عشرة آلاف .

(٣) يقال : نزلت قريش بمن معها فى مجتمع السيول من رومة .

(٤) أى أنهم نزلوا بسفحه وجعلوا إليه ظهورهم .

(٥) وقيل : كانوا فى تسعمائة .

(٦) هكذا فى ر وفى الأصل : النضيرى .

(٧) الجشيشة : طعام يصنع من الجشيش ، وهو البر يطحن غليظا . فإذا طبخ وألقى عليه بعض اللحم أو التمر فهو الجشيشة .

(٨) الجهام : السحاب غير الممطر . يبرق ويرعد ولا ماء فيه

٩١ و انصرفت قريش / وغطفان دخلتُ عندك بمن معى من يهود* . فلما انتهى خبر كعبٌ وحُيىّ إلى رسول الله ﷺ والمسلمين بعث سعد بن عُبادة وهو سيد الخزرج وسيد الأوس سعد بن مُعاذ وبعث معهما عبد الله بن رَواحة وخوَّات بن جُبَيْر ، وقال / لهم رسول الله ﷺ : ٩١ ظ
انطلقوا إلى بنى قريظة فإن كان ما قيل لنا حقا فالْحَنُوا لنا لحنا نعرفه ، ولا تَفُتّوا فى أعضاد المسلمين ، وإن كان كذبًا فاجهروا به للناس** . فانطلقوا حتى أتوهم ، فوجدوهم على أخبث ما قيل لهم عنهم ، ونالوا من رسول / الله ﷺ . وقالوا : لا عَهْدَ له عندنا . ٩٢ و
فشاتمهم سعد بن معاذ وشاتموه وكانت فيه حِدَّة ، فقال له سعد بن عُبادة : دَعْ عنك مشاتمتهم ، فالذى بيننا وبينهم أكبر من المشاتمة . ثم أقبل سعد وسعد حتى أتيا رسول الله ﷺ فى جماعة المسلمين ، فقالا : عَضَلٌ والقارَة . يعرِّضان بغدر عضل والقارَة بأصحاب الرجيع : خُبَيْب وأصحابه . فقال رسول الله ﷺ : أَبْشِروا يا معشر المسلمين .

---

* قلت : وكان حيى هذا وأخوه (أبو) ياسر بن أخطب من أشد اليهود عداوة للمسلمين ، وتربصا بهم الدوائر . وهما اللذان حسبا بحساب الجمل الحروف التى (فى) أوائل السور فأبطل الله حسابهما وعجل عذابهما . وضجع (ضعّف) السهيلى فى إبطال الحساب المشار إليه . وهو من المجوزات العقلية وحسب هو عدد الحروف الأربعة عشر (التى جاءت فى أوائل السور) فقال جملتها تسعمائة وثلاث . وغلط فإنه حسب السين بثلاثمائة وإنما هى بستين على زعم أهل هذا الحساب ، وحسب الضاد بستين وإنما هى بتسعين . وفى حديث عن بعض بنى العباس ، قال : سئل النبى ﷺ عن عمر الأمة : فقال : إن أساءت أمتى عمرت نصف يوم أى خمسمائة سنة ! وان أحسنت عمرت يوما أى ألف سنة ! . فإن صح هذا فهى إن شاء الله محسنة ، قال الله تعالى : (وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) . [انظر الروض الأنف ٢ / ٣٥]

** قلت : اللحن : أصله العدول عن طريق الصواب وهو ضد النحو فإنه قصد الطريق الصواب ، والمراد ههنا : تكلموا بكلام يفهم منه الغرض ولا يفهمه غيرنا . وهكذا المعاريض والتورية ، وهو أصل فى جواز الكناية بالمظنات وبالمرجحات . ويحتاج المرء إلى ذلك أما دينا أو دنيا حيث يحتاج إلى الكتمان . وعلى هذا حُمل قوله :

منطقٌ صائبٌ وتلحن أحيا نًا وخيْرُ الكلام ماكان لَحْنا

أى تورى فى كلامها وتعرض . وبهذا فسره الحجاج بن يوسف لامرأته هند بنت أسماء ، وكانت أخت هذا الشاعر مالك بن أسماء . وبلغ الحديث الجاحظ وقد فسر البيت فى كتاب البيان (والتبيين) بأن المراد باللحن الخطأ فندم ، واعترف بأنه أخطأ ، فقيل له : هلا تغيره ؟ فقال (كيف ؟) قد سارت به البغال الشهب وأنجد (فى البلاد) وغار . وفى الحديث مايدل على أنه لا يجوز التخذيل ولا إشاعة الأخبار الموهنة للمسلمين وإن كانت صحيحة ، بل تُطوى (ومن يتق الله يجعل له مخرجا) والله أعلم (انظر الروض الأنف ٢ / ١٩٠) .

وعظم عند ذلك البلاءُ واشتدّ الخوف ، وأتى المسلمين عدوُّهم من فوقهم [١] ومن أسفل [٢] منهم حتى ظنوا بالله الظنون [٣] ، وأظهر المنافقون كثيرا مما كانُوا يُسِرُّون ، فمنهم من قال : إن بيوتنا عورة فلننصرف إليها [٤] ، فإنا نخاف عليها ، وممن قال ذلك أَوس بن قَيْظِىّ — إلا أنه مع ذلك وَلَدَ ولدا سيدا فاضلا وهو عَرَابة بن أَوس الذى قال فيه الشاعر [٥] :

إذا ما رايةٌ رُفِعَتْ لمجدٍ ... تلقَّاها عَرَابَةُ باليمينِ

وقد قيل إن له صُحبة بالنبى ﷺ . ومنهم من قال : يعدنا محمد أَن نفتح كنوز كسرى وقيصر ، وأَحَدُنا اليوم لا يأْمن على نفسه [أَن] يذهب إلى الغائط ، وممن قال ذلك معتِّب [٦] بن قشير أَحد بنى عمرو بن عوْف .

٩٢ ظ

وأَقام رسول الله / ﷺ وأَقام المشركون بضعا وعشرين ليلة قريبا من شهر لم يكن بينهم حرب إلا الرَّمْى بالنَّبْل والحَصَا . فلما رأى رسول الله ﷺ أنه اشتد على المسلمين البلاء بعث إلى عيينة بن حصن الفَزارى وإلى الحارث بن عوف بن أَبى حارثة [٧] المُرِّى وهما قائدا غطفان ، فأَعطاهما ثلث ثمار المدينة لينصرفا بمن معهما من غطفان و [أَهل] نجد [٨] ويرجعا بقومهما عنهم [٩] . وكانت هذه المقالة مُرَاوضةً ولم تكن عقدا . فلما رأَى رسول الله ﷺ أَنهما قد أَنابا [١٠] ورضيا أَتى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة فذكر ذلك لهما واستشارهما ، فقالا : يا رسول الله هذا أَمر تحبه فنصنعه لك ، أَو شىء أَمرك الله به فنسمع

---

(١) من فوقهم أى من فوق الوادى من قبل المشرق حيث كانت غطفان وجموعها .

(٢) ومن أسفل منهم أى من بطن الوادى من قبل المغرب حيث كانت قريش وجموعها .

(٣) وفى ذلك نزلت الآية : (إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا) .

(٤) وفيهم نزل قوله تعالى : (يقولون إن بيوتنا عورة وما هى بعورة إن يريدون إلا فرارا) .

(٥) هو الشماخ .

(٦) وفيهم نزلت الآية : (وإذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ماوعدنا الله ورسوله إلا غرورا) .

(٧) فى الأصل : الحارث وهو خطأ من الناسخ .

(٨) فى الأصل زيادة كلمة : قريش .

(٩) فى ابن هشام : عنه وعن أصحابه .

(١٠) أناب : رجع وأجاب .

له ونطيع ، أو أمر تصنعه لنا ؟ قال : بل أمر أصنعه لكم ، والله ما أصنعه إلا لأنني [١] قد رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة . فقال له سعد بن معاذ : يا رسول الله ، والله لقد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان لا نعبد الله ولا نعرفه وما طمعوا قط أن ينالوا منا ثمرة إلا بشراء أو قِرًى [٢] . فحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزّنا بك نعطيهم أموالنا ، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم . فسُرَّ رسول الله ﷺ بذلك ، وقال /لهم : أنتم وذاك . وقال لعُيَيْنة والحارث : انْصَرِفا ، فليس لكم عندنا إلا السيف . وتناول الصحيفة [٣] وليس فيها شهادة فمحاها .

٩٣ و

فأقام رسول الله ﷺ والمسلمون على حالهم والمشركون يحاصرونهم ولا قتال منهم إلا أن فوارس من قريش منهم عمرو بن عبد وَدّ العامرى من بنى عامر بن لُؤَىّ ، وعِكْرِمة بن أبى جَهْل ، وهبيرة بن أبى وهب ، وضرار بن الخطاب الفِهْرِى — وكانوا فرسان قريش وشجعانهم — أقبلوا حتى وقفوا على الخندق . فلما رأوه قالوا إن هذه المكيدة ما كانت العرب تكيدها [٤] ، ثم تيمّموا [٥] مكانا ضيقا من الخندق [فضربوا [٦] خيلهم فاقتحمت منه] وصاروا بين الخندق وبين سَلْع . وخرج على بن أبى طالب رضى الله عنه فى نفر من المسلمين ، حتى أخذوا عليهم الثَّغْرة [٧] التى اقتحموا منها ، وأقبلت الفرسان نحوهم . وكان عمرو بن [عبد] وَدّ قد أثبتته الجِراح يوم بدر ، فلم يشهد أُحدا وأراد يوم الخندق أن يُرَى مكانه . فلما وقف هو وخيله نادى : [هل] من مبارز ؟ فبرز له على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وقال له : يا عمرو إنك عاهدت الله فيما بلغنا عنك أنك لا تُدْعَى إلى إحدى خلّتين إلا أخذت إحداهما ، قال : نعم ، وقال : إنى أدعوك لله عزّ وجلّ والإسلام ، قال : لا حاجة لى بذلك . قال : وأدعوك إلى البِراز ، قال : يا بن أخى والله ما أحبّ أن أقتلك لما

---

(١) هكذا فى ابن هشام وفى الأصل : أننى .

(٢) القرى : الضيافة .

(٣) هى كتاب كان الرسول وعيينة بن حصن والحارث بن عوف قد كتبوه ليكون عقدا بينهم ولكن دون شهادة ، وكأنه كان نسخة للمراجعة .

(٤) هكذا فى ابن هشام وفى الأصل : يكيدونها .

(٥) تيمموا : قصدوا .

(٦) زيادة من ابن هشام .

(٧) الثغرة : الثلمة التى اقتحموا منها الخندق .

كان بينى وبين أبيك ، فقال له على : أنا والله أحبّ أن أقتلك . فَحَمِىَ[1] عمرو بن [عبد] وَدّ العامرى ونزل عن فرسه ، وسار نحو على ، فتنازلا وتجاولا ، وثار النَّقْعُ[2] /بينهما حتى حال دونهما ، فما انجلى النَّقْعُ حتى رُؤِىَ علىٌّ على صدر عمرو يقطع رأسه . فلما رأى أصحابه أنه قد قتله على اقتحموا بخيلهم الثغرة منهزمين هاربين ، وقال على – رضى الله عنه – فى ذلك :

٩٣ ظ

نَصَر الحِجَارةَ من سفاهةِ رَأْيِهِ ونصرتُ دين محمدٍ بضِرابِ[3]

لا تَحْسَبُنَّ الله خاذلَ دينهِ ونبيِّه يا معشر الأحزاب

نازلتُه وتركته متجدِّلا كالجِذْع بين دكادكٍ وروابى[4]

ورُمِىَ يومئذ سعد بن [معاذ] بسهم فقُطع منه الأكحل[5] ، رماه حِبَّان بن قيس بن العَرِقة أحد بنى عامر بن لؤى . فلما أصابه قال له : خُذْها إليك وأنا ابن العَرِقة ، فقال له سعد : عرَّق الله وجهك فى النار ، وقيل : بل الذى رماه أبو أُسامة الجُشَمىّ حليف بنى مخزوم .

ولحسان بن ثابت مع صفية بنت عبد المطلب خبر طريف[6] يومئذ – وكان حسان قد تخلَّف عن الخروج مع الخوالف بالمدينة – ذكره ابن إسحق وطائفة من أهل السِّير ، وقد أنكره منهم آخرون ، فقالوا لو كان فى حسان من الجبن ما وصفتم لهجاه بذلك من كان يهاجيه فى الجاهلية والإسلام ، ولهُجِىَ بذلك ابنه عبد الرحمن ، فإنه كان كثيرا ما يهاجى الناس من شعراء العرب مثل النجاشىّ وغيره .

وأتى رسولَ الله ﷺ نُعَيْمُ بن مسعود بن عامر الأشجعى ، فقال : يا رسول الله إنى قد أسلمت ، ولم يعلم قومى بإسلامى ، فمُرْنى بما شئت ، فقال له رسول الله ﷺ : إنما أنت

---

(١) حمى : اشتد غضبه .

(٢) النقع : غبار الحرب .

(٣) فى ابن هشام : بصواب . ويريد بالحجارة الأنصاب التى كانوا يقدسونها ويذبحون لها .

(٤) متجدلا : لاصقا بالأرض ، والدكادك : جمع دكدك وهو الرمل اللين. والروابى : التلال والمرتفعات .

(٥) الأكحل : وريد فى الذراع يكثر فصده ، أو هو عرق الحياة وفى كل عضو منه شعبة .

(٦) انظر فى هذا الخبر ابن هشام ٣ / ٢٣٩ وملخصه أن صفية بنت عبد المطلب كانت تنزل معه فى حصنه أثناء حرب الخندق ولاحظت أن يهوديا يطيف به ، فطلبت إلى حسان أن ينزل إليه فيقتله ، فقال لها والله ما أنا بصاحب هذا ، فأخذت هى عمودا ونزلت إلى الرجل وقتلته ، ثم صعدت إلى حسان ، وقالت له : انزل فخذ سلبه .

٩٤ و رجل واحد[١] من غطفان ، فلو خرجت فخذّلت عنا كان أحبَّ إلينا من / بقائك فاخرج[٢] فإن الحرب خدعة . فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بنى قُرَيظة – وكان ينادمهم فى الجاهلية – فقال : يا بنى قريظة قد عرفتم وُدِّى إياكم وخاصَّة ما بينى وبينكم ، قالوا : قُلْ ، فلستَ عندنا بمتَّهم ، فقال لهم : إن قريشا وغطفان ليسوا كأنتم ، البلد بلدكم ، وفيه[٣] أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم ، وإن قريشا وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه وقد ظاهرتموهم[٤] عليه ، فإن رأوا نُهْزَةً[٥] أصابوا وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخَلَّوْا بينكم وبين الرجل ، ولا طاقة لكم به ، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رُهُنًا . ثم خرج حتى أتى قريشا ، فقال لهم : قد عرفتم وُدِّى لكم معشر قريش وفراق محمدا وقد بلغنى أمر أرى من الحق أن أبلغكموه نُصْحًا لكم ، فاكتموا علىّ ، قالوا : نفعل . قال : أتعلمون أن معشر يهود قد ندموا على ما كان من خلافهم محمدا وأرسلوا إليه إنا قد ندمنا على ما فعلنا ، فهل يرضيك أن نأخذ من قريش وغطفان رُهُناً رجالا ونسلمهم إليكم لتضربوا أعناقهم ، ثم نكون معك على مَنْ بقى منهم حتى تستأصلهم . ثم أتى غطفان ، فقال مثل ذلك . فلما كانت ليلة السبت وكان ذلك من صُنْع الله عَزَّ وَجَلَّ لرسوله

٩٤ ظ وللمؤمنين أرسل / أبو سفيان إلى بنى قُرَيْظَة عكرمة بن أبى جهل فى نَفرٍ من قريش وغطفان يقول لهم : إنا لسنا بدار مُقامٍ ، قد هلك الخفُّ والحافر[٦] فاغْدُوا صبيحةَ غدٍ للقتال حتى نفاجئْ محمدا . فأرسلوا إليهم إن اليوم يوم السبت[٧] ، وقد علمتم ما نال منا مَنْ تعدَّى فى السَّبْت ، ومع ذلك فلا نقاتل معكم أحدا حتى تعطونا رُهُنًا . فلما رجع الرسول بذاك قالوا : صَدَقَنا والله نُعَيْم بن مسعود . فردّوا إليهم الرسل ، وقالوا : والله لا نعطيكم رُهنا أبدا ، فاخرجوا معنا إن شئتم ، وإلا فلا عهد بيننا وبينكم ، فقال بنو قريظة : صدق والله نعيم بن مسعود . وخَذَّل بينهم واختلفت كلمتهم وبعث الله عليهم ريحا عاصفا فى ليال

---

(١) عبارة ابن هشام : إنما أنت فينا رجل .

(٢) فى ابن هشام : فخذل عنَّا أن استطعت .

(٣) هكذا ر وفى ابن هشام ، وفى الأصل : فيه .

(٤) ظاهر تموهم : أعنتموهم وساعدتموهم .

(٥) نهزة : فرصة .

(٦) الخف : الابل . الحافر : الخيل

(٧) فى ابن هشام : وهو يوم لا نعمل فيه شيئا .

شديدة البرد ، فجعلت الريح تقلب أبنيتهم[١] ، وتكفأ[٢] قدورهم .

فلما اتصل برسول الله ﷺ اختلاف أمرهم بعث حذيفة بن اليمان ليأتيه بخبرهم ، فأتاهم واستتر فى غِمَارِهم ، وسمع أبا سفيان يقول : يا معشر قريش ليتعرَّفْ كل امرىء منكم جليسَه . قال حذيفة : فأخذت بيد جليسى وقلت : مَنْ أنت ؟ فقال : أنا فلان . ثم قال أبو سفيان : يا معشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام ، ولقد هلك الكُراع[٣] والخفّ وأخلفتنا بنو قُرَيْظَة ولقينا من هذه الريح ما ترون ، ما يستمسك لنا بناء ولا تثبت لنا قدر ولا تقوم/[لنا][٤] نار ، فارتحلوا ، فإنى مرتحل . ووثب على جمله ، فما حلَّ عقال يده[٥] إلا وهو قائم * . قال حذيفة : ولولا عهد رسول الله ﷺ إلىَّ إذ بعثنى ، وقال لى : مُرَّ إلى القوم فاعلمْ ما هم عليه ولا تُحْدِثْ شيئا لقتلته بسهم . ثم أتيت رسول الله ﷺ عند رحيلهم فوجدته قائما يصلِّى ، فأخبرته ، فحمد الله .

٩٥ و

ولما أصبح رسول الله ﷺ وقد ذهب الأحزاب رجع[٦] إلى المدينة ووضع المسلمون سلاحهم ، فأتاه جبريل — ﷺ — فى صورة دِحْيَة بن خليفة الكَلْبىّ على بَغْلَة عليها قطيفة ديباج فقال له : يا محمد إن كنتم قد وضعتم سلاحكم فما وضعت الملائكة سلاحها ، إن الله يأمرك أن تخرج إلى بنى قريظة وإنى متقدم إليهم فمزلزلٌ بهم .

فأمر رسول الله — ﷺ — مناديا ينادى فى الناس : لا يصلينَّ أحدكم العصر إلا فى بنى قريظة . وكان/ سعد بن معاذ إذ أصابه السهم دعا ربَّه ، فقال : اللهم إن كنت أبقيت من حَرْب قريش شيئا فأبْقِنِى لها ، فإنه لا قوم أحبّ [إلى] أن أجاهدهم من قوم كَذَّبوا رسولك وأخرجوه ، اللهم إن كنت وضعتَ الحَرْبَ بيننا وبينهم فاجعلْها لى شهادة ولا تُمِتْنِى حتى تُقِرَّ عينى من بنى قريظة .

٩٥ ظ

---

(١) أبنيتهم : خيامهم .

(٢) تكفأ : تقلب .

(٣) الكراع : الخيل . والخف : الإبل .

(٤) زيادة من ر وابن هشام

(٥) أى يد البعير وكان قد ضربه فوثب به على ثلاث ولم يطلق عقال الرابعة إلا وهو قائم .

* قلت : هذه الريح ، وأما الجنود التى لم يروها ، قال الله سبحانه (فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها) فتلك الجنود الملائكة بعثها الله قبل ، فنفثت فى روعهم الرعب والفشل وفى قلوب المؤمنين القوة والأمل . وقيل : إنما بعثت الملائكة بزجر خيل العدو وإبلهم ، فقطعوا مسيرة ثلاثة أيام فى يوم واحد ناكصين . والحمد لله رب العالمين .

(٦) وكان رجوعه من غزوة الخندق يوم الأربعاء لسبع ليال بقين من ذى القعدة .

غزوة[١] بنى قُرَيظة

فخرج المسلمون مبادرين إلى بنى قريظة ، فطائفة خافوا فوات الوقت فصلُّوا وطائفة قالوا : والله لا صَلَّينا العصر إلا فى بنى قريظة ، فبذلك أمرنا رسول الله ﷺ . ثم علم — ﷺ — باجتهادهم ، فلم يعنِّف واحدا منهم * .

وأعطى رسول الله ﷺ الراية عليَّ بن أبى طالب ، واستخلف على المدينة ابن أمِّ مكتوم . ونهض على وطائفةٌ معه حتى أتوا بنى قريظة ونازلوهم وسمعوا سبَّ رسول الله / فانصرف على إلى رسول الله ﷺ ، فقال له : يا رسول الله لا تبلغ إليهم وعرَّض له . ٩٦ و
فقال له : أظنك سمعت منهم شتمى ، لو رأونى لكفُّوا عن ذلك . ونهض إليهم ، فلما رأوه أمسكوا ، فقال لهم : نقضتم العهد يا إخوة القرود ، أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته ، فقالوا : ما كنت جاهلا يا محمد فلا تجهل[٢] علينا .

ونزل رسول الله ﷺ فحاصرهم بضعا[٣] وعشرين ليلة ، وعرض عليهم سيدهم كعب بن أسد ثلاث خصال ليختاروا أيها شاءوا : إما أن يُسْلموا ويتَّبعوا محمدا على ما جاء به فَيَسْلموا ، قال : وتُحْرِزوا أموالكم ونساءكم وأبناءكم فوالله إنكم لتعلمون أنه الذى تجدونه فى كتابكم . وإما أن يقتلوا أبناءهم ونساءهم ثم يتقدموا فيقاتلوا حتى يموتوا عن آخرهم . وإما أن يبيِّتوا[٤] المسلمين ليلة السبت فى حين طمأنينتهم فيقتلوهم قتلا . فقالوا له : أما الإسلام فلا نسلم ولا نخالف حكم التوراة ، وأما قتل أبنائنا ونسائنا فما جزاؤهم المساكين منا أن نقتلهم ، ونحن لا نتعدَّى [فى] السَّبْت .

---

(١) انظر فى عزوة بنى قريظة ابن هشام ٣ / ٢٤٤ والواقدى ٣٧١ وابن سعد ج ٢ ق ١ ص ٥٣ وانساب الأشراف ١ / ١٦٧ والبخارى ٥ / ١١١ وتاريخ الطبرى ٢ / ٥٨١ وابن حزم ص ١٩١ وابن سيد الناس ٢ / ٦٨ وابن كثير ٤ / ١١٦ والنويرى ١٧ / ١٨٦ والسيرة الحلبية ٢ / ٤٢٧ .

* قلت : فيه دليل على أن كل مجتهد مصيب ، لأنه سوى بين الطائفتين ، ولو كانت أحداهما أصابت والأخرى أخطأت لفصل أهل الصواب وإن لم يعنف أهل الخطأ . (انظر فى ذلك الروض الأنف ٢ / ١٩٥) .

(٢) الجهل هنا بمعنى النزق والسفه أى ضد الحلم .

(٣) قيل خمسا وعشرين ليلة .

(٤) يبيتوهم يأتوهم ليلا .

ثم بعثوا إلى أبى لُبابة ، وكانوا حلفاءَ بنى عمرو بن عوف وسائر الأوس ، فأتاهم ، فجمعوا إليه أبناءَهم ورجالهم ونساءَهم /وقالوا : له يا أبا لُبابة أترى أن ننزل على حكم محمد ؟ فقال : نعم ، وأشار بيده إلى حَلْقه ، إنه الذَّبح إن فعلتم . ثم ندم أبو لبابة فى الحين ، وعلم أنه خان الله ورسوله ، وأنه أمرٌ لا يستره الله عن نبيه ﷺ . فانطلق إلى المدينة – ولم يرجع إلى النبى ﷺ – فربط نفسه فى سارية[1] ، وأقسم لا يبرح مكانه حتى يتوب الله عليه . فكانت امرأته تحلُّه لوقت كل صلاة . قال ابن عُيينَة وغيره : فيه نزلت : (يأيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم) . وأقسم أن لا يدخل أرض بنى قريظة أبدا ، مكانا أصاب فيه الذم[2] . فلما بلغ ذلك النبى من فعل أبى لبابة قال : أما إنه لو أتانى لاستغفرت له ، وأما إذ فعل فلست أطلقه حتى يطلقه الله ، فأنزل الله تعالى فى أمر أبى لُبابَة : (وآخرون اعترفوا بذنوبهم – الآية) فلما نزل فيه القرآن أَمر رسول الله – ﷺ – بإطلاقه * .

٩٦ ظ

ونزل – فى تلك الليلة التى فى صبيحتها نزلت بنو قريظة على حكم رسول الله ﷺ – ثعلبة ، وأُسيد[3] ابنا سَعْيَة ، وأسد بن عبيد ، وهم نفر من هَدْل بنى عمٍّ قريظة والنَّضير وليسوا من قريظة والنَّضير ، نزلوا مسلمين ، فأحرزوا أموالهم وأنفسهم . وخرج فى تلك الليلة عمرو بن سُعْدى [القُرَظىّ][4] ومرَّ بحرس رسول الله ﷺ وعليه محمد بن مسلمة

---

(١) سارية : عمود من أعمدة المسجد .

(٢) اختلف فى السبب الذى من أجله صنع أبو لبابة ما صنع ندما وطلبا للمغفرة ، فقيل كما هنا بسبب حادثته مع بنى قريظة وقيل لأنه تخلف عن غزوة تبوك فنزلت فيه الآية : (وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا) نظر الاستيعاب ص ٦٧٥ .

* قلت . وإنما أطلقه النبى ﷺ بهذه الآية لأن الله تعالى قال : (عسى الله أن يتوب عليهم) وعسى من الله واجبة ، وجاء فى الخبر أنه لما نزلت توبته جاءت فاطمة تحله ، فقال : إنى حلفت أن لا يحلنى إلا رسول الله ﷺ فقال النبى ﷺ حينئذ : فاطمة بضعة (قطعة) منى . (وفى رواية أخرى فى صحيح مسلم بشرح النووى : ومضغة منى) فإن قلت : فلو اتفق مثل ذلك هل كان الحالف يبر بفعل ذلك المحلوف عليه ؟ قلت : لا ، إما لأن هذا خاص ، وإما لأن فاطمة بضعة من الرسول ﷺ قطعا لأنه حرسها الوحى ، وأما ولد غير الأنبياء فلا يقطع بأنه ابن أبيه ، وان طابقه والله متولى السرائر ، ولهذا قال عبد الله بن سلام لما نزل قوله تعالى : (يعرفونه كما يعرفون أبناءهم) : والله إنى لأعرفه أكثر مما أعرف ابنى لأنى أعرفه يقينا بالمعجزات والآيات ، وأما ابنى فلا أدرى ما صنع النساء . رجع الكلام .

(٣) بفتح الهمزة وكسر السين عند أكثر الرواه وبفتحها مع ضم الهمزة عند نفر منهم .

(٤) زيادة من ابن هشام .

وكان قد أَبى أَن يدخل فيما دخل فيه بنو قريظة وقال : لا أَغْدر بمحمد أَبدا ، فقال له محمد بن مسلمة إذ عرفه : اللهم لا تَحْرمنى إقالة عثرات الكرام . فخرج على وجهه حتى بات فى مسجد النبى ﷺ ثم ذهب فلم يُرَ بعدُ/ولم يُعْلَمْ حيث سقط . وذُكر – لرسول الله ﷺ – أَمره ، فقال : ذلك رجل نجّاه الله بوفائه .

٩٧ ظ

فلما أَصبح بنو قريظة نزلوا على حكم رسول الله ﷺ ، فتواثب الأَوس إلى رسول الله ﷺ وقالوا : يا رسول الله قد علمت أَنهم حلفاؤنا ، وقد شفَّعت عبد الله بن أُبَىّ بن سَلول فى بنى قَيْنُقَاع[1] حلفاء الخزرج ، فلا يكنْ حظُّنا أَوكس وأَنقص عندك من حظ غيرنا ، فهم موالينا . فقال لهم رسول الله ﷺ : يا معشر الأَوس أَلا ترضون أن يحكم فيهم رجل منكم ؟ قالوا : بلى ، قال : فذلك إلى سعد بن معاذ . وكان رسول الله – ﷺ – قد ضرب له خيمة فى المسجد ، ليعوده من قريب فى مرضه من جرحه الذى أَصابه فى الخندق . فلما حكّمه رسول الله ﷺ فى بنى قُرَيْظَةَ أَتاه قومه فاحتملوه على حمار ، وقد وطَّئوا له بوسادة من أَدَم وكان رجلا جسيما . ثم أَقبلوا معه إلى رسول الله ﷺ وأَحاطوا به فى طريقهم يقولون : يا أَبا عمرو أَحْسِنْ فى [مواليك] فإنما ولأَّك رسول الله ﷺ ذلك لتحسن إليهم ، فقال لهم : قد آن لسعد أَن لا تأْخذه فى الله لومةُ لائم . فرجع بعضُ من معه إلى ديار بنى عبد الأَشهل فنَعى إليهم /رجال بنى قريظة . فلما أَطلَّ سعد على النبى ﷺ قال للأَنصار : قوموا إلى سيدكم * فقام المسلمون ، فقالوا يا أَبا عمرو إن رسول الله ﷺ – قد ولأَّك أَمر مواليك لتحكم فيهم ، فقال سعد : عليكم بذلك عهد الله وميثاقه : أَنَّ الحكم فيهم ما حكمتُ[2] ؟ قالوا : نعم ، قال : وعلى مَنْ هنا ؟ من[3] الناحية التى فيها

٩٨ و

---

(١) هكذا فى جميع المصادر وفى الأصل ور بنى النضير .

* قلتُ : واختلف فى إطلاق السيد فى حق الخلق فقيل : لا يجوز ، وجاء فى الحديث أنهم قالوا له عليه السلام : يا سيدنا ، فقال : إنما السيد الله . وقيل يجوز لحديث سعد هذا . وكذلك اختلف فى جواز إطلاقه فى حق الله تعالى ، فأجازه قوم لقوله : إنما السيد الله . ونقل عن مالك منعه ولم يصحح سند الحديث المتقدم . وقال بعضهم : السيد أحد ما يضاف إليه ، فلا تقول لتميمى إنه سيد كندة ، وإنما سيد كندة أحدهم . قال : فعلى هذا يحمل المنع فى حقه تعالى إذا أطلق ، حيث لا يجوز الدخول فى الإضافة فلا تقول : الله سيد الناس . ويجوز أن تقول الله سيد الأرباب وسيد الكرماء ! والله أعلم .

(٢) هكذا فى ر وابن هشام ، وفى الأصل : أن أحكم فيهم ما حكمت .

(٣) فى ابن هشام : فى .

رسول الله ﷺ ، وهو معرض عن رسول الله إجلالاً له . فقال له رسول الله ﷺ : نعم . قال سعد : فإنى أحكم فيهم أن يُقتَل الرِّجال وتُسْبى الذَّراى[١] والنِّساء ، وتقسم الأموال /فقال له رسول الله ﷺ : لقد حكمت فيهم بحكم الله تعالى من فوق سبعة أرقعة[٢] وأمر بهم رسول الله فأُخْرِجوا إلى موضع [سوق[٣] المدينة] فَخَنْدَق بها خنادق ، ثم أَمر بهم النبى عليه السلام فضُربت أَعناقهم فى تلك الخنادق* وقتل يومئذ حُيَىّ بن أخطب وكعب بن أَسد . وكانوا من /السمّائة إلى السبعمائة . وقُتل من نسائهم امرأَة ، وهى بُنانة امرأَة الحكم القُرَظىّ التى طرحت الرَّحَى على خلاد[٤] بن سويد ، فقتلته** .

٩٨ ظ

٩٩ و

وأمر رسول الله ﷺ – بقتل كل من أَنبت[٥] منهم وترك كل من لم ينبت : وكان عطية القُرَظىّ من جملة مَنْ لم يُنْبِت فاستحياه رسول الله ﷺ وهو مذكور فى الصحابة . ووهب رسول الله ﷺ لثابت بن قيس بن الشماس ولد الزَّبير[٦] بن بَاطَا ، فاستحياهم ، منهم عبد الرحمن بن الزَّبير أَسلم وله صُحْبة ووهب أَيضا – عليه السلام – رفاعة ابن سَمَوْءَل[٧] القُرَظىّ لأُم المنذر سلمى[٨] بنت قيس أخت سليط بن قيس من بنى

---

(١) الذرارى : الأولاد الذين لم يبلغوا الحلم .

(٢) الأرقعة : جمع رقيع ، وهى السموات ، سميت كذلك لأنها مرقوعة بالنجوم . ولوحظ فى الأرقعة التذكير لذلك جىء معها بالعدد مؤنثا ، وكأنما المراد بها السقوف جمع سقف .

(٣) زيادة من ر وابن هشام .

* قلت : استدل بعضهم بهذا الحديث على صحة القول بأن لله تعالى فى كل واقعة حكما معينا ، من أصابه فقد أصاب الحق ومن أخطأة فقد أخطأ الحق خلافا للقائلين : كل مجتهد مصيب ولا حكم لله فى الواقعة إلا ما ظنه المجتهد . أجاب الآخرون عن هذا الحديث بأن هذه المسألة لم تكن ظنية ، بل كان وجوب قتل هؤلاء قطعيا وكان ذنبهم أعظم ‍ن يغفر أو يكفر أو يقبل (فيه) الإقالة . ولا خلاف بين الطوائف أن المسائل القطعية لله تعالى فيها حكم معين . ‍ت : والظاهر أن لاعذر بذلك ، بل كانت المسألة ظنية اجتهادية ولهذا كان غير سعد من الأوس يرى العفو عنهم وقد عرّضوا لسعد بذلك فلم يقبل منهم ، ولا يظن بالأوس بجملتهم أنهم أخطأوا الصواب القطعى فدل أنه اجتهاد وفق فيه سعد .

(٤) فى ر : خالد ، وكان ذلك فى أثناء معركة بنى قريظة ألقت الرحى عليه من أحد آطامهم .

** قلت : فيه دليل على ، الذمية إذا قاتلت فى الحرب فقتلت قتلت ، وفيه خلاف ، ويحتمل أن يقال قتلت وهى فى العهد وليست مسألة الخلاف ، لأن الذمية تقتل بالمسلم .

(٥) أنبت : اخضرت ذقنه . (٦) كانت له على ثابت يد فى الجاهلية .

(٧) فى بعض المصادر : شمويل . (٨) هى إحدى خالات رسول الله ﷺ وكان لاذ بها رفاعة .

النجار ، وكانت قد صلَّت القبلتين . فأَسلم رفاعة ، وله صحبة ورواية .

وقسَم عليه السلام أَموال بنى قريظة ، فأَسهم للفارس ثلاثة أَسهم وللراجل سهما ، وقد قيل للفارس سهمان وللراجل سهم . وكانت الخيل للمسلمين يومئذ ستة وثلاثون فرسا ، ووقع للنبى من [سَهْمِهِ]/ ريحانة بنت عمرو بن خُناقة إحدى بنى عمرو بن قُرَيْظَة ، فلم تزل عنده إلى أَن مات ﷺ . وقيل : إن غنيمة قريظة هى أَول غنيمة قُسم فيها للفارس والراجل وأَول غنيمة جُعل فيها الخمس [لله ورسوله] وقد تقدم أَن أَول ذلك كان فى بعث عبد الله بن جحش : والله أَعلم . وتهذيب ذلك أن تكون غنيمة بنى قريظة أول غنيمة فيها الخمس بعد نزول قوله تعالى : (واعلموا أنما غنمتم من شىء فأن لله خمسه) وكان عبد الله قد خمس قبل ذلك فى بعثه[١] ثم نزل القرآن بمثل فعله ، وذلك من فضائله رحمة الله عليه . وقد ذكرنا خبره فى بابه من كتاب الصحابة .

٩٩ ظ

وكان فتح بنى قريظة فى آخر ذى القعدة وأَول ذى الحجة من السنة الخامسة من الهجرة فلما تمَّ أمر بنى قريظة أجيبت دعوة الرجل الصالح سعد بن معاذ فانفجر جرحه ، وانفتح عرقه ، فجرى دمه ومات ، رضى الله عنه . وهو الذى أَتى الحديث فيه أنه اهتز لموته عرش الرحمن يعنى سكان العرش من الملائكة ، فرحوا بقدوم روحه واهتزوا له .

ذكر من استُشْهِدَ/من المسلمين يوم الخندق

١٠٠ و

سعد بن معاذ أَبو عمرو من بنى عبد الأَشهل ، وأَنَس بن أَوس بن عَتيك ، وعبد الله ابن سهل وكلاهما أَيضا من بنى عبد الأَشهل ، والطُّفَيْل بن النعمان ، وثعلبة[٢] بن عَنَمة وكلاهما من بنى سَلِمة ، وكعب بن زيد من بنى دينار بن النجار أَصابه سهم غَرْبٌ[٣] فقتله[٤]

---

(١) انظر ص ١٠٠

(٢) هكذا فى جميع المصادر والاستيعاب ، وفى الأصل ، الطفيل بن عنمة ، وقد قتل ثعلبة هبيرة بن أبى وهب .

(٣) سهم غرب : لا يعرف من أين أتى ، ويقال : قتله ضرار بن الخطاب الفهرى .

(٤) فى ابن سيد الناس ٢ / ٦٧ أن الحافظ عبد المؤمن الدمياطى ذكر فى شهداء الخندق قيس بن زيد بن عامر بن سواد من بنى ظفر وقال إنه حضر الخندق ومات هناك . وذكر أيضا عبد الله ابن أبى خالد من بنى عبد الأشهل وقال : قتل يوم الخندق شهيدا ، ذكره ابن الكلبى .

ذكر من قُتل من المشركين يوم الخندق

وأُصيب من المشركين يوم الخندق : منبِّه بن عثمان بن عُبَيْد بن السبَّاق بن عبد الدار أَصابه سهم مات منه بمكة وقد قيل إنما هو عثمان بن أُمية بن منبه بن عبيد بن السباق ، ونوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومى اقتحم الخندق فقُتل فيه ، وعمرو بن عبد وَدٍّ قتله علىٌّ مبارزة [١] .

[شهداءُ يوم قريظة]

واستشهد من المسلمين يوم قريظة : خَلَّاد بن سُوَيْد بن ثعلبة بن عمرو من بنى الحارث ابن الخزرج طرحت عليه امرأة من بنى قريظة رحًى فقتلته . ومات فى الحصار أَبو سنان [٢] ابن مِحْصَن ، فدفنه رسول الله ﷺ – فى مقبرة بنى قريظة الّتى يتدافن فيها المسلمون السكان بها اليوم . ولم يُصَب غير هذين . ولم يَغْزُ كفار قريش المسلمين بعد الخندق [٣] .

بَعْثُ [٤] عبد الله بن عَتِيك
إلى قتل [٥] أَبى رافع سَلام بن أَبى الحُقَيْق / اليهودى

١٠٠ ظ

و [٦] انقضى شأن الخندق وقريظة . وكان أَبو رافع سلام بن أَبى الحقيق ممن حزَّب الأحزاب وألَّب على رسول الله ﷺ وكانت الأوس قبل أُحد قد قتلت كعب بن الأشرف

---

(١) ويقال إن عليًّا قتل أيضا حسل بن عمرو بن عبد ود .

(٢) من بنى أسد بن خزيمة .

(٣) ويقال أن رسول الله ﷺ قال – بعد انصراف الأحزاب – لأصحابه : لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا ولكنكم تغزونهم . فكان كذلك .

(٤) انظر فى هذا البعث ابن هشام ٣ / ٢٨٦ وابن سعد ج ٢ ق ١ ص ٦٦ والمحبر لابن حبيب ص ٢٨٢ والطبرى ٢ / ٤٩٣ وابن حزم ص ١٩٨ وابن سيد الناس ٢ / ٨٠ وابن كثير ٤ / ١٣٧ والنويرى ١٧ / ١٩٧ .

(٥) هكذا فى ر وابن هشام ، وفى الأصل : فى قتل عبد الله بن أبى رافع وهو سهو من الناسخ .

(٦) فى الأصل ور : ولما ، ولا جواب لما . وقد تابع ابن عبد البر ابن هشام فى جعل هذا البعث بعد غزوة بنى قريظة فيكون فى ذى الحجة من سنة خمس للهجرة ، وقال ابن سعد أنه كان فى شهر رمضان من سنة ست

فى عداوته رسول الله ﷺ ، وكانت الأوس والخزرج يتصاولان تصاول الفحول ، لا تصنع الأوس شيئا فيه – عن رسول الله ﷺ – غناء إلا قالت الخزرج : والله لا يذهبون بذلك فضلا علينا [ولا ينتهون حتى (١) يوقعوا مثله] . وإذا فعلت الخزرج شيئا كفضل فى الإسلام أو برٍّ عند النبى ﷺ قالت الأوس مثل ذلك . فتذاكرت الخزرج مَنْ فى العداوة لرسول الله ﷺ – كابن الأشرف ، فذكروا ابن أبى الحُقَيْق ، واستأذنوا رسول الله ﷺ – فى قتله ، فأذن لهم .

فخرج إليه خمسة نفر من الخزرج كلهم من بنى سَلِمة ، وهم : عبد الله بن عَتِيك ، وعبد الله بن أُنَيْس ، وأبو قتادة بن رِبْعِى ، ومسعود بن سِنان ، وخُزَاعِىّ بن أسود حليف لهم من أسلم . وأمرَّ عليهم رسول الله ﷺ عبد الله بن عَتيك ، ونهاهم عن قتل النساء والصبيان . فنهضوا حتى أتوا خيبر ليلا ، وكان سَلام فى حصنه ساكنا فى دار مع جماعة وهو فى عِلِّيَّة (٢) منها ، فاستأذنوا عليه ، فقالت / امرأته : من أنتم ؟ فقالوا : أُناس من العرب يطلبون الميرة (٣) فقالت لهم : هَـٰذَاكم صاحبكم ، فادْخلوا . فلما دخلوا أغلقوا الباب على أنفسهم ، فأيقنتْ بالشر وصاحت ، فهمُّوا بقتلها ، ثم ذكروا نَهْىَ النبى – ﷺ – عن قتل النساء والوِلْدَان ، فأمسكوا عنها . ثم تعاوروه بأسيافهم وهو راقد على فراشه ، أبيض فى سواد الليل كأنه قُبْطية (٤) ، ووضع عبد الله بن عَتيك سيفه فى بطنه حتى أنفذه ، وهو يقول : قَطْنى (٥) قَطْنى . ثم نزلوا .

١٠١ و

وكان عبد الله بن عَتِيك سيِّئَ (٦) البصر ، فوقع (٧) ، فَوَثِئتْ (٨) رجله وَثْئًا شديدا ، فحمله أصحابه حتى أتوا مَنْهَرًا (٩) من مناهرهم فدخلوا فيه ، واستتروا . وخرج أهل

---

(١) زيادة من ابن هشام .
(٢) العلية : الغرفة العليا فى البيت .
(٣) الميرة : جلب الطعام .
(٤) القبطية : ثياب بيض من كتان تصنع بمصر .
(٥) قطنى : كفانى .
(٦) هكذا فى ابن هشام والمصادر الأخرى ، وفى الأصل ور : ضرير البصر .
(٧) فى ابن هشام : فوقع من الدرجة .
(٨) وثئت : صدعت صدعا شديدا لا يبلغ الكسر .
(٩) المنهر : فضاء بين أفنية القوم يلقون فيه فضلاتهم أوكناساتهم .

الآطام لصياح امرأته وأوقدوا النيران فى كل جهة ، فلما يَئِسوا رجعوا [١] . فقال أَصحاب ابن عَتيك كيف لنا أَن نعلم أَن عدو الله قد مات ؟ فرجع أَحدهم ، فدخل بين الناس ، فسمع امرأَة ابن أَبى الحُقَيْق تقول : والله لقد سمعت صوت ابن عَتيك ، ثم [أَكذبت [٢] نفسى] وقلتُ : أَنَّى ابن عَتِيكٍ بهذه البلاد ! . قال : ثم إِنها نظرت فى وجهه ، فقالت : فاظ [٣] وإِله يهودَ .

قال : فسُرِرت ، وانصرفت إِلى أَصحابى ، فأَخبرتهم بذلك .

فرجعوا إِلى رسول الله ﷺ ، فأَخبروه ، وتداعوا [٤] فى قتله ، فقال رسول الله ﷺ : هاتوا أَسيافكم / فأَروه إِياها ، فقال عليه السلام عن سيف عبد الله بن أُنَيْس : هذا قتله [٥] ، أَرى فيه أَثر الطعام . وحديثُ البراء بن عازب فى قتل ابن أَبى الحُقَيْق بخلاف هذا المساق ، والمعنى واحد .

١٠١ ظ

غزوة بنى لِحْيان [٦]

وأَقام رسول الله ﷺ – بالمدينة بعد فَتْح بنى قريظة بقية ذى الحجّة والمحرّم وصَفَرًا وربيعا الأَول وربيعا الآخر ، وخرج عليه السلام ، فى جمادى [٧] الأُولى فى الشهر السادس من فتح بنى قريظة وهو الشهر الثالث من السنة السادسة من الهجرة ، قاصدا إِلى بنى لِحْيان [٨] ، مطالبا بثأر عاصم بن ثابت وخُبَيْب بن عَدِى وأَصحابهما المقتولين بالرَّجيع .

---

(١) فى ابن سعد : أنه خرج فى أثرهم الحارث أبو زينب فى ثلاثة آلاف يطلبونهم بالنيران فلم يروهم ، فرجعوا ، ومكث القومُ فى مكانهم حتى سكن الطلب .

(٢) زيادة من ابن هشام ، وهى من حديث امرأة ابن أبى الحقيق .

(٣) فاظ : مات .

(٤) تداعوا : ادعى كل منهم أنه قاتله .

(٥) فى النويرى ، عن الحافظ الدمياطى : فى حديث آخر أن الذى قتله عبد الله بن عتيك وحده ، وهو الصواب

(٦) انظر فى غزوة بنى لحيان ابن هشام ٢٩٢/٣ والواقدى ٣٧٤ وابن سعد ج ٢ ق ١ ص ٥٦ والطبرى ٩٥٥/٢ وابن حزم ص ٢٠٠ وابن سيد الناس ٨٣/٢ وأنساب الأشراف ١٦٧/١ وابن كثير ٨١/٤ والنويرى ٢٠٠/١٧ .

(٧) فى ابن سعد : لغرة هلال شهر ربيع الأول سنة ست . وقد استعمل على المدينة فى هذه الغزوة ابن أم مكتوم .

(٨) قبيلة هذلية : وكانت هى التى قتلت عاصما وبعض أصحابه وأسرت الباقين كما مر بنا فى بعث الرجيع .

فسَلَك عليه السلام على طريق الشام[1] من المدينة على جبل يقال له غُراب ، ثم أخذ ذات الشمال ، ثم سلك المحجّة من طريق مكة ، فأغذَّ[2] السير حتى أتى وادى غُران بين أَمَجٍ وعُسْفان[3] ، وهى منازل[4] بنى لحيان ، فوجدوهم قد حَذِروا وتمنّعوا فى رءوس الجبال . فتمادى رسول الله ﷺ – فى مائتى راكب حتى نزل عُسْفان . وبعث ﷺ رجلين من أصحابه فارسين حتى بلغا كُراع[5] الغميم ، ثم كرّا ورجعا ، ورجع ﷺ قافلا إلى المدينة .

وفى غزوة بنى لحيان قالت الأنصار : المدينة خاليةٌ منا وقد بعدنا عنها ولا نأمن عدوا يخالفنا إليها ، فأخبرهم رسول الله ﷺ /أن على أنقاب المدينة ملائكة ، على كل نقب منها ملك يحميها بأمر الله عزَّ وجَلَّ . ١٠٢ و

غزوة[6] ذى قَرَد[7]

ولما انصرف رسول الله ﷺ عن بنى لحيان لم يبق بالمدينة [إلا ليالى[8] قلائل حتى أغار] عُيَيْنة بن حِصْن فى بنى عبد الله بن غطفان ، فاكتسحوا لِقاحا[9] كانت لرسول الله ﷺ بالغابة[10] ، وكان فيها رجل[11] من بنى غِفار وامرأة له ، فقتلوا الغِفارى ، وحملوا المرأة واللِّقاح .

---

(١) أى أنه أظهر أنه يريد الشام حتى لا تعرف وجهته .

(٢) أغذ السير : أسرع .

(٣) عسفان : على مرحلتين من مكة .

(٤) حيث كان مصاب عاصم وأصحابه .

(٥) كراع الغميم : موضع جنوبى عسفان إلى مكة . وإنما صنع ذلك حتى تسمع بتلك الغزوة قريش فيملؤها الذعر ، وفى ابن سعد : أنه بعث أبا بكر فى عشرة فوارس ، فأتوا الغميم ثم رجعوا ولم يلقوا أحدا .

(٦) انظر فى غزوة ذى قرد ابن هشام ٢٩٣/٣ وابن سعد ج ٢ ق ١ ص ٥٨ وصحيح البخارى ١٣٠/٥ وصحيح مسلم بشرح النووى ١٧٣/١٢ وأنساب الأشراف ١٦٧/١ والطبرى ٥٩٦/٢ وابن حزم ص ٢٠١ وابن سيد الناس ٨٤/٢ وابن كثير ١٠٥/٤ والنويرى ٢٠١/١٧ .

(٧) قرد بفتح القاف والراء وقيل بضمها . وذو قرد : ماء على نحو بريد من المدينة مما يلى بلاد غطفان ، وقيل على مسافة يوم منها .

(٨) زيادة من ر وابن هشام ، وعند ابن سعد أن هذه الغزوة كانت فى ربيع الأول .

(٩) لقاح : جمع لقحة وهى الناقة ذات اللبن القريبة العهد بالولادة أو هى الحاملة ذات اللبن .

(١٠) الغابة : موضع شمالى المدينة .

(١١) فى ابن سعد أن هذا الرجل الغفارى ابن لأبى ذر واسم امرأته ليلى .

وكان أول من أنذرهم [١] سَلَمة بن عمرو بن الأكوع الأسلمى كان ناهضا إلى الغابة ، فلما علا ثنيّة الوداع نظر إلى خيل الكفار وأنذر المسلمين ، ثم نهض فى آثارهم ، فأبلى بلاءً عظيما حتى استنقذ أكثر ما فى أيديهم . ووقعت الصيحة بالمدينة ، فكان أول من جاء إلى النبى ﷺ فى حين الصيحة المقداد بن الأسود ، ثم عبَّاد بن بشر ، وسعد بن زيد الأشهليان ، وأُسَيد بن ظُهَيْر الأنصارى ، وعُكَّاشة بن مِحْصَن الأسدى ، ومُحْرز بن نَضْلة [٢] الأسدى الأخْرم ، وأبو قتادة الحارث بن رِبْعى ، وأبو عيَّاش الزُّرَقىّ واسمه عبيد بن زيد بن صامت . فلما اجتمعوا أمَّر رسول الله ﷺ [عليهم] سعد [٣] بن زيد . وقيل إن رسول الله — ﷺ — أعطى فرس أبى عياش الزُّريق معاذَ بن ماعص أو عائذ بن ماعص وكان أحكم للفروسية من أبى عياش .

١٠٢ ظ

فأول من لحق بهم محرز بن نَضْلة الأخرم فقُتل ، رحمه الله ، قتله عبد/الرحمن بن [عُيينة [٤] بن] حصن وكان على فرسٍ لمحمود بن مسلمة أخى محمد بن مسلمة أخذه وكان صاحبه غائبا ، فلما قُتل رجع الفرس إلى آرِيِّه [٥] فى بنى عبد الأشهل ، وقيل : بل أخذ الفرس عبد الرحمن بن عُيينة إذ قتل محرز بن نضلة عليه ، وركبه . ثم قتل سلمة بن الأكوع عبد الرحمن بن عيينة بالرَّمْى فى خرجته تلك واسترجع الفرس وخرج رسول الله — ﷺ — على فَرَسٍ لأبى طلحة ، وقال : إن وجدته لبحرا . وانهزم المشركون ، وبلغ رسول الله ﷺ — ماءً يقال له ذو قَرَد ، ونحَر ناقة من لقاحه المسترجعة ، وأقام على ذلك الماء يوما وليلة . وكان الفضل فى هذه الغزاة والفعل الكريم والظهور والبلاء الحسن لسلمة بن الأكوع ، وكلهم ما قصَّر [٦] ، رضى الله عنهم .

وكان المشركون قد أخذوا ناقة رسول الله ﷺ : العَضْباء [٧] فى غارتهم تلك على

---

(١) هكذا فى الأصل ، وفى المصادر الأخرى ، نذر بهم : أى عرفهم .

(٢) ويروى : نضلة بفتح النون والضاد . والأخرم لقبه .

(٣) قيل : بل المقداد كان أميرهم وهو قول ضعيف .

(٤) زيادة من ر ، و يدل عليها ما بعدها وفى بعض الروايات أن اسم قاتله مسعدة الفزارى وقيل بل اسمه أوبار

(٥) آريه . مربطه .

(٦) ويقال : قتل أبو قتادة مسعدة الفزارى ، وقتل المقداد حبيب بن عيينة بن حصن وقرفة بن مالك بن حذيفة ابن بدر . وقتل عكاشة بن محصن أوبارا وابنه .

(٧) ويقال إنهم أخذوا معها تسعا من لقاح الرسول ﷺ .

سَرْح (١) المدينة ونَجَوْا بها وبتلك المرأة الغِفارية الأَسيرة امرأة الغفارى المقتول وقد قيل إنها لم تكن امرأة الغفارى المقتول وإنما كانت امرأة أبى ذر ، والأول قول ابن إسحق وأهل السِّيَر . قال : فنام القوم ليلة وقامت المرأة فجعلت لا تضع شيئا على بعير إلا رَغَا ، حتى أتت العَضْباء ، فإذا ناقة ذلول ، فركبتها ونذرت إن نجَّاها الله عليها لتنحرنَّها . فلما قدمت المدينة عُرفت ناقة النبى ﷺ / فأُخْبِرَ بذلك ، فأرسل إليها ، فجيء بها وبالمرأة ، فقالت : يا رسول الله نذرت إن نجَّانى الله أن أنْحرها ، فقال رسول الله ﷺ : بئس ما جزيتها ، لا وفاء لنذر فى معصية الله ولا فيما لا يملك ابن آدم . وأخذ ناقته ﷺ .

١٠٣ و

غزوة (٢) بنى المُصْطَلِق من خُزَاعة

ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة باقى جمادى الأولى ورجبا ، ثم غزا بنى المُصْطَلَق فى [شعبان (٣) من] السنة السادسة من الهجرة ، واستعمل على المدينة أبا ذرٍّ الغِفارى ، وقيل : بل نُمَيْلة (٤) بن عبد الله الليثى . وأغار رسول الله ﷺ على بنى المُصْطلق وهم غارّون (٥) وهم على ماء يقال له : المُرَيْسِيع (٦) من ناحية قُدَيْد (٧) مما يلى الساحل ، فقتل من قتل [منهم] وسَبى النساء والذُّرِّيَّة . وكان شعارهم يومئذ ، أمت وقد قيل إن بنى المصطلق جمعوا لرسول الله ﷺ ، فلما بلغه ذلك خرج إليهم ، فلقيهم على ماء يقال له المُرَيسيع ، فاقتتلوا ، فهزمهم الله . والقول الأول أصح : أنه أغار عليهم وهم غارُّون .

ومن ذلك السَّبْى جُوَيْرِيَة بنت الحارث بن أبى ضِرار سيد بنى المُصْطلق وقعت فى سهم ثابت بن قيس بن شَمَّاس ، فكاتبها ، فأدَّى عنها رسول الله ﷺ ، فأعتقها

(١) السرح : الابل والغنم والراعية المرسلة

(٢) انظر فى غزوة بنى المصطلق — وتسمى غزوة المريسيع — ابن هشام ٣٠٢/٣ والواقدى ٣٨٠ وابن سعد ج ٢ ق ١ ص ٤٥ وصحيح البخارى ١١٥/٥ والطبرى ٦٠٤/٢ وأنساب الأشراف ٦٤/١ وابن حزم ص ٢٠٣ وابن سيد الناس ٩١/٢ وابن كثير ١٥٦/٤ والنويرى ١٦٤/١٧ والسيرة الحلبية ٣٦٤/٢ .

(٣) زيادة من ر وابن هشام .

(٤) وقيل : زيد بن حارثة .

(٥) غارون : غافلون .

(٦) ماء لبنى المصطلق بينه وبين الفرع نحو من يوم وبين الفرع والمدينة ثمانية برد .

(٧) قديد : قرية كانت لخزاعة كثيرة البساتين . على الطريق من المدينة إلى مكة

وتزوّجها . وشهدت عائشة – رضى الله عنها تلك الغَزاة ، قالت : ما هو إلا أن وقفت جُوَيْرِيَة بباب الخِباء تستعين رسول الله ﷺ فى كتابتها ، فنظرت إليها فرأيت على وجهها ملاحة/وحسنا ، فأيقنت أن رسول الله ﷺ إذا رآها أعجبته ، فما هو إلا أن كلّمته ، فقال لها رسول الله ﷺ : أو خير من ذلك أن أؤدى كتابتك وأتزوجك . قالت : وما رأيت أعظم بركة على قومها منها ، فما هو إلا أن علم المسلمون أن رسول الله – ﷺ – تزوجها ، فأعتقوا كل ما بأيديهم من سَبْى بنى المصطلق وقالوا أصهار رسول الله ﷺ[١] ، وأسلم سائر بنى المصطلق .

١٠٣ ظ

وقد اختلف فى وقت هذه الغزاة ، قيل : كانت قبل الخندق وقريظة[٢] ، وقيل : كانت بعد ذلك وهو الصواب إن شاء الله . وقُتل فى هذه الغَزاة هشام بن صُبابة اللَّيثى خطأً ، أصابه رجل من الأنصار من رهط عبادة لم يعرفه ، وظنه من المشركين[٣] .

وفى هذه الغَزاة قال عبد الله بن أُبَىّ بن سَلول : (لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعزُّ منها الأذلَّ) وذلك لِشرٍّ وقع بين جَهْجاه بن مسعود الغِفارى – وكان أجيرا لعمر بن الخطاب رضى الله عنه – وبين سنان بن وَبر[٤] الجُهَنىّ حليف بنى عوف بن الخزرج ، فنادى جهجاه الغفارى : يا للمهاجرين ، ونادى الجُهَنى : يا للأنصار[٥] . وبلَّغ زيد بن أرْقم رسول الله – ﷺ – مقالة عبد الله بن أُبَىّ بن سَلول ، فأنكرها ابن أُبَىّ ، فأنزل الله عز وجلّ [فيه] سورة المنافقين ، فقال رسول الله ﷺ لزيد بن أرقم : وفَتْ أُذُنك يا غلام[٦] ، وأخذ بأذنه . وتبرّأ عبد الله بن عبد الله بن أُبَىّ من فعل أبيه وأتى رسول الله ﷺ فقال له : يا رسول الله أنت – والله – العزيز وهو الذليل ، أو قال : أنت الأعز وهو

---

(١) واضح أن اقتران الرسول بجويرية لم يكن لجمالها كما ظنت السيدة عائشة ، وإنما كان سياسة منه ليعتق المسلمون من بأيديهم من نساء القوم وليستعطف عشائرهم حتى يدخلوا فى الإسلام وفعلا دخلوا فيه وتمت عليهم نعمة ربهم .

(٢) هو قول ابن سعد إذ ذكر أنها كانت فى شعبان سنة خمس من الهجرة لليلتين خلتا منه ، بينما ذكر أن غزوة الخندق كانت فى ذى القعدة من نفس السنة .

(٣) فى هذه الغزوة نزلت آية التيمم ، انظر ابن سيد الناس ١٠٢/٢ – ١٠٣ .

(٤) فى الاستيعاب ص ٥٨١ سنان بن تيم ويقال ابن وبر ، وكان سبب الشر ازدحامها على الماء .

(٥) فى الصحيح أن الرسول ﷺ وسلم لما سمع بهذا التنادى وتلك الدعوة قال . دعوها فإنها منتنة يعنى أنها خبيثة لأنها من دعوى العصبية الجاهلية وقد جعل الله المؤمنين أخوة وحزبا واحدا وأمة واحدة .

(٦) كان غلاما حدثا ، فقال بعض الأنصار لرسول الله حدبا على ابن أبى ودفعا عنه : عسى أن يكون الغلام وهم فى حديثه

الأَذل ، وإن شئت – والله – لنخرجنه من المدينة . وقال سعد[1] بن عُبادة : يا رسول الله إن هذا رجل يحمله حسده على النفاق ، فدعْه إلى عمله ، وقد كان قومه على أَن يتوِّجوه بالخرز قبل قدومك المدينة ويقدموه على أَنفسهم ، فهو يرى أَنك نزعتَ ذلك منه ، وقد خاب وخسر إن كان يضمر خلاف ما يظهر ، وقد أَظهر الإِيمان فكِلْه[2] إلى ربه . وقال عبد الله بن عبد الله بن أُبى بن سَلول : يا رسول / الله بلغنى أَنك تريد قتل أَبى فإن كنت تريد ذلك فمُرْنى بقتله ، فوالله إن أَمرتنى بقتله لأَقتلنه ، وإنى أَخشى يا رسول الله ﷺ إن قتله غيرى أَن لا أَصبر عن طلب الثأْر فأَقتل به مسلما – فأَدخل النار ، وقد علمت الأَنصار أَنى من أَبرِّ أَبنائها بأَبيه ، فقال له رسول الله – ﷺ – خيرا ، ودعا له ، وقال له : برَّ أَباك ولا يرى منك إلا خيرا * . فلما وصل رسول الله – ﷺ – والمسلمون إلى المدينة من تلك الغزاة وقف عبد الله بن عبد الله بن أُبى لأَبيه بالطريق ، وقال : والله لا تدخل المدينة حتى يأْذن لك رسول الله ﷺ بالدخول ، فأَذن رسول الله ﷺ بدخوله .

١٠٤ و

وفى هذه الغزاة قال أهل الإفك فى عائشة – رضى الله عنها – ما قالوا ، فبرَّأَها الله مما قالوا ، ونزل القرآن ببراءتها[3] .

وروايةُ مَنْ رَوَى أن سعد بن معاذ راجع فى ذلك سعد بن عُبادة وهم وخطأ[4] ، وإنما تراجع فى ذلك / سعد بن عبادة مع أُسَيْد بن حُضَيْر ، كذلك ذكر ابن إسحق عن الزُّهرى عن عبيد الله بن عبد الله وغيره ، وهو الصحيح ، لأَن سعد بن معاذ مات فى منصرف

١٠٤ ظ

---

(١) فى بعض الروايات أن هذا الحديث كان بين أسيد بن حضير والرسول

(٢) كله : دعه

* وذكر بعض العلماء الحكمة التى لأجلها قدم الله إسلام الأجانب على إسلام الأقارب حتى بلغ من الأجانب أن يقتل أحدهم أباه إيثارا لله ولرسوله كما وعد عبد الله من نفسه ، فقال : الحكمة فى ذلك أنه لو تقدمت الأقارب لقال الملحدون . قوم أرادوا الفخر لأنفسهم فقدم الله الأجانب تنزيها لمنصب النبوة من هذه القالة . والله أعلم .

(وانظر فى مواقف عبد الله من أبيه ودلالته على حسن إيمانه الروض الأنف ٢١٧/٢ وما بعدها) .

(٣) وذلك فى الآيات العشر بسورة النور (إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم – إلى قوله تعالى : وأن الله رءوف رحيم) . وقال ابن عبد البر فى الاستيعاب ص ٧٦٦ : أمر النبى ﷺ بالذين رموا عائشة بالإفك حين نزل القرآن ببراءتها فجلدوا الحد ثمانين فيما ذكر جماعة من أهل السير والعلم بالخبر .

(٤) انظر البخارى ١١٦/٥ وما بعدها والطبرى ٦١٠/٢ .

رسول الله ﷺ من بنى قُرَيْظة لا يختلفون فى ذلك ، ولم يدرك غزوة المُرَيْسِيع [١] ولا حضرها .

وقدم رسول الله – ﷺ – المدينة ، فقدم عليه مِقْيَس بن صُبابة مظهرا للإسلام وطالبا لديه أخيه هشام بن صبابة ، فأمر له عليه السلام بالدِّية ، فأخذها ، ثم عَدَا على قاتل أخيه ، فقتله ، وفرَّ إلى مكة كافرا ، وهو أحد الذين أمر رسول الله – ﷺ – بقتلهم فى حين دخوله مكة .

ثم بعث رسول الله ﷺ – إلى بنى المصطلق بعد إسلامهم بأكثر من عامين الوليدَ بن عقبة بن أبى مُعَيْط مصدِّقا [٢] لهم ، فخرجوا ليتلقوه ، ففزع منهم ، وظن أنهم يريدونه بسوء ، فرجع عنهم ، وأخبر رسول الله ﷺ – أنهم ارتدُّوا ومنعوا الزكاة وهَمُّوا بقتله . فتكلم المسلمون فى غزوهم ، فبينما هم كذلك إذ قدم وافدهم منكرا لرجوع مصدِّقهم عنهم دون أن يأخذ صدقاتهم [وأنهم] إنما خرجوا إليه مكرمين له ، فأكذبه الوليد بن عقبة . فأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ : (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ) يعنى الوليد بن عقبة (فتبينوا /أنْ تصيبوا قوما بجهالة – الآية) .

١٠٥ و

عُمرة [٣] الحُدَيْبِيَة

فأقام رسول الله ﷺ . بالمدينة منصرفَه من غزوة بنى المُصْطَلق رمضان [٤] وشوالا . وخرج فى ذى القِعْدة [٥] معتمرا ، فاستنفر الأعراب الذين حول المدينة ، فأبطأ عنه أكثرهم . وخرج رسول الله ﷺ بمن معه من المهاجرين والأنصار ومن اتبعه من العرب .

---

(١) هذا على قول من قال إنها كانت بعد غزوة بنى قريظة . أما من يقول كابن سعد أنها كانت قبلها فإنه يسقط عنده اعتراض ابن عبد البر

(٢) مصدقا : جامعا للزكاة

(٣) طر فى عمرة الحديبية ابن هشام ٣٢١/٣ والواقدى ٣٨٣ وابن سعد ج ٢ ق ١ ص ٦٩ والبخارى ١٢١/٥ وصحيح مسلم بشرح النووى ١٣٥/١٢ والطبرى ٦٢٠/٢ وابن حزم ص ٢٠٧ وابن سيد الناس ١١٣/٢ وابن كثير ١٦٤/٤ والنويرى ٢١٧/١٧ . والحديبية : بئر سمى بها المكان وقيل شجرة حدباء سمى بها على التصغير . وقيل : قرية قريبة من مكة

(٤) فى الأصل : أيضا فى شوال . وهو تصحيف من ناسخ

(٥) عند ابن سعد : يوم الاثنين لهلال ذى القعدة

وجميعهم نحو ألف وأربعمائة ، وقيل ألف وخمسمائة [١] .

وساق معه الهَدْىَ [٢] . وأحرم رسول الله ﷺ ، بعُمْرة [٣] . ليعلم الناس أنه لم يخرج لحرب [٤] فلما بلغ خروجه قريشا خرج جمْعُهم صادِّين لرسول الله ﷺ عن المسجد الحرام ودخول مكة وأنه إن قاتلهم قاتلوا دون ذلك ، وقدَّموا خالد [٥] بن الوليد فى خيل إلى كُراع [٦] الغميم . فورد الخبر بذلك إلى رسول الله ﷺ وهو بعُسْفان [٧] . فسلك طريقا يخرج منه فى ظهورهم [٨] وخرج إلى الحديبية من أسفل مكة ، وكان دليله فيه رجلا من أسلم فلما بلغ ذلك خيل / قريش التى مع خالد جرت إلى قريش تعلمهم بذلك . ١٠٥ ط

ولما وصل رسول الله ﷺ إلى الحُدَيْبِيَة بركتْ ناقته ﷺ ، فقال الناس : خَلأَتْ [٩] خلأت ، فقال النبى عليه السلام : ما خلأت ، وما هو لها بخلق ، ولكن حبسها حابس [١٠] الفيلِ عن مكة ، لا تدعونى قريش اليوم إلى خُطَّةٍ يسألوننى فيها صلة رحم إلا أعطيتهم إياها ، ثم نزل ﷺ هنالك ، فقيل : يا رسول الله ليس بهذا الوادى ماء ، فأخرج عليه السلام سهما من كنانته ، فأعطاه رجلا من أصحابه ، فنزل فى قَليبٍ [١١] من تلك القُلُب ، فغرزه فى جوفه ، فجاش الماء الرَّوَاء [١٢] حتى كفى جميع أهل الجيش . وقيل إن الذى نزل بالسهم فى القَليب ناجية بن جُنْدب بن عُمَيْر الأسلمى وهو سائق بُدْن [١٣] رسول الله ﷺ يومئذ ، وقيل : نزل بالسهم فى القليب البَرَاءُ بن عازب .

---

(١) وقيل : سبعمائة ، وقيل : ألف وخمسمائة وخمسة وعشرون ، وقيل : ألف وثلاثمائة .

(٢) الهدى : هدى الكعبة ، هو ما يضحى به عندها ، ويقال أنه كان سبعين ناقة .

(٣) واضح أنه أحرم بالعمرة فى ذى الحليفة : ميقات أهل المدينة .

(٤) إنما خرج زائرا للكعبة ومعظماً .

(٥) ويقال : بل قدموا عكرمة بن أبى جهل .

(٦) كراع الغميم : موضع بين رابغ والجحفة فى اتجاه المدينة

(٧) عسفان : قرية بين المدينة ومكة .

(٨) يقال : سلك بهم طريقا وعرا شديد الوعورة .

(٩) خلأت : حرنت .

(١٠) أى الله جل جلاله .

(١١) قليب : بئر

(١٢) الماء الرواء : الماء العذب السائغ .

(١٣) البدن : جمع بدنة وهى الناقة تنحر بمكة .

ثم جرت الرسل والسُّفَرَاءُ بين رسول الله ﷺ وبين كفار قريش ، وطال التراجع والتنازع إلى أن جاءه سُهَيْل بن عمرو العامرى ، فقاضاه[1] على أن ينصرف عليه السلام عامَه ذلك ، فإذا كان من قابل أتى معتمرا ودخل هو وأصحابه مكة بلا سلاحٍ حاشا السيوف فى قُرُبِهَا فيقيم بها ثلاثا ويخرج . وعلى/أن يكون بينه وبينهم صلح عشرة أعوام يتداخل فيها الناس ويأمن بعضهم بعضا ، على أن من جاء من الكفار إلى المسلمين مسلما ، من رجل أو امرأة ، رُدَّ إلى الكفار ، ومَنْ جاء من المسلمين إلى الكفار مرتدا لم يردوه إلى المسلمين .

١٠٦ و

فعظم ذلك على المسلمين حتى كان لبعضهم فيه كلام . وكان رسول الله ، ﷺ ، أعلم بما علَّمه الله من أنه سيجعل للمسلمين فرجا ، فقال لأصحابه : اصبروا فإن الله يجعل هذا الصلح سببا إلى ظهور دينه ، فأنس الناس إلى قوله بعد نفارٍ منهم .

وأبَى سهيل بن عمرو أن يُكْتَبَ فى صدر صحيفة الصلح من محمد رسول الله وقال له : لو صدقناك بذلك ما دفعناك عما تريد ، ولابد أن يُكْتَب : باسمك اللهم[2] . فقال لعلى : — وكان كاتب صحيفة الصلح — امْحُ يا على ، واكتبْ باسمك اللهم . وأبى على أن يمحو بيده « رسول[3] الله » فقال له رسول الله ﷺ : اعرضه علىّ ، فأشار إليه[4] ، فمحاه — ﷺ — بيده ، وأمره أن يكتب : من محمد بن عبد الله .

وأتى أبو جَنْدل بن سُهَيْل[5] يومئذ بأثر كتاب الصلح ، وهو يَرْسُفُ فى قيوده ، فردّه — ﷺ — على أبيه ، فعظُم ذلك على المسلمين ، فأخبرهم ﷺ وأخبر أبا جندل أن الله سيجعل له فرجا ومخرجا . وكان رسول الله — ﷺ —/قد بعث عثمان بن عَفَّان إلى مكة رسولا[6] ، فجاء خبر إلى رسول الله ﷺ بأن أهل مكة قتلوه ، فدعا رسول الله ﷺ

١٠٦ ظ

---

(١) قاصاه هنا : صالحه .

(٢) كان قد أملى الرسول : « بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما صالح عليه محمد رسول الله » . ووواضح أنه أبى البسملة ووصف محمد بأنه رسول الله

(٣) فى الأصل : محمد رسول الله .

(٤) فأشار إليه : أى إلى مكان رسول الله فى الصحيفة

(٥) أى سهيل بن عمرو ، وكان أبو جندل قد آمن بالله ورسوله ، ويقال أنه رجع مكة فى جوار مكرز بن حفص .

(٦) أى قبل عقد هذا الصلح .

حينئذ المسلمين للمبايعة على الحرب والقتال لأهل مكة . ورُوِى أنه بايعهم على أن لا يفِرّوا . وهى بَيْعَةُ الرِّضوان تحت الشجرة[١] التى أَخبر الله عزَّ وجلَّ أَنه رضى عن المبايعين لرسول الله ﷺ – تحتها[٢] ، وأَخبر رسولُ الله ﷺ : أَنهم لا يدخلون النار . وضرب رسول الله – ﷺ – بيمينه على شماله لعثمان [وقال[٣] : هذه عن عثمان] فهو كمن شهدها .

ذكر وكيع ، عن إسماعيل بن أَبى خالد ، عن الشعبى ، قال :

أول من بايع رسول الله ﷺ – يوم الحُدَيْبية أَبو سنان الأَسدى . وذكر ابن هشام عن وكيع . كانت قريش قد جاء منهم نحو سبعين أَو ثمانين رجلا للإيقاع بالمسلمين وانتهاز الفرصة فى أَطرافهم ، ففطن المسلمون لهم فخرجوا ، فأَخذوهم أَسرى. وكان ذلك والسفراء يمشون بينهم فى الصلح . فأَطلقهم رسول الله ، فهم الذين يسمون العُتَقاء ، وإليهم يُنْسَبُ العتِقيُّونَ فيم يزعمون ، ومنهم معاوية وأَبوه فيما ذكروا .

فلما تَمَّ الصلح بين رسول الله ﷺ وبين أَهل مكة الذى تولَّى عقده لهم سهيل بن عمرو على ما ذكروا ، أَمر رسول الله – ﷺ – المسلمين أَن يَنْحروا ويَحِلُّوا . ففعلوا بعد توقُّف كان بينهم /أَغضب رسول الله ﷺ ، فقال عليه السلام : لو نحرت لنحروا . فنحر رسول الله ﷺ – هَدْيه ، فنحروا بنحره . وحلق رسول الله – ﷺ – رأْسه ، ودعا للمحلِّقين ثلاثا وللمقصِّرين واحدة[٤] . قيل إن الذى حلق رأْسه ﷺ يومئذ خِراش بن أُمية بن الفضل الخزاعى .

١٠٧ و

ثم رجع رسول الله ﷺ – إلى المدينة ، فأَتاه أَبو بصير عتبة بن أَسيد بن جارية الثقفى حليف لبنى زُهْرة هاربا من مكة مسلما ، وكان ممن حُبِس بمكة مع المسلمين ، فبعث فيه الأَزهر بن [عبد][٥] عوف عم عبد الرحمن بن عوف والأَخنس بن شَرِيق الثَّقفى رجلا

---

(١) كانت شجرة طلح وهى السمرة .

(٢) وذلك قوله عز وجل : (لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة) .

(٣) زيادة من بعض المصادر . (انظر ابن حزم ص ٢١٠) .

(٤) عن ابن عمر وابن عباس حلق رجال يوم الحديبية وقصر آخرون ، فقال رسول الله ﷺ : يرحم الله المحلقين ، قالوا : يا رسول الله والمقصرين ؟ قال : يرحم الله المحلقين قالوا : يا رسول الله والمقصرين ؟ قال : يرحم الله المحلقين ، قالوا والمقصرين : قال : يرحم الله المقصرين .

(٥) زيادة من ر والاستيعاب وغيره .

من بنى عامر بن لُؤىّ ومولى لهم ، فأتيا النبى عليه السلام ، فأسلمه إليهما على ما عُقد فى الصلح . فاحتملاه ، فلما صاروا بذى الحُلَيْفة [١] قال أَبو بَصير لأَحد الرجلين : أَرى سيفك هذا سيفا جيدا فأَرِنيه ، فلما أَراه إياه ضرب [به] العامرىَّ فقتله ، وفَرَّ المولى فأَتى النبى ﷺ وهو جالس فى المسجد ، فلما رآه رسول الله ﷺ قال : هذا رجل مذعور ولقد أصاب هذا ذعر . فلما وصل إليه أخبره بما وقع . وقال : غَدر بنا وبينما هو يكلّمه إذ وصل أبو بصير ، فقال : يا رسول الله قد وفَتْ ذِمَّتك وأَطلقنى الله عَزَّ وَجَلَّ ، فقال رسول الله ﷺ ، وَيْلُمِّهِ مِسْعَرُ [٢] حَرْب لو كان له رجال ، أو قال أصحاب . فعلم/أبو بصير أنه سيردُّه فخرج حتى أَتى سِيف [٣] البحر ، موضعا يقال له العِيص [٤] من ناحية ذى المَرْوَة على طريق قريش إلى الشام ، فجعل يقطع على رفاقهم [٥] واستضاف إليه قوما من المسلمين الفارِّين عن قريش ، منهم أَبو جَنْدل بن سهيل ، فجعلوا لا يتركون لقريش عِيرا ولا ميرة ولا مارّا إلا قطعوا بهم . فكتبت فى ذلك قريش إلى رسول الله ﷺ ، وقالوا نرى أن تضمَّهم إليك إلى المدينة ، فقد آذونا .

١٠٧ ظ

وأنزل الله تعالى بعد ذلك القرآن بفسخ الشرط المذكور فى رَدِّ النساء [٦] . فمنع رسول الله ﷺ من رَدِّهن ، ثم نزلت سورة [٧] براءة . فنُسخ ذلك كله ، ورُدَّ على كل ذى عَهْد عهده وأن يُمْهَلُوا أربعة أشهر ، ومن لم يستقم على عهده لا يستقام له . وهاجرت أُم كلثوم بنت عقبة بن أبى مُعَيْط ، فأَتى أخواها : عمارة والوليد فيها ، ليردوها ، فمنع الله عَزَّ وَجلَّ من رَدِّ النساء المؤمنات إلى الكفار إذا امتحنَّ [٨] فوُجِدْن مؤمنات . وأَخبر أَن ذلك

---

(١) ذو الحليفة : ميقات أهل المدينة كما سلف وهى على بعد سبعة أميال منها .

(٢) مسعر حرب : موقد حرب .

(٣) سيف البحر : ساحله .

(٤) العيص وذو المروة : من أرض جهينة .

(٥) على رفاقهم : أى على المسافرين منهم .

(٦) وذلك قوله تعالى : (يأيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهجاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهنّ فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهنّ إلى الكفار لا هن حلّ لهم ولا هم يحلون لهن وآتوهم ما انفقوا)

(٧) انظر أوائل هذه السورة .

(٨) كان الامتحان أن تستحلف المرأة المهاجرة أنها ما هاجرت ناشزا ولا هاجرت إلا لله ورسوله . فإذا حلفت لم ترد . ورد صداقها إلى بعلها . انظر الروض الأنف ٢/٢٣٠ .

لايحِلّ . وأَمر المؤمنين أَيضا أَن لا يمسكوا بِعِصَم الكوافِر[١] ، ولا ينكحوا المشركات ، يعنى الوثنيَّات ، حتى يؤمن .

غزوة[٢] خَيْبَر

١٠٨ و وأقام رسول الله ﷺ – بعد رجوعه من الحُدَيْبية ذا الحِجَّةِ وبعض المحرَّم /وخرج فى بقية منه غازيا إلى خَيْبَر ، ولم يبق من السنة السادسة من الهجرة إلا شهر وأيام ، واستخلف على المدينة نُمَيْلة[٣] بن عبد الله اللَّيْثى – وذكر موسى بن عقبة ، قال : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة منصرفه من الحُدَيْبية مكث عشرين يوما أَو قريبا[٤] منها ثم خرج غازيا إلى خيبر ، وكان الله عزَّ وجَلَّ وعده إياها وهو بالحديبية .

قال أبو عمر :

قال الله عزَّ وجلَّ فى أهل الحديبية : (لقد رَضِىَ اللهُ عَنْ المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم ، فأَنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا ومغانم كثيرةً يأْخذونها وكان الله عزيزا حكيما) . فلم يختلف العلماءُ فى أنها البيعة بالحُدَيْبِيَة . قال ابن قُتَيْبَة وقتادة وعِكْرِمَة وغيرهم : كانت الشجرة سَمُرة[٥] كانت بالحديبية . وعلم ما فى قلوبهم من الرِّضا بأمر البيعة على أن لا يفروا واطمأنت بذلك نفوسهم (فأثابهم فتحا قريبا) : خيبر ، ووعدهم المغانم فيها (مغانم كثيرة يأخذونها) . وقد رُوِى عن ابن عباس ومجاهد فى قوله : (وعدكم الله مغانم كثيرة) أنها المغانم التى تكون إلى يوم القيامة . وقالوا فى قوله :

---

(١) وذلك فى قوله تعالى بنفس الآية السالفة : « ولا تمسكوا بعصم الكوافر » . والعصم : جمع عصمة . وهى الحبل والسبب وكان ممن طلق عمر بن الخطاب ، طلق امرأته قريبة بنت أبى أمية بن المغيرة فتزوجها بعده معاوية بن أبى سفيان وهما على شركها بمكة . وطلق أم كلثوم الخزاعية وهى أم ابنه عبد الله فتزوجها أبو جهم بن حذيفة بن غانم رجل من قومه وهما على شركها .

(٢) انظر فى غزوة خيبر ابن هشام ٣٤٢/٣ والواقدى ٣٨٩ وابن سعد ج ٢ ق ١ ص ٧٧ وأنساب الأشراف ١٦٩/١ والبخارى ١٣٠/٥ وصحيح مسلم بشرح النووى ١٦٣/١٢ والطبرى ٥/٣ وابن حزم ص ٢١١ وابن سيد الناس ١٣٠/٢ وابن كثير ١٨١/٤ والنويرى ٢٤٨/١٧ .

(٣) وفى رواية : سباع بن عرفطة .

(٤) هكذا فى ر وفى الأصل : وقريبا .

(٥) السمرة : شجرة الطلح .

(وأُخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها) : فارس والروم وما افتتحوا إلى اليوم .

وقال / عبد الرحمن بن أبى ليلى . قال : وقوله : (فتحا قريبا) : خيبر . ١٠٨ ظ

رجع الخبر إلى ابن إسحق ، قال :

فلما خرج رسول الله ﷺ إلى خيبر دفع رايته ، وكانت بيضاء ، إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وأخذ طريق الصهباء[١] إلى وادى الرَّجيع ، فنزل بين خيبر وغطفان لئلا يُمدوهم ، لأنه بلغه أن غطفان تريد إمداد يهود خيبر . ولما خرجوا لإمدادهم اختلفت كلمتهم ، وأسمعهم الله عزَّ وجلَّ حِسًّا من ورائهم وهَدًّا راعهم وأفزعهم فانصرفوا إلى ديارهم ، فأقاموا بها . وأقبل رسول الله ﷺ حتى أشرف على خيبر مع الفجر ، وعُمَّالهم غادون بمساحيهم ومكاتلهم[٢] . فلما رأوا رسول الله ﷺ والجيش نادوا : محمد والخميس[٣] معه ، وأدبروا هُرَّابًا ، فقال رسول الله ﷺ : الله أكبر خَرِبَتْ خَيْبَر إنا إذا نزلنا بساحة قومٍ فساءَ صباح المُنْذَرين . وتحصَّنتْ يهود فى حصونهم وكانت حصونا كثيرة ، فكان أَول حصن افتتحوه حصنا يسمى « ناعما » وعنده قُتل محمود بن مسلمة أَخو محمد بن مسلمة أُلقيتْ عليه رَحًى فشدَخته ، رحمه الله ، ثم حصنا يُدْعَى « القَموص » وهو حصن بنى أبى الحُقَيْق ، ومن سبايا ذلك الحصن كانت صَفِيَّة بنت حُيَىّ بن أخطب – وكانت تحت كنانة بن الربيع بن أبى الحُقَيْق – / أصابها رسول الله ﷺ وبنتى عمٍّ لها ، فوهب صفيَّة لِدحْيَة بن خليفة الكَلْبى ثم ابتاعها [منه][٤] بسبعة أرؤس ، ثم أردفها خلفه ، وألقى عليها رداءَة ، فعلم أصحابه أنه اصطفاها لنفسه ، وجعلها عند أُمِّ[٥] سليم حتى اعتدَّتْ وأسلمت ، ثم أعتقها وتزوَّجها ، وجعل عتقها صداقها . وهذه مسألة اختلف الفقهاءُ فيها فمنهم من جعل ذلك خصوصا له كما خُصَّ بالموهوبة ، ومنهم من جعل ذلك سنة لمن شاءَ من أُمته . ١٠٩ و

ثم فتح حصن الصعب[٦] بن مُعاذ ولم يكن فى حصون خيبر أكثر طعاما

---

(١) الصهباء : موضع فى الطريق من المدينة إلى خيبر ، وهى على بعد ثمانية برد منها شمالا .

(٢) المساحى : الفئوس المكاتل : الزنابيل .

(٣) قيل سمى الجيش خميسا لأنه خمسة أقسام : المقدمة والساقة والميسرة والميمنة والقلب .

(٤) زيادة من ر ومصادر مختلفة ويدل عليها السياق

(٥) هى أم سليم بنت ملحان أم أنس بن مالك .

(٦) هكذا فى ر وابن هشام وغيره من المصادر . وفى الأصل : ابن الصعب .

وودَكاًمنه (١) . ووقف إلى بعض حصونهم فامتنع عليهم فَتْحه ولَقُوا فيه شِدَّة ، فأَعطى رايته أَبا بكر الصديق فنهض بها وقاتل واجتهد ولم يفتح عليه ، ثم أَعطى الراية عمر فقاتل ثم رجع ولم يُفْتح له وقد جَهِد . فحينئذ قال رسول الله ﷺ : لأُعطينّ الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ليس بِفَرَّارٍ يفتح الله عزَّ وجلَّ على يديه . فلما أَصبح دعا عليًّا ، وهو أَرمد ، فتَفَل فى عينيه ، ثم قال : خذِ الرَّايةَ فامض بها حتى يفتح الله بها عليك . ذكر هذا الخبر ابن إسحق (٢) ، قال ، قال : حدثنى بُرَيْدة بن سفيان بن فَرْوة عن أَبيه سفيان عن سلمة بن الأَكوع ، وذكر من حديث أَبى رافع مولى/النبى ﷺ ، قال : خرجنا مع علىٍّ حين بعثه رسول الله — ﷺ — برايته إلى حصن من حصون خيبر ، فلما دَنَا من الحصن خرج إليه أَهله وقاتلهم ، فضربه رجل من يهود ، فأَلقى (٣) ترسه من يده ، فتناول علىٌّ بابا كان عند الحصن فترَّس به عن نفسه ، فلم يزل فى يده ، وهو يقاتل ، حتى فتح الله عليه ، ثم أَلقاه من يده ، فلقد رأَيتنى فى نفر معى سيفه وأَنا ثامنهم نجتهد على أَن نَقْلب ذلك الباب فما نقلبه .

١٠٩ ظ

وذكر ابن إسحق من رواية يونس بن بكير وزياد وإبراهيم بن سعد والأُموى (٤) عنه عن عبد الله بن سهل ، قال أَخو بنى حارثة ، عن حابر بن عبد الله . وبعضهم يرويه عن ابن إسحق عن عبد الله بن سهل ، عن جابر ، ولم يشهد جابر خيبر (٥) :

أَن محمد بن مسلمة هو الذى قتل مرحبا اليهودى بخيبر . قال ابن إسحق : فذكر أَن رسول الله ﷺ قال : منْ لهذا يعنى مرحبا اليهودى ، فقال محمد بن مسلمة : أَنا له يا رسول الله أَطلب الثأر ، قَتل أَخى بالأَمس . قال : فقم إليه . فنهض إليه محمد بن مسلمة ، فتقاتلا ، وكانا يستتران بشجرة [فجعل (٦) أحدهما يلوذ بها من صاحبه ، كلما لاذ بها منه إقتطع بسيفه ما دونه منها] حتى ذهبت أَغصانها [وبرز (٧) كل واحد منهما

---

(١) الودك : دسم اللحم ودهنه .

(٢) انظر فى هذا الخبر وتاليه ابن هشام ٣/٣٤٩ .

(٣) فى ابن هشام : فطاح ترسه من يده . وفى رواية : فطرح ترسه من يده .

(٤) هو سعيد بن يحيى الأموى ، وله كتاب فى السير .

(٥) انظر فى هذا الخبر ابن هشام ٣/٣٤٨ .

(٦) زيادة من ابن هشام ساقطة من الأصل ور .

(٧) زيادة أيضا من ابن هشام وعبارة ر : ثم ضربه مرحب فعض سيفه بدرقة محمد بن مسلمة .

لصاحبه ، وحمل مرحب على محمد بن مسلمة فضربه ، فاتّقاه بالّدرقة [١] فوقَع سيفه فيها فعضّت به وأمسكته] وضربه محمد ، فقتله . ثم انصرف . ثم برز أخو مرحب واسمه ياسر ، فدعا إلى البراز ، فخرج إليه الزبير . هذا ما ذكره ابن إسحق فى قتل مرحب اليهودى بخيبر . / وخالفه غيره ، فقال : بل قتله على بن أبى طالب ، وهو الصحيح عندنا . ١١٠ و

حدثنا عبد الله بن محمد ، قال : حدثنا محمد بن بكر ، قال : حدثنا أبو داود ، [قال] : حدثنا هرون بن عبد الله ، قال : حدثنا روح بن عبادة ، قال : حدثنا عوف ، عن ميمون أبى عبد الله ، عن عبد الله بن أبى بُرَيْدة ، عن أبيه [أبى] بريدة الأسلمى :

أن النبى ﷺ قال : لما نزل بحصن خيبر - : لأعطينّ اللّواء غدا رجلا يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ، فلما كان من الغد تطاول لها أبو بكر وعمر ، فدعَا عليا ، وهو أرمد ، فتفل فى عينيه ، وأعطاه اللواء ، ونهض معه الناس ، فلقوا أهل خيبر ، فإذا مَرْحبٌ بين أيديهم يرتجز :

قد علمتْ خَيْبَرُ أنى مَرْحَبُ　　شاكى السلاح بطلٌ مجرَّبُ [٢]
إذا السيوف أقبلتْ تلهَّبُ　　أطعن أحيانا وحينا أضربُ [٣]

فاختلف هو وعليٌّ ضربتين ، فضربه عليٌّ على رأسه حتى عضّ السيف بأضراسه ، وسمع أهل العسكر صوت ضربته ، قال : فما تتامّ الناس حتى فتحوا لهم .

حدثنا سعيد بن نصر . قال : حدثنا قاسم بن أصبغ [قال] : حدثنا محمد بن وضاح [قال] : حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة [قال] : حدثنا هاشم بن القاسم [قال] : حدثنا عكرمة بن عمار ، قال : حدثنى إياس بن سلمة الأكوع ، قال : أخبرنى أبى ، قال [٤] :

لما خرج عمى عامر بن سنان إلى خيبر بارز يوما مرحبا اليهودى ، فقال مرحب :

قد علمتْ خيبر أنى مرحبُ　　شاكى السلاح بَطلٌ مجرَّبُ
/ إذا الحروبُ أقبلتْ تلهَّبُ　　أطعن أحيانا وحينا أضرب ١١٠ ظ

---

(١) الدرقة : ترس من جلد .

(٢) شاكى السلاح : شاهره .

(٣) ستأتى رواية ثانية لهذا البيت .

(٤) انظر فى هذا الحديث صحيح مسلم بشرح النووى ١٧٤/١٢ وما بعدها .

وقال عمى :

قد علمتْ خيبرُ أنى عامرُ شاكى السلاح بطلٌ مُغَاوِرُ

فاختلفا ضربتين ، فوقع سيف مرحب فى تُرْس عامر ، ورجع سيف [عامر] على مسافة فقطع أكحله ، فكانت[١] فيها نفسه . قال سلمة : إن رسول الله ﷺ – أرسلنى إلى على بن أبى طالب ، وقال : لأعطينَّ الراية غَدًا رجلا يحب الله ورسوله ، ويحبّه الله ورسوله قال : فجئت به أقوده أرمدَ ، فبصق النبى ﷺ – فى عينيه ، ثم أعطاه الراية ، فخرج مرحب يخطر بسيفه ، وقال :

قد علمتْ خيبر أنى مرحبُ شاكى السلاح بطلٌ مجرَّبُ

* إذا الحروبُ أقبلت تلهَّبُ *

وقال على رضى الله عنه :

أنا الذى سَمَّتْنِىَ أمِّى حَيْدَره كليثِ غاباتٍ كريه المَنْظَرَه[٢]

* أوفيهمُ بالصاع كَيْلَ السَّنْدَرَه[٣] *

ففلق رأس مرحب بالسيف ، وكان الفتح على يد علىٍّ .

قال ابن إسحق : وآخر ما افتتح رسول الله ﷺ من حصونهم الوَطِيحُ والسُّلالم .

وقال موسى بن عقبة : حاصر رسول الله – ﷺ [حصون[٤] خيبر بضع عشرة ليلة ، وكان بعضها صلحا وأكثرها عنوة ، ذُكر ذلك عن ابن شهاب . وقال ابن إسحق : قسم رسول الله أرض خيبر كلها لأنه غلب على جميعها عنوة . وحاصر رسول الله ﷺ] أهل خيبر فى حصنهم الوَطيح حتى إذا/ أيقنوا بالهلكة سألوه أن يسيِّرهم وأن يَحْقن لهم دماءهم ، ففَعَلَ . ١١١ و

---

(١) أى أنه مات .

(٢) الحيدرة . الأسد . ويروى الشطر الثانى كليث غابات شديد قسوره

(٣) الصاع : مكيال صغير ، والسندرة : مكيال كبير . وفى رواية : أكيلكم بالسيف كيل السندرة . والمعنى أقتلكم قتلا ذريعا

(٤) زيادة من ر .

[مقاسم خيبر وأَموالها]

وكان رسول الله ﷺ قد حاز الأَموال كلها : الشَّقّ[١] ونَطاة والكُتَيْبة وجميع حصونهم إلا ما كان من ذينك [الحصنين][٢] . فلما سمع بهم أَهل فدك[٣] قد صنعوا ما صنعوا بعثوا إلى رسول الله يسأَلونه أَن يسيِّرهم وأَن يحقن لهم دماءهم ويُحِلُّوا له الأَموال ، ففعل . وكان فيمن مشى بين رسول الله – ﷺ – وبينهم فى ذلك مُحيِّصة بن مسعود أَخو بنى حارثة . قال : فلما نزل أَهل خيبر على ذلك سأَلوا رسول الله أَن يعاملهم فى الأَموال على النصف ، فعاملهم ، وقال لهم : على أَنا إذا شئنا أَن نخرجكم أَخرجناكم . فصالحه أَهل فدك على مثل ذلك . وكانت خيبر فَيْئًا بين المسلمين ، وكانت فَدك خاصة لرسول الله ﷺ عليه وسلم ، لأَنهم لم يوجفوا[٤] عليها بخيلٍ ولا رِكاب .

قال أَبو عمر[٥] :

هذا هو الصحيح فى أَرض خيبر أَنها كانت عَنْوةً كلها مغلوبا عليها بخلاف فدك وأَن رسول الله – ﷺ – قسم جميع[٦] أَرضها على الغانمين لها الموجفين بالخيل والرِّكاب ، وهم أَهل الحُدَيْبية . ولم يختلف العلماءُ [فى] أَن أَرض خيبر مقسومة ، وإنما اختلفوا هل تُقْسَمُ الأَرض إذا غُنِمَت البلاد أَو توقف ؟ فقال الكوفيون[٧] : الإمام مخيَّر بين/ قسمتها كما فعل رسول الله ﷺ – بأَرض خيبر وبين إيقافها كما فعل عمر بسواد العراق ، وقال

١١١ ظ

---

(١) هذه بعض حصون خيبر .

(٢) زيادة من ر ومصادر مختلفة وهما الوطيح والسلالم .

(٣) فدك قرية كانت لليهود شمالى خيبر .

(٤) يوجفوا : يجتمعوا .

(٥) نقل ابن سيد الناس هذه الفقرة بطولها عن ابن عبد البر : وعقب عليها بمناقشة واسعة ، لما ذكره ابن عبد البر من أنها فتحت جميعها عنوة وانها قسمت جميعها على الفاتحين وحدهم . وسننقل عنه بعض تعقيباته فيا يلى من الهوامش وانظر الطبرى ١٩/٣ وسنن أبى داود ٢٦/٢ وما بعدها والروض الأنف ٢٤٦/٢ .

(٦) قال ابن سيد الناس ١٣٧/٢ : أما قوله : قسم جميع أرضها ، فإن الحصنين المفتتحين أخيرا وهما الوطيح والسلالم لم يجر لهما ذكر فى القسمة .

(٧) الكوفيون : أصحاب مذهب أبى حنيفة .

الشافعى : تُقْسَم الأَرض كلها – كما قسم رسول الله ﷺ [خيبر[١]] لأَن الأَرض غنيمة كسائر أَموال الكفار ، وذهب مالك إلى إيقافها اتباعا لعمر ، لأَن الأَرض مخصوصة من سائر الغنيمة بما فعل عمر فى جماعة من الصحابة : فى إيقافها لمن يأتى بعده من المسلمين . وروى مالك عن زيد بن أَسلم عن أَبيه ، قال : سمعت عمر يقول : لولا أَن يترك آخر الناس لا شىء لهم ما افتتح المسلمون قرية إلا قسمتها سُهْمانا كما قسم رسول الله ﷺ خيبر سُهْمانًا [٢] ، وهذا يدل على أَن أَرض خيبر قسمت كلها] سُهْمانًا كما قال ابن إسحق . وأَما قول من قال إن خيبر كان بعضها صلحا وبعضها عنوة ، فقد وهم وغلط ، وإنما دخلت عليه الشبهة بالحصنين اللذين أَسلمهما أَهلها لحَقْن دمائهم ، فلما لم يكن أَهل ذينك الحصنين من الرجال والنساء والذرية مغنومين ظُنَّ أَن ذلك صُلْحٌ . ولعمرى إنه فى الرجال والنساء والذرية [٣] لضرب من الصلح ، ولكنهم لم يتركوا أَرضهم إلا بالحصار والقتال ، فكان حكم أَرض ذينك الحصنين كحكم سائر أَرض خيبر كلها غنيمة مغلوبًا عليها عنوة مقسومة بين أَهلها . وربما شُبِّه [٤] على من قال إن نصف خيبر صلح ونصفها عنوة بحديث يحيى بن سعيد عن بُشَيْر بن يسار أَن رسول الله ﷺ قسم خيبر [نصفين[٥] : نصفا له ، ونصفا للمسلمين . وهذا لو صحَّ لكان معناه أَن] النصف له مع سائر من وقع فى ذلك النصف معه ، لأَنها قُسمت (على) ستة وثلاثين سهما ، فوقع سهم النبى ﷺ وطائفة معه فى ثمانية عشر سهما منها ، ووقع سائر الناس فى باقيها ، وكلهم ممن شهد الحديبية ثم شهد خيبر[٦] . وليست الحصون التى أَسلمها أَهلها [بعد[٧] الحصار والقتال صلحا ، ولو كانت صلحا لملكها أَهلها] كما يملك أَهل الصلح أَراضيهم وسائر أَموالهم . فالحق فى

---

(١) زيادة من ر ، وهى هكذا فى ابن سيد الناس .

(٢) السهمان : جمع سهم .

(٣) هكذا فى ابن سيد الناس ، وفى الأصل ور : أنه فى الرجال والذرية والعيال .

(٤) شبه عليه : دخلت عليه الشبهة .

(٥) زيادة من ر وهى هكذا فى ابن سيد الناس .

(٦) اعترض ابن سيد الناس على هذه العبارة لابن عبد البر فإن جابر بن عبد الله الأنصارى كان ممن شهد الحديبية ولم يشهد خيبر ، وقسم له الرسول ، وأيضا فإنه قسم لأهل السفينتين الذين جاءوا من الحبشة ممن لم يشهدوا الحديبية وخيبر ، كما قسم للدوسيين والأشعريين الذين قدموا عليه فى هذا الفتح .

(٧) زيادة من ر وهى هكذا عند ابن سيد الناس .

هذا/والصواب ما قاله ابن إسحق[١] دون ما قاله موسى وغيره عن ابن شهاب . والله أعلم . ١١٢ و

قال أبو عمر :

قسم رسول الله ﷺ ، خيبر ، وأخرج الخمس[٢] مما قسم ، ولم يقدر أهلها[٣] على عمارتها وعملها فأقرَّ اليهود فيها على العمل فى النخل والأرض ، وقال لهم : أُقِرُّكم ما أقرَّكم[٤] الله . ثم أذن الله له فى مرضه الذى مات فيه بإخراجهم ، فقال : لا يبقينَّ دينان بأرض العرب . وقال عليه السلام : أخرجوا اليهود والنصارى من أرض الحجاز . ولم يكن بقى يومئذ بها مشرك وثنى – ولا بأرض اليمن أيضا – إلا أسلم فى ستة تسع وستة عشر . فلما بلغ عمر بن الخطب – رضى الله عنه – فى خلافته قوله عليه السلام : أَخْرِجوا اليهود والنصارى من أرض العرب أجلاهم عنها ، فأخذ المسلمون سهامهم فى خيبر ، فتصرَّفوا فيها تصرُّف المالكين .

قال ابن إسحق : وكان المتولِّى للقسمة بخيبر جبَّار بن صخْر الأنصارى من بنى سَلِمة ، وزيد بن ثابت من بنى النجار ، كانا حاسبين قاسمين . وكانت قسمة خيبر لأهل الحُدَيْبِية : منْ حضر الوقيعة بخيبر ومن لم يحضرها ، لأنّ الله أعطاهم ذلك فى سفر الحديبية[٥] . ولذلك قال موسى بن عقبة : لم يُقْسَم من خيبر شىء إلا لمن شهد الحديبية ، وروى ذلك عن جماعة من السَّلف .

---

(١) أى أن خيبر فتحت كلها عنوة خلافا لموسى بن عقبة وغيره ممن قالوا بأن بعضها فتح صلحا وبعضها فتح عنوة ، وقد أورد ابن سيد الناس آثارا مختلفة تشهد لابن عقبة وأن الوطيح والسلالم فتحا صلحا وفتح بعض الكتيبة عنوة وبعضها صلحا ، وحاول ابن سيد الناس أن يوفق بين الرأيين ، فقال أن أهل هذه الحصون نقضوا الصلح ، فصارت جميعها عنوة ، ثم خمسها الرسول وقسمها .

(٢) كما تنص الآية الكريمة : (واعلموا إنما غنمتم من شىء فأن لله خمسه) وكانت الكتيبة هى هذه الخمس ، ويستظهر ابن سيد الناس أن يكون ما أعطاه الرسول لأهل السفينتين وللدوسيين والأشعريين من الكتيبة والوطيح والسلالم ، وكأن هذه الحصون هى النصف الذى أشار إليه بشير بن يسار فى حديثه والذى حجزه الرسول لما ينزل به من أمور المسلمين . انظر ابن سيد الناس ٢ / ١٤٠ .

(٣) أهلها : أى فاتحوها الذين ملكوها من المسلمين .

(٤) هكذا فى ر وابن هشام ، وفى الأصل : أقركم على ما أقركم الله .

(٥) إشارة إلى قول الله عز وجل الذى افتتح به هذه الغزوة : (وأثابهم فتحا قريبا ومغانم كثيرة) .

١١٢ ظ قال ابن إسحق : فوقع /سهم رسول الله ، ﷺ ، وعمر وعلى وطلحة وعبد الرحمن ابن عوف وعاصم بن عدى وسهام بنى سلمة وسهام بنى حارثة وبنى ساعدة وبنى النجار وغفار وأسلم وجهينة واللفيف ، كلها وقعت فى الشّق . ووقع سهم أبى بكر والزبير وسهام بنى بياضة وبنى الحارث بن الخزرج ومُزَينة بالنَّطاة ، ولذكر سهامهم وأقسامهم موضع غير هذا . وكان عبيد بن أوس من بنى حارثة قد اشترى يومئذ من سهام الناس سهاما كثيرة ، فسمِّى يومئذ عبيد السهام ، واشترى عمر بن الخطاب مائة سهم من سهام المسلمين ، فهى صدقته الباقية إلى اليوم .

وأما فدك فلم يُوجَفْ عليها بِخَيْلٍ ولا ركاب فكانت كبنى النَّضير خالصة لرسول الله ﷺ .

ومن العجب قول من قال إن الكتيبة (لم تُفْتح) عنوة[1] وإنها من صدقات النبى عليه السلام إلا أن ينزل سهم النبى عليه السلام فيها مع المؤمنين والا فلا وجه لقوله غير هذا . وبالله التوفيق .

وفى غزوة خيبر حرَّم رسول الله ﷺ — لحوم الحُمُر الأهلية ، لم تختلف الآثار فى ذلك . واختُلف فى حين تحريم المتعة[2] بعد إباحتها . وقد ذكرنا الآثار بذلك فى التمهيد . وفيها أهدت اليهودية زينب بنت [الحارث[3] امرأة] سلام بن مِشْكم إلى رسول الله ﷺ — [الشاة][4] المَصْليَّة[5] وسَمَّت له /منها الذِّراع وكان أحبَّ اللحم إليه ﷺ . فلما ١١٣ و تناول الذراع ولاكها لفظها ورمى بها ، وقال : إن هذا العظم يخبرنى أنه مسموم . ودعا باليهودية فقال : ما حملك على هذا ؟ فقالت : أردت أن أعلم إن كنت نبيًّا ، وعلمت أن الله إن أراد بقاءك أعلمك . فلم يقتلها رسول الله ﷺ . وأكل من الشاة معه بِشر بن البَراء ابن معرور ، فمات من أكلته تلك .

وكان المسلمون يوم خيبر ألفا وأربعمائة راجل ومائتى فارس .

---

(١) فى ابن سيد الناس ٢/١٣٧ : أكثر الكتيبة عنوة وفيها صلح .

(٢) المتعة ، أى زواج المتعة .

(٣) زيادة من ابن هشام وانظر فى هذا الخبر صحيح البخارى ٥/١٤١ والروض الأنف ٢/٢٤٣ .

(٤) زيادة من ر وابن هشام .

(٥) المصلية : المشوية .

تَسْمية مَن اسْتُشْهِدَ من المسلمين يوم خيبر

ربيعة بن أَكْثم بن سَخْبرة الأَسدى من بنى غَنْم بن دودان بن أَسد بن خُزَيمة ، وثَقْف ابن عمرو ، ورفاعة بن مسروح . وكلهم من بنى أَسد ، حلفاء لبنى عبد شمس . ومسعود ابن ربيعة القارى ، من القارة ، حليف لبنى زهرة .

وعبد الله بن الهُبَيْب ، ويقال ابن أُهيْب الليثى حليف لبنى أَسد بن عبد العُزَّى بن قُصى وابن أُختهم .

وبِشر بن البَراء بن مَعْرور من بنى سَلِمة مات من أَكله مع رسول الله - ﷺ - الشاة المسمومة ، وفُضَيْل بن النعمان من بنى سلمة أَيضا ومسعود بن سعد بن قيس الأَنصارى الزُّرَقى .

ومحمود بن مسلمة بن خالد أَخو محمد بن مسلمة من الأَوس حليف لبنى عبد الأَشهل .

١١٣ ظ

وأَبو ضَيَّاح ثابت بن ثابت بن النعمان من بنى عمرو بن عوف من أَهل/قُباء ، ومبشر ابن عبد المنذر بن دينار من بنى مالك بن عمرو بن عوف ، والحارث بن حاطب ، وأَوس ابن قتادة ، وعروة بن مرة[1] بن سراقة ، وأَوس بن الفاكه[2] ، وأُنَيْف بن حُبَيْب ، وثابت بن واثلة[3] بن طلحة ، والأَسود الراعى واسمه أَسلم وكل هولاء من بنى عمرو بن عوف .

ومن بنى غِفار : عمارة بن عقبة بن حارثة أَصابه سهم فقتله .

ومن أَسلم : عامر بن الأَكوع[4] .

---

(١) فى بعض المصادر : برة .

(٢) فى بعض المصادر : القائد .

(٣) فى ر وابن هشام : أثلة .

(٤) عدَّ ابن عبد البر منهم فى الاستيعاب ص ٣٨ : أوس بن عابد

[قدوم[1] بقية المهاجرين إلى الحبشة]

وقدم جعفر بن أبي طالب فى جماعة من أرض الحبشة بإثر فتح خيبر ، فقال رسول الله - ﷺ : والله ما أدرى أبقدوم جعفر أنا أسرّ وأفرح أم بفتح خيبر؟ . وقدم [مع] جعفر امرأته أسماء بنت عُمَيْس ، وابنها عبد[2] الله بن جعفر ، وخالد بن سعيد بن العاصى ابن أمية ، معه امرأته أُمَيْنة[3] بنت خلف ، وابناهما : سعيد وأَمَة ، وعمرو بن سعيد بن العاصى بن أمية وكانت امرأته فاطمة بنت صفوان الكنانية قد ماتت بأرض الحبشة ، ومُعيْقيب[4] بن أبي فاطمة حليف آل سعيد بن العاصى ، وأبو موسى الأشعرى قبل إنه حليف عتبة بن ربيعة ، والأسود بن نوفل بن خُوَيْلد بن أسد ، وجُهْم بن قيس [بن][5] عبد شُرَحبيل العبدرى ، وابناه : عمرو بن جَهْم ، وخزيمة بن جهم ، وكانت امرأة جهم /بن قيس : أمّ حرملة بنت عبد الأسود قد هلكت بأرض الحبشة ، والحارث بن خالد بن صخْر التَّيْمىّ وكانت امرأته رَيْطة بنت الحارث بن جُبيْلة قد هلكت بأرض الحبشة ، وعثمان بن ربيعة بن أُهبان الجُمَحى ، ومَحْمِيَة بن جَزْءٍ الزُّبيْدِيّ حليف لبنى سَهْم بن هُصَيْص ولاّه رسول الله - ﷺ - الخُمُس ، ومَعْمر بن عبد الله بن نَضْلة العدَوِىّ ، وأبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس العامرى ، ومالك بن رمعة[6] بن قيس العامرى ، ومعه امرأته عمرة بنت السعدى بن وَقْدان ، وطائفة[7] معهم .

١١٤ و

وقد أتى من مهاجرة الحبشة قبل ذلك بسنتين سائرهم وكان هؤلاء آخر من بقى بها منهم .

---

(١) انظر فى قدوم بقية المهاجرين إلى الحبشة ابن هشام ٣/٤ وابن حزم ص ٢١٧ وابن كثير ٢٠٥/٤

(٢) فى السهيلى أن أسماء ولدت لجعفر فى الحبشة أيضا محمدا وعونا .

(٣) فى ابن هشام : ويقال همينة .

(٤) هو خازن بيت المال فيما بعد لعمر بن الخطاب .

(٥) زيادة من ر وابن هشام .

(٦) فى ابن هشام وبعض المصادر ربيعة ، وهو خطأ ، وهو أخو سودة بنت زمعة أم المؤمنين انظر الاستيعاب ص ٢٥٠ .

(٧) ممن ذكر فيهم ابن هشام : عامر بن أبي وقاص والزهرى وعتبة بن مسعود حليف لهم من هذيل .

فَتْح(١) فَدَك

ولما اتصل بأهل فَدَك ما فعل رسول الله – ﷺ – بأهل خيبر بعثوا إلى رسول الله ﷺ ليؤمِّنهم ، فأجابهم رسول الله ﷺ إلى ذلك . وكانت فدك مما لم يُوجفْ عليه بخيلٍ ولا رِكابٍ مما أفاء(٢) الله عليه بما نصره به عن الرُّعب ، فلم يقْسمها رسول الله ﷺ ووضعها حيث أمره الله عزَّ وَجَلَّ .

قال ابن شهاب عن مالك بن أوس بن الحدثان ، عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه : كان لرسول الله – ﷺ – صفايا(٣) بنى النَّضير وخيبر وفدك .

/فَتْح(٤) وادى القُرَى

١١٤ ظ

وانصرف رسول الله – ﷺ – من خيبر إلى وادى القُرَى ، فافتتحها عَنْوَةً ، وقَسَمها ، وأُصيب بها غلام له أسود يسمَّى مِدْعَمًا أصابه سهم غَرْبٌ(٥) فقتله ، فقال الناس : هنيئا (له) الجنة ، فقال النبي عليه السلام : كلا والذى نفسى بيده إن الشَّمْلة(٦) التى أصابها يوم خيبر من المغانم لم تصبها المقاسم (وإنها) لتشتعل عليه [الآن] نارا .

---

(١) انظر فى فتح فدك ابن هشام ٣٦٨/٣ والطبرى ٢٠/٣ وابن حزم ص ٢١٨ .

(٢) أفاء : من الفيء وهو الغنيمة .

(٣) صفايا : جمع صفى وهو ما يأخذه الرسول من الفيء قبل القسمة ليضعه فى المواضع التى أمره بها ربه وانظر فى الحديث سنن أبى داود ١٩/٢ وما بعدها .

(٤) انظر فى فتح وادى القرى ابن هشام ٣٥٣/٢ والطبرى ١٦/٣ وابن حزم ص ٢١٩ وابن سيد الناس ١٤٣/٢ وابن كثير ٢١٢/٤ والنويرى ٢٦٨/١٧ .

(٥) السهم الغرب : هو الذى لا يعرف من رماه ولا من أين جاء .

(٦) الشملة : كساء غليظ يلتحف به . وانظر الحديث فى ابن هشام وغيره من المراجع .

عُمْرَة[١] القضاء

فلما رجع رسول الله – ﷺ – إلى المدينة من خيبر أقام [بها] شهرى ربيع وشهرى جمادى ورجبا وشعبان ورمضان وشوالا ، وبعث فى خلال ذلك السَّرايا . ثم خرج – عليه السلام – فى ذى القعدة من السنة السابعة من الهجرة قاصدا إلى مكة للعُمْرة على ما عاقد عليه قريشا فى الحُدَيْبِيَةِ . فلما اتصل ذلك بقريش خرج أكابرهم عن مكة عداوة لله ولرسوله ﷺ ، ولم يقدروا على الصبر فى رؤيته يطوف بالبيت هو وأصحابه .

فدخل رسول الله – ﷺ – مكة ، وأتم الله عمرته ، وقعد بعض المشركين بِقُعَيْقِعَان[٢] ينظرون إلى المسلمين وهم يطوفون بالبيت . فأمرهم رسول الله – ﷺ – بالرَّمَل[٣] ، لِيرى المشركين أن بهم قوة ، وكان المشركون قالوا فى المهاجرين قد وهنتهم حُمَّى يثرب . وتروّج رسول الله ﷺ / فى غزوته تلك ميمونة بنت الحارث بن حزْن الهلالية ، قيل تزوَّجها قبل أن يُحْرِم بعمرة (القضاء) وقيل : بل تزوجها وهو محرم . وقد أوضحنا ذلك فى كتاب التمهيد وفى كتاب الصحابة أيضا عند ذكرها[٤] ، رضى الله عنها . فلما تمت الثلاثة أيام أوجبت عليه قريش أن يخرج عن مكة ، ولم يمهلوه أن يَبْنى بها ، وبَنى بها بِسَرَفٍ .

١١٥ و

[إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد وعثمان بن طلحة]

وقيل : أسلم قبل عمرة القضاء – وقيل بعدها – عمرو بن العاص وخالد بن الوليد وعثمان بن طلحة .

---

(١) انظر فى عمرة القضاء ابن هشام ١٢/٤ والواقدى ٣٩٩ وابن سعد ج٢ ق١ ص ٨٧ والبخارى ١٤١/٥ والطبرى ٢٣/٣ وأنساب الأشراف ١٦٩/١ وابن حزم ص ٢١٩ وابن سيد الناس ١٤٨/٢ وابن كثير ٢٢٦/٤ .

(٢) قعيقعان : جبل بمكة .

(٣) الرمل : ضرب من الهرولة والمشى السريع .

(٤) انظر الاستيعاب ص ٧٨٠ .

غزوة (١) مُؤْتَة

فلما انصرف رسول الله – ﷺ – من عُمْرة القضاء أقام بالمدينة ذا الحجّة والمحرّم وصفرا وشهرى ربيع ، ثم بعث – عليه السلام – فى جمادى الآخرة من السنة الثامنة من الهجرة بَعْثَ الأُمراء (٢) إلى الشام . وأمّر على الجيش زيد بن حارثة مولاه ، وقال : إن قُتِلَ أو أُصيب فعلى الناس جعفر بن أبى طالب ، فإن قُتل فعبدُ الله بن رواحة . وشيّعهم رسول الله – ﷺ – وودّعهم ثم انصرف ، ونهضوا .

فلما بلغوا معان (٣) من أرض الشام أتاهم الخبر بأن هِرَقْل ملك الروم فى ناحية البَلْقاء وهو فى مائة ألف من الروم ومائة ألف أخرى من نصارى العرب أهلِ البَلْقَاء من لَخْمٍ وجُذام وقبائل قضاعة من بَهْراء وبَلِىّ وبَلْقَين (٤) وعليهم رجل من بنى إراشَة من بَلِىٍّ يقال له مالك بن رافلة (٥) فأقام المسلمون / فى معان [ليلتين] (٦) وقالوا : نكتب إلى رسول الله – ﷺ – ونخبره بعدد عدونا (٧) فيأمرنا بأمره أو يُمِدُّنا . فقال لهم (٨) عبد الله بن رواحة : يا قوم إن التى تطلبون قد أدركتموها – يعنى الشهادة – وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ، وما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذى أكرمنا الله به ، فانْطَلِقُوا ، فهى إحدى الحُسْنَيَيْن : إما ظهور (٩) ، وإما شهادة . فوافقه الجيش كله على هذا الرأى .

١١٥ ظ

ونهضوا حتى إذا كانوا بتخوم (١٠) البلقاء لقوا الجموع التى ذكرناها كلها مع هرقل إلى

---

(١) انظر فى غزوة مؤتة ابن هشام ١٥/٤ والواقدى ٤٠١ وابن سعد ج٢ ق١ ص٩٢ والبخارى ١٤٣/٥ والطبرى ٣٦/٣ وابن حزم ص٢٢٠ وابن سيد الناس ١٥٣/٢ وابن كثير ٢٤١/٤ والنويرى ٢٧٧/١٧ .

(٢) سمى بذلك لتعدد أمرائه ، بحيث كلما قُتل أمير خلفه أمير .

(٣) معان بفتح الميم وقيل بضمها : حصن كبير بالأردن .

(٤) هكذا فى الأصل و ر وبعض المصادر ، وفى مصادر أخرى : والقين .

(٥) فى بعض المصادر : راقلة بالقاف وفى بعضها : زافلة بالزاى والفاء .

(٦) زيادة من ابن هشام وغيره .

(٧) هكذا فى ر وابن هشام وغيره ، وفى الأصل : عدوه .

(٨) هكذا فى ر وفى الأصل : له .

(٩) ظهور : انتصار .

(١٠) تخوم : حدود .

جَنْب قَرْية يقال لها : مشارف . وصار المسلمون فى قرية يقال لها مُؤْتة . فجعل المسلمون على ميمنتهم قُطْبة بن قَتادة العُذْرى ، وعلى الميسرة عَبَاية بن مالك الأنصارى ، وقيل عبادة بن مالك ، واقتتلوا فقُتل الأمير الأول : زيد بن حارثة ملاقيا بصدره الرماح مقبلا غير مدبر والرايةُ فى يده . فأخذها جعفر بن أبى طالب ، ونزل عن فرسٍ له يقال لها شقراءُ ، وقيل : إنه عَرْقبها وعقرها[1] وقاتل حتى قُطعت يمينه ، فأخذ الراية بيساره فقُطعت ، فاحتضن الراية ، فقُتل كذلك ، رضى الله عنه ، وسنه ثلاث وثلاثون أو أربع وثلاثون سنة . فأخذ الرايةَ عبدُ الله بن رواحة ، وتردَّد عن النزول بعض التردد ، ثم صمَّم ، فقاتل ، حتى قُتل . فأخذ الرايةَ ثابت بن أقرم أخو بنى العَجْلان ، وقال : يا معشر المسلمين اصْطَلِحُوا على رجل منكم ، قالوا : أنت ، قال : لا . فدفع الرايةَ إلى خالد بن الوليد / وقال : أنت أعلم بالقتال منى . فأخذها خالد بن الوليد ، وانحاز بالمسلمين . وأنذر رسول الله – ﷺ – [أصحابه][2] بالمدينة يخبرهم [بقتل[3] الأمراء المذكورين] فى يوم قَتْلهم قبل ورود الخبر بأيام . ١١٦ و

تسمية مَن[4] استُشْهد بِمُؤْتَة

زيد بن حارثة ، وجعفر بن أبى طالب ، وعبد الله بن رواحة ، ومسعود بن الأسود بن حارثة من بنى عدى بن كعب[5] من الأنصار ، ووهب بن سعد بن أبى سَرْح العامرى ، وعَبَّاد بن قيس من بنى الحارث بن الخزرج بن النعمان من بنى مالك بن النجار ، وسُراقة بن عمرو بن عطية من بنى مازن بن النجار ، وأبو كليب وقيل أبو كلاب ، وأخوه جابر ابنا عمرو بن زيد من بنى مازن بن النجار ، وعمرو ، وعامر ابنا سعد بن الحارث من بنى النجار . هؤلاء[6] من ذكر منهم . وكان عدة المسلمين يوم مُؤْتة ثلاثة آلاف .

---

(١) عرقبها : قطع عرقوبها . عقرها : ضرب قوائمها بالسيف .

(٢) زيادة من ر .

(٣) زيادة للسياق .

(٤) انظر فى شهداء مؤتة ابن هشام ٣٠/٤ وابن حزم ص ٢٢٢ وابن سيد الناس ١٥٦/٢ وابن كثير ٢٥٩/٤ والنويرى ٢٨٣/١٧ .

(٥) هكذا فى ابن هشام والاستيعاب ص ٢٨١ وفى الأصل ور : جشم .

(٦) فى الأصل ور : هذا ما ذكر منهم .

غزوة(١) فتح مكة

فأقام – ﷺ – بالمدينة بعد بعث مُؤتَة جمادى ورجبًا ، ثم حدث الأمر الذى أوجب نقْض عَقْد قريش المعقود يوم الحُدَيْبية ، وذلك أن خُزاعة كانت فى عقد رسول الله – ﷺ – مؤمنها وكافرها ، وكانت بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة فى عقد قريش ، فعَدَتْ بنو بكر بن عبد/مناة على قوم من خزاعة على ماءٍ لهم بأسفل مكة ، وكان سبب ذلك أن رجلا يقال له مالك بن عبَّاد الحَضْرَمِىّ حليفا لآل الأسود بن رَزْن خرج تاجرا ، فلما توسَّط أرض خزاعة عدوا عليه فقتلوه وأخذوا ماله ، وذلك قبل الإسلام بمدة . فعدت بنو بكر ابن عبد مناة رهط الأسود بن رزْن على رجل من خزاعة فقتلوه بمالك بن عبَّاد . فعَدتْ خُزاعة على سُلْمَى وكُلْثوم وذُؤيب بنى الأسود بن رَزْن فقتلوهم(٢) . وهؤلاء الإخوة أشراف بنى كنانة كانوا يُودَوْنَ فى الجاهلية دِيتين ديتين ، ويُودَى سائرهم(٣) دِيةً دِيةً ، وذلك كله قبل الإسلام فلما جاء الإسلام حَجَزَ ما بين مَنْ ذكرنا لشغل الناس به(٤) .

١١٦ ظ

فلما كانت الهدنة المنعقدة يوم الحديبية أمِن الناس بعضهم بعضا ، فاغتنم بنو الدِّيل من بنى بكر بن عبد مَناة تلك الفرصة وغفلة خزاعة وأرادوا إدْراك ثأر بنى الأسود بن رزن ، فخرج نوفل بن معاوية الدِّيلى بمن أطاعه من بنى بكر بن عبد مناة حتى بيَّت خزاعة ، ونال منهم(٥) فاقتتلوا . وأعانت قريش بنى بكر بالسلاح ، وقوم من قريش أعانوهم بأنفسهم

(١) انظر فى فتح مكة ابن هشام ٣١/٤ والواقدى ٤٠٦ وابن سعد ج ٢ ق ١ ص ٩٦ وأنساب الأشراف ١٧٠/١ والبخارى ١٤٥/٥ والطبرى ٤٢/٣ وسنن أبى داود ٢٨/٢ وصحيح مسلم بشرح النووى ١٢٦/١٢ وابن حزم ص ٢٢٣ وابن سيد الناس ١٦٣/٢ وابن كثير ٢٧٨/٤ والنويرى ٢٨٧/١٧ .

(٢) قتلوهم بعرفة عند أنصاب الحرم .

(٣) سائرهم : أى سائر قومهم .

(٤) فى الأصل ور : بالإسلام .

(٥) يقال إنه أصاب منهم رجلا ثم تحاوروا واقتتلوا .

مستخفين (١) . فانهزمت خُزاعة إلى الحرم . فقال قوم نوفل بن معاوية لنوفل : يا نوفل اتَّقِ إلٰهك ولا تستحلَّ الحرم ودَعْ خزاعة ، فقال : لا إلٰه لى اليوم ، والله يا بنى كنانة إنكم/لتَسْرقون فى الحرم ، أفلا تدركون فيه ثأركم ، فقتلوا رجلا من خزاعة يقال له منبِّه (٢) ، ودخلت خزاعة دور مكة فى دار بُدَيْل بن ورْقاء الخزاعى ودار موْلَى لهم يسمى رافعا . وكان ذلك نقضا للصلح الواقع يوم الحديبية .

١١٧ و

فخرج عمرو بن سالم الخزاعى وبُدَيْل بن ورْقاء الخزاعى وقوم من خُزَاعة ، فقدموا على رسول الله – ﷺ – مستغيثين به مماأَصابهم به بنو بكر بن عبد مناة وقريش وأَنشده عمرو بن سالم الشعر الذى ذكرته فى بابه من كتاب (٣) الصحابة ، فأَجابهم رسول الله – ﷺ – إلى نصرهم ، وقال : لا ينصرنى الله إن لم أَنصر بنى كعب . ثم نظر إلى سحابة ، فقال : إنها لتستهلُّ بنُصْرتى كعبا يعنى خزاعة . وقال رسول الله – ﷺ – لبُدَيْل بن ورقاء ومنْ معه : إن أَبا سفيان سيأتى ليشُدَّ العقد ويزيد فى مدة الصلح ، وسينصرف بغير حاجة .

وندمت قريش على ما فعلت ، فخرج أَبو سفيان إلى المدينة ليشد (٤) العقد ويزيد فى المدة ، فلقى بُدَيْل بن ورقاء بِعُسْفَان (٥) فكتمه بديل مسيره إلى النبى ﷺ ، وأَخبره (أنه) إنما سار بخزاعة على الساحل . فنهض أَبو سفيان حتى أَتى المدينة ، فدخل على ابنته : أم حبيبة أم المؤمنين رضى الله عنها ، فذهب ليقعد على فراش رسول الله ﷺ/[فطوته (٦) عنه فقال : يابنية ماأدرى أرغبت بى عن هذا الفراش أَم رغبت به عنى؟] قالت : بل هو

١١٧ ظ

---

(١) إذ كانت الحرب ليلا ويقال كان فيهم صفوان بن أمية وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص .

(٢) يقال أنهم أصابوه ليلة بيتوهم قبل دخولهم مكة .

(٣) انظر الاستيعاب ص ٤٥٩ وفى هذا الشعر يقول مخاطباً الرسول :

إن قريشاً أخلفتك الموعدا ... ونَقَضوا ميثاقك المؤكَّدا
وقتَّلونا بالصَّعيد هُجَّدَا ... نَتْلو القُرانَ رُكَّعا وسُجَّدا

(٤) فى الأصل و ر : ليستديم ، وانظر ما قبله ، وراجع ابن هشام وغيره .

(٥) عسفان : على مرحلتين من مكة أو ثلاث .

(٦) زيادة من ابن هشام

فراش رسول الله ﷺ] وأنت رجل مشرك [نجس[١] فلم أحب أن] تجلس عليه ، فقال لها : يا بنية لقد أصابك بعدى شر. ثم أتى النبي – عليه السلام – فى المسجد ، فكلمه ، فلم يجبه بكلمة . ثم ذهب أبو سفيان إلى أبى بكر ، فكلّمه فى أن يكلم رسول الله – ﷺ – فيما أتى له – فأبى عليه أبو بكر من ذلك . فلقى عمر فكلّمه فى ذلك ، فقال له عمر : أنا أفعل هذا ؟ ! والله لو لم أجد إلا الذّرّ لجاهدتكم به . فدخل على على بن أبى طالب ، رضى الله عنه ، فوجده – وفاطمة بنت رسول الله ﷺ والحسن وهو صبى – فكلّمه فيما أتى له ، فقال له على : والله ما أستطيع أن أكلّم رسول الله – ﷺ – فى أمر قد عزم عليه . فالتفت أبو سفيان إلى فاطمة فقال : يا بنت محمد هل لكِ أن تأمرى بُنيَّكِ هذا فيُجير على الناس ، فقالت له : ما بلغ بُنَيىّ ذلك ، وما يُجير أحد على رسول الله ﷺ ، فقال له علىّ : يا أبا سفيان أنت سيد بنى كنانة ، فقُمْ ، فأَجِرْ على الناس والحقْ بأرضك ، وهزِىء به ، فقال له : يا أبا الحسن أترى ذلك نافعى ومغنيا عنى [شيئا] ؟ قال : ما أظنّ ذلك ، ولكن لا أجد لك سواه . فقام أبو سفيان فى المسجد فقال : يا أيها الناس إنى قد أجرت على الناس . ثم ركب وانطلق راجعا إلى مكة . فلما قدمها أخبر قريشا بما لقى وبما فعل ، فقالوا له : ما جئت بشىء ، وما زاد على بن أبى طالب على أن لعب بك .

ثم /أعلن رسول الله – ﷺ – المسير إلى مكة ، وأمر الناس بالجهاز لذلك ، ودعا الله – تعالى – فى أن يأخذ عن قريش الأخبار[٢] ويستر عنهم خروجه . فكتب حاطب بن أبى بلْتَعَة إلى قريش كتابا يخبرهم بِقَصْد رسول الله – ﷺ – إليهم . فنزل جبريل من عند الله –تعالى على رسول الله – ﷺ ، بما صنع حاطب بن أبى بَلتعَةَ . فدعا رسول الله ﷺ – على بن أبى طالب والزُّبير بن العوّام والمقداد بن عمرو ، فقال لهم : انْطَلِقُوا حتى تأتوا روضة خاخٍ ، فإن بها ظعينة[٣] معها كتاب إلى قريش . فانطلقوا فلما أتوا روضة خاخٍ وجدوا المرأة ، فأناخوا بها وفَتَّشُوا رَحْلها كله ، فلم يجدوا شيئا ، فقالوا : والله ما كذب رسول الله ﷺ ، فقال لها على : والله لتُخْرِجِنّ الكتاب أو لَنُلْقِين[٤] الثياب ،

١١٨ و

(١) زيادة من ابن هشام .
(٢) أى حتى يبغتوها فجأة ويروى أنه كان يدعو : «اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها»
(٣) الظعينة : المرأة فى الهودج
(٤) فى ابن هشام : أو لنكشفنك

فحلّت قرون رأسها ، فأخرجت الكتاب (منها) . فأتوا به النبى ﷺ ، فإذا هو كتاب من حاطب بن أبى بَلْتَعَة إلى أهل مكة . فقال رسول الله ﷺ : ما هذا يا حاطب ؟ فقال حاطب : والله يا رسول الله ما شككتُ فى الإسلام ولا رجعت عن دينى ، ولكنى كنت مُلْصَقًا فى قريش فأردت أن أتخذ عندهم بذلك يدا يحفظوننى بها فى شأفتى[١] بمكة لأن أهلى وولدى بها . فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله دعْنى أضربْ عنقَ هذا المنافق ، فقال رسول الله ﷺ : وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على أهل بدر ، فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم[٢] .

١١٨ ظ وخرج رسول الله ﷺ – فى عشرة آلاف / واستخلف على المدينة أبا رُهْمٍ كلثوم[٣] بن حُصَيْن الغِفارى ، وكان خروجه لعشر خلت من رمضان ، فصام – عليه السلام – حتى بلغ الكَدِيد[٤] بين عُسْفان وأَمَج ، ثم أفطر – ﷺ – بعد صلاة العصر ، وشرب على راحلته علانية ليراه الناس ، وقال : تقوَّوْا لعدوِّكم ، وأمر الناس بالفِطْر ، فأفطر بعضهم وصام بعضهم ، فلم يَعب على الصائم[٥] ولا على المفطر .

فلما نزل رسول الله – ﷺ – مرُّ[٦] الظهران – ومعه من بنى سُلَيم ألف رجل ومن بنى مُزَيْنَة ألف رجل وثلاثة رجال ، وقيل من بنى سليم سبعمائة ، ومن بنى غفار أربعمائة ، ومن أسلم أربعمائة ، وطوائف من قيس وأسد وتميم وغيرهم من سائر العرب ، وقد أخفى الله – عَزَّ وجَلَّ – خبره عن قريش إلا أنهم على وجَل وارتقاب – خرج[٧] أبوسفيان وبُدَيْل بن

---

(١) الشأفة : الأهل والمال .

(٢) وأنزل الله تعالى فى حاطب : (يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق) إلى قوله : (قد كانت لكم أسوة حسنة فى إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برءاء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدًا حتى تؤمنوا بالله وحده) إلى آخر القصة (انظر الروض الأنف ٢٦٦/٢ وما بعدها) .

(٣) فى ابن سعد : عبد الله بن أم مكتوم .

(٤) الكديد : موضع على اثنين وأربعين ميلا من مكة .

(٥) روى ابن حزم ص ٢٢٧ أنه عاب على الصائمين صيامهم واستنتج من ذلك أن الصيام لا يباح فى السفر وأن ذلك يعد نسخاً لما كان قبله من إباحته .

(٦) مر الظهران : موضع على مرحلة من مكة .

(٧) جواب لما فى أول الفقرة .

ورقاء وحكيم بن حزام يتجسَّسون الأخبار . وقد كان العباس بن عبد المطلب هاجر مسلما [فى] تلك الأيام ، فلقى رسول الله – ﷺ – بذى الحُلَيْفة [١] ، فبعث ثَقَله [٢] إلى المدينة ، وانصرف مع رسول الله ﷺ – غازيا ، فالعبَّاس من المهاجرين قبل الفتح ، وقيل : بل لقيه بالجُحْفة [٣] مهاجرا . وذُكر أيضا أنَّ أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعبد الله بن أبى أمية بن المغيرة أخا أم سَلَمة خرجا أيضا مهاجرين ولقيا رسول الله – ﷺ – فى بعض الطريق قرب مكة ، فأعرض عنهما . فلما نزل استأذنا عليه ، فلم يأذن لهما ، فكلَّمته أم سلمة فيهما/وقالت : لا يكون ابن عمك وأخى [٤] أشقى الناس بك ، فقد جاءا مسلمين ، فأذن لهما رسول الله ﷺ وأسلما وحسُنَ إسلامهما . ١١٩ و

فلما نزل رسول الله – ﷺ – بالجيوش مَرَّ الظَّهْرَان رقَّتْ نفس العباس لقريش وأسف على ذهابها [٥] وخاف أن تغشاهم الجيوش قبل أن يستأمنوا . فركب بغلة النبى ﷺ ونهض ، فلما أتى الأراك [٦] وهو يطمع أن يلقى حطَّابا أو صاحب [لبن] [٧] يأتى مكة فينذرهم . فبينما هو يمشى إذ سمع صوت أبى سفيان صَخْر بن حرب وبُدَيْل بن ورْقاء وهما يتساءلان وقد رأيا نيران عسكر النبى عليه السلام . وبُدَيْل يريد أن يستر ذلك فيقول : إنما هى نيران خُزاعة ، ويقول له أبو سفيان : خزاعة أقل وأذل [من] [٨] أن تكون لها هذه النِّيران . فلما سمع العباس كلامه ناداه [٩] : يا [أبا] [١٠] حنظلة فميَّز أبو سفيان كلامه ، [١١] فناداه : يا أبا الفَضْل ، فقال : نعم ، فقال له : فِداك أبى وأمى ، فقال له العباس :

---

(١) ذو الحليفة : على ستة أميال من المدينة .

(٢) ثقله : أهله ومتاعه .

(٣) الجحفة : موضع على أربع مراحل من مكة .

(٤) فى بعض المصادر : وصهرك أخى .

(٥) يريد : ما توقعه من ذهابها لضخم هذا الجيش ، غير أنها دخلت فى دين الله ولم تحدث حرب .

(٦) الأراك : واد قرب مكة .

(٧) زيادة من ر و ابن هشام وغيره .

(٨) زيادة من ر و ابن هشام وغيره .

(٩) فى الأصل : فناداه .

(١٠) زيادة من ر وابن هشام وغيره

(١١) فى ابن هشام وغيره : صوته .

ويحك يا أَبا سفيان هذا رسول الله – ﷺ – فى الناس ، واصباحَ قريش ، فقال أَبو سفيان : فما الحيلة ؟ فقال له العباس : هذا والله لئن ظفر بك ليقتلنَّك ، فارْتدِفْ خلفى وانهضْ معى إلى رسول الله ﷺ . فأَردفه العباس ولقى به العسكر ، فلما رأى الناس [العباس][1] على بغلة رسول الله ﷺ أَمسكوا . ومرَّ على نار عمر [ونظر[2] عمر إلى أَبى سفيان] فميَّزه ، فقال : /أَبو سفيان عدو الله ، الحمد لله الذى أَمكن منك بغير عَقْد ولا عَهْد . ثم خرج يشتدّ[3] إلى رسول الله ﷺ ، وسابقه [العباس][4] فسبقه العباس على البغلة وكان عمر بطيئًا فى الجَرْى . فدخل العباس ودخل عمر على أَثره ، فقال : يا رسول الله هذا عدو الله أَبو سفيان قد أَمكن الله منه بلا عقد ولا عهد ، فأْذنْ لى أضربْ عنقه . فقال له العباس مَهْلا : يا عمر ، فوالله لو كان من بنى عَدِىّ[5] بن كعب ما قلت هذا ولكنه من بنى عبد مناف . فقال عمر : مهْلاً ، فوالله لإسلامُك يوم أَسلمت كان أَحبَّ إلىَّ من إسلام الخطَّاب لو أَسلم وما بى إلا أَنى قد عرفت أَن إسلامك كان أَحبَّ إلى رسول الله ﷺ [من[6] إسلام الخطاب لو أسلم].فأمر [رسول الله ﷺ] العباس أَن يحمله إلى رَحْله ويأْتيه به صباحا . ففعل العباس ذلك ، فلما أَصبح أَتى به النبى عليه السلام ، فقال له رسول الله ﷺ : أَلم يأْنِ[7] لك بأَن تعلم أَن لا إِلٰه إلا الله ؟ فقال أَبو سفيان : بأَبى أَنت وأُمى ما أَحلمك وما أَكرمك وأَوصلك ، والله لقد ظننت أنه لو كان مع الله إلٰهٌ غيره لقد أَغنانى[8] ، قال : ويحك يا أَبا سفيان أَلم يأْن لك أَن تعلم أَنى رسول الله ؟ قال : بأَبى أَنت وأُمى ما أَحلمك وأَكرمك وأَوصلك أَمَّا هذه فإن فى النفس منها شيئا[9] حتى الآن . فقال له العباس : أَسْلِمْ قبل أَن تُضْرب عنقك ، فأَسْلَمَ ، فقال العباس : يا رسول /الله إن أَبا سفيان يحبّ الفَخْر ، فاجْعَلْ له شيئا ، فقال رسول الله –

(١١٩ ظ) (١٢٠ و)

---

(١) زيادة من ر .

(٢) زيادة من ابن حزم وهو فى أكثر صحفه ينقل عن ابن عبد البر .

(٣) يشتد : يسرع فى العدو .

(٤) زيادة من ر .

(٥) هم عشيرة عمر .

(٦) زيادة من ر و ابن هشام وغيره .

(٧) ألم يأن : ألم يحن .

(٨) فى ابن هشام : لقد أغنى شيئاً بعد .

(٩) هكذا فى ر وفى الأصل : شىء

ﷺ - لعمه : مَنْ دخل دار أَبى سفيان فهو آمن [ومن⁽¹⁾ أغلق بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن] .

فكان هذا منه أمانا لكل من لم يقاتل من أهل مكة ، ولهذا قال جماعة من أهل العلم منهم الشافعى - رحمه الله - أن مكة مؤمَّنة وليست عنْوةً⁽²⁾ ، والأمان كالصلح ، وروى أن أهلها مالكون رباعهم ، ولذلك كان يُجيز كِراها لأربابها وبيعها وشراءها لأن من أُمِّن فقد حُرِّم ماله ودمه وذريته وعياله . فمكة مؤمنة عند من قال بهذا القول إلا الذين استثناهم رسول الله ﷺ وأمر بقتلهم وإن وُجدوا متعلِّقين بأستار الكعبة . وأكثر أهل العلم يرون فتح مكة عَنْوَةً لأنها أُخِذَتْ غلبةً بالخيل والرِّكاب إلا أنها مخصوصة بأن لم يجْرِ فيها قَسْمُ غنيمةٍ ولا سُبِىَ من أهلها أحد . وخُصَّتْ بذلك لما عظَّم الله من حُرْمتها ألا ترى إلى قوله ﷺ : مكة حرام محرَّمة لم تحِلَّ لأحد قبلى ولا تَحِلُّ لأحد بعدى وإنما أُحِلَّتْ لى ساعةً من نهار ثم هى حرام إلى يوم القيامة . والأصح - والله أعلم - أنها بلدة مؤمَّنة ، أُمن أهلها على أنفسهم وأُمنت⁽³⁾ أموالهم تبعا لهم . ولا خلاف [فى] أنه لم يكن فيها غنيمة .

١٢٠ ظ

ثم أمر رسول الله - ﷺ - العباس أن يوقف أبا سفيان /بِخَطْم⁽⁴⁾ الوادى ليرى جيوش الله تعالى ، ففعل ذلك العباس ، وعرض عليه قبيلة قبيلة ، يقول : هؤلاء سُلَيْمُ ، هؤلاء غِفار ، هؤلاء تميم ، هؤلاء مُزَيْنة ، إلى أن جاء موكب النبى - ﷺ - فى المهاجرين والأنصار خاصة ، كلهم فى الدروع والبَيْض ، فقال أبو سفيان : منْ هؤلاء ؟ فقال : هذا رسول الله - ﷺ - فى المهاجرين والأنصار ، فقال أبو سفيان : والله ما لأحد بهؤلاء قِبَلٌ ، والله يا أبا الفضل لقد أصبح مُلْك ابن أخيك عظيما ، فقال العباس : يا أبا سفيان إنها النبوَّة ، قال : فنعم إذن . ثم قال له العباس : يا أبا سفيان النَّجاء⁽⁵⁾ إلى قومك . فأسرع أبو سفيان ، فلما أتى مكة عرَّفهم بما أحاط بهم ، وأخبرهم بتأمين رسول الله - ﷺ - كل من دخل داره أو المسجد أو دار أبى سفيان .

---

(١) زيادة من ر وابن هشام وغيره .

(٢) عنوة : حرباً ، أى أنها فتحت صلحاً لا حربا .

(٣) فى الأصل : وكانت .

(٤) خطم الوادى : أنفه البارز منه - وفى ابن هشام : بمضيق الوادى عند خطم الجبل .

(٥) النجاء السرعة .

وتأبَّش[١] قوم ليقاتلوا ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، فرتَّب الجيوش ، وجعل الراية بيد سعد بن عُبادة ، وكان من قول سعد بن عبادة : اليوم يوم الملْحمة[٢] ، اليوم تستْحلّ الْحُرْمة . فقال[٣] العباس : يا رسول الله هلكت قريشٌ ، لا قريش بعد اليوم ، إن سعد ابن عبادة قال كذا وكذا وإنه حنقٌ على قريش ، ولابُدَّ أن يستأْصلهم . فأمر رسول الله — ﷺ — أن تُنْزَعَ الراية من سعد بن عُبادة وتدفع إلى علىّ ، وقيل : بل إلى الزُّبير ، وقيل : /بل دفعها إلى ابنه قيس بن سعد لئلا يجد سعد فى نفسه شيئا. وكان الزُّبَيْر على الميمنة وخالد بن الوليد على الميسرة ، وقد قيل إن الزبير (كان)على الميسرة وخالد بن الوليد على الميمنة وفيها أَسْلم وغِفار ومُزَيْنة وجُهيْنَة . وكان أَبو عبيدة بن الجرَّاح على مقدمة[٤] موكب النبى ﷺ . وسرَّب[٥] رسول الله — ﷺ — الجيوش من ذى طُوًى[٦] ، وأَمر الزبير بالدخول من كَدَاء[٧] فى أعلى مكة ، وأَمر خالد بن الوليد ليدخل من اللِّيط أَسفل مكة . وأَمرهم رسول الله — ﷺ — بقتال من قاتلهم . ولهذا كله يقول أَكثر العلماء : إنها افتتحت عَنْوَةً وأَنها مخصوصة دون سائر البلدان بما خصت به دون[٨] غيرها .

١٢١ و

وكان عِكْرِمة بن أَبى جهل وصَفْوان بن أُمية وسهيل بن عمر قد جمعوا جمعا بالخَنْدمة[٩] ليقاتلوا ، فناوشهم أَصحابُ خالدٍ القتال ، فأُصيب من المسلمين رجلان وهما : كُرْز بن جابر من بنى محارب بن فِهْر بن مالك ، وخُنَيْس[١٠] بن خالد بن ربيعة بن أَصْرَم الخُزاعى حليف بنى منقذ خرجا عن جيش خالد فقُتلا ، رحمة الله عليهما . وقُتل

---

(١) تأبش : تجمع .
(٢) الملحمة : المعركة العنيفة .
(٣) فى الأصل : فقال له .
(٤) فى صحيح مسلم إنه كان على البياذقة أى الرجالة . انظر ابن سيد الناس ١٧٣/٢ .
(٥) سرب : فرق .
(٦) ذو طوى : موضع قرب مكة .
(٧) كداء : جبل بأعلى مكة ، أما كدى بالقصر وضم الكاف فجبل بأسفلها .
(٨) فى الأصل ور : فى غير ماشىء .
(٩) الخندمة : جبل بمكة .
(١٠) فى بعض المصادر : حبيش بالباء والشين . انظر ابن سيد الناس ١٨٣/٢ .

أيضا من المسلمين سلمة بن الميلاء الجُهَنى . وقُتل من المشركين ثلاثة عشر رجلا ، ثم انهزموا . وهذه سبيل العَنْوة فى غير مكة . وكان شعار المهاجرين يوم الفتح وحُنَيْن والطائف يا بنى عبد الرحمن /وشعار الخزرج يا بنى عبد الله وشعار الأوس يا بنى عبيد الله . ١٢١ ظ

وكان الذين استثناهم رسول الله ﷺ حين أمَّن الناس عبد العزّى بن خَطَل وهو من بنى الأدْرم بن غالب ، وعبد الله بن سعد بن أبى سَرْح ، وعكرمة بن أبى جهل ، والحُوَيْرث بن نُقَيْذ بن وهب بن عبد بن قُصىّ ، ومِقْيَس بن صُبابة ، وقَيْنتى ابن خطل : فَرْتَنىَ وصاحبتها[١] كانتا تغنّيان ابن خَطَل بهجو رسول الله ﷺ ، وسارَة مولاة لبعض بنى عبد المطلب .

أما ابن خطل فإنه كان أسلم وبعثه النبى ﷺ مصدِّقا[٢] ، وبعث معه رجلا من المسلمين فعَدا عليه ، فقتله وارتدّ ولحق بالمشركين بمكة ، فوجد يوم الفتح متعلقا بأستار الكعبة ، فقتله سعيد بن حُرَيث المخزومى وأبو برْزَة الأسلمى .

وأما عبد الله بن سعد بن أبى سرْح فكان يكتب لرسول الله ﷺ ، ثم لحق بمكة مرتداًّ ، فلما كان يوم الفتح اختفى . ثم أتى به عثمان بن عفان النبى ﷺ وكان أخاه من الرِّضاعة ، فاستأمن له رسول الله ﷺ . فسكت عنه ﷺ [ساعة][٣] ثم أمَّنه وبايعه . فلما خرج قال رسول الله — ﷺ — لأصحابه : هلاَّ قام بعضكم فضرب عنقه ؟ فقال رجل من الأنصار : هلاَّ أو مأْت إلىّ ؟ فقال عليه السلام : ما كان لنبىٍّ أن يكون له خائنةُ/ الأعين . ثم عاش عبد الله بن سعد حتى استعمله عمر ، ثم ولاَّه عثمان مصر . وهو الذى غزا إفريقية وافتتحها أول مرة . وحسُن إسلامه ، ولم يظهر منه بعْدُ فى دينه شىء يُكْرهُ . ١٢٢ و

وأما عِكْرِمة بن أبى جهْل فَفَرَّ إلى اليمن ، فاتبعته امرأته أم حكيم بنت الحارث بن هشام فردَّته[٤] ، فأسلم وحسن إسلامه ، وكان من فُضلاءِ الصحابة .

---

(١) كانت تسمى قريبة .

(٢) مصدقاً : جامعاً للزكاة .

(٣) زيادة من ر وابن حزم ، وفى ابن هشام : فصمت طويلاً .

(٤) فى ابن هشام ٥٣/٤ : أنها أسلمت واستأمنت له رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمنه فخرجت فى طلبه إلى اليمن حتى أتت به رسول الله فأسلم ، وعكف على العبادة والجهاد فى سبيل الله حتى مات شهيدًا فى حروب الشام قيل فى اليرموك وقيل فى أجنادين .

وأما الحويرث بن نُقَيْذ فكان يؤذى رسول الله – ﷺ – بمكة ، فقتله على بن أبى طالب يوم الفتح .

وإما مِقْيَسُ بن صُبابة فكان قد أتى النبى – عليه السلام – قبل ذلك مسلما ثم عدا على رجل من الأنصار فقتله بعد أن أخذ الدية منه فى قتيل له ، ثم لحق بمكة مرتدا[١] . فقتله يوم الفتح نُميلَة بن عبد الله اللَّيْثى وهو ابن عمه . وفى سُننه – ﷺ – أنه قال : لا أعْفى أحدا قتَل بعد أَخْذ الدية . هذا من المسلمين ، وأما مقيس بن صبابة فارتدَّ – وقَتَل – بعد أَخذ الدية .

وأَما قَيْنتا ابن خَطل فقُتلت إحداهما واستؤمن رسول الله – ﷺ – للأخرى ، فأَمَّنها ، فعاشت مدة ثم ماتت فى حياة النبى عليه السلام .

وأَما سارة فاستُؤمن لها أيضا ، وأَمَّنها عليه السلام ، وعاشت إلى أن أوطأَها رجلٌ فرسا بالأَبطح فى زمان عمر فماتت .

١٢٢ ظ

واستتر/رجلان من بنى مخزوم عند أُم هانئ بنت أَبى طالب فأَجارتهما وأَمَّنتهما ، فأَمضى رسول الله – ﷺ – أَمانها ، وقال : قد أَجرنا منْ أَجرتِ يا أُمَّ هانىء وأَمَّنَّا من أَمَّنتِ ، وكان علىٌّ أَراد قتْلهما ، قيل : إنهما الحارث بن هشام وزهير بن أَبى أُمية أخو أُم سَلمة ، وأَسلما وكانا من خيار المسلمين ، وقيل : إن أَحدهما جعدة[٢] بن هبيرة ، والأَول أَصح .

وطاف رسول الله – ﷺ – بالكعبة ، ودعا عثمان بن طلحة فأَخذ منه مفتاح الكعبة بعد أَن مانعته أُمه ذلك ثم أَسلمته . فدخل النبى الكعبة ومعه أُسامة بن زيد ، وبلال بن رَباح ، وعثمان بن طلحة ، ولا أَحد معه غيرهم . فأَغلق الباب عليه . وصلَّى داخلها ركعتين . ثم خرج وخرجوا ، وردَّ المفتاح إلى عثمان بن طلحة ، وأَبقى له حِجابة[٣] البيت وقال : خذوها خالدة تالدة إلى يوم القيامة ، فهى إلى الآن فى ولد شَيْبَةَ بن عثمان بن طلحة .

---

(١) انظر قصته فى غزوة بنى المصطلق السالفة ، وكان الأنصارى قتل أخاه هشاماً خطأً فى نفس الغزوة ، وقيل : بل فى غزوة ذى قرد . قارن بالاستيعاب ص ٦١٢ .

(٢) هو جعدة بن هبيرة بن أبى وهب المخزومى ، أمه أم هانئ نفسها ، وسيأتى الحديث عن أبيه .

(٣) الحجابة : سدانة البيت والقيام على خدمته

وأمر – عليه السلام – بكسْر الصُّوَر التى داخل الكعبة وحولها وكسْر الأصنام[١] التى حول الكعبة وبمكة كلها ، وكانت الأصنام التى فى الكعبة مشدودة بالرصاص وكان يشير إليها بقضيب فى يده ، فكلما أشار إلى واحد منها خرَّ لوجهه ، وكان يقول : (جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زَهُوقا) . وأذَّن له بلال على ظهر الكعبة .

١٢٣ و

وخطب رسول الله – ﷺ –/ثانى يوم الفتح خطبة مشهورة عند أهل الأثر والعلم بالخبر ، فوضع مآثر الجاهلية حاشا سِدانة البيت وسقاية[٢] الحاجِّ ، وأخبر – ﷺ – أن مكة لم يحلّ فيها القتال لأحد قبله ، ولا يحلُّ لأحد بعده ، وإنما حلَّ له القتال فيها ساعة من نهار ، ثم عادت كحُرْمتها بالأمس ، لا يُسْفَكُ فيها دم . ومن أحسن ما روى من خطبته مختصرا ما رواه يحيى بن سعيد الأموى وغيره ، عن محمد بن إسحق ، عن يحيى بن عبَّاد ابن عبد الله بن الزبير عن أبيه :

أمر نبى الله – ﷺ – ربيعة بن أمية بن خلف ، فوقف تحت صدر راحلة النبى ﷺ ، وكان رجلا صيِّتا[٣] ، فقال : يا ربيعة قُلْ : يا أيها الناس إن نبىَّ الله يقول لكم : أتدرون أىّ بلد هذا ؟ وأى شهر هذا ؟ وأى يوم هذا ؟ فنادى بذلك ، فقال الناس : نعمْ هذا البلد الحرام والشهر الحرام ، فقال : إن الله حرَّم عليكم دماءكم وأموالكم كحُرْمة بلدكم هذا وكحرمة شهركم هذا وكحرمة يومكم هذا ، ثم قال : اللهم اشْهَدْ . أيها الناس (إنما النَّسِىءُ[٤] زيادةٌ فى الكفر يُضَلُّ به الذين كفروا يُحِلُّونه عاما ويحرِّمُونه عاما ليُواطئوا عدة ما حرَّم الله) ألا وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض و (إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله) منها أربعة حرم : الثلاثة متوالية ، ورجب مفرد الذى بين جمادى/وشعبان . ألا هل بلَّغت ؟ فيقول الناس : نعم . قال اللهم اشْهَدْ .

١٢٣ ظ

---

(١) فى ابن سعد أنها كانت ثلاثمائة وستين صنماً وكان هبل أعظمها . وقد بث السرايا والبعوث لكسر الأصنام التى كانت بالقرب من مكة ، منها العزى ومناة وسواع وبوانة وذو الكفين .

(٢) سقاية الحاج كانت فى الجاهلية لبنى هاشم وقد أبقاها الرسول لهم فى الإسلام ودفعها إلى عمه العباس .

(٣) صيتا : بعيد الصوت .

(٤) النسىء : التأجيل ويراد به تأجيل بعض الأشهر الحرم وهى المذكورة فيما بعد ، وكانوا ربما أخروها جملة أو أخروا بعضها وخاصة شهر المحرم ، إذ كان كثيرون يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً . ويقال إن كنانة هى التى كانت تصنع ذلك .

وتوقعت الأنصار أن يبقى النبى – عليه السلام – بمكة ، فأخبرهم أن المَحْيا محياهم وأن المَماتَ مماتهم . ومرَّ – عليه السلام – بفَضَالة بن عُمَيْر بن الملوَّح الليثى ، وهو عازمٌ على الفتك برسول الله ﷺ ، فقال له : ما تحدِّث به نفسك ؟ قال : لا شىء كنت أذكر الله عزَّ وَجَلَّ ، فضحك النبى عليه السلام ، وقال : أستغفر الله لك ، ووضع يده – عليه السلام – علىَ صدْرِ فضالة ، فكان فضالة يقول : والله ما رفع يده عن صدرى حتى ما أجد على ظهر الأرض أحبَّ إلىّ منه .

وهرب صَفْوان بن أُمية إلى اليمن ، فاتبعه عمير بن وهب الجُمحى بتأمين رسول الله – ﷺ – [إياه فرجع] فأكرمه رسول الله ﷺ ، وقال له : انزلْ[١] يا أبا وهب ، فقال : إن هذا يخبرنى عنك أنك تمهلنى شهرين ، قال : بل لك أربعة أشهر . وهرب ابن الزِّبعْرى[٢] الشاعر إلى نَجْران ثم رجع ، فأسلم . وهرب هبيرة بن أبى وهب المخزومى زوج أُم هانىْ بنت أبى طالب إلى اليمن[٣] ، فمات هناك كافرا .

ثم بعث رسول الله – ﷺ – السرايا حول مكة يدعو إلى الإسلام ، ولم يأمرهم[٤] بقتال . وكان أحد أُمراء تلك السرايا : خالد بن الوليد خرج إلى بنى جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة ، فقتل منهم وسبا ، وقد كانوا أسلموا ولم يقبل خالد قولهم وإقرارهم بالإسلام ، فودَاهم[٥] /رسول الله ﷺ ، بعث على بن أبى طالب – رضى الله عنه – بمال إليهم ، فودى لهم جميع قتلاهم وردَّ اليهم ما أُخذ منهم وقال لهم على : انظروا إن فقدتم عِقالا[٦] لأدينَّه ، فبهذا أمرنى رسول الله ﷺ . ورفع رسول الله ﷺ – يديه فقال : اللهم إنى أبرأ إليك من صُنْع خالد .

١٢٤ و

---

(١) وكان لا يزال راكباً راحلته وقد ناداه بكنيته تلطفاً . وقد أسلم بعد موقعة حنين أى بعد شهر وحسن إسلامه .

(٢) أشعر قريش وكأن من أشدها إيذاء للرسول بشعره ، وقد مضى بعد إسلامه ينسخ شعره القديم بأشعار كثيرة يمدح بها الرسول وهديه الكريم .

(٣) وقيل إلى نجران .

(٤) فى بعض المصادر : وأمرهم بقتال من قاتل .

(٥) وداهم : دفع دياتهم .

(٦) العقال هنا : البعير .

ثم بعث رسول الله ﷺ – خالد بن الوليد إلى العُزّى وكان بيتًا[١] بِنَخْلة تعظمه قريش وكنانة وجميع مضر ، وكان سدنَته بنو شيبان من بنى سُلَيم حلفاء بنى هاشم ، فهدمه . وكان فتح مكة لعشر بقين من رمضان سنة ثمان من الهجرة .

غزوة[٢] حُنَيْن

فلما بلغ هوازنَ فتحُ مكة جمعهم مالك بن عوْف النَّصْرى من بنى نصر بن معاوية ، فاجتمع إليه قومه : بنو نصْر وبنو جُشَم وبنو سعد بن بكر ، وثقيف ، وطائفة من بنى هلال بن عامر . ولم يشهدها من قيس[٣] غير هؤلاء . وغابتْ عن ذلك عُقَيْل ، وقُشَيْرابنا كعب بن ربيعة بن عامر . وبنو كلاب بن ربيعة بن عامر ، وسائر إخوتهم ، فلم يحضرهم من كعب وقشير وكلاب أحد يُذْكَرُ . وحملت بنو جُشَم مع أنفسهم شيخهم وكبيرهم : دُرَيد بن الصِّمَّة ، وهو يومئذ شيخ كبير لا يُنْتفعُ به فى غير رأيه ، حملوه فى هودج لضعف جسمه . وكان فى ثقيف/سيدان [لهم[٤] فى الأَحلاف] أَحدهما قارب بن الأَسود ابن مسعود بن مُعَتِّب[٥] ، والآخر ذو الخِمار سُبَيْع بن الحارث بن مالك . وكانت الرياسة فى جميع العسكر إلى مالك بن عوف النصرى ، فحشَد من ذكرنا ، وساق مع الكفار أَموالهم ، وماشيتهم ونساءهم وأَولادهم ، وزعم أَن ذلك لتَحَمّى به نفوسهم وتشتد فى القتال عن ذلك شوكتهم .

١٢٤ ظ

ونزلوا بأوطاس[٦] ، فقال لهم دُرَيْد بن الصِّمَّة : مالى أَسمع رُغاء البعير ونُهاق الحمير

---

(١) بيتا : أى كعبة . نخلة : على الطريق من مكة إلى الطائف وبينها وبين مكة مسير ليلة .

(٢) انظر فى غزوة حنين ابن هشام ٨٠/٤ والواقدى ٤١٧ وابن سعد ج٢ ق١ ص١٠٨ والبخارى ١٥٣/٥ والطبرى ٧٠/٣ وصحيح مسلم بشرح النووى ١١٣/١٢ وابن حزم ص٢٣٦ وابن سيد الناس ١٨٧/٢ وابن كثير ٣٢٢/٤ .

(٣) من قيس : أى من قيس عيلان .

(٤) زيادة من ابن هشام وغيره .

(٥) وراء معتب فى الأصل : من الأحلاف .

(٦) أوطاس : واد فى ديار هوازن .

وبكاء الصغير ويُعار[١] الشاء؟ قالوا : ساق مالك مع الناس أموالهم وعيالهم [قال[٢]] : أين مالك ؟ قيل : هذا مالك ، فسأله : لم فعلت ذلك ؟ فقال مالك :] ليقاتلوا عن أهليهم وأموالهم فقال دريد : راعى[٣] ضَأْنٍ والله ، وهل يردُّ المُنْهزِمَ شىء ؟ إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسلاحه ، وإن كانت عليك فُضِحْتَ فى أهلك ومالك . ثم قال : ما فعلت كعب وكلاب ؟ قالوا : لم يشهدها منهم أحد ، قال دُرَيْد : غاب الحَدّ[٤] والجِدّ ، لو كان يوم علاء ورفعة لم تغب عنه كعب وكلاب ولَوَدِدْت أنكم فعلتم ما فعلت كلاب وكعب ، فمن شهدها [من[٥] بنى عامر؟] قالوا : عمرو بن عامر ، وعوف بن عامر ، قال : ذانك الجَذَعان[٦] من عامر لا ينفعان ولا يضران ، يا مالك إنك لم تصنع بتقديم بَيْضة[٧] هوازن إلى نُحور الخيل شيئًا ، ارْفَعْهم إلى ممتنع بلادهم وعُلْيا قومهم ، ثم الْقَ الصُّباة[٨] على مُتون الخيل ، فإن كانت لك لحق بك / من وراءك ، وإن كانت عليك كنت قد أحرزت أهلك ومالك . فأبى ذلك مالك وخالفتْ هوازن دريدا واتبعوه ، فقال دُريد : هذا يوم لم أشهده ولم يغب عنى :

١٢٥ و

يا ليتنى فيها جذَعْ أَخُبُّ فيها وأَضَعْ[٩]

وبعث [إليهم][١٠] رسول الله – ﷺ – عبد الله بن أبى حَدْرد الأسلمى عِشاء ، فأتى بعد أن عرف مذاهبهم ، وأخبر رسول الله – ﷺ – بما شاهده منهم .

فعزم رسول الله – ﷺ – على قَصْدهم ، واستعار من صفوان بن أمية بن خلف

---

(١) يعار الشاء : صوتها .

(٢) زيادة من ر و ابن هشام وغيره .

(٣) يجهله بذلك ويسخر منه .

(٤) الحد : المضاء فى الأمر .

(٥) زيادة من ابن حزم وغيره يقتضيها السياق .

(٦) الجذع : الشاب الحدث غير المجرب .

(٧) بيضة هوازن : أصلهم وجماعتهم .

(٨) الصباة : جمع صابىء ، وكان الكفار ينعتون المسلمين بأنهم صباة خرجوا على دين آبائهم .

(٩) الخبب والوضع : ضربان من السير ، يتمنى لو كان شابا له حركة الشباب واندفاعهم ليظهر بلاءه فى تلك الحرب .

(١٠) زيادة من ابن هشام .

الجُمَحِي دروعا ، قيل : مائة درع ، وقيل : أربعمائة . وخرج النبي – عليه السلام – في اثنى عشر ألفا من المسلمين ، منهم عشرة آلاف صحبوه من المدينة ، وألفان من مسلمة الفتح ، إلى ما انضاف إليه من الأعراب : من سُلَيْم وبنى كلاب وعبس وذبيان[١] واستعمل على مكة[٢] عتّاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية . ونهض – ﷺ – في مقدمته مُزَيْنة ، وفي الميمنة بنو أسد ، وفي الميسرة بنو سليم وعبس وذبيان . وفي مخرجه هذا رأى جُهَّال الأعراب شجرة خضراء ، وكان لهم في الجاهلية شجرة معروفة تسمى ذات[٣] أنواط يخرج إليها الكفار يوما معلوما في السنة يعظمونها ، فقالوا يا رسول الله اجْعَل لنا ذات أنواطٍ /كما لهم ذات أنْواط ، فقال : عليه السلام – : الله أكبر ، والذى نفسى بيده كما قال قوم موسى : (اجْعَلْ لنا إلهًا كما لهم آلهةٌ قال إنكم قومٌ تجهلون) لتركبُنَّ سُنَنَ من [كان][٤] قبلكم حَذْو القُذَّة[٥] بالقُذَّة ، حتى إنهم لو دخلوا جُحْرَ ضَبٍّ لدخلتموه .

١٢٥ ظ

ثم نهض رسول الله ﷺ ، حتى أتى وادى[٦] حُنَيْن وهو واد من أودية تهامة ، وكانت هوازن قد كمنت في جَنْبَتى الوادى ، وذلك في غَبَش الصبح ، فحملتْ على المسلمين حملة رجل واحد ، فانهزم جمهور المسلمين ، ولم يَلْوِ أحدٌ على أحد . وثبت مع رسول الله – ﷺ – أبو بكر وعمر ، ومن أهل بيته على والعباس وأبو سفيان بن الحارث ابن عبدالمطلب ، وابنه جعفر ، وأسامة بن زيد ، وأيمن بن عُبَيْد وهو أيمن بن أم أيمن قُتل يومئذ بحُنَيْن ، والفضل بن العباس . وقيل في موضع جعفر بن أبي سفيان قُثَم بن العباس . ولم ينهزم رسول الله – ﷺ – ولا أحد من هؤلاء . وكان رسول الله – ﷺ – على بغلته الشهباء واسمها دُلْدل[٧] والعباس آخذٌ بحكَمَتها[٨] ، ورسول الله – ﷺ –

---

(١) قال ابن سعد : وخرج مع الرسول ناس من المشركين منهم صفوان بن أمية ، ولم يكن قد أسلم بعد .

(٢) هكذا في ر وفي الأصل : المدينة وهو خطأ من الناسخ .

(٣) هي شجرة خضراء كانت تقدسها قريش وغيرها من العرب ، وكانوا يخرجون إليها كل سنة فيعلقون أسلحتهم عليها ويذبحون عندها ويعكفون عليها يوماً . وإنما قالوا للرسول ذلك حين مروا على شجرة نبق خضراء عظيمة .

(٤) زيادة من ابن هشام وغيره .

(٥) القذة : ريش السهم .

(٦) واد متسع كثير الحدور والشعاب .

(٧) يقال إن المقوقس هو الذى أهداها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم .

(٨) الحكمة . ما أحاط بحنك الفرس من لجامه .

يقول : أيها الناس ، إلى أين أيها الناس ؟ ! أنا رسول الله ، وأنا محمد بن عبد الله . وأمر العباس – وكان جهير الصوت – أن ينادى : يا معشر الأنصار ، يا أصحاب الشجرة ، وبعضهم يرويه : يا أصحاب السَّمُرة . وقد قيل إنه نادى يومئذ : يا معشر المهاجرين ، كما نادى : يا معشر/الأنصار . فلما سمعوا الصوت أجابوا : لَبَّيْك ، لبيك . وكانت الدعوة أولا يا للأنصار ، ثم خُصِّصت بأخرَة [1] يا للخزرج . قال ابن شهاب ، وكانوا أصبر عند الحروب . فلما ذهبوا ليرجعوا كان الرجل منهم لا يستطيع أن ينفذ ببعيره لكثرة الأعراب المنهزمين ، فكان يأخذ دِرْعه فيلبسها ، ويأخذ سيفه ومِجنّه ، ويقتحم عن بعيره [ويُخلِّى [2] سبيله] ويكر راجعا إلى رسول الله ﷺ ، حتى إذا اجتمع حواليه – ﷺ – مائة رجل أو نحوهم استقبلوا هوازنَ بالضرب .

١٢٦ و

واشتدت الحرب وكثر الطعن والجلاد ، فقام رسول الله – ﷺ – فى ركائبه ، فنظر إلى مُجْتَلَدِ [3] القوم ، فقال : الآن حَمِيَ [4] الوَطِيس . وضرب على بن أبى طالب عُرْقُوب جمل صاحب الراية أو فرسه فصرعه ، ولحق به رجل من الأنصار ، فاشتركا فى قتله . وأخذ علىٌّ الراية ، وقذَف الله – عزَّ وجَلَّ – فى قلوب هوازن الرُّعْب حين وصلوا إلى رسول الله – ﷺ ، وذلك أن رسول الله – ﷺ – إذ واجههم وواجهوه صاح بهم صيحة ورمى فى وجوههم بالحَصا ، فلم يملكوا أنفسهم ، وفى ذلك يقول الله عزَّ وجلَّ : (وما رميتَ إذ رميت ولكن الله رَمى) . [و] [5] روينا من وجوه عن بعض من أسلم من المشركين ممن شهد حُنَيْناً قال ، وقد سُئل عن يوم حنين : لقينا/المسلمين فما لبثنا أن هزمناهم وأتبعناهم حتى وصلنا إلى رجل راكب على بغلة بيضاء ، فلما رآنا زجرنا زجرة وانتهزنا ، وأخذ بكفه حصًا أو ترابا ، فرمانا به ، وقال : شاهت الوجوه شاهت [الوجوه] فلم تبق عين إلا دخلها من ذلك . فما ملكنا أنفسنا أن رجعنا على أعقابنا .

١٢٦ ظ

---

(١) فى الأصل : الأخرى .

(٢) زيادة من ابن هشام .

(٣) مجتلد القوم : مكان جلادهم وعراكهم .

(٤) الوطيس : التنور والاستعارة واضحة . وهى من الكلم التى لم يُسْبَق إليها الرسول .

(٥) زيادة للسياق وفى ر : رويناه .

وما استوفى رجوع المسلمين إلى رسول الله ﷺ إلا وأسرى هوازن بين يديه . وثبتتْ أمُّ[١] سليم فى جملة مَنْ ثبت أول الأمر محتزمةً ممسكة بعيرًا لأبى طلحة وفى يدها خنجر . وانهزمت هوازن ، ومُلِك العيال والأموال . واستحرَّ القتل فى بنى مالك من ثقيف فقُتل منهم خاصةً يومئذ سبعون رجلا منهم رئيساهم : ذو الخِمار وأخوه[٢] عثمان ابنا عبد الله بن ربيعة . ولم يقتل من الأحلاف إلا رجلان ، لأن قارب بن الأسود — وكان سيدهم يومئذ — فرَّ بهم حينَ اشتدّ أول القتال . واستحرَّ القتل فى بنى نصر بن معاوية . وهرب مالك بن عوْف النَّصرى فى جماعة من قومه ، ودخل الطائف مع ثقيف . وانحازت طوائف من هوازن إلى أوْطاس . وأدرك ربيعة بن رُفَيْع بن أُهبان السُّلمى من بنى سليم دريد بن الصِّمَّة ، فقتله ، وقد قيل إن قاتل دريد هو عبد الله بن قُنَيْع بن أُهبان[٣] من بنى سليم ، وقد قيل إن دُرَيْدًا أُسِر يومئذ وأمر رسول الله — ﷺ — بقتله لمشاهدته الحرب وموضع رأيه فيها . ولما انقضى الصدام نادى منادى /رسول الله ﷺ : مَنْ قتل قتيلا عليه بيِّنة ، فله سلَبُه[٤] . ١٢٧ و

وبعث رسول الله — ﷺ — أبا عامر الأشعرى — واسمه عبيد وهو عم أبى موسى الأشعرى — فى طائفة من المسلمين منهم أبو موسى إلى من اجتمع من هوازن بأوطاس[٥] . فشد على أبى عامر أحدُ بنى دُرَيْد بن الصِّمَّة فقتله ، قيل : رماه سلمة بن دريد بن الصِّمَّة بسهم فقتله . وأخذ أبو موسى الراية ، وشدَّ على قاتل عمه فقتله . وقيل : بل رمى أبا عامر رجلان من بنى جُشَم ، وهما : العلاء وأوْفى ابنا الحارث ، أصاب أحدهما قلبه والآخر ركبته ، ثم قتلهما أبو موسى ، وقيل : بل قتل أبو عامر تسعة إخوة من المشركين مبارزة ،

---

(١) هى أم أنس بن مالك تزوجت بعد أبيه أبا طلحة الأنصارى

(٢) هكذا فى الأصل ور ونقله عن ابن عبد البر ابن حزم (انظر ص ٢٤٠) وإذا صح أن ذا الخمار هو سبيع بن الحارث بن مالك الذى تقدم الحديث عنه فى صدر هذه الغزوة يكون قد حدث سهو من ابن عبد البر ، فعثمان ليس أخاه وإنما هو الذى أخذ الراية حين قتل ذو الخمار ، ولم يلبث أن قتل هو الآخر ، وكان لذى الخمار أخ فى هذه المعركة يسمى — كما ذكر ابن هشام — أحمر بن الحارث .

(٣) فى ابن هشام : ابن ثعلبة بن ربيعة .

(٤) منذ هذه المعركة أصبح ذلك حكماً قائماً مستمرًا فى الإسلام .

(٥) انظر فى هذا البعث صحيح البخارى ١٥٥/٥ والطبرى ٧٩/٣ . وأوطاس : واد مرّ ذكره .

يدعو كل واحد منهم إلى الإسلام ثم يحمل عليه فيقتله ، ثم حمل عليه عاشرهم فقتله . ثم أسلم ذلك العاشر بعد ذلك .

تسمية من استُشْهِد من المسلمين يوم حنين

واستُشْهد من المسلمين يوم حنين أربعة رجال : أَيْمَن بن عُبَيْد ، وهو أيمن بن أُم أيمن أخو أُسامة بن زيد لأُمه . ويزيد بن زَمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد ، جمح به فرسه ، فقُتل . وسُراقة بن الحارث[1] بن عدى من بنى العَجْلان من الأنصار . وأبو عامر الأشعرى .

وكانت وقعة هوازن (وهى) يوم حُنَيْن فى أول شوال من السنة الثامنة من الهجرة وترك رسول الله — ﷺ — قَسْمَ الغنائم من الأموال والنساء والذرارى ، فلم يقْسمها حتى أتى الطائف .

١٢٧ ظ

/ غزوة[2] الطائف

وكان منصرفُ رسولا الله — ﷺ — من حُنَيْن إلى الطائف . لم يرجع إلى مكة ولا عرَّج على شىء إلا غزو الطائف قبل أن يقسم غنائم حُنَيْن وقبل كل شىء . فسلك رسول الله — ﷺ — على الجِعِرَّانة[3] فى طريقه إلى الطائف ثم أخذ على قَرَن[4] . وابتنى فى طريقه ذلك مسجدا وصلّى فيه ، وأقاد فى ذلك المكان [بدم[5] وهو أول دم أُقيد به فى الإسلام] من رجل من بنى ليث قتل رجلا من هذيل [فقتله به] . ووجد فى طريقه ذلك حِصْنا لمالك بن عوْف النَّصْرى فهدمه ، ووجد هنالك أُطُمًا قد تمنَّع فيه رجل من ثقيف فى ماله ، فأمر بهدمه . ولم يشهد غزوة حنين ولا الطائف عروة بن مسعود ولا غيلان بن سلمة

---

(١) ويقال فيه : الحباب .

(٢) انظر فى غزوة الطائف ابن هشام ١٢١/٤ والواقدى ص ٤٢٢ وابن سعد ج ٢ ق ١ ص ١١٤ وصحيح مسلم بشرح النووى ١٢٢/١٢ وسنن أبى داود ٢٨/٢ والطبرى ٨٢/٣ وابن حزم ص ٢٤٢ وابن سيد الناس ٢٠٠/٢ وابن كثير ٣٤٥/٤ والنويرى ٣٣٥/١٧ .

(٣) الجعرانة : موضع بين مكة والطائف ، وماء .

(٤) قرن : ناحية من نواحى الطائف أو مخلاف من مخاليفه .

(٥) زيادة من ابن هشام .

الثقفيان ، كانا قد خرجا يتعلمان صناعة المنجنيق والدبَّابات[١] .

ثم نزل – عليه السلام – بقرب الطائف بواد يقال له العَقيق ، فتحصَّنتْ ثقيف وحاربهم المسلمون . وحصنُ ثقيف لا حصن مثله فى حصون العرب . فأُصيب من المسلمين رجال بالنَّبْل . فزال النبى – عليه السلام – من ذلك المنزل إلى موضع المسجد المعروف اليوم . فحاصرهم – عليه السلام – بضعا وعشرين ليلة ، بل بضع عشرة ليلة ، وقيل : عشرين يوما . وكان معه – عليه السلام – امرأتان من نسائه ، أُمّ سلمة إحداهما ، فوضع المسجد اليوم بين منزلها يومئذ . وتولَّى بنيان ذلك المسجد عمرو بن أُمية بن وهب بن معتب الثقفى . وأمر رسول الله – ﷺ – بقطع أعناب الطائف /إلا قطعة عنب كانت للأسود بن مسعود أو لابنه فى ماله ، وكانت تبعد عن الطائف ، وسأله الكفَّ عنها فكفَّ عنها . ١٢٨ و

وكان بُجَيْر بن زهير بن أبى سُلْمى المُزْنى الشاعر بن الشاعر شهد حنينا والطائف ، وكان حسن الإسلام

تسمية من استُشْهِدَ من المسلمين فى حصار الطائف

واستشهد من المسلمين فى حصار الطائف :

سعيد بن سعيد بن العاصى بن أُمية ، وعُرْفُطة بن جَناب[٢] الأَزدى حليف لبنى أُمية ، وعبد الله بن أبى بكر الصديق أصابه سهم فاستمر منه مريضا حتى مات منه فى خلافة أبيه ، وعبد الله [بن] أبى[٣] أُمية بن المغيرة المخزومى أخو أُم سلمة ، وعبد الله الأكبر بن عامر بن ربيعة حليف بنى عدى بن كعب ، والسائب بن الحارث بن قيس السهمى ، وأخوه عبد الله بن الحارث بن قيس السَّهْمى ، وجُلَيْحة بن عبد الله اللَّيْثى من بنى سعد بن ليث ، وثابت بن الجَذَع الأنصارى من بنى سَلِمة ، والحارث بن سهل بن أبى صعصعة الأنصارى من بنى مازن بن النجار ، والمنذر بن عبد الله الأنصارى من بنى ساعدة . ومن الأوس رقيم[٤] بن ثابت بن ثعلبة .

---

(١) الدبابات : آلات حرب كانوا يصنعونها من خشب ويدخل فيها الرجال لينقبوا منها الأسوار المحصنة .

(٢) فى ابن هشام : ويقال : حباب .

(٣) زيادة من ر وابن هشام وغيره .

(٤) هكذا فى ابن هشام والاستيعاب وغيرهما من المصادر ، وفى الأصل ور : أرقم .

بـاب
فى قسمة غنائم[1] حُنَيْن وما جَرَى فيها

ثم انصرف رسول الله - ﷺ - إلى الجِعرانة : موضع قريب من حنين . وكان قد استأنى[2] بقسمة الغنائم رجاءَ أن يُسْلموا ويرجعوا إليه . فلما قُسمت الغنائم/هنالك أتاه وفد هوازن مسلمين راغبين فى العطف عليهم والإحسان إليهم ، فقال لهم : قد كنت استأنيت بكم وقد وقعت المقاسم ، وعندى ما ترون[3] فاختاروا : إما ذَرَاريكم ونساءَكم وإما أموالكم ، فاختاروا العِيال والذُّرِّيَّة وقالوا : لا نعْدل بالأنساب شيئا ، فقال لهم رسول الله - ﷺ - إذا صَلَّيت الظُّهْرَ فتكلموا واطلبوا حتى أُكلِّم الناس فى أمركم . فلما صلَّى الظهر تكلموا ، وقالوا : نستشفع برسول الله - ﷺ - على المسلمين . فقال النبى - عليه السلام - أما ما كان لى ولبنى عبد المطلب وبنى هاشم فهو لكم ، وقال المهاجرون والأنصار : أما ما كان لنا فهو لرسول الله - عليه السلام - وامتنع الأقرع بن حابس وعُيَيْنَة بن حصن فى قومهما[4] أن يردُّوا عليهم شيئا مما وقع لهم فى سهامهم . وامتنع العباس بن مرداس السُّلَمى وطمع أن يساعده قومه كما ساعد الأقرع بن حابس وعيينة قومهما فأبت بنو سُلَيْم وقالوا : بلى ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ ، فقال رسول الله - عليه السلام - من ضَنَّ منكم بما فى يديه فإنا نعوِّضه منه .

فردَّ عليهم رسول الله - ﷺ - نساءهم وأبناءهم وعوَّض من لم تَطب نفسه بترك نصيبه أعواضا رضوا بها . وكان عدد سبى هوازن ستة آلاف إنسان فيهم الشَّيْمَاء أُخت

١٢٨ ظ

---

(١) انظر فى غنائم حنين وعطايا المؤلفة قلوبهم ابن هشام ١٣٠/٤ وابن سعد ج ٢ ق ١ ص ١١٠ والطبرى ٨٦/٣ وابن حزم ص ٢٤٥ وابن سيد الناس ١٩٣/٢ وابن كثير ٣٥٢/٤ والنويرى ٣٣٩/١٧ .

(٢) استأنى : انتظر .

(٣) ما ترون : أى ما سأعرضه عليكم .

(٤) قوم الأقرع تميم وقوم عيينة فزارة .

١٢٩ و

النبي – عليه السلام – من الرضاعة/وهي بنت الحارث بن عبد العزّى من بني سعد بن بكر [بن هوازن][1] بنت حَليمة السَّعْدية ، فأكرمها رسول الله ﷺ وأعطاها ، ورجعتْ إلى بلادها مسرورة بدينها وبما أفاء الله عليها .

وقَسَم رسول الله – ﷺ – الأموال[2] بين المسلمين . وأعطى المؤلَّفة قلوبهم وغيرهم من الخُمُس أو من جملة الغنيمة على مذهب من رأى أن ذلك إلى اجتهاد الإمام ، وأن له أن يُنْفل[3] في البَدْأة والرَّجعة [حسب] ما رآه بظاهر قول الله تعالى : (قل الأنفال لله والرسول) يحكم فيها بما أراه الله . وليس ذلك لغيره ﷺ بظاهر قوله عزَّ وجلَّ : (واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خُمُسَهُ) . وللقول في تلخيص ذلك مواضع غير هذا .

[أعطيات المؤلفة قلوبهم]

ولم يختلف أهل السِّير وغيرهم أن رسول الله – ﷺ – أعطى المؤلفة قلوبهم من قريش وغيرهم ، ولا ذكر للمؤلفة قلوبهم في غير آية[4] قَسْم الصدقات . قالوا : أعطى قريشا مائة بعير مائة بعير ، وكذلك أعطى عيينة بن حصن والأقرع بن حابس .

قال ابن إسحق : أعطاهم يتألفهم ويتألف بهم قومهم وكانوا أشرافا ، فأعطى أبا سفيان بن حرب مائة بعير ، وأعطى ابنه معاوية مائة بعير ، وأعطى حكيم بن حِزام مائة بعير ، وأعطى الحارث بن هشام مائة بعير ، وأعطى سهيل بن عمرو مائة بعير ، وأعطى حُوَيْطب بن عبد/العزّى مائة بعير ، وأعطى صفوان بن أُمية مائة بعير ، وكذلك أعطى مالك[5] بن عوف والعلاء بن جارية [الثقفي[6] حليف بني زهرة] . قال : فهؤلاء

١٢٩ ظ

---

(١) زيادة من المصادر الأخرى للإيضاح .

(٢) كانت الأموال – فيما ذكر ابن سعد وغيره – أربعة وعشرين ألف بعير وأربعين ألف شاة وأربعة آلاف أوقية فضة .

(٣) ينفل : يعطى من النفل وهو غنيمة الحرب .

(٤) يريد آية التوبة : (إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم) .

(٥) كان قد فر عن الطائف ولحق بالرسول معلناً إسلامه

(٦) زيادة من ابن هشام .

أصحاب[١] المئين .

وأعطى رجالا من قريش دون المائة ، منهم مَخْرَمة بن نوفل الزُّهْرىّ ، وعمير بن وهب الجُمَحِى ، وهشام بن عمرو العامرى – لا أعرف ما أعطاهم[٢] . وأعطى سعيد بن يربوع خمسين بعيرا ، وأعطى عباس بن مرداس السلمى أباعر قليلة ، فتسخَّطها وقال فى ذلك

وكانتْ نِـهَـابًا تلافيتُـهـا ... بِكَرِّى على المُهْرِ فى الأَجْرَعِ[٣]

وإيقاظىَ القومَ أن يَرْقدوا ... إذَا هجع الناسُ لم أهْجَع

فأَصبح نَهْبِى ونَهْبُ العُبيـ ... ـدِ بين عُيَيْنَةَ والأَقْرعِ[٤]

وقد كنت فى الحرب ذا تُدْرَإٍ ... فلم أُعْطَ شيئا ولم أُمْنَع[٥]

إلا أفـائِـلَ أُعْـطِـيتُـهـا ... عـديـدَ قـوائمها الأَرْبَع[٦]

وما كان حِصْنٌ ولا حابِسٌ ... يفوقان شَيْخِىَ فى المَجْمَعِ[٧]

وما كنت دون امرئ منهما ... ومَنْ تَضَعِ اليومَ لا يُرْفَعِ

فقال رسول الله ﷺ – اذهبوا فاقطعوا عنى لسانه ، فأعطوه حتى رضى ، فكان ذلك قطع لسانه . وقيل إن عباس بن مرداس أتى رسول الله – ﷺ – بعد ذلك ، فقال له رسول الله ﷺ – أنت القائل : « فأصبح نهبى ونهب العبيد بين الأقرع وعيينة » فقال أبو بكر الصديق : « بين عيينة والأقرع » . فقال رسول الله/ ﷺ : هما واحد . وقال أبو بكر : أشهد أنك كما قال الله عزّ وجل : (وما علّمناه الشعر وما ينبغى له) . ١٣٠ و

قال أبو عمر :

لو كان ما أُعطى رسول الله – ﷺ – المؤلفة قلوبهم من غنائم حُنَيْن من خُمْس

---

(١) ذكر منهم ابن هشام عن ابن إسحق الحارث بن الحارث بن كلدة وهو مذكور فى المهاجرين إلى الحبشة ، ولذلك لم يذكره ابن عبد البر لأنه لا يدخل فى هؤلاء المؤلفة قلوبهم ، فقد أكرمه الله بالإسلام مبكرًا والهجرة إلى الحبشة ثم إلى المدينة .

(٢) اى لا أعرفه مضبوطاً .

(٣) نهابا : غنائم جمع نهب . الأجرع : المكان السهل .

(٤) العبيد : فرس العباس بن مرداس .

(٥) تدرأ : دفع وشجاعة .

(٦) أفائل : جمع أفيل وهو البعير الصغير .

(٧) يريد بقوله . «شيخى» أباه مرداسًا .

الخُمُس كما زعم من زعم ذلك أو من الخمس الذى قال فيه ﷺ : « مالى من غنائمكم إلا الخمس ، والخمس مردودٌ عليكم » ما شقَّ ذلك – والله أعلم – على الأنصار ، حتى قالوا ما هو محفوظ عنهم . وقد كتبت ذلك فيما بعد . ولكنه – ﷺ – علم من إيمانهم وكرمهم أنهم سيرضون بفعله ، لأن حرصهم على ظهور الدين من حرصه ، رضى الله عنهم .

تسمية[١] المؤلفة قلوبهم

من بنى أُمية : أَبو سفيان بن حرب بن أُمية ، وابنه معاوية ، وطليق بن سفيان بن أُمية ، وخالد بن أَسيد بن [أَبى][٢] العِيص بن أُمية .

ومن بنى عبد الدار بن قصى : شيبة بن عثمان بن أَبى طلحة ، وأَبو السَّنابل بن بعْكَك ، وعكرمة بن عامر بن هاشم[٣] .

ومن بنى مخزوم : زهير بن أَبى أُمية ، والحارث بن هشام ، وأَخوه خالد بن هشام ، وهشام[٤] بن الوليد بن المغيرة ، وسفيان بن عبد الأَسد ، والسائب بن أَبى السائب .

ومن بنى عدى بن كعب : مطيع بن الأَسود ، وأَبو جهم بن حذيفة .

ومن بنى جُمح : صفوان/بن أُمية بن خلف ، وأَخوه أُحيْحة بن أُمية ، وعمير بن وهب بن خلف . ١٣٠ ظ

ومن بنى سهم : [عدى[٥] بن] قيس بن حذافة .

ومن بنى عامر بن لؤى : حُوَيْطب بن عبد العزَّى ، وهشام بن عمرو بن ربيعة .

ومن سائر قبائل العرب : من بنى الدِّيل[٦] بن بكر بن عبد مناة : نوفل بن معاوية .

ومن بنى قيس ثم من بنى عامر بن صعصعة ثم من بنى كلاب بن ربيعة بن عامر :

---

(١) انظر فى أسماء المؤلفة قلوبهم المحبر لابن حبيب ص ٤٧٣ .

(٢) زياد من ر وابن هشام .

(٣) هكذا فى ابن هشام والاستيعاب وغيرهما وفى الأصل ور : هشام .

(٤) أخو خالد بن الوليد .

(٥) زيادة من ر وابن هشام وغيره .

(٦) فى الأصل : الديل .

علقمة بن عُلاثة بن عوف بن الأحوص ابن جعفر بن كلاب ، ولبيد بن ربيعة بن مالك ابن جعفر بن كلاب .

ومن بنى عامر بن صعصعة : خالد بن هَوْذة بن ربيعة بن عمرو بن عامر ، وأخوه حَرْملة بن هوْذة .

ومن بنى نصر بن معاوية : مالك بن عوف بن سعيد بن يربوع .
ومن بنى سُلَيْم بن منصور : عباس بن مرداس .
ومن غطفان ثم من فزارة : عُيَيْنة بن حِصْن .
ومن بنى تميم ثم من بنى حنظلة : الأقرع بن حابس .

وقد ذُكر فى المؤلفة حكيم بن حِزام والنُّضَيْر[١] بن الحارث بن علقمة بن كلدة أخو النضر بن الحارث المقتول ببدر صبر . وذكر آخرون النضير بن الحارث فيمن هاجر إلى أرض الحبشة فإن كان منهم فمحال أن يكون من المؤلفة قلوبهم . ومن هاجر إلى أرض الحبشة فهو من / المهاجرين الأولين ممن رسخ الإيمان فى قلبه ، وقاتل دونه ، ليس ممن يؤلَّف عليه . ١٣١ و

وعند إعطاء رسول الله – ﷺ – ما أعطى المؤلفة قلوبهم ولم يُعْط الأنصار ولا المهاجرين قال ذو الخُوَيْصِرة [التميمى][٢] : قد رأيت ما صنعت فى هذا اليوم يا محمد ! فقال له رسول الله – ﷺ : أجل ، فكيف رأيت ؟ قال : لم أرك عدلْتَ . فغضب النبى عليه السلام ، وقال : ويْحك إن لم يكن العدْلُ منى[٣] فعند مَنْ يكون ؟ فقال عمر رضى الله عنه : دعْنى أضربْ عنقه يا رسول الله ، فقال : لا ، دعوه ، سيكون له شيعة[٤] يتعمقون فى الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرَّمِيَّة .

---

(١) فى ابن هشام : نصير ، وانظر ترجمته فى الاستيعاب ص ٣١٥ .
(٢) زيادة من ابن هشام وغيره .
(٣) فى ابن هشام ور : عندى .
(٤) هم الخوارج لعهد على إذ كان من زعمائهم .

موقف[1] بعض الأنصار

قال ابن إسحق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، قال :

لما أعطى رسول الله – ﷺ – تلك العطايا فى قريش وقبائل العرب . ولم يكن فى الأنصار منها شىء وجد هذا الحى من الأنصار فى أنفسهم ، حتى كثرت منهم القالة[2] ، فدخل عليه سعد بن عبادة فقال : يا رسول الله إن هذا الحىَّ من الأنصار قد وجدوا عليك فى أنفسهم بما صنعت فى هذا الفْىء الذى أصبتَ : قسمتَ فى قومك وأعطيت قوما من العرب عطايا عِظاما ، ولم يكن فى هذا الحىِّ من الأنصار منها شىء ، قال : فأين أنت من ذلك يا سعد ؟ قال : يا رسول الله ما أنا إلا من قومى ، قال : فاجمعْ لى قومك / فى هذه الحَظِيرة ، قال : فخرج سعد فجمع من الأنصار فى تلك الحظيرة ، وجاء رجال من المهاجرين فتركهم فدخلوا ، وجاء آخرون فردَّهم . فلما اجتمعوا أتاه سعد ، فقال : يا رسول الله قد اجتمع لك هذا الحى من الأنصار .

١٣١ ظ

فأتاهم رسول الله – ﷺ – فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : يا معشر الأنصار ما قالةٌ بلغتنى [عنكم][3] ووجدة[4] وجدتموها فى أنفسكم ، ألم آتكم ضُلَّالا فهداكم الله وعالةً[5] فأغناكم الله وأعداء فألَّف الله بين قلوبكم ؟ قالوا : بلى لله ورسوله المَنُّ[6] والفضل . ثم قال : ألا تجيبوننى يا معشر الأنصار ؟ قالوا : بماذا نجيبك يا رسول الله ؟ لله ورسوله المنُّ والفَضْل . فقال : أما والله لو شئتم لقلتم [فَصَدَقْتم][7] ولصُدِّقْتُمْ : أتيتنا مكذَّبا فصدَّقناك ، ومخذولا فنصرناك ، وطريدا فآويناك ، وعائلا فواسَيْناك[8] .

---

(١) انظر فى ذلك صحيح البخارى ١٥٧/٥ والطبرى ٩٣/٣ .

(٢) القالة : القول السيِّئ .

(٣) زيادة من ر وابن هشام والطبرى .

(٤) وجدة : موجدة وعتاب .

(٥) عالة : جمع عائل وهو الفقير .

(٦) المن : النعمة .

(٧) زيادة من ر وابن هشام والطبرى .

(٨) واسيناك : من المواساة وهى المشاركة والمساهمة فى المعاش والرزق .

أَوجدتم – يا معشر الأَنصار – فى أَنفسكم فى لُعَاعَةٍ[١] من الدنيا تأَلفْتُ بها قوما ليُسْلموا ووكلتكم إلى إيمانكم ، أَلا ترضون – يا معشر الأَنصار – أَن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله إلى رِحالكم ؟ . والذى نفسُ محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرءًا من الأَنصار ، ولو سلك الناس شِعْبا[٢] وسلكت الأَنصار شِعْبا لسلكت شِعب الأَنصار . اللهم ارحم الأَنصار وأَبناء الأَنصار وأَبناء أَبْناءِ الأَنصار . قال : فبكى القوم حتى أَخضلوا[٣] لحاهم ، وقالوا : رضينا برسول الله – صلى الله/عليه وسلم – قسما وحظا . فانصرف رسول الله ﷺ وتَفَرَّقُوا .

١٣٢ و

ورُوِىَ أَن قائلا قال لرسول الله ﷺ : يا رسول الله أَعطيتَ عيينة بن حصن والأَقرع بن حابس ، وتركتَ جُعَيْل بن سُرَاقة الضَّمْرِى ؟ فقال رسول الله : والذى نفسُ محمد بيده لَجُعَيْلُ بن سراقة خير من طِلاع[٤] الأَرض مثل الأَقرع وعيينة ولكنى تأَلفتهما ليُسْلما ووكلتُ جعيلا إلى إسلامه .

وكان هذا القَسْم بالجِعرانة . وروى أَبو الزبير وغيره عن جابر ، قال : بصرتْ عيناى رسول الله – ﷺ – بالجِعْرانة ، وفى ثوب بلال فضَّة ، ورسول الله – ﷺ – يقبض ويعطى • الناس .

عمرة رسول الله من الجِعْرانة

ثم خرج رسول الله – ﷺ – معتمرا من الجِعْرانة إلى مكة[٥] ، وأَمر ببقايا الفَىْء فخُمِّس بناحية مرِّ[٦] الظَّهْران . فلما فرغ رسول الله – ﷺ – من عمرته انصرف إلى المدينة ، واستخلف على مكة عتَّاب بن أَسيد بن أَبى العِيص ، وهو ابن نيِّفٍ وعشرين سنة .

---

(١) اللعاعة : بقل أخضر ناعم شبه به متاع الدنيا ، وأنه قليل لا يدوم .
(٢) الشعب : الطريق بين جبلين .
(٣) أخضلوا لحاهم : سكبوا عليها دموعهم .
(٤) طلاع الأرض : ما يطلع منها كناية عن عدم رسوخهم فى الإسلام .
(٥) كان ذلك ليلة الأربعاء لاثنتى عشرة ليلة مضت من ذى القعدة . والجعرانة : ماء بين الطائف ومكة .
(٦) مر الظهران : على مرحلة ، كما سلف ، • كة .

ودخل رسول الله – ﷺ – المدينة لست[١] بقين من ذى القعدة . وكانت وقعة الطائف فى ذى القعدة المؤرخ من السنة الثامنة من الهجرة . وكانت غيبة رسول الله – ﷺ – منذ خرج من المدينة إلى مكة فافتتحها وأوقع / بهوازن وحارب الطائف إلى أن رجع إلى المدينة شهرين وستة عشر يوما .

١٣٢ ظ

واستعمل رسول الله – ﷺ – مالك بن عوف بن سعيد بن يربوع النَّصْرى على من أسلم من قومه من قبائل قيس . وأمره بمغاورة[٢] ثقيف ، ففعل ، وضيَّق عليهم . وحسُن إسلامه وإسلام المؤلفة قلوبهم حاشا عُيَيْنة بن حِصْن ، فلم يزل مغموزا عليه .

وسائرُ المؤلفة قلوبهم منهم الخيِّر الفاضل المُجْمَعُ على خيره كالحارث بن هشام ، م بن حِزَام ، وعكرمة بن أبى جهل ، وسهيل بن عمرو . ومنهم دون هؤلاء . وقد فضَّل الله النبيين وسائر عباده المؤمنين بعضهم على بعض ، وهو أعلم بهم .

ثم انصرف رسول الله – ﷺ – وتفرَّقوا . وأقام الحج للناس عتَّاب بن أَسِيد فى تلك السنة[٣] ، وهو أول أمير أقام الحج فى الإسلام . وحجَّ المشركون على مشاعرهم . وكان عتَّاب بن أَسيد خيِّرًا فاضلا ورعًا .

وقدم كعب بن زُهير بن أبى سُلْمَى على رسول الله – ﷺ – مسلما ، وامتدحه ، وقام على رأسه بقصيدته التى أولها : بانتْ سُعاد فقلبى اليوم مَتْبولُ[٤] . وأنشدها إلى آخرها ، وذكر فيها المهاجرين فأثنى عليهم . وكان قبل ذلك حُفِظ له هجاء فى النبى عليه السلام ، فعاب عليه الأنصار إذ لم يذكرهم ، فغَدا على النبى – عليه السلام – بقصيدة / يمدح فيها الأنصار[٥] . وقبل النبى – عليه السلام – إسلامه وسمع شعره وأثابه[٦] .

١٣٣ و

---

(١) فى بعض الروايات : فى أول ذى الحجة .

(٢) مغاورة ، يقصد الإغارة عليها تلو الإغارة .

(٣) وهى السنة الثامنة للهجرة .

(٤) بانت : بعدت . متبول : أسقمه الحب وأضناه .

(٥) انظر القصيدة فى ديوانه (طبع دار الكتب المصرية) ص ٦ .

(٦) انظر قصة إسلامه وثواب الرسول له فى ابن هشام ١٤٤/٤ .

غزوة[١] تَبُوك

ثم أقام رسول الله – ﷺ – بالمدينة بعد انصرافه من حصار الطائف ذا الحجّة والمحرم وصفرًا وربيعا الأول وربيعا الآخر وجُمَادى الأولى وجمادى الآخرة . وخرج فى رجب من سنة تسع بالمسلمين إلى غزوة الروم ، وهى آخر غَزاة غزاها – ﷺ – بنفسه . وكان خروجه إلى غزوته تلك فى حر شديد [وحين[٢] طاب] أول الثمر وفى عام جَدْب .

وكان رسول الله – ﷺ – لا يكاد يخرج غازيا إلا ورّى[٣] بغيره إلا غزوة تبوك ، فإنه بيّنها للناس لبعد المسافة ونفقة المال والشُّقَّة وقوة العدو المقصود إليه . فتأَخَّر الجَدُّ بن قيس من بنى سَلِمة ، وكان متَّهما بالنفاق فاستأْذن رسول الله – ﷺ – فى البقاء وهو غنىٌّ قوى فأذن له ، وأعرض عنه فنزلتْ فيه[٤] : (ومنهم من يقول ائْذَنْ لى ولا تَفْتِنِىّ ألا فى الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين) . وكان نفر من المنافقين[٥] يجتمعون فى بيت سُوَيْلم اليهودى عند جاسوم[٦] يثبِّطون الناس عن الغزو . فبعث رسول الله – ﷺ – طلحة بن عبيد الله فى نفر ، وأمرهم أن يحرِّقوا/عليهم البيت ، ففعل ذلك طلحة ، فاقتحم الضحاك بن خليفة ، وكان معهم فى البيت ، جدار الدار ، فوقع ، فانكسرتْ رجله . وفَرَّ ابن أُبَيْرِق وكان معهم .

١٣٣ ظ

وأَنفق ناسٌ من المسلمين واحتسبوا[٧] ، وأنفق عثمان – رضى الله عنه – نفقة عظيمة جهز بها جماعة من المُعْسرين فى تلك الغزوة . ورُوِىَ أنه حمل فى تلك الغزاة على تسعمائة

---

(١) انظر فى غزوة تبوك ابن هشام ١٥٩/٤ والواقدى ٤٢٥ وابن سعد ج ٢ ق ١ ص ١١٨ والبخارى ٢/٦ والطبرى ١٠٠/٣ وابن حزم ص ٢٤٩ وابن سيد الناس ٢١٥/٢ وابن كثير ٢/٥ والنويرى ٢٥٢/١٧ .

(٢) زيادة من ر وابن هشام وغيره ، أى أن الوقت كان شديد الحرارة وكان الناس يحبون المقام فى ثمارهم وظلالهم .

(٣) ورى : كنى

(٤) هكذا فى ر وفى الأصل : فيهم

(٥) هكذا فى ر وابن هشام وغيره ، وفى الأصل : المسلمين .

(٦) جاسوم : بئر كانت للهيثم بن التيهان بالمدينة .

(٧) احتسبوا : جعلوا ما أنفقوه حسبة لله يطلبون به الأجر والثواب .

بعير ومائة فرس وجهَّزهم حتى لم يفقدوا عِقالا ولا شِكالا[١] ، ورُوِىَ أنه أنفق فيها ألف دينار .

وفى هذه الغزوة أتى رسولُ الله – ﷺ – البكَّاءُون وهم سبعة : سالم بن عمير [من بنى[٢] عمرو] بن عوف ، وعُلْبة بن زيد أخو بنى حارثة ، وأبو ليلى عبد الرحمن بن كعب من بنى مازن بن النجار ، وعمرو بن الحُمام من بنى سَلِمة ، وعبد الله بن المغفَّل المُزَنىّ وقيل : بل هو عبد الله بن عمرو المزنى ، وهَرَمِىّ بن عبد الله أخو بنى واقف وعِرْباض بن سارية الفزارى . فاستحملوا[٣] رسول الله ﷺ ، فلم يجدوا عنده ما يحملهم عليه ، فتولَّوا وأعينهم تفيض من الدَّمع حَزَنًا أن لا يجدوا ما ينفقون . فَسُمُّوا البَكَّائين . وذكروا أن ابن يامين بن عُميْر[٤] النَّضْرى حمل أبا ليلى وعبد الله بن مغفّل على ناضِح[٥] له يعتقبانه[٦] ، وزوَّدهما تَمرًا كثيرا . واعتذر المخلَّفون من الأعراب ، فعذرهم رسول الله عليه السلام .

/وخرج رسول الله ﷺ ، وضرب عسكره على باب المدينة ، واستعمل عليها محمد ابن مسلمة ، وقيل : بل سِباع بن عُرْفُطة ، وقيل : بل خلَّف عليها على بن أبى طالب – رضى الله عنه – وهو الأثبت : أن رسول الله – ﷺ – خلَّف عليا (فى) غزوة تَبُوك ، فقال المنافقون : استثقله ، فذكر ذلك علىّ – رضوان الله عليه – لرسول الله – ﷺ – فى خبر سعد ، فقال : كذبوا ، إنما خلَّفتك لما تركت ورائى ، فارجعْ ، فاخْلُفْنى فى أهلى وأهلك ، فأنت منى بمنزلة هرون من موسى ، إلا أنه لا نبىَّ بعدى . والآثار بذلك متواترة صِحاح قد ذكرت كثيرا منها فى غير هذا الموضع . ١٣٤ و

وخرج عبد الله بن أُبَىّ بن سَلول بعسكره ، فضربه على باب المدينة أيضا ، فكان عسكره – فيما زعموا – ليس بأقل العسكريين ، وهو يُظهر الغزاة مع رسول الله ، ﷺ .

---

(١) هكذا فى ابن حزم ، وفى الأصل ور : شيئاً . وشكال الدابة ما تشد به قوائمها ، وعقال البعير ما يشد به ذراعه مع وظيفه عند بروكه .

(٢) زيادة من ر وابن هشام .

(٣) استحملوه : طلبوا منه ما يحملهم عليه من الإبل .

(٤) هكذا فى الأصل ور وابن هشام ، وفى بعض المراجع : عمرو .

(٥) الناضح : البعير يستقى عليه

(٦) يعتقبانه : يتبادلانه ويتناوبانه .

فلما نهض رسول الله ﷺ تخلّف عبد الله بن أُبَى بن سلول فيمن تخلّف من المنافقين وأهل الرَّيْب ، وكانوا نَيِّفًا وثمانين رجلا ، خلَّفهم سوء نياتهم ونفاقهم .

وتخلَّف فى هذه (الغزاة) من صالحى المسلمين ثلاثة[1] رجال ، وهم : كعب بن مالك الشاعر من بنى سَلِمة ، ومُرَارة بن ربيعة – ويقال ابن الربيع – من بنى عمرو بن عوف ، وهلال بن أُمية الواقفى . فافتقدهم رسول الله – صلى الله/عليه وسلم – بعد يوم أو يومين ، فقيل له : تخلَّفوا . فعجب من ذلك ، وعزَّ عليه لأنه كان يعرف إيمانهم وفضلهم .

١٣٤ ظ

ونهض ﷺ ، فخَطر[2] على حِجْر ثمود[3] ، فأَمر أَصحابه أَن لا يتوضئوا من بئر ثمود ، ولا يَعْجنوا خُبْزًا بمائها ، ولا يستعملوا شيئا منه ، فقيل له : إن قوما عجنوا منه ، فأمر بالعجين ، فطُرح للإبل علَفًا . وأَمرهم أَن لا يستعملوا ماءَ بئر الناقة فى كل ما يحتاجون إليه . وأَمر أَصحابه – عليه السلام – بأَن لا يدخلوا بيوت ثمود ، وقال : لا تدخلوا [بيوت][4] هؤلاءِ المعذَّبين إلا أن تكونوا باكين [خشية] أن يصيبكم مثل ما أصابهم . ونهاهم أن يخرج أُحدهم منفردا ، فخرج رجلان من بنى ساعدة ، كل واحد منهما منفرد عن صاحبه ، أُحدهما يريد الغائط ، فخُنق ، فأُخبر النبى عليه السلام ، فدعا له ، فشُفى . والآخر خرج فى طلب بعير له فأَخذته الريح ورمته فى جبل طيِّىءٍ ، فردَّته بعد ذلك إلى رسول الله ﷺ . وعطِش الناس فى تلك الغزاة عطشا شديدا ، فدعا رسول الله – ﷺ – رَبَّه ، فأَرسل[5] عليهم سحابة ارتووا منها ودوابُّهم وإبلهم ، وأَخذوا حاجتهم [من الماء] .

وأَضلَّ – ﷺ – ناقته ، وقال منْ فى قلبه نفاق : محمدٌ يدَّعى أَن[7] خبر السماءِ يأْتيه

---

(١) فى ابن هشام ومصادر أخرى أنهم كانوا أربعة بزيادة أبى خيثمة غير أنها تعود فتذكر مسارعته إلى الرسول وانتظامه فى سلك الجيش .

(٢) خطر : مر وسار .

(٣) حجر ثمود : هى المعروفة الآن باسم مدائن صالح .

(٤) زيادة من ر وابن هشام .

(٥) فى الأصل ور : فأنزل وقد اخترنا رواية ابن هشام .

(٦) هكذا فى ر . وفى الأصل ، وردوا بهم وإبلهم .

(٧) فى الأصل : على أن .

١٣٥ و

[و] لا يدرى أين[١] ناقته فنزل الوحى بما قال هذا القائل على رسول الله ﷺ ./ فدعا أصحابه ، فأخبرهم بقول القائل ، وأخبرهم أن الله – عزّ وجلّ – قد عرّفه بموضع ناقته وأنها فى موضع كذا قد تعلّق خطامها بشجرة ، فابتدروا المكان الذى وصف عليه السلامُ ، فوجدوها هنالك . وقيل إن قائل ذلك القول زيْد بن اللصَيْت القَيْنُقَاعى وكان منافقا ، وقيل إنه تاب بعد ذلك ، وقيل لم يتُبْ ، والله أعلم .

وفى هذه الغَزاة ذكروا أن رسول الله – ﷺ – ، رأى أبا ذَرٍّ يمشى فى ناحية العسكر وحده ، فقال : يرحم الله أبا ذَرٍّ يمشى وحده ، ويموت وحده ، ويُبْعَثُ وحده . فكان ، كما قال ﷺ : مات بالرَّبَذَةِ[٢] وحده ، وأُخرج بعد أن كُفِّن إلى الطريق يُلْتَمَسُ مَنْ يُصلِّى عليه ، فصادف إقبال ابن مسعود من الكوفة فصلَّى عليه . وكان ممن سمع هذا الحديث ، فَحدَّث به يومئذ أيضا .

ونزل القرآن من سورة براءة وسورة الأحزاب بفضيحة المنافقين الذين كانوا يخذِّلون المسلمين ، وتاب من أُولئك مخشِّن[٣] بن حُمَيِّر ، ودَعَا الله أن يكفرَّ عنه بشهادة يخفى بها مكانه ، فقُتل يوم[٤] اليمامة ولم يُوجَدْ له أثر .

[بعث[٥] خالد بن الوليد إلى أُكَيْدِر دُوْمَة[٦]]

وبعث رسول الله – ﷺ – خالد بن الوليد إلى أُكَيْدِر بن عبد الملك صاحب دومة ، وقال له : يا خالد إنك ستجده يصيد البقر . فأتاه خالد ليلا[٧] /وقرب من حِصْنه ، وأرسل الله – تعالى – بقر الوحش فأتتْ تحكُّ حائط القَصْر بقرونها ، فنَشِط أُكَيْدر ليصيدها . وخرج فى الليل ، فأخذه خالد ، وبعث به إلى رسول الله ﷺ ، فعفَا عنه النبى

١٣٥ ظ

---

(١) هكذا فى ابن هشام وغيره وفى الأصل ور : حيث .

(٢) الربذة : موضع قرب المدينة .

(٣) قال ابن هشام : ويقال مخشى .

(٤) هو أشهر أيام الردة وفيه قتل مسيلمة الكذاب .

(٥) انظر فى هذا البعث ابن هشام ١٦٩/٤ وابن سيد الناس ٢٢٠/٢ والنويرى ٣٥٦/١٧ .

(٦) دومة : هى دومة الجندل ، قرية كانت بشمالى نجد ، وقد مر بنا التعريف بها فى غزوة دومة الجندل .

(٧) قال ابن سعد إنه كان فى أربعمائة وعشرين فارسًا وأنه صالح أكيدر دومة على ألفى بعير وثمانمائة شاة وأربعمائة درع وأربعمائة رمح .

عليه السلام ، وردَّه إلى حصنه بعد أن صالحه على الجِزْية . وصالح يُحنَّة بن رُؤبة صاحب أَيْلة [١] على الجزية .

[العودة من تبوك]

وأقام رسول الله – ﷺ – بتبوك بضع عشرة ليلة ، ولم يتجاوزها [٢] ، ثم انصرف . وكان فى طريقه ماء قليل ، فنهَى أن يسبق أحد إلى الماء ، فسبق إليه رجلان ، فاستنفدا ما فيه ، فسبَّهما رسول الله ﷺ ، وقال ما شاء الله أن يقول . ثم وضع يده فى الماء ودعا الله فيه بالبركة ، فجاشت العين بماءٍ عظيم كفَى الجيش كله . وأخبر – عليه السلام – أن ذلك الموضع سيُمْلأ جِنانا . (فكان كذلك) . وبنى رسول الله – ﷺ – بين تبوك والمدينة مساجد كثيرة نحو ستة عشر مسجدا ، أولها مسجد بناه بتبوك وآخرها بذى خُشُبٍ [٣]

مسجد الضِّرار

وكان أهل مسجد الضِّرار قد أتوه وهو متجهِّز إلى تبوك ، فقالوا : يا رسول الله إنا قد بنينا مسجدا لذى العَيْلة [٤] والحاجة والليلة المطيرة ، وإنا نحبّ أن تأتينا فتصلى فيه ، فقال لهم : أنا فى شغل السفر ، وإذا انصرفتُ فسيكون [٥] . فلما انصرف رسول الله ﷺ أمر فى منصرفه بهدم مسجد الضِّرار : / أمر بذلك مالك بن الدُّخْشم ومعن بن عدى وعاصم بن عدى أخاه وأمر بإحراقه ، وقال لهم : اخرجوا إلى هذا المسجد الظالم أهله ، فاهدموه وأحرقوه ، فخرجوا مسرعين . وأخرج مالك بن الدُّخْشم من منزله شعلة نار . ونهضوا فأحرقوا المسجد وهدموه وكان الذين بنوه : خِذام بن خالد من بنى عُبيْد بن زيد أحد بنى

١٣٦ و

---

(١) أيلة : كانت ثغرًا على خليج العقبة أو بقربه . وجاء فى صلح الرسول له وللأكيدر أنه صالحهما أيضًا على تبوك وتيماء بحيث تدفعان الجزية .

(٢) فى ابن سعد : أن الرسول أقام على تبوك عشرين ليلة .

(٣) ذو خشب : على مرحلة من المدينة .

(٤) العيلة : الفقر ، وفى ابن هشام : العلة .

(٥) فسيكون : لم يصرح الرسول بما سيكون ، وكأنه انتوى هدم المسجد منذ سمع به ، لأن من اتخذوه أرادوا به ستر غايتهم من التفرقة بين المسلمين .

عمرو بن عمرو بن عوف ومن داره أُخْرِج مسجد الضِّرار ، ومعتِّب بن قُشَيْر من بنى ضُبَيْعة ابن زيد ، وأَبو حبيبة بن الأَزْعر من بنى ضبيعة[1] بن زيد ، وعبَّاد بن حُنَيْف أَخو سهل ابن حنيف من بنى عمرو بن عوف ، وجارية بن عامر وابناه : مجمِّع وزيد ابنا جارية ، ونَبْتل بن الحارث من بنى ضُبَيْعة ، وبَحْزَج وهو من بنى ضُبَيْعة ، وبِجاد بن عثمان من بنى ضبيعة [ووديعة[2] بن ثابت] من بنى أُمية بن زيد . وثعلبة بن حاطب مذكور فيهم ، وفيه نظر ، لأَنه قد شهد بدرا .

ومات عبد الله ذو البجاد [ين] المُزنى فى غزوة تبوك ، فتولَّى رسول الله — ﷺ — وأَبو بكر وعمر غَسْله ودَفْنه ، ونزل رسول الله — ﷺ — فى قبره ، وقال : اللهم إنى راضٍ عنه ، فارْضَ عنه .

[حديث[3] كعب بن مالك وصاحبيه المتخلفين]

وأَما اختصار حديث كعب بن مالك وصاحبيه الذين تخلَّفوا عن رسول الله — ﷺ — / فى غزوة تبوك لغير ريبة فى الدين ولا تهمة نفاق إلا ما كان من علم الله فى إظهار حالهم والزيادة فى فضلهم ، رويناه من طرق صحيحة لا أُحصيها كثرة عن ابن شهاب ، وخرَّجه المصنفون وأَصحاب المساند . ذكره ابن شهاب عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك أَن أَباه حدَّثه ، قال : سمعت أَبى كعبَ بن مالك ، قال ، فذكر الحديث ، وفيه قال كعب بن مالك :

١٣٦ ظ

فلما بلغنى أَن رسول الله — ﷺ — قد توجه قافلا من تبوك ثاب إلىّ لُبِّى وعلمت أَنى قد فعلت ما لم يرض الله ورسوله فى تخلُّفى عنه . فقلت أَكذبه ، وتذكرت ما يكون الكذب الذى أَخرج به من ذلك ، فلم يتَّجه لى . فلما قيل إن رسول الله — ﷺ — قد أَطل[4]

---

(١) هكذا فى ر وابن هشام وغيره ، وفى الأصل : صعصعة .

(٢) زيادة من ر وابن هشام .

(٣) انظر فى هذا الحديث ابن هشام ١٧٥/٤ وصحيح البخارى ٣/٦ وسنن أبى داود ٢٧٧/١ وراجع فى أسماء الثلاثة الذين تخلفوا عن تبوك المحبر لابن حبيب ص ٢٨٤ .

(٤) أطل : أشرف وقرب .

قادما زاح[١] عنى الباطل ، وعلمت أنى لا أنجو منه إلا بالصدق . فلما صبَّح[٢] رسول الله – ﷺ – المدينة نزل بالمسجد ، فصلَّى ركعتين . ثم جلس فجاءَ المتخلفون ، فجعلوا يعتذرون إليه ويحلفون له ، وكانوا بضعة وثمانين رجلا ، فَقَبِل منهم واستغفر لهم ، ووكل سرائرهم إلى الله . وجئتُ فسلَّمت عليه فتبسّم تبسُّمَ المغضب ، وقال لى : ما خلَّفك ؟ ألم أكن ابتَعْت ظهرك[٣] ؟ فقلت : والله يا رسول الله لو جلست بين يدى غيرك لرجوت أن أقيم عنده عذرى لأنى أُعطيت جَدَلا[٤] ولكنى/ قد علمتُ أنى إن كذَبتك اليوم أطلعك الله عليه[٥] غدا . ففضحت نفسى . فوالله ما كان لى عذر فى التخلف عنك ، وما كنت قط أقوى منى حين تخلفت عنك . فقال رسول الله ﷺ : أما هذا فقد صدَقكم ، فقُمْ حتى يقضى الله فيك ، فقمت ومعى رجال من قومى : بنى سَلِمة يقولون : ما علمناك أتيتَ قط غير هذا الذنب ، أفلا اعتذرت إليه فيسعك ما وسع المتخلفين ؟ وكان يكفيك استغفار رسول الله ﷺ حتى هممت أن أنصرف إلى رسول الله فأُكذب نفسى ثم قلت : هل لقى مثل هذا أحدٌ غيرى ؟ قالوا : [نعم][٦] رجلان قالا مثل مقالك ، وقيل لهما مثل ما قيل لك ، قلت : منْ هما ؟ قالوا : مُرارة بن ربيعة العمْرى وهلال بن أُمية الواقفى . فذكروا لى رجلين صالحين فيهما أُسْوة ، فَصَمَتُّ حين ذكروهما لى . ونهى رسول الله – ﷺ – عن كلامنا أيها الثلاثة خاصة[٧] ، فاجتنبنا الناسَ وتغيَّروا لنا ، حتى تنكرتْ لى نفسى والأرض التى أنا فيها . فأما صاحباى فقعدا فى بيوتهما ، وأما أنا فكنت أخرج ، فأشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف بالأسواق لا يكلِّمنى أحد ، وآتى رسول الله ﷺ فأسلِّم عليه ولا أسمعه يردّ علىّ ، فأقول : ليت شعرى هل ردَّ فى نفسه . وكنت/ أُصلِّى قريبا منه ، وأُسارقه النظر ، فإذا أقبلتُ على صلاتى نظر إلىّ ، فإذا التفتُّ نحوه أعرض عنى . حتى إذا طال ذلك علىّ من جَفْوة المسلمين مشيتُ حتى تسوَّرْت[٨] جدار (حائط) أبى

١٣٧ و

١٣٧ ظ

(١) زاح : ذهب .

(٢) صبح المدينة : دخلها صباحًا .

(٣) الظهر : الدابة . وفى البخارى : ألم تكن قد ابتعت ظهرك .

(٤) جدلا : فصاحة ولسنا وقوة حجة .

(٥) عليه : أى على الكذب .

(٦) زيادة من ابن هشام وصحيح البخارى .

(٧) خاصة : أى من المتخلفين .

(٨) تسورت : علوت .

قتادة ، وهو ابن عمى وأحبُّ الناس إلىَّ ، فسلَّمت عليه ، فوالله ما زاد[١] على السلام ، فقلت : يا أبا قتادة نشدتك الله هل تعلم أنى أُحبُّ الله ورسوله ؟ فسكت ، فناشدته ثانية ، فقال : الله ورسوله أعلم . ففاضت عيناى – فعدت فوثبت [فتسوَّرت][٢] الجدار ، وخرجت . ثم غدوت إلى السوق فإذا رجل يسأل عنى من نَبط[٣] الشام القادمين بالطعام إلى المدينة ، يقول : من يدلُّ على كعب بن مالك ، فجعل الناس يشيرون له إلىَّ ، فجاءنى ، فدفع إلىَّ كتابا من ملك غَسَّان ، فإذا فيه : «أما بعد فقد بلغنا أن صاحبك قد جفاك ، ولم يجعلك اللهُ بدار هَوان ، فالحقْ بنا نُواسِك » . فقلت حين قرأته : وهذا من البلاءِ أيضا أن يطمع فىَّ رجل من أهل الشِّرك ، فعمدت إلى تنُّور[٤] ، فسجَرْت[٥] فيه الكتاب . وأقمت حالى حتى إذا مضت أربعون ليلة إذا رسولُ رسولِ الله أتانى ، فقال لى : رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك ، فقلت : أُطَلِّقها أم ماذا ؟ قال : [لا][٦] بل اعتَزِلْها ولا تَقْربها . وأرسل إلى صاحبىَّ بمثل ذلك ، فقلت لامرأتى : الحقى بأهلك فكونى /فيهم حتى يقضى الله فى هذا الأمر ما هو قاضٍ . وجاءت امرأة هلال بن أُمية رسولَ الله ﷺ فقالت : يا رسول الله إن هلال بن أُمية شيخ كبير ضائع لا خادم له أفتكره أن أخدمه ؟ قال : لا ولكن لا يقربنَّك ، قالت : والله يا رسول الله ما به من حركة إلىّ ، وما زال يبكى منذ كان من أمره ما كان إلى يومى هذا حتى تخوَّفت على بصره . وقال لى بعض أهلى : لو استأذنت رسول الله – ﷺ – فى خدمة امرأتك فقد أذن لهلال بن أمية ؟ فقلت : والله لا أفعل ، إنى لا أدرى ما يقول لى وأنا رجل شاب .

١٣٨ و

قال : فلبثنا فى ذلك عشر ليال فكمل لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله – ﷺ – المسلمين عن الكلام معنا . فلما صليت [الصبح][٧] صبح خمسين ليلة وأنا قد ضاقت

---

(١) فى ر وصحيح البخارى : ما ردَّ

(٢) زيادة من ابن هشام والبخارى .

(٣) واضح ما يدل عليه هذا الخبر من أن أنباط فلسطين والأردن كانوا يسهمون فى التجارة حتى ظهور الإسلام وكأن الغساسة وغيرهم يتخذونهم جواسيس لهم .

(٤) تنور : موقد نار .

(٥) سجرته : أحرقته .

(٦) زيادة من ر وابن هشام والبخارى

(٧) زيادة من ر وابن هشام ، وفى البخارى : فلما صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة

عليّ الأرض بما رَحُبَتْ[١] وضاقت عليّ نفسى ، فأنا كذلك إذ سمعت صوت صارخ قد وافى على ظهرَ سلْع [٢] [ينادى[٣] بأعلى صوته] : يا كعب بن مالك أَبْشِرْ ، فخررتُ لله ساجدا وعلمت أن قد جاء الفرج ، وآذنَ رسول الله – ﷺ – بتوبة الله علينا حين صَلَّى الفجر – فذهب الناس يبشِّروننا . وركض رجل إليَّ فرسًا وسعى ساعٍ مِنْ أَسْلم حتى وافى على الجبل ، وكان الصوت أَسرع من الفرس .

فلما جاءنى الذى سمعت صوته يبشِّرنى نزعت ثوبىَّ فكسوتهما إياه ، والله ما أملك يومئذ غيرهما ، واستعرت ثوبين/فلبستهما ثم انطلقت أتيمَّم[٤] رسول الله ﷺ ، وتلقانى الناس يبشِّروننى بالتوبة ، ويقولون : لِتَهْنِك توبة الله عليك ، حتى دخلت المسجد ، ورسول الله – ﷺ – جالس ، حوله الناس . فقام إليّ طلحة بن عبيد الله ، فحيَّانى وهنَّأنى . ووالله ما قام إليّ رجل من المهاجرين غيره . قال : فكان كعب لا ينساها لطلحة . قال : فلما سلمت على رسول الله – ﷺ – قال [لى][٥] ووجهه يبرق من السرور : أَبْشِرْ بخيرِ يومٍ مرَّ عليك منذ ولدتك أُمك ، قلت : أَمِنْ عندك يا رسول الله أم من عند الله ؟ قال : لا بل من عند الله . قال : وكان رسول الله إذا استبشر كأن وجهه قطعة قمر . فلما جلست بين يديه قلت : يا رسول الله إن من توبتى إلى الله أن أَنْخَلِعَ من مالى صدقة إلى الله وإلى رسوله ، فقال رسول الله – ﷺ – أَمْسِكْ عليك بعض مالك فهو خير لك ، قلتُ إنى ممسكٌ سهمى الذى بِخَيْبَر . وقلت : يا رسول الله إن الله قد أنجانى بالصدق وإن من توبتى أن لا أُحدِّث إلا صدقا ما بقيت . وكان ما نزل فى شأنى من القرآن قوله تعالى جلَّ ذكره : (وعلى الثلاثة الذين خُلِّفوا[٦] حتى إذا ضاقتْ عليهم الأرضُ بما رحُبَتْ) إلى قوله : (يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) .

١٣٨ ظ

---

(١) رحبت : اتسعت .

(٢) سلع . جبل بالمدينة

(٣) زيادة من روابن هشام .

(٤) أتيمم : أقصد .

(٥) زيادة من ابن هشام .

(٦) وفى تتمة حديث كعب بن مالك تعليقاً على قوله تعالى : (وعلى الثلاثة الذين خلفوا) : وليس الذى ذكر الله من تخليفنا عن الغزوة ولكن لتخليفه إيانا وإرجائه أمرنا عمن حلف له واعتذر إليه فقبل منه . انظر ابن هشام ١٨١/٤ .

إسلام[1] ثقيف

١٣٩ و / ولما كان فى رمضان سنة تسع من الهجرة منصرفَ رسول – ﷺ – من تبوك أتاه وفد ثقيف . وقد كان عُرْوة بن مسعود الثقفى لحق برسول الله – ﷺ – فى حين انصرافه من حِصار الطائف ، فأدركه قبل أن يدخل المدينة ، فأسلم . وسأله أن يرجع إلى قومه بالإسلام ، وكان سيد قومه ثقيف ، فقال له رسول الله – ﷺ – : إنهم قاتلوك . وعرف رسول الله – ﷺ – امتناعهم ونخوتهم[2] ، فقال : يا رسول الله إنى أَحَبُّ إليهم من أبكارهم[3] . ووثق بمكانه منهم فانصرف إليهم ودعاهم إلى الإسلام وأخبرهم أنه قد أسلم . فرموه بالنَّبْل ، فأصابه سَهْم ، فقتله . فزعمت بنو مالك أنه قتله رجل منهم ، فقيل له : ما ترى فى دمك ؟ فقال : كرامةٌ أكرمنى الله بها ، وشهادةٌ ساقها إلىّ ، فليس فىّ إلا ما فى الشهداء الذين قُتلوا مع رسول الله – ﷺ – قبل أن يدخل[4] إليكم . وأوصى أن يدفن معهم . فهو مدفون – خارج الطائف – مع الشهداء . وذكروا أن رسول الله – ﷺ – قال : مثله فى قومه مثل صاحب ياسين[5] فى قومه .

ثم إن ثقيفا رأوا أن لا طاقة لهم بما هم فيه من خلاف جميع العرب ومغاورتهم لهم والتضييق عليهم ، فاجتمعوا على أن يرسلوا من أنفسهم رسولا ، كما أرسلوا عروة ، ١٣٩ ظ فكلّموا /عَبْد يا لِيل بن عمرو بن عمير ، وكان فى سِنٍّ عروة بن مسعود ، فى ذلك ، فأَبى أن يفعل ، وخشى أن يُصْنع به ما صُنع بعروة بن مسعود ، وقال : لست فاعلا إلا أن ترسلوا معى رجالا . فأجمعوا على أن يبعثوا معه رجلين من الأحلاف وثلاثة من بنى مالك فيكونوا ستة . فبعثوا مع عبد يا ليل : الحكم بن عمرو بن وهب بن معتِّب ، وشُرَحْبِيل بن

---

(١) انظر فى إسلام ثقيف ابن هشام ١٨٢/٤ وابن سعد ج١ ق٢ ص٥٢ وتاريخ الطبرى ٩٦/٣ وابن حزم ص٢٥٥ وابن سيد الناس ٢٢٨/٢ وابن كثير ٢٩/٥ .

(٢) فى ابن هشام : نخوة الامتناع الذى كان منهم .

(٣) قال ابن هشام : ويقال من أبصارهم .

(٤) فى ابن هشام : قبل أن يرتحل عنكم .

(٥) ياسين ، أى سورة ياسين .

غيلان بن سلمة من بنى معتب [١] ، ومن بنى مالك : عثمان بن أبى العاصى بن بشر بن عبد دُهمان ، وأَوس بن عوف أخا بنى سالم وقد قيل إنه قاتل عروة ، ونُمَيْر بن خَرَشة بن ربيعة .

فخرجوا حتى قدموا المدينة ، فأَول من رآهم بِقَناة [٢] المغيرة [٣] بن شعبة ، وكان يرعى ركاب [٤] أَصحاب رسول الله ﷺ [فى] [٥] نوبته ، وكانت رِعْيَتُهَا نُوَبًا عليهم ، فترك عندهم الرِّكاب ، ونهض مسرعا ، ليبشِّر رسول الله – ﷺ – بقدومهم ، فلقى أَبا بكر الصِّدِّيق ، فاستخبره عن شأنه فأخبره بقدوم وفد قومه : ثقيف ، للإسلام . فأَقسم عليه أَبو بكر أَن يؤثره بتبشير رسول الله – ﷺ – بذلك ، فأَجابه المغيرة إلى ذلك . فكان أَبو بكر هو الذى بشر النبىّ – ﷺ – بذلك .

ثم رجع إليهم المغيرة . ورجع معهم ، وأخبرهم كيف يحيُّون رسول الله – ﷺ – ، فلم يفعلوا وحيَّوه بتحية الجاهلية . فضرب لهم – رسول الله – ﷺ – قُبَّةً فى ناحية المسجد/وكان خالد بن سعيد بن العاص هو الذى يختلف بينهم وبين رسول الله ﷺ ، وهو الذى كتب الكتاب لهم ، وكان الطعام يأتيهم من عند رسول الله ﷺ فلا يأْكلون حتى يأْكل منه خالد بن سعيد . وسأَلوا رسول الله – ﷺ – قبل أن يكتب كتابهم أن يترك لهم الطاغية [٦] وهى اللات لا يهدمها ثلاث سنين . فأَبى رسول الله إلا هدمها . وسأَلوه أَن لا يهدموا [٧] أوثانهم ولا يكسروها بأَيديهم ، فأَعفاهم رسول الله – ﷺ – من كسرها بأَيديهم ، وأَبى أن يدع لهم وَثَنًا . وقالوا إنما أَردنا أَن نَسْلَمَ بتركهامن سفهائنا ونسائنا ، وخِفْنا أَن نروِّع قومنا بهدمها حتى ندخلهم الإسلام وقد كانوا سأَلوه مع ترك الطاغية أن يعفيهم من الصلاة ، فقال لهم : لا خير فى دين لا صلاة فيه .

١٤٠ و

---

(١) هما مثل عبد ياليل من الأحلاف .

(٢) قناة : واد بالمدينة .

(٣) ثقفى من أبناء عمومتهم وكان قد أسلم وحسن إسلامه .

(٤) الركاب : الإبل والخيل .

(٥) زيادة من ابن هشام .

(٦) الطاغية : الصنم الكبير وكانوا قد بنوا للات كعبة كبيرة يحجون إليها .

(٧) فى الأصل : يهدم .

فلما كتب لهم رسول الله – ﷺ – كتابهم أمَّر عليهم عثمان بن أبى العاصى ، وكان أحدثهم سِنًا ، ورآه أحرصَهم على تعلم القرآن وشرائع الإسلام وأمره أن يُصَلِّى بهم وأن يَقْدُرهم بأضعفهم ولا يطوِّل عليهم[١] . وأمره أن يتخذ مؤذنا لا يأْخذ على أذانه أجرا . وبعث معهم أبا سفيان بن حَرْبْ والمغيرة بن شُعْبة لهدم الأوثان والطاغية وغيرها ، فأقام أبو سفيان فى ماله[٢] بذى الهزم[٣] ، وقال للمغيرة : ادخل أَنت على / قومك . فدخل المغيرة ، وشرع[٤] فى هدم الطاغية وهى اللات . وقام[٥] دونه قومُه بنو معتِّب خشية أَن يُرْمى كما رمى عروة بن مسعود ، وخرج نساءُ ثقيف يبكين اللات حُسَّرًا[٦] ويَنُحْن عليها . فهدمها المغيرة وأَخذ مالها وحليَّها .

١٤٠ ظ

وقد كان أبو مُلَيْح بن عروة [بن[٧] مسعود] وقارب بن الأسود قدما على رسول الله – ﷺ – قبل وفد ثقيف حين[٨] قُتل عروة بن مسعود يريدان فراق ثقيف وأن لا يجامعاهم على شيء أبدا ، فأسلما . وقال لهما : تولَّيا مَنْ شئتما ، فقالا : نتولَّى الله ورسوله . فقال رسول الله – ﷺ – وخالكما أبا سفيان بن حرب ، [فقالا[٩] : وخالنا أبا سفيان بن حرب] .

فلما أسلم أهل الطائف ووجَّه رسول الله – ﷺ – أبا سفيان والمغيرة إلى هدم الطاغية سأل أبو مُلَيْح بن عروة بن مسعود [رسول الله ﷺ] أن يقضى دين [أبيه] عروة من مال الطاغية . وسأَل قارب بن الأسود بن مسعود مثل ذلك . والأسود وعروة أَخوان لأَب وأُم . فقال رسول الله – ﷺ – للمغيرة وأبى سفيان : اقضِيا دين عروة من مال الطاغية .

---

(١) أى لا يطول الصلاة .
(٢) أى بالطائف .
(٣) هكذا فى الأصل وفى ر وابن هشام : الهدم ، وفى مصادر أخرى : الهرم بالراء .
(٤) هكذا فى ر وابن هشام وغيره ، وفى الأصل : فى شرع ، وهو تحريف
(٥) فى الأصل : وأقام .
(٦) حسرا : مكشوفات الرءوس .
(٧) زيادة لتوصيح السياق .
(٨) هكذا فى ر ، وفى الأصل ، حتى .
(٩) زيادة من ر وابن هشام وغيره

فقال قارب يا رسول الله [و] دين الأسود . فقال رسول الله ﷺ : إن الأسود مات مشركا . فقال قارب : يا رسول الله لكن تَصِلُ مسلما ذا قرابة يعنى نفسه إنما الدَّيْنُ علىّ وأنا الذى أُطْلَبُ به . فأمر رسول الله – ﷺ – بقضاء دين الأسود بن مسعود من مال الطاغية . فقضى أبو سفيان والمغيرة دَيْن الأسود/وعروة ابنى مسعود من مال الطاغية . ١٤١ و

حِجَّة[١] أبى بكر الصِّدِّيق رضى الله عنه سنة تسع

وأمر رسول الله – ﷺ – أبا بكر بالخروج إلى الحج وإقامته للناس ، فخرج أبو بكر لذلك[٢] ، ونزل صدر[٣] سورَة براءة بعده . فقيل له : يا رسول الله لو بعثتَ بها إلى أبى بكر يقرؤها على الناس فى الموسم ؟ فقال : إنه لا يؤدِّيها عنى إلا رجلٌ من أهل بيتى . ثم دعا عليًّا ، فقال له : اخرج بهذه القصة من صدر براءة ، وأذِّن بها فى الناس يوم النَّحْر إذا اجتمعوا بِمِنًى . وأمره بما ينادى[٤] به فى الموسم – فخرج على ناقة رسول الله – ﷺ – العَضْباء ، حتى أدرك أبا بكر بالطريق ، فقال له أبو بكر لما رآه : أميرا[٥] أو مأمورا ، قال : بل مأمورا .

ثم نهضا ، فأقام أبو بكر للناس الحَجّ سنة تسع على منازلهم التى كانوا عليها فى الجاهلية . وقد قيل إن حجة أبى بكر وقعتْ حينئذ فى ذى القِعْدة على ما كانوا عليه من

---

(١) انظر فى حجة أبى بكر بالناس سنة تسع ابن هشام ١٨٨/٤ وابن سعد ج٢ ق١ ص١٢١ وتاريخ الطبرى ١٢٢/٣ والبخارى ١٦٧/٥ وابن حزم ص ٢٥٨ وابن سيد الناس ٢٣١/٢ وابن كثير ٣٦/٥ .

(٢) قال ابن سعد إنه خرج من المدينة فى ثلاثمائة رجل وبعث معه الرسول بعشرين بدنة وساق أبو بكر خمس بدنات .

(٣) وفيه براءة من عهد كل مشرك لم يسلم أن يدخل المسجد الحرام بعد هذا العام التاسع للهجرة وبيان لمدة مضروبة هى أربعة أشهر حتى يرجع كل قوم إلى مأمنهم أو بلادهم ، ثم لا يقبل منهم بعد ذلك إلا الإسلام طوعا أو كرها . وسرعان ما دخل فى دين الله من كان لا يزال مشركا . وسيوضح ابن عبد البر ذلك عما قليل .

(٤) فى ابن هشام أن عليا كان ينادى فى الناس : لا يدخل الجنة كافر ولا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان . وقد كره الرسول أن يحج فى هذا العام ، ولا يزال مشركون عراة يشركون المسلمين فى حجهم ، وسيذكر ابن عبد البر ذلك .

(٥) يريد أبو بكر : هل استعمل الرسول علياً أميراً على الحج أو أنه جاء لغرض آخر . وذكر له علىّ ما جاء له من تلاوة صدر سورة براءة على الناس فى الحج .

النسيىء فى الجاهلية . وروى معمر ، عن [ابن] أبى نُجيْح ، عن مجاهد فى قوله [تعالى] : (إنما النسيىء زيادةٌ فى الكفر) قال : كانوا يحجون [فى كل] [١] شهر عامين ، حَجُّوا فى ذى الحِجَّة عامين ، ثم حَجُّوا فى المحَرَّم عامين ، ثم حجوا فى صفر عامين ، حتى وافت حجة أبى بكر [فى [٢] الآخر من العامين] فى ذى القعدة قبل حجة النبى – ﷺ – . ثم حَجَّ النبى – ﷺ – من قابل [فى] / ذى الحجة ، فذلك قوله (ﷺ) حيث يقول «إن الزمن قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض» .

١٤١ ظ

قال معمر ، قال الزهرى ، عن سعيد بن المسيب :

لما قفل رسول الله – ﷺ – من حُنَيْن اعتمر من الجِعْرانة وأَمَّر أَبا بكر على تلك الحِجَّة .

وذكر ابن جريج عن مجاهد ، قال :

لما انصرف رسول الله – ﷺ – من تَبوك أَراد الحج ثم قال : إنه يحضر البيت عراةٌ مشركون يطوفون بالبيت ولا أُحبُّ أَن أَحجَّ حتى لا يكون ذلك . فأَرسل أَبا بكر ثم أَردفه عليا .

قال أَبو عمر :

بعث عليا يَنْبِذُ إلى كل ذى عهد عهده ، ويعهد إليهم أَن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان مع سائر ما أَمره أَن ينادى به فى كل موطن من مواطن الحج . فأَقام الحج ذلك العام سنة تسع أَبو بكر . ثم حَج رسول الله * ﷺ – من قابل حِجته التى لم يحجّ من المدينة غيرها . فوقعت حِجةُ رسول الله – ﷺ – فى العام المقبل فى ذى الحِجة ، فقال : « إن الزمان قد استدار – الحديث » . وثَبَّت الحجَّ فى ذى الحجة إلى يوم القيامة . فلما كان يوم النَّحْر فى حجة أَبى بكر قام علىٌّ فأَذَّن فى الناس بالذى أَمره به رسول الله ﷺ فقال : أَيها الناس إنه لا يدخل الجنة كافر . رُوِىَ فى حديثه هذا : لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة ولا يحجُّ بعد هذا العام مشرك ولا يطوف / بالبيت عريان ومَن كان له عند رسول الله

١٤٢ و

---

(١) زيادة من ر. والعبارة فى الأصل : كانوا يحجون فى شهر ذى القعدة عامين .

(٢) هكذا فى ر. وفى الأصل : الأخيرة .

عهد فهو إلى مدَّته . وأَجَّل الناس أَربعة أَشهر من يوم أَذَّن فيهم ليرجع كل قوم إلى مأْمنهم وبلادهم ثم لا عَهْد لمشرك ولا ذِمَّةَ لأَحد كانت له عند رسول الله ﷺ . فلم يحج بعد ذلك العام مشركٌ ولم يطف بالبيت عُرْيان .

حدثنا عبد الوارث بن سفيان ، قال : حدثنا قاسم بن أَصبغ ، قال ، حدثنا أَحمد بن زهير بن حرب ، قال : حدثنا سعيد بن سليمان ، قال : حدثنا عباد بن العوام ، قال : حدثنا سفيان بن حُصَيْن ، قال : حدثنى أَبو بشر ، عن مجاهد :

أَن أَبا بكر حجَّ فى ذى القعدة .

قال [١] : حدثنا سعيد بن سليمان ، قال : حدثنا عباد بن عباد [٢] ، قال : قال سفيان بن حُصَين [٣] (قال) وأَخبرنى إياس بن معاوية ، عن عكرمة بن خالد المخزومى .

أَن أَبا بكر حَجَّ فى ذى القِعْدة ، فلما كان العام المقبل حجَّ رسول الله - ﷺ - فى ذى الحجة ، فخطب الناس . وذكر الحديث .

حدثنا عبد الوارث ، قال : حدثنا قاسم ، قال : حدثنا بكر بن حماد ، وحدثنا عبد الله بن محمد ، قال : حدثنا محمد بن بكر ، قال : حدثنا أَبو داود ، قال : حدثنا مسدَّد ، قال : حدثنا إسماعيل بن عُلْبة ، قال : حدثنا أَيوب ، عن محمد ، عن أَبى بكرة ، أَن النبى - ﷺ - خطب فى حِجته ، فقال : « إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات / والأَرض ، السنة اثنا عشر شهر ، منها أَربعة حُرُمٌ : ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، ورجب مفرد الذى بين جمادى وشعبان » .

١٤٢ ظ

(١) لعله ابن حرب فى سند الحديث السالف .

(٢) هكذا فى الأصل ور ، ولعله العوام كما فى السند السابق .

(٣) فى الأصل ور : حسين ولعله تحريف .

بـاب
وفود[1] العرب على رسول الله ﷺ
من بلادها للدخول فى الإسلام

وذلك فى سنة تسع وسنة عشر . وحجته – ﷺ – فى سنة عشر :

لما فتح الله – عزَّ وجلَّ – على رسوله – عليه السلام – مكة ، وأظهره[2] يوم حُنَيْن ، وانصرف من تَبوك ، وأسلمتْ ثَقيف ، أقبلت إليه وفود العرب من كل وجه يدخلون فى دين الله أفواجا . وأكثرهم كان ينتظر ما يكون من قريش لأنهم كانوا أئمةَ الناس من أجل البيت والحَرَم وأنهم صريحُ ولدِ إسماعيل – ﷺ – . فلما فتح الله مكة عليه أهلَّ الناس إليه . وكل من قدم عليه (قدم) راغبا فى الإسلام إلا عامر بن الطُّفَيْل وأَرْبَد بن قيس فى وفد بنى عامر ، وإلامُسَيْلمة فى وفد بنى حَنيفة . فأَما عامر بن الطُّفَيْل بن مالك بن جعفر بن كلاب وأربد بن قيس بن جَزْء بن خالد بن جعفر بن كلاب فإنهما قدما عليه فى وفد بنى عامر بن صعْصعة وقد أضمر [عامر[3] بن الطفيل] الفَتْك برسول الله – ﷺ – والغَدْر به . وأربد بن قيس هو أخو لبيد لأمه ، [و] كان عامر بن الطُّفَيْل قد قال له : إنى شاغله عنك بالكلام ، فإذا فعلت ذلك فَاعْلُه بالسيف[4] . ثم جعل يسأله سؤال الأحمق ورسولُ الله – صلى الله /عليه وسلم – يقول : لا أجيبك فى شىء مما سألت عنه حتى تؤمن بالله ورسوله . وأنزل الله على أَرْبد البَهْت والرُّعْبَ فلم يرفع يدا . فلما يئس منه عامر قال : يا محمد والله لأملأنَّها عليك خيْلا ورجالا . فلما ولَّيا قال رسول الله – ﷺ – : اللهمَّ اكْفِنى عامر بن الطُّفَيْل وأَرْبَدَ بن قيس . وقال عامر لأَرْبد : ما منعك أن تفعل ما تعاقدنا

١٤٣ و

---

(١) انظر فى تلك الوفود ابن هشام ٢٠٥/٤ وما بعدها وابن سعد ج ١ ق ٢ ص ٣٨ وما بعدها والطبرى ١١٥/٣ وما بعدها وابن حزم ص ٢٥٩ وابن سيد الناس ٢٣٢/٢ وما بعدها وابن كثير ٤٠/٥ وما بعدها والجزء الثامن عشر من نهاية الأرب .

(٢) أظهره . نصره

(٣) زيادة من ابن هشام يقتضيها السياق .

(٤) اعله بالسيف : اقتله به .

عليه ، والله لا أخافك بعدها ، وما كنت أخاف غيرك . وخرجا جميعا فى وفدهم راجعين إلى بلادهم ، فلما كانا ببعض الطريق بعث الله على عامر بن الطُّفَيْل الطاعون فى عنقه ، فقتله الله فى بيت امرأة من بنى سَلول ، فجعل يقول : أَغُدَّةً[1] كَغُدَّة البَكْر[2] أو غُدَّة البعير ، ومَوْتاً فى بيت سَلولية[3] . ووصل إربد إلى بلده ، فقال له قومه : ما وراءك ؟ قال : والله لقد دعانى إلى عبادة شىء لو أنه عندى اليوم لرميته بالنَّبْل حتى أقتله . فلم يلبث بعد قوله هذا إلا يوما أو يومين ، وأنزل الله عليه صاعقة ، وكان على جمل قد ركبه فى حاجة ، فأحرقه الله — عزّ وجَلّ — هو وجَمله بالصاعقة .

وقدم عليه — ﷺ — **وفد بنى حَنيفة** ، فيهم مسيلمة بن حبيب يُكْنى أبا هرون ، وقيل بل هو مسيلمة بن ثُمَامة يكنى أبا ثُمَامة . واختُلف فى دخوله على رسول الله ﷺ ، فرُوى أنه دخل مع قومه على رسول الله — ﷺ — وهم يسترونه بالثياب/فكلَّمه [وسأله][4] فأجابه رسول الله ﷺ : إنك لو سألتنى هذا العَسِيب[5] — لعسيب كان معه من سَعَف النخل — ما أعطيتكه . وقد رُوى أن بنى حنيفَة لما نزلوا بالمدينة خلَّفوا مسيلمة فى رِحالهم وأنهم أسلموا وذكروا مكان مسيلمة ، وقالوا إنا قد خلفنا صاحبًا لنا فى رِحالنا يحفظها لنا . فأمر لهم رسول الله ﷺ — بما سألوه ، وأمر له بمثل ما أمر لقومه ، وقال : أما إنه ليس بشرِّكم مكانا أى لِحفظه ضَيْعة أصحابه . ثم انصرفوا عن رسول الله ﷺ ، فلما انتهوا إلى اليمامة ارتدَّ عدو الله مُسَيْلمة وادَّعى النبوة ، وقال : قد أشركنى الله فى أمره . واتبعه أكثر قومه ، وجعل لهم أسْجاعا يُضاهى[6] بها القرآن ، وأحلَّ لهم الخَمْر[والزنا][7] ، وأسقط عنهم الصلاة فمن سجعه قوله : « لقد أنعم الله على الحُبْلَى ، أخرج منها نَسَمَةً تسعى من بين صِفاق[8] وحَشَى » ومثل هذا من سجعه ، لعنه الله .

١٤٣ ظ

---

(١) الغدة : داء يصيب الإبل فتموت منه شبيه بالذبحة .

(٢) البكر : الفتى من الإبل .

(٣) يأسف أنه لا يموت مقتولا فى ميادين الحروب وأنه يموت غريبًا عن دياره .

(٤) زيادة من ابن هشام يقتضيها السياق .

(٥) العسيب : جريدة النخل

(٦) يضاهى : يحاكى

(٧) زيادة من ر

(٨) الصفاق : مارق من البطن .

واتبعته بنو حنيفة إلا ثمامة بن أُثال الحنفى بقى على الإيمان بالله ورسوله ولم يرتدَّ مع قومه .

وقدم (عليه) – ﷺ **وفد بنى تميم** ، منهم عُطارد بن حاجب بن زُرارة بن عُدَس الدَّارِمىّ ، وقيس بن عاصم المِنْقَرِىّ ، وعمرو بن الأَهتم من بنى مِنْقر بن عبيد أَيضا ، والزِّبْرِقان بن بدر من بنى بَهْدلة ، ونُعَيم[١] بن يزيد ، وقيس بن الحارث ، والحُتات بن/يزيد[٢] المجاشعى وهو الذى آخى رسول الله – ﷺ – بينه وبين معاوية ، وقد ذكرنا خبره فى بابه من كتاب الصحابة[٣] . وهؤلاء وجوه وفد تميم ، وقدم معهم الأَقرع بن حابس الدَّارمى وعُيَيْنة بن حِصْن الفَزارى ، وقد كانا قدما على رسول الله ﷺ ، وأَسلما ، وشهدا معه فتح مكة وحُنَيْنًا وحِصار الطائف ، ثم جاءَا مع وفد تميم . ونادوه من وراءِ الحُجُزات ، وخبرهم فى السِّيَرِ والتفسير[٤] . وأَسلموا ولم يظهر منهم بعد الإسلام إلا الخير والصلاح إلا أَن عُيَيْنة كان أَعرابيا جافيا جِلْفا مجنونا أَحمق مطاعا فى قومه .

١٤٤ و

وقدم عليه – ﷺ – ضِمام بن ثعلبة وافد قومه **بنى سعد بن بكر** ، وأَسلم وحسن إسلامه ، ورجع إلى قومه ، فأَسلموا .

وقدم عليه – ﷺ – الجارود بن عمرو ، وقيل : ابن بشر ، العَبْدِىّ فى طائفة من قومه **عبد القيس** . وكان الجارود نَصْرانيا فأَسلم ومَنْ معه . وسأَلوا رسول الله – ﷺ – أَن يَحْمِلهم[٥] . فقال : والله ما عندى ما أَحملكم عليه . فقالوا إنَّا نَمرُّ فنجد من ضَوالِّ الإبل فى طريقنا فنأْخذها ؟ فقال لهم رسول الله – ﷺ – : ضالة المؤمن حَرَقُ النار . وحَسُنَ إسلام عبد القيس . وكان الجارود فاضلا صليبا[٦] فى ذات الله . ولما ارتدَّت العرب وارتد من ارتد من عبد قَيْس قام فى رهطه ، فأَعلن بالإسلام/ودعا إليه ، وتبرَّأَ ممن ارتدَّ من قومه ، وثبت هو ورهطه على الإسلام ، وقد كان قدم الأَشَجّ[٧] العَصَرِىّ من عبد القيس فى وفد منهم قبل فتح مكة فأَسلموا . وقد كان رسول الله – ﷺ – بعث

---

(١) هكذا اسمه فى ابن هشام وغيره ، وفى الأصل ور : يزيد بن نعيم .

(٢) هكذا فى ر وابن هشام والاستيعاب ، وفى الأصل : زيد .

(٣) انظر الاستيعاب ص ١٥٣ .

(٤) والتفسير : أى كتب التفسير فيما علقت به على آى سورة الحجرات التى نزلت فيهم .

(٥) أن يحملهم : أى ابلا يحملهم عليها لطول الشقة بين يثرب ومنازلهم على خليج العرب .

(٦) صليبًا : صلبًا .

(٧) الأشج العصرى : كان من سادة قومه عبد القيس واسمه المنذر بن عائذ .

العلاءَ بن الحَضْرَمِىّ قبل فتح مكة إلى المنذر بن[١] ساوَى العَبْدىّ ، فأسلم وحسن إسلامه ، ثم هلك بعد رسول الله - ﷺ - قبل رِدَّة أهل البَحْرين ، والعلاءُ عنده أمير لرسول الله - ﷺ - على البحرين .

وقدم على رسول الله - ﷺ - **وفْدُ طيِّئ** ، فيهم زَيْد الخَيل وهو سيدهم ، فعرض رسول الله - ﷺ - عليهم الإسلام ، فأسلموا . ورُوى أن رسول الله - ﷺ - قال : ما وُصِفَ لى رجل من العرب إلا وجدته دون ما وُصف إلا زيد الخيل فإن وَصْفه لم يبلغ [ما] [٢] وُصف به . وسماه رسول الله - ﷺ - زيد الخير .

وقدم على رسول الله - ﷺ - عدى بن حاتم الطائى فى قومه من طيئ ، وكان نصرانيا ، فمضى به رسول الله ﷺ ، وأدخله [إلى بيته] [٣] وتناول وسادة من أَدم[٤] حَشْوها لِيفٌ ، فطرحها ، وقال له : اجْلِسْ عليها ، فقال : بل أنت فاجْلِسْ عليها يا رسول الله فجلس رسول الله فى الأرض وأجلسه على الوسادة ، ثم لم يزل يكلمه ويعرض عليه ما فى دينه النصرانية مما أحدثوه فيه من الشرك ، ويعرض عليه الإسلام / ويخبره أنه دين سيبلغ ما بلغ الليل والنهار وأنه لا يبقى عربى إلا دخل فيه طوعا أوكرها ، فقبل عَدِىٌّ الإسلام ، وأسلم وحَسُن إسلامه ، وتبعه قومه فأسلموا وحَسُنَ إسلامهم .

١٤٥ و

وقدم عليه فَرْوة بن مُسَيْك الغُطَيفى ، وعِداده فى **مراد** ، مفارقا لملوك كِنْدة ومباعدًا لهم إلى رسول الله ﷺ - فأسلم وحَسُن إسلامه . وأمَّرَه رسول الله - ﷺ - على قومه[٥] . ولم يرتدّ فروة حين ارتدت العرب .

[وقدم[٦] عليه - ﷺ - عمرو بن معد يكرب ، وكان قد قال لقيس بن المكشوح : إنك سيد قومك وإن محمدا قد خرج بالحجاز نبيا ، فاقدم بنا عليه ، فإنا إن قدمنا عليه لم يخف علينا أمره ، فأبى قيس بن المكشوح ، فقدم عمرو هو وناس معه من

---

(١) المنذر بن ساوى : كان أمير البحرين حينئذ .

(٢) زيادة من ر

(٣) زيادة من ر وابن هشام وغيره .

(٤) أدم : جلد .

(٥) فى ابن هشام ٤/٢٢٩ : واستعمله النبى صلى الله عليه وسلم على مراد وزبيد ومذحج كلها وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص على الصدقة .

(٦) زيادة من ر .

زبيد . وهجره قيس بن المكشوح وهدد كل واحد منهما صاحبه . ثم أسلم قيس بن المكشوح سنة عشر ، وكتب إليه رسول الله ﷺ وإلى فيروز الديلمى فى قتال الأسود العنسى المتنبىء] .

وقدم على رسول الله - ﷺ - الأشعث بن قيس فى **وفد كِنْدة** ، قال ابن شهاب فى ثمانين رجلا من كندة . فأسلم وأسلموا ، وقالوا : يا رسول الله نحن بنو آكل[1] المُرار وأنت من بنى[2] آكل المرار ، فقال رسول الله ﷺ : لا ، نحن من بنى النَّضْر بن كِنانة لا نقفو[3] أمَّنا/ولا نَنْتفى من أبينا . وتبسّم رسول الله - ﷺ - من قولهم ، وقال لهم : ائتوا العباس بن عبد المطلب وربيعة بن الحارث فناسبوهما بهذا النسب ، وذلك أن العباس وربيعة كانا تاجرين يضربان فى البلاد ، فكانا إذا نزلا بقوم قالا : نحن بنو آكل المرار يتعزّزان بذلك . فكان الأشعث يقول : والله لا أسمع أحدا يقول : إن قريشا بنو آكل المُرار إلا ضربته ثمانين . وآكل المُرار هو الحارث بن عمرو بن حجر بن عمرو بن معاوية ابن الحارث بن معاوية بن كندىّ ، ويقال كندة . قال ابن هشام : والأشعث بن قيس من ولد آكل المرار من قبل النساء .

١٤٥ ظ

وقدم على رسول - الله ﷺ - صُرَد بن عبد الله الأزدى - فأسلم وحَسُنَ إسلامه - فى **وفد من الأزْد** وأمَّره رسول الله - ﷺ - على من أسلم من قومه ، وأمره أن يجاهد - بمن[4] أسلم - من يليه من أهل الشرك من قبائل اليمن .

وقدم على رسول الله - ﷺ - كتابُ **ملوك حمير** ، مَقْدَمَه من تَبوك ، بدخولهم فى الإسلام ، وإسلام هَمْدان ومَعافر وذى رُعَيْن ، فكتب لهم رسول الله - ﷺ - كتابا محفوظا عند الرواة[5] . وبعث إليه زُرْعة ذو يزن بن مالك بن مرة الرهاوى بإسلامه وإسلام قومه ومفارقتهم الشِّرْك ، فكتب لهم رسول الله ﷺ أيضا[6]

وبعث/فَرْوة بن عمرو بن النافرة الجُذامى ثم النُّفاثى إلى رسول الله - ﷺ - رسولا

١٤٦ و

---

(١) من ملوك إمارة كندة فى شمالى الجزيرة ، وسيذكر ابن عبد البر اسمه ، وفيه خلاف ، والأرجح أنه حجر جد الحارث بن عمرو الذى سيذكره ، ويقال إنه لقب بآكل المرار لأكله فى إحدى غزواته مع جيشه شجرًا يقال له المرار

(٢) يقول النسابون أن إحدى جدات الرسول كانت من كندة وهى أم كلاب بن مرة ، وإلى ذلك يشير الأشعث ، وقيل بل هى جدة كلاب .

(٣) نقفو : نتبع . أى فى النسب .

(٤) هكذا فى ر وفى الأصل : حين .

(٥) انظره فى ابن هشام ٢٣٥/٤ .

(٦) أى نفس الكتاب السالف .

بإسلامه وأَهْدَى له بَغْلَةً بيضاء . وكان فروة عاملا للروم على مَنْ يليهم من العرب بأرض الشام ، فلما بلغ الروم إسلامه طلبوه حتى أخذوه فحبسوه فمات فى حبسهم.وقد كان قدم على رسول الله – ﷺ – فى هُدْنة الحُدَيْبِيَة قبل خَيْبر رفاعةُ بن زيد الجذامى ثم الضُّبَيْبِى من بنى الضُّبَيْب – فأهدى له غلاما وأسلم وحَسُن إسلامه .

وقال أَبو إسحق السَّبِيْعى وغيره : كانت **هَمْدان** قد قدم وفدهم على رسول الله – ﷺ – مُنْصَرفه من تبوك ، فآمنوا وأَسلموا ، وكتب [١] لهم رسول الله – ﷺ – وذكر ابن هشام خبرهم [٢] ورَجزهم وشعرهم وما كتب رسول الله – ﷺ – لهم ، وذكر أَنهم قدموا فى الحِبَرَات [٣] والعمائم العَدَنِيَّة . وفرح رسول الله – ﷺ – بقدومهم وإسلامهم .

وبعث رسول الله – ﷺ – خالد بن الوليد فى ربيع الآخر أَو جمادى الأُولى سنة عشر إلى بنى الحارث بن كعب بِنَجْران يدعوهم إلى الإسلام ، فأَسلموا ودخلوا فيما دعاهم خالد إليه من الإسلام . فأَقام عندهم خالد يعلِّمهم كتاب الله وشريعة الإسلام . وكتب إلى رسول الله – ﷺ – بما فتح الله عليه من أَهل نَجْران ومن / انضاف إليهم ، فأَجابه رسول الله – ﷺ – عن كتابه ، وأَمره بالقدوم عليه ، فقدم ومعه **وفد بنى الحارث بن كعب** . فكتب لهم رسول الله ﷺ وبعث معهم عمرو بن حَزْم يُفَقِّهِهم فى الدين ويعلمهم السنة ، ومعالم الإسلام ، ويأْخذ منهم صَدقاتهم . وكتب له بذلك كتابا فيه [٤] الصدقات والدِّيات وكثير من سنن الإسلام . ورجع وفد بنى الحارث بن كعب إلى قومهم فى بقية شوال أَو صدر ذى القعدة ، فلم يمكثوا بعد أَن رجعوا إلى قومهم إلا أَربعة أَشهر ، حتى توفِّى رسول الله ﷺ .

١٤٦ ظ

(١) انظر ابن هشام ٤/٢٤٥ .
(٢) انظر ابن هشام ٤/٢٤٣ وما بعدها .
(٣) الحبرات : برود يمنية حريرية .
(٤) انظر هذا الكتاب فى ابن هشام ٤/٢٤١ .

[حِجَّةُ (١) الوَدَاع]

قال ابن إسحق :

فلما دخل على رسول الله – ﷺ – ذو القعدة من سنة عشر تجهَّز للحج ، وأمر الناس بالجهاز [له] (٢) وخرج لخمس ليال بقين من ذى القعدة فيما حدثنى عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه [القاسم (٣) بن محمد] عن عائشة .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة أبا دُجانة السَّاعدى ، وقيل سِباع بن عُرْفُطة الغِفارى .

قال أبو عمر (٤) :

ماكان فى كتابنا هذا عن ابن إسحق فروايتنا فيه عن عبد الوارث بن سفيان، عن قاسم بن أصبغ ، عن محمد بن عبد السلام الخشنى ، عن محمد بن البرقى ، عن ابن هشام ، عن زياد البكَّائى ، عن محمد بن إسحق ، وقراءة منى أيضا على عبد الله بن محمد بن يوسف ، عن ابن مفرّج ، عن ابن الأعرابى ، عن العطاردى ، عن يونس بن بكير ، عن ابن/إسحق . وقراءة منى أيضا على عبد الوارث بن سفيان ، عن قاسم [بن] أصبغ ، عن عبيد بن عبد الواحد البزَّار ، عن [أحمد بن] (٥) محمد بن أيوب ، عن إبراهيم بن سعد ، عن ابن إسحق . وما كان فيه عن موسى بن عقبة فقرأته على عبد الوارث بن سفيان وأحمد بن محمد بن أحمد ، عن قاسم ، عن مطرف بن عبد الرحمن بن قيس ، عن يعقوب [عن] ابن فُلَيْح ، عن موسى بن عقبة . ولى فى ذلك روايات

١٤٧ و

---

(١) انظر فى حجة الوداع ابن هشام ٢٤٨/٤ والواقدى ٤٣٢ وابن سعد ج٢ ق١ ص١٢٤ وصحيح مسلم بشرح النووى ١٧٠/٨ والطبرى ١٤٨/٣ وابن حزم ص٢٦٠ وابن سيد الناس ٢٧٢/٢ وابن كثير ١٠٩/٥ والنويرى ٣٧١/١٧ .

(٢) زيادة من ابن هشام نقلا عن ابن إسحق .

(٣) زيادة من ابن هشام .

(٤) هذه الفقرة مقحمة على حجة الوداع ، وكأن ابن عبد البر أحس أنه أنهى حديثه عن المغازى ورأى أن يذكر طرق روايته لها عن ابن إسحق وموسى بن عقبة ، وكتاباهما فى المغازى أساس ما بأيدى الناس منها وهو يصرح هنا بأنه اعتمد أيضا على كتاب المغازى للواقدى ، وأنه نقل أطرافاً من كتاب ابن أبى خيثمة أحمد بن زهير بن حرب فى السيرة والمغازى .

(٥) زياده من ر ، وانظر مقدمة كتاب الاستيعاب وأسانيد روايته التى استقصاها فيه .

وأسانيد مذكورة فى صدر كتاب[١] الصحابة . وفى الفهرسة[٢] روايتنا لكتاب الواقدى وغيره تركنا ذلك ههنا خشية الإطالة بذكره . وفى كتاب أبى بكر بن أبى خيثمة – روايتى له عن عبد الوارث عن قاسم عنه – من ذلك أطراف ، والله المحمود على عونه وفضله كثيرا كما هو أهله .

قال الفقيه أبو عمر رضى الله عنه :

قال جماعة من أهل العلم بالسِّير والأثر أن رسول الله ، ﷺ ، لم يحج فى الإسلام إلا ثلاث حِجَّات : اثنتين[٣] بمكة ، وواحدة – بعد فرض الحج عليه – من المدينة .

[حديث[٤] جابر فى حِجَّة الوداع]

وأحسنُ حديثٍ فى الحج وأتمّه حديث جابر . حدّثناه أحمد بن سعيد بن بشر وأحمد بن قاسم بن عبد الرحمن ، قالا : حدثنا محمد بن عبد الله بن أبى دُلَيْم ، قال : حدثنا محمد بن وضّاح ، قال : حدثنا محمد بن مسعود ، قال : حدثنا يحيى بن سعيد القَطّان عن جعفر / بن محمد ، قال : حدثنى أبى ، قال : أتينا جابر بن عبد الله ، وهو فى بنى سَلِمة ، فسألناه عن حِجَّة رسول الله ﷺ ، فحدَّثنا :

١٤٧ ظ

أن رسول الله ، ﷺ ، مكث بالمدينة تسع سنين ، ثم أذَّن[٥] فى الناس أن رسول الله حاجٌّ العامَ . فنزل بالمدينة بَشَرٌ كثير ، كلهم يلتمس أن يأتمَّ برسول الله ويفعل ما يفعل . فخرج رسول الله ، ﷺ ، لخمس بقين من ذى القعدة وخرجنا معه ، حتى أتى ذا

---

(١) انظر الاستيعاب ص ٩ وما بعدها .

(٢) الفهرسة أو المشيخة سجل كان يروى فيه علماء الأندلس وغيرهم رواياتهم الكتب عن شيوخهم . مفيضين فى أسانيدها

(٣) فى الأصل ور : اثنتان .

(٤) ساق ابن عبد البر هذا الحديث بروايتين ، وثانيتهما تطابق رواية مسلم (انظر صحيح مسلم بشرح النووى ١٧٠/٨) وكذلك رواية سنن أبى دواد فى ١٨٩/١ . وقد تكلم العلماء على ما فيه من الفقه وأكثروا وأفرد بعضهم له مصنفًا خاصًا ساق فيه ما تضمن من مسائل الشريعة .

(٥) أذن فى الناس : أعلمهم بذلك وأشاعه فيهم .

الحُلَيْفَة [١] . ونَفِسَتْ [٢] أسماءُ بنت عُمَيْس بمحمد بن أبي بكر ، فأرسلتْ إلى رسول الله ﷺ ، فقال : اغتسلي واسْتَثْفِرِي [٣] بثوب ، ثم أَهِلِّي [٤] . فخرج رسول الله ﷺ ، حتى إذا استوتْ به ناقته على البَيْداء أَهلَّ بالتوحيد . لَبَّيْكَ اللهم لَبَّيْك ، لَبَّيْك لا شريك لك لَبَّيْك ، إن الحمد والنعمة لك ، والملك ، لاشريك لك . قال : ولَبَّى الناس . والناس يزيدون : ذا المعارج ونحوه من الكلام ، ورسول الله ، ﷺ ، يسمع ولا يقول لهم شيئا . فنظرتُ مَدَّ [٥] بصرى بين يدى رسول الله ، من راكبٍ وماش ، ومن خلفه مثل ذلك ، وعن يمينه مثل ذلك ، وعن شماله مثل ذلك . قال جابر : ورسول الله ، ﷺ ، بين أَظهرنا ينزل عليه القرآن ، وهو يعلم تأْويله ، وما عمل به من شيءٍ عملنا . فخرجنا لا ننوى إلا الحج حتى أتينا الكعبة [٦] ، فاستلم رسول الله ، ﷺ ، الحجرَ الأَسود ، ثم رَمَلَ [٧] ثلاثا / ومشى أَربعا . حتى إذا فرغ عمد إلى مقام إبراهيم فصلَّى خلفه ركعتين وقرأ : (واتَّخِذوا من مقام إبراهيم مُصَلَّى) . قال جعفر : قال أَبى : فقرأ فيهما [٨] بالتوحيد : (قل هو الله أَحد) و (قل يٰأَيها الكافرون) . ثم استلم الحَجَر [الأَسود] ثم خرج إلى الصَّفا فقال : نبدأُ بما بدأَ الله به وقرأ : (إن الصَّفا والمروة من شعائر الله) . وَرَقِىَ على الصفا حتى إذا نظر إلى البيت كبَّر ثم قال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيءٍ قدير . لا إله إلا الله [وحده] أَنجز وعده ، وصدق عبْده . وغلب – أو قال هزم – الأَحزابَ وحده [ثم دعا] [٩] ثم رجع إلى هذا الكلام ، ثم

١٤٨ و

---

(١) ذو الحليفة : ميقات أهل المدينة على بعد ستة أميال منها ، وفيه يحرمون بالحج أو العمرة أو بهما معا . واختلف العلماء هل قرن الرسول فى إهلاله (إحرامه) الحج بالعمرة ، أو أهل بالحج وحده أو بالعمرة وحدها ثم جمع إليها الحج فى مكة . والأرجح أنه قرنهما معاً .

(٢) نفست : من النفاس ، إذ ولدت ابنها محمداً

(٣) استثفرى : احتجزى أثر النفاس والدم بقطعة من ثوب .

(٤) أهلى : أحرمى . والإهلال : رفع الصوت بالتلبية .

(٥) مد بصرى : منتهى بصرى .

(٦) فى ذلك ما يدل على أنه ينبغى للحاج أن يدخل مكة ويطوف طواف القدوم قبل الوقوف بعرفات .

(٧) رمل : هرول . ثلاثاً : أى ثلاث مرات والهرولة والمشى جميعاً من الحجر الأسود إلى الحجر بسكون الجيم أو الركن اليمانى وهو طواف القدوم ، وهو سبعة أشواط . وهو تحية البيت الحرام .

(٨) فيهما : أى فى الركعتين بأم القرآن ثم بالسورتين القصيرتين التاليتين ، فى كل ركعة سورة .

(٩) زيادة من ابن سيد الناس وغيره يدل عليها المقام وقوله رجع إلى هذا الكلام .

دعا[١] . ثم رجع إلى هذا الكلام . ثم نزل حتى إذا انصبَّت قدماه فى الوادى سعى[٢] حتى صعِدَ مشيًا حتى أتى المروةَ فرقى عليها . حتى إذا نظر إلى البيت قال عليها كما قال على الصفا . فلما كان السابع[٣] بالمروة قال : يَـٰأيها الناس إنى لو استقبلتُ من أمرى ما استدبرت لم أسُق الهَدْى[٤] وجعلتُها عُمْرَةً ، فمن لم يكن معه هَدْىٌ فليحِلَّ وليَجْعَلْها عمرةً ، فحلَّ[٥] الناس كلهم . وقال سُراقة بن جُعْثُم ، وهو فى أسفل المروة : يارسول الله ألعامنا هذا أم للأبد ؟ فشبك رسول الله – ﷺ – بين أصابعه ، ثم قال : للأبد بل لأبد [الأبد] ، ثلاث مرات ، وقال : دخلت العمرة/فى الحج إلى يوم القيامة . وقدم على رضى الله عنه من اليمن وقدم معه بهَدْيٍ ، وساق رسول الله – ﷺ – معه هَدْياً من المدينة ، فإذا فاطمة قد حلَّتْ ولبستْ ثيابا صابغة واكتحلت ، فأنكر ذلك عليها ، قالت : أمرنى أبى . قال علىٌّ بالكوفة[٦] ـ لم يذكره جابر : فانطلقت محرِّشا[٧] أستفتى رسول الله – ﷺ – فى الذى ذكرت فاطمة . قال : قلت إن فاطمة لبست ثيابا صابغة واكتحلت ، وقالت : أمرنى أبى ، قال : صدقتْ ، صدقتْ ، أنا أمرتها . قال جابر : فقال لعلى بمَ أهللتَ ؟ قال : قلت : اللهم إنى أُهِلُّ بما أَهَلَّ به رسولك ، قال عليه السلام : فإن معى[٨] الهدىَ فلا تَحِلَّ بحال . وكان جماعة الهدى الذى أتى به رسول الله – ﷺ – من المدينة والذى أتى به علىٌّ مائةً . فنَحر رسول الله – ﷺ – بيده ثلاثا وستين ، وأعطى عليا فنحر ما غَبر[٩] وأشركه فى هَدْيه . ثم أمر رسول الله – ﷺ – من كل

١٤٨ ظ

---

(١) فى الأصل ور : عاد وهو تحريف من الناسخ .

(٢) سعى : أى رمل وهرول . وهو السعى بين الصفا والمروة ، وهو أيضاً سبعة أشواط .

(٣) السابع : أى الشوط السابع فى السعى .

(٤) الهدى : ما يقدمه الحاج من الأضاحى للذبح يوم النحر .

(٥) واضح أن الرسول بعد الطواف والسعى فى اليوم الرابع من ذى الحجة أمر كل من لا هدى معه بأن يحل فلا يحرم عليه شىء ، وأن يبقى كذلك إلى يوم التروية ، يوم منى ، وهو اليوم الثامن من ذى الحجة فيهل حينئذ بالحج . وكل ذلك تخفيف على المسلمين .

(٦) أى حين خرج إليها بعد توليه الخلافة .

(٧) محرشاً : من التحريش وهو الإغراء بين القوم .

(٨) يريد الرسول أنه أشركه فى هديه فلا يجوز له أن يحل .

(٩) غبر : بقى .

بَدَنة [١] بِبَضْعة [٢] فجُعلت فى قِدْر ، فأكلا من لحمها وشربا من مرقها . وقال رسول الله ﷺ : قد نَحَرْت ههُنا ، ومِنًى كلها مَنْحَرٌ ، ووقف بِعَرَفة وقال : وقفتُ ههنا ، وعرفة كلها موقف . ثم أتى المُزْدَلِفةَ فقال : وقفت ههنا . ومزدلفة كلها موقف .

أخبرنا عبد الله بن محمد ، قال : حدثنى محمد بن بكر ، قال : حدثنا سليمان بن الأشعث أبو داود ، قال : حدثنا / عبد الله بن محمد النُّفَيْلى وعثمان بن أبى شيبة وهشام بن عمار وسليمان بن عبد الرحمن ، وربما زاد بعضهم على بعض الكلمة ، قالوا : حدثنا حاتم ابن إسماعيل : [و] [٣] ، حدثنا سعيد بن نصر ، قال : حدثنا قاسم بن أصبغ ، قال : حدثنا محمد بن وضاح ، قال : حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة ، قال : حدثنا حاتم ابن إسماعيل . وحدثنا عبد الوارث بن سفيان ، قال : حدثنا قاسم بن أصبغ ، قال : حدثنا أحمد بن زهير ، قال : حدثنا محمد بن سعيد الأصفهانى وهرون بن معروف ، قالا [٤] : حدثنا حاتم بن إسماعيل . وبعضهم يزيد على بعض الكلمة والكلمتين والمعنى واحد . قال : حدثنا جعفر بن محمد عن أبيه ، قال :

١٤٩ و

دخلنا على جابر بن عبد الله ، وهو يومئذ قد ذهب بصره ، فسأل عن القوم حتى انتهى إلىّ ، فقلت : أنا محمد بن على بن حسين بن على ، وأنا يومئذ غلام شاب ، فرحّب وسهّل [٥] ، ودعا لى . فقالوا : جئنا نسألك فقال لى : سَلْ عما شئت يا ابن أخى ، فقلت : أخبرنى عن حِجّة رسول الله — ﷺ — فعَقَد تسعا ثم قال :

إن رسول الله — ﷺ — مكث تسع سنين لم يَحُجّ ، ثم أَذَّن فى الناس فى العاشرة أن رسول الله — صلى الله / عليه وسلم — حاجٌّ ، فقدم المدينة بَشَرٌ كثير كلهم يلتمس [٦] أن يأتمّ برسول الله ﷺ ويعمل بمثل عمله . فخرجنا معه ، حتى أتينا ذا الحُلَيْفة ، فولدت أسماء بنت عُمَيْس محمد بن أبى بكر ، فأرسلت إلى رسول الله ﷺ كيف أصنع ؟ قال : اغتسلى

١٤٩ ظ

---

(١) البدنة : الناقة المهداة للبيت للنحر .
(٢) بضعة : قطعة من اللحم .
(٣) زيادة من ر .
(٤) هكذا فى ر ، وفى الأصل : قال .
(٥) أى قال : أهلا وسهلا ومرحبًا .
(٦) هكذا فى ر وفى الأصل : يلتمسون .

واستثفِرى بثوب وَأَحْرِمى . وصَلَّى رسول الله ، ﷺ ، فى المسجد ، ثم ركب القَصْواء[١] حتى إذا استوتْ به ناقته على البَيْداء نظرت إلى مَدِّ بصرى بين[٢] يديه من راكب وماشٍ ، وعن يمينه[٣] ويساره مثل ذلك ، ومن خلفه مثل ذلك ، ورسول الله ﷺ ، بين أَظْهُرنا وعليه ينزل القرآن وهو يعلم[٤] تأْويله ، فما عمل به من شىء عملنا به[٥] . فأَهلَّ بالتوحيد[٦] : لَبَّيْك اللهم لَبَّيْك ، لاشريك لك لَبَّيْك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك . وأَهلَّ الناس بهذا الذى يهلُّون [به[٧]] فلم يردّ رسول الله ، ﷺ ، [عليهم[٨]] شيئا منه ، ولزم رسول الله ، ﷺ ، تلبيته . قال جابر : لسنا ننوى إلا الحجَّ ، لسنا نعرف العمرة ، حتى إذا أَتينا البيت[٩] معه استلم[١٠] الركن فَرَمَل ثلاثا ومشى أربعا ، ثم تقدم[١١] إلى مقام إبراهيم ، فقرأَ : (واتَّخِذُوا من مقام إبراهيم مُصَلًّى) فجعل المقام بينه وبين البيت . قال جعفر : فكان أَبى يقول/ — ولا أَعلمه ذكره إلا عن النبى ﷺ — إنه كان يقرأُ فى الركعتين[١٢] : (قل هو الله أَحد) و (قل يـأَيها الكافرون) . ثم رجع إلى الركن فاستلمه . ثم خرج من الباب إلى الصَّفا ، فلما دَنَا من الصَّفا قرأَ : (إن الصَّفا والمَرْوَةَ من شعائر الله) نبدأُ بما بدأَ الله به ، فَبَدَأَ بالصَّفا فَرَقِىَ عليه حتى رأَى البيت ، فاستقبل القبلة ، ووحَّد الله وكبَّره ، وقال : لاإله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير ، لا إله إلا الله وحده أَنجز وعده ونصر عَبْده وهزم الأَحزابَ وحده . ثم دعا بين ذلك ، وقال مثل هذا ثلاث مرات

١٥٠ و

(١) القصواء : ناقته التى هاجر عليها فى بعض الروايات .
(٢) هكذا فى مسلم وفى الأصل ور : من بين يديه .
(٣) فى مسلم : وعن يمينه مثل ذلك وعن يساره مثل ذلك .
(٤) فى مسلم : يعرف .
(٥) هكذا فى ر وفى مسلم . وفى الأصل : عملناه .
(٦) بالتوحيد : أى بالعبارات التالية .
(٧) زيادة من مسلم .
(٨) زيادة من ر ومسلم .
(٩) البيت : الكعبة
(١٠) استلم الركن . مسح بيده عليه ، والمراد بالركن : الركن الذى به الحجر الأسود ، وربما أريد به الركن اليمانى الذى إليه منتهى الطواف .
(١١) فى مسلم : نفذ .
(١٢) أى اللتين صلاهما بجوار المقام .

ثم نزل إلى المروة حتى إذا انصبَّتْ قدماه رَمَل فى بطن الوادى ، حتى إذا صَعِدتا مشى حتى أتى المروة . ففعل على المروة كما فعل على الصَّفا ، حتى إذا كان فى آخر طوافٍ على المروة قال : لو أنى[1] استقبلتُ من أمرى ما استدبرت لم أسُقِ الهدى ولجعلتها عُمْرة ، فمن كان [منكم[2]] ليس معه هدى فليحلَّ[3] وليجْعلها عمرة ، فحلَّ الناس كلهم إلا النبى عليه السلام ومن كان معه هدى. فقال سراقة بن جُعْشم : يارسول الله ألعامنا هذا أم للأبد ؟ فشبَّك رسول الله ، ﷺ ، بين أصابعه[4] ثم قال : دخلت / العُمْرة فى الحج ، مرتين ، لا بل لأبد الأبد[5] . قال : وقدم علىٌّ من اليمن بِبُدْن إلى النبى ﷺ ، فوجد فاطمة ممن حَلَّ ، ولبست ثيابا صَبِيغًا ، واكتحلتْ . فأنكر ذلك عليها ، فقالت : أبى أمرنى بهذا . فكان علىٌّ يقول بالعراق : فذهبت إلى رسول الله ، ﷺ ، محرِّشًا على فاطمَة ، للذى صنعت ، مستفتيا لرسول الله ، ﷺ ، فيما ذكرتْ عنه ، وأخبرته أنى أنكرت ذلك عليها ، فقال : صدقتْ صدقتْ . ثم قال : ماذا قلتَ حين فَرَضْتَ[6] الحج ، قال : قلت : اللهم إنى أُهلُّ بما أَهلَّ به رسولك ، قال : فإن معى الهدْىَ فلا تَحِلَّ . قال : فكان جماعة الهَدْى الذى قدم به على من اليمن والذى أتى به رسول الله ﷺ من المدينة مائة . قال : فحلَّ الناس كلهم وقَصَّروا إلا النبى عليه السلام ومن كان معه هدْىٌ . فلما كان يوم التَّرْوِيَة[7] توجهوا إلى مِنًى ، فأهلُّوا بالحج . وركب رسول الله ﷺ فصلَّى بها[8] الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح[9] . ثم مكث قليلا ، حتى طلعت الشمس . وأمر بِقُبَّةٍ من شَعَرٍ تُضْرَبُ له بِنَمِرَةَ[10] . فسار رسول الله ﷺ – ولا

١٥٠ ظ

---

(١) فى ر : إنى لو

(٢) زيادة من ر ومسلم .

(٣) حل من إحرامه يحل بكسر الحاء ، وأحل : حرج .

(٤) فى مسلم : فشبك رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابعه واحدة فى الأخرى .

(٥) فى مسلم : بل لأبد أبد

(٦) فرضت الحج : نويت القيام بفريضته .

(٧) هو اليوم الثامن من ذى الحجة ، وفيه يحرم من كان بمكة ، وواضح أنه أحرم به من كانوا أحلوا .

(٨) هكذا فى مسلم ، وفى الأصل ور : بنا

(٩) فى مسلم : والفجر .

(١٠) نمرة . موضع بجنب عرفات .

تشكُّ قريش إلا أنه واقف عند المَشْعر[١] الحرام ، كما كانت قريش تصنع فى الجاهلية — فأجاز[٢] رسول الله ﷺ / حتى أتى عرفة ، فوجد القُبَّة قد ضُرِبَتْ له بِنَمِرَةَ ، فنزل بها ، حتى إذا زاغتِ[٣] الشمسُ أمر بالقَصْوَاء ، فرُحِلَتْ[٤] له . فأتى بطن الوادى ، فخطب الناس[٥] فقال : إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحُرْمة يومكم هذا فى شهركم هذا [فى بلدكم[٦] هذا] إلا كلُّ شىء من أمر الجاهلية موضوع[٧] تحت قدمىَّ ، ودِماءُ الجاهلية موضوعة ، وإن أول دمٍ أضعه من دمائنا دم ربيعة[٨] بن الحارث — كان مُسْتَرْضَعًا فى بنى سَعْدٍ فقتلته هُذَيْل — وربا الجاهلية موضوع ، وأوَل رِبًا أضع [رِبَانا][٩] : ربا عباس بن عبد المطلب ، فإنه موضوع كله . واتقوا الله فى النساء ، فإنكم أخذتموهن بأمانة[١٠] الله ، واستَحْلَلْتم فروجهنَّ بكلمة الله ، ولكم عليهنَّ أن لا يُوطِئْنَ فُرُشَكم أحدا تكرهونه ، فإن فَعَلْنَ [ذلك][١١] فاضربوهن ضربا غير مبرِّح[١٢] ، ولهن عليكم رزقهن وكسْوتهنَّ بالمعروف . وقد تركت فيكم مالن تَضِلُّوا بعده أبدا إن اعتصمتم به : كتابَ الله . وأنتم مسئولون[١٣] عنى فما أنتم قائلون ؟ قالوا : نشهد أنك قد بلَّغتَ وأدَّيتَ ونصحتَ . فقال بإصبعه السَّبَّابة يرفعها إلى السماء ويشير[١٤] إلى الناس : اللهم اشهد ، اللهم اشهد ، اللهم اشهد ، ثلاث مرات . ثم أذَّنَ[١٥] ، ثم /أقام فصلَّى الظهر ، ثم أقام فصلَّى

١٥١ و

١٥ ظ

(١) المشعر الحرام : جبل بالمزدلفة .
(٢) فأجاز : أى جاوز المزدلفة ولم يقف بها بل توجه إلى عرفات .
(٣) زاغت : زالت .
(٤) رحلت له : وضع عليها رحلها استعداداً لركوبه .
(٥) أى على راحلته .
(٦) زيادة من مسلم .
(٧) هكذا فى مسلم ، وفى الأصل ور : تحت قدمى موضوع .
(٨) فى مسلم : دم ابن ربيعة بن الحارث .
(٩) زيادة من مسلم .
(١٠) فى مسلم : بأمان الله .
(١١) زيادة من مسلم .
(١٢) غير مبرح : ليس بشديد ولا شاق ، من البرح وهو المشقة ، وهو الضرب الذى لا يجرح ولا يكسر عظما .
(١٣) فى مسلم : تسألون .
(١٤) فى مسلم : وينكتها أى يقلبها ويرددها إلى الناس مشيراً إليهم .
(١٥) أذن : أى أذن بلال .

العصر . ولم يُصَلِّ بينهما شيئا . ثم ركب حتى أتى الموقف ، فجعل بَطْن ناقته إلى الصَّخَرَات(١) . وجعل حَبْلَ(٢) المُشاة بين يديه . واستقبل القبلة(٣) . فلم يزل واقفا حتى غربت الشمس وذهبت الصُّفْرة قليلا حين(٤) غاب القُرْصُ . وأردف أُسامة بن زيد خلفه ، ودَفَع وقد شَنَق القصواءَ(٥) . حتى إن رأْسها ليُصيب مَوْرِكَ(٦) رَحْلِهِ . [و](٧) يقول بيده اليمنى : أيها الناسُ السكينةَ ، السكينةَ ، كلما أتى حَبْلا من الحبال أرخى لها قليلا حتى تصعد ، حتى أتى المزدلفة(٨) . فصلَّى بها المغرب والعشاء بأذان واحد وإقامتين ولم يُسَبِّحْ بينهما شيئا . ثم اضطجع رسول الله ﷺ حتى طلع الفجر ، وصَلَّى الفجر حين تبيَّن له الصبح(٩) . بأذان وإقامة . ثم ركب القصواءَ حتى أتى المَشْعَرَ الحرام ، فاستقبل القبلة ، فدعا الله وكبَّره وهلَّله ووحَّده . ولم يزل واقفا(١٠) . حتى أَسْفَرَ(١١) جِدا . فدفع قبل أن تطلع الشمس ، وأردف الفضل بن عبَّاس ، وكان رجلا أبيض حسن الشعر وَسِيماً فلما/دفع رسول الله ﷺ مرَّت [به](١٢) الظُّعُن يَجْرِين ، فطفق الفضل ينظر إليهن ، فوضع رسول الله ، ﷺ ، يده على وجه الفَضْل(١٣) [فحوَّل(١٤) الفَضْلُ وجهه إلى الشِّق الآخر ينظر ، فحوَّل رسول الله ، ﷺ ، يده من الشق الآخر على وجه الفضل] يصرف وجهه من الشق الآخر . حتى أتى محسِّرًا(١٥) . فحرَّك(١٦) قليلا . ثم سلك الطريق

١٥٢ و

(١) الصخرات : هى صخرات مفترشات فى أسفل جبل الرحمة بوسط أرض عرفات .

(٢) الحبل : التل من الرمل . وحبل المشاة : أى مجتمعهم .

(٣) هكذا فى مسلم . وفى الأصل : المدينة .

(٤) ف ر ومسلم : حتى .

(٥) شنق الناقة : كفها بزمامها . وفى مسلم : وقد شنق للقصواء زمامها .

(٦) مورك الرحل : الموضع الذى يثنى الراكب رجله عليه قدام واسطة الرحل إذا مل من الركوب .

(٧) زيادة من ر ومسلم

(٨) أى فى الليلة العاشرة من ذى الحجة .

(٩) هو صبح يوم النحر ويوم الأضحى ويوم العيد ويوم الحج الأكبر .

(١٠) أى على راحلته .

(١١) أى الصبح .

(١٢) زيادة من مسلم .

(١٣) فى هذا الحديث حث واضح على غض البصر عن الأجنبيات دفعاً للفتنة .

(١٤) زيادة من مسلم ، سقطت من الأصل ور .

(١٥) فى مسلم : حتى أتى بطن محسر ، وهو واد بالمزدلفة وقيل : موضع بينها وبين منى .

(١٦) أى ناقته .

الوسطى التى تخرج إلى ما يلى[١] الجَمْرة الكبرى ، حتى أتى الجمرة التى عند الشجرة[٢] . فرماها بسبع حَصَيات ، يكبِّر مع كل حَصَاةٍ منها - حَصًا مثل حصا الحَذْف[٣] - رماها[٤] من بطن الوادى . ثم انصرف إلى المَنْحَرِ ، فَنَحَرَ ثلاثا وستين بيده ، ثم أعطى عليا ، فنحر ما غَبَر ، وأشركه فى هَدْيه . ثم أمر من كل بَدَنةٍ ببَضْعةٍ ، فجُعلتْ فى قِدْرٍ ، فطُبِخَتْ ، فأكلا من لَحْمِهَا وشَرِبا من مَرَقِها . ثم ركب رسول الله ﷺ إلى البيت فأفاض[٥] . وصَلَّى بمكة الظهر . وأتى بنى عبد المطلب وهم يسقون على زمْزم ، فقال : انْزِعوا[٦] يا بنى عبد المطلب ، فلولا أن يغلبكم الناس على سِقايتكم[٧] لنزعت معكم . وناولوه دَلْوًا فشرب منه ﷺ .

---

(١) فى مسلم : تخرج على الجمرة الكبرى .

(٢) هكذا فى مسلم . وفى الأصل ور : المسجد . والجمرة التى عند الشجرة هى نفس الجمرة الكبرى . وهى جمرة العقبة .

(٣) الحذف : الرمى بأطراف الأصابع أى أنه حصى صغير نحو حبة الباقلاء

(٤) رماها بعد طلوع الشمس كما هو واضح من السياق .

(٥) فى مسلم . فأفاض إلى البيت : أى طاف طواف الإفاضة . وهو أحد أركان الحج .

(٦) انزعوا : استقوا بالدلاء وانزعوها بالرشاء .

(٧) يريد عليه السلام : أنه لولا خوفه أن يعتقد الناس أن ذلك من مناسك الحج فيزدحموا عليه بحيث يغلبونكم ويدفعونكم عن سقاية الحج لاستقيت معكم . لما فى ذلك من كثرة الفضيلة .

بـاب
ذكر وفاة[1] النبى / صلى الله عليه وسلم

١٥٢ظ

رَوَى وكيع ، عن سفيان ، عن عاصم ، عن ابن أبى رُزَين ، عن ابن عباس ، قال : لما نزلتْ : (إذا جاءَ نَصْر الله والفتح - السورة[2] كلها) علم النبى - عليه السلام - أنه قد نُعِيَتْ إليه نفسه .

وسأل عمر ابن عباس عن هذه السورة، فقال : يقول له : اعلم أنك ستموت عند ذلك ، فقال عمر : لله دَرُّك يا بنَ عباسٍ ، إعجاباً بقوله . وقد كان سأل عنها غيره من كبار الصحابة فلم يقولوا ذلك

ثم لما دنتْ وفاته أخذه وجعه فى بيت مَيْمونة ، فخرج إلى أهل أُحُد ، فصلَّى عليهم صلاته على الميت[3] .

وكان أول ما يشكو فى علته الصُّداع ، فيقول : وارَأْساه . ثم لما اشتد به وجعه استأذن أزواجه أن يمرَّض فى بيت عائشة ، فأذنَّ له فى ذلك . فمرِّض فى بيت عائشة إلى أن مات فيه صلى الله عليه وسلم . وكان يقول فى مرضه ذلك لعائشة : مازلت أجد ألم الطعام الذى أكلته بِخَيْبر[4] ، مازالت تلك الأكلة تعاودنى ، فهذا أوان قطعت أبْهَرِى[5] . وأُغْمى عليه ،

---

(١) انظر ف وفاة النبى ابن هشام ٢٩١/٤ ، ٢٩٨ وما بعدها وابن سعد ج ٢ ق ٢ ص ١٠ وما بعدها والبخارى ٩/٦ والطبرى ١٨٣/٣ وابن حزم ص ٢٦٢ وابن سيد الناس ٣٣٥/٢ وابن كثير ٢٢٣/٥

(٢) هى آخر سور القرآن نزولاً على الرسول ، وفى بعض الأحاديث أنه قال لجبريل حين نزل عليه بها ، نعيت إ نفسى فأجابه ، وللآخرة خير لك من الأولى.

(٣) كأنما كانت هذه الصلاة بعد سبع سنين من موتهم وداعاً للأموات والأحياء معاً .

(٤) يشير إلى الشاة المشوية التى أطعمتها إياه امرأة سلام بن مشكم على نحو ما مر بنا فى غير هذا الموضع .

(٥) الأبهر : عرق مستبطن بالصلب يتصل بالقلب فإذا انقطع مات صاحبه . وكان بعض الصحابة مثل ابن مسعود يرون أنه - صلى الله عليه وسلم - مات شهيداً .

١٠٣ و فظنوا أن به ذات الجَنْب فلَدُّوه[١] . وكان/العباس الذى أشار بذلك ، فلما أفاق أنكر ذلك عليهم ، وأمر بالقِصاص فى ذلك منهم – واستثنى العباس برأيه – فلُدَّ كل من حضر فى البيت إلا العباس[٢] .

وأوصاهم فى مرضه بثلاث : أن يُجيزوا الوفد بنحوٍ مما كان يجيزهم به[٣] وأن لا يتركوا فى جزيرة العرب دينين ، [قال] : أخرجوا منها المشركين ، والله الله [فى] الصلاة ، وما ملكت أيمانكم فأحْسِنوا إليهم . وقال : لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد .

وقال لهم : هلمُّوا أكتبْ لكم كتابا لا تضلوا بعده أبدا . فاختلفوا وتنازعوا واختصموا ، فقال : قوموا عنى ، فإنه لا ينبغى عندى تنازع . وكان عمر القائل حينئذ : قد غلب عليه وجعه ، وربما صَحَّ[٤] ، وعندكم القرآن . فكان ابن عباس يقول : إن الرزيَّة كل الرزية ما حال بين رسول الله – ﷺ – وبين أن يكتب ذلك الكتاب لاختلافهم ولغَطهم[٥] .

وسارَّ فاطمة – رضى الله عنها – فى مرضه ذلك ، فقال لها : إن جبريل كان يعرض ١٥٣ ظ علىَّ القرآنَ كل عام مرةً وإنه عرضه علىَّ العام مرتين ، وما أظن إلا أنى ميت/من مرضى هذا ، فبكت ، فقال لها : ما يسرُّك أنك سيدة نساء أهل الجنة ما عدا مريم بنت عمران ، فضحكت .

وكان يقول فى صحته : ما يموت نبى حتى يُخيَّر ويرى مقعده[٦] . روتْه عائشة .

---

(١) لدوه : من اللد وهو وضع الدواء فى شق الفم . وفى ابن سعد ج٢ ق٢ ص٣١ أنهم لدوه بالعود الهندى وبشىء من ورس وقطرات زيت .

(٢) ذكر السهيلى فى الروض الأنف ٣٦٩/٢ أن ظاهر كلام ابن إسحق أن العباس كان حاضر الرسول ثم يقول : وفى الصحيحين أن رسول الله قال : لا يبقين أحد بالبيت إلا لد ، إلا عمى العباس فإنه لم يشهدكم . يقول السهيلى : وهذه أصح من رواية ابن إسحق

(٣) أن يجيزوا : أن يعطوا من الجائزة ، وهى العطية .

(٤) صح : زال عنه المرض .

(٥) قال ابن حزم فى جوامع السيرة ص ٢٦٤ : لا شك فى أنه لوكان هذا الكتاب من واجبات الدين ولوازم الشريعة لم يثنه عنه كلام عمر ولا غيره . واستظهر ابن حزم أن يكون الكتاب الذى أراد الرسول كتابته هو استخلافه لابى بكر لقوله لعائشة : لقد هممت أن أبعث إلى أبيك وأخيك فأكتب كتابًا وأعهد عهدًا لئلا يتمنى متمن أو يقول قائل ، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر .

(٦) أى يخير بين الحياة والموت ويرى مقعده من الجنة .

قالتْ : فلما اشتد مرضه جعل يقول : مع الرَّفيق الأعلى ، مع النبيين والصِّدِّيقين والشهداء والصالحين وحَسُنَ أُولئك رفيقا .

وقال حين عجز عن الخروج إلى المسجد : مُرُوا أبا بكرٍ فَلْيُصَلِّ بالناس . وخرج يوما من أيام مرضه إلى المسجد تخطُّ رجلاه فى الأرض ، يحمله رجلان أحدهما عليّ والآخر العباس ، وقيل الفضل بن عباس .

وقال فى مرضه : هَرِيقوا[١] عليَّ من سبع قِرَب لم تُحْلَلُ أَوْكيتهن[٢] لعلّى أعهد إلى الناس ، فأُجْلِس فى مِخْضَبٍ[٣] لحَفْصة ، ثم صُبَّ عليه من تلك القِرب ، حتى طفق يشير بيده أنْ حَسْبُكم . ثم خَرَج إلى الناس فصلَّى بهم . وقد أوضحنا معانى صلاته فى مرضه بالناس مع أبي بكر[٤] ومكان المقدَّم منهما وما يصحُّ فى ذلك عندنا فى كتاب التمهيد . وبالله توفيقنا .

١٥٤ و

وأصبح الناس يوما يسألون عليا والعباس عن/حال رسول الله ﷺ ، وقد اشتدت به الحال ، فقال على : أصبحَ بخير ، فقال العباس : ما الذى تقول ؟ والله لقد رأيت فى وجهه من الموت ما لم أزل أعرفه فى وجوه بنى عبد المطلب ، ثم قال له : يا عليّ اذهبْ بنا نسأله فيمن يكون هذا الأمر بعده . فكره عليٌّ ذلك ، فلم يسألاه . واشتد به المرض ، فجعل يقول : لا إله إلا الله ، إن للموت لسكرات . الرفيق الأعلى ، فلم يزل يقولها حتى مات .

ومات ﷺ يوم الاثنين بلا اختلاف ، قيل : فى وقت دخوله المدينة فى هجرته حين اشتدّ الضُّحَى فى صدْر[٥] ربيع الأَول سنة إحدى عشرة لتمام عشر سنين من الهجرة . ودُفن يوم الثلاثاء ، وقيل : بل دُفن ليلة الأربعاء . ولم يحضر غَسْله ولا تكفينه إلا أهل بيته ، غسله على ، وكان الفضل بن عباس يصبُّ عليه الماء ، والعباس يعينهم . وحضرهم

---

(١) هريقوا : أريقوا وصبوا .

(٢) الأوكية : جمع وكاء وهو رباط القربة .

(٣) المخضب : إناء كبير أو إجانة تغسل فيها الثياب .

(٤) معروف أن الرسول عليه السلام صلى وراء أبي بكر فى تلك الأيام صلاة تامة . وأنه خرج يومًا فصلى بجانبه . فتحول أبو بكر مأمومًا يسمع الناس تكبيره .

(٥) قيل إنه توفى صلى الله عليه وسلم فى أول يوم من ربيع الأول وقيل فى اليوم الثانى منه . وقيل بل فى الثانى عشر . وهو الأرجح .

شُقْران مولاه . وقد ذكرنا فى صدر كتاب الصحابة سؤاله فى هذا المعنى .

ولم يصدِّق عمر بموته ، وأنكر على مَنْ قال : مات ، وخرج إلى المسجد ، فخطب ، وقال فى خطبته : إن المنافقين يقولون إن رسول الله – ﷺ – توفِّى ، والله ما مات رسول الله ﷺ ، ولكنه / ذهب إلى ربه كما ذهب موسى [عليه[1] السلام] ، فقد غاب عن قومه أربعين ليلة ، ثم رجع إليهم ، والله ليرجعنَّ رسول الله . كما رجع موسى ، فليقطعنَّ أيدى رجال وأرجلهم ، زعموا أن رسول الله مات[2] .

١٥٤ ظ

وأتى أبو بكر بيتَ رسول الله – ﷺ – فكُشف له عن وجهه ﷺ ، فقبَّله ، وأيقن بموته . ثم خرج فوجد عمر [رضى الله عنه] يقول تلك المقالة ، فقال له : اجْلِسْ ، فأبى عمر ، فقال له : اجلسْ ، فأبى . فتنحَّى عنه ، وقام خطيبا ، فانصرف الناس إليه وتركوا عمر . فقال أبو بكر [رضى الله عنه] :

أَما بعد فمن كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ، ومَنْ كان يعبد الله فإن الله حَىٌّ لا يموت ثم تَلاَ : (وما محمدٌ إلا رسولٌ قد خَلَتْ من قبله الرُّسُل أَفَئِنْ مات أو قُتِل انقلبتم على أعقابكم – الآية) . قال عمر [رضى الله عنه] : فلما سمعتها من أبى بكر عرفت ما وقعتُ فيه ، وكأَنى لم أَسمعها قَبْلُ .

ثم اجتمع المهاجرون والأنصار فى سَقيفة بنى ساعدة ، فبايعوا أبا بكر رضى الله[عنهم[3] أجمعين] . ثم بايعوه بيعة أُخرى من الغَدِ على مَلأٍ منهم ورِضًا ، فكشف الله به الكُرْبة من أهل الردة ، وقام به[4] الدين . والحمد لله رب العالمين .

كمل كتاب الدرر
بحمد الله وعونه
وحسن توفيقه

---

(١) زيادة من ر . وكذلك الزيادات التالية .

(٢) انظر فى عدم تصديق عمر بوفاة الرسول وخطبة أبى بكر فى الناس وبيعة السقيفة صحيح البخارى ٦/٥ وما بعدها .

(٣) هكذا فى ر وفى الأصل : رضى الله عنه .

(٤) كتب مقابل النسخة بإزاء هذه العبارة : بلغ مقابلة .

الفهارس

١ – فهرس رجال السند *

---

* أدخلنا فى هذا الفهرس كل صاحب قول أسنده إليه ابن عبد البر ، وان لم يذكر رجاله الذين روى عنهم ، وكذلك أدخلنا فيه مراجعه كابن إسحاق والواقدى وموسى بن عقبة .

(ب)

(ث)

(ج)

(ح)

(ش)

(ظ)

(ع)

(ف)

(ق)

(ن)

(هـ)

(و)

(ى)

٢ – فهرس الاعلام

(ب)

(خ)

(د)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ض)

(ط)

(ظ)

(ع)

(غ)

(ف)

(ن)

٣ - فهرس القبائل والطوائف والأمم

(غ)

(ف)

(ق)

(ن)

(هـ)

(ى)

٤ – فهرس البلدان والمواضع ونحوها

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ط)

٥ – فهرس الغزوات والبعوث *

* يراجع كذلك فهرس الأماكن .

٦ – فهرس الآيات القرآنية*

(سورة البقرة)

(سورة آل عمران)

(سورة النساء)

(سورة المائدة)

* اتبعنا فى هذا الفهرس ترتيب سور القرآن الكريم ، وجعلنا الرقم بين القوسين للآية فى السورة المذكورة ، والرقم الأخير هو رقم الصفحة التى وردت فيها الآية .

(سورة الأنفال)

(سورة التوبة)

(سورة الحجر)

(سورة الإسراء)

(سورة مريم)

(سورة الفرقان)

(سورة يس)

(سورة غافر)

(سورةِ الأحقاف)

(سورة الفتح)

(سورة الحجرات)

٧ – فهرس الأحاديث النبوية

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

٨ – فهرس الشعر

٩ - فهرس الموضوعات

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

كتب للمؤلف مطبوعة بالدار

فى الدراسات القرآنية

- سورة الرحمن وسور قصار
  عرض ودراسة
  الطبعة الثالثة ٤٠٤ صفحات

فى تاريخ الأدب العربى

- العصر الجاهلى
  الطبعة الثالثة عشرة ٤٣٦ صفحة
- العصر الإسلامى
  الطبعة الثانية عشرة ٤٦١ صفحة
- العصر العباسى الأول
  الطبعة العاشرة ٥٧٦ صفحة
- العصر العباسى الثانى
  الطبعة السابعة ٦٥٧ صفحة
- عصر الدول والإمارات
  الجزيرة العربية-العراق-إيران
  الطبعة الثالثة ٦٨٨ صفحة
- عصر الدول والإمارات
  الشام
  الطبعة الثانية ٣٥٦ صفحة
- عصر الدول والإمارات
  مصر
  الطبعة الثانية ٥٠٠ صفحة
- عصر الدول والإمارات
  الأندلس
  الطبعة الأولى ٥٥٢ صفحة

فى مكتبة الدراسات الأدبية

- الفن ومذاهبه فى الشعر العربى
  الطبعة الحادية عشرة ٥٢٤ صفحة
- الفن ومذاهبه فى النثر العربى
  الطبعة الحادية عشرة ٤٠٠ صفحة
- التطور والتجديد فى الشعر الأموى
  الطبعة الثامنة ٣٤٠ صفحة
- دراسات فى الشعر العربى المعاصر
  الطبعة الثامنة ٢٩٢ صفحة
- شوقى شاعر العصر الحديث
  الطبعة الثانية عشرة ٢٨٦ صفحة
- الأدب العربى المعاصر فى مصر
  الطبعة التاسعة ٣٠٨ صفحات
- البارودى رائد الشعر الحديث
  الطبعة الخامسة ٢٣٢ صفحة
- الشعر والغناء فى المدينة ومكة لعصر بنى أمية
  الطبعة الرابعة ٣٣٦ صفحة
- البحث الأدبى:
  طبيعته- مناهجه-أصوله-مصادره
  الطبعة السادسة ٢٧٨ صفحة
- الشعر وطوابعه الشعبية على مر العصور
  الطبعة الثانية ٢٥٦ صفحة
- فى التراث والشعر واللغة
  الطبعة الأولى ٢٧٦ صفحة

فى الدراسات النقدية

- فى النقد الأدبى
  الطبعة السابعة ٢٥٠ صفحة
- فصول فى الشعر ونقده
  الطبعة الثالثة ٣٦٨ صفحة

فى الدراسات البلاغية واللغوية

- البلاغة: تطور وتاريخ
  الطبعة الثامنة ٣٨٠ صفحة
- المدارس النحوية
  الطبعة السادسة ٣٧٦ صفحة

● تجديد النحو

الطبعة الثالثة ٢٨٢ صفحة

● تيسير النحو التعليمى قديمًا وحديثًا مع نهج تجديده

الطبعة الأولى ٢٠٨ صفحات

فى مجموعة نوابغ الفكر العربى

● ابن زيدون

الطبعة الثانية عشرة ١٢٤ صفحة

فى مجموعة فنون الأدب العربى

● الرثاء

الطبعة الرابعة ١١٢ صفحة

● المقامة

الطبعة الخامسة ١٠٨ صفحات

● النقد

الطبعة الخامسة ١١٢ صفحة

● الترجمة الشخصية

الطبعة الرابعة ١٢٨ صفحة

● الرحلات

الطبعة الرابعة ١٢٨ صفحة

فى التراث المحقق

● المغرب فى حلى المغرب لابن سعيد

الجزء الأول – الطبعة الثالثة ٤٦٨ صفحة

الجزء الثانى – الطبعة الثالثة ٥٧٢ صفحة

● كتاب السبعة فى القراءات لابن مجاهد

الطبعة الثالثة ٧٨٨ صفحة

● كتاب الرد على النحاة

الطبعة الثالثة ١٥٢ صفحة

● الدرر فى اختصار المغازى والسير لابن عبد البر

الطبعة الثالثة ٣٥٦ صفحة

فى سلسلة «اقرأ»

● العقاد — الطبعة الخامسة

● البطولة فى الشعر العربى — الطبعة الثانية

● معى (١) — الطبعة الثانية

● معى (٢) — الطبعة الأولى

● الفكاهة فى مصر — الطبعة الثانية